كتاب

كيف بقيّ السياسي العراقي الفاسد (عشرين سنة) في السلطة؟

١٨٠ قانون شامل تكشف بجرأة وسخرية عن الأساليب والتكتيكات التي استخدمها الفاعل السياسي العراقي في ترسيخ حكُمه .

تأليف

زياد الغزالي

تمهيد

في هذا الكتاب، نتعمق في أروقة السياسة العراقية عبر سلسلة من القوانين التي تكشف بجرأة وسخرية عن الأساليب والتكتيكات التي يستخدمها السياسيون للبقاء في السلطة. الكتاب ليس مجرد نقد للأوضاع السياسية، بل هو مرآة تعكس واقعًا معقدًا ومتشابكًا بأسلوب يجمع بين الطرافة والحدة. من خلال فصوله المختلفة، ستجد تحليلاً دقيقًا وساخراً لكيفية تحول الفساد، التحالفات المؤقتة، الشعارات الفارغة، والوعود الكاذبة إلى أدوات رئيسية في اللعبة السياسية. هذا الكتاب يهدف إلى إلقاء الضوء على خفايا السياسة بطريقة غير تقليدية، تجعلك تعيد النظر في مفهوم السلطة والحكم في العراق.

١ – قانون الفساد المريح : كلما زاد فسادك ، زاد استقرارك .

في عالم السياسة العراقية، الفساد ليس مجرد ممارسة خاطئة تُخفى في الظلال ، بل هو فن راق يتقنه القادة ويقدّسونه كأساس متين للاستقرار . إذا كنت سياسيًا طموحًا وترغب في الجلوس على الكرسي لفترة طويلة دون هزات تُزعجك ، فالفساد ليس خياراً ، بل هو واجب مقدس .

الفكرة بسيطة وواضحة : كلما تغلغلت في الفساد وأتقنت لعبته ، زادت جذورك في السلطة رسوخًا . الفساد هنا ليس مجرد وسيلة لإثراء نفسك وحلفائك، بل هو صمام أمان يحميك من العواصف السياسية والانقلابات المحتملة . إنه كالوسادة الناعمة التي ترتاح عليها أثناء نومك ، مطمئنًا أن أحدًا لن يُزعج راحتك .

في السياسة العراقية ، إذا شعرت يومًا بأن الأرض بدأت تهتز تحت قدميك ، أو أن هناك من يطمع في كرسيك ، فإن الحل بسيط : أضف قليلا من الفساد إلى مزيجك السري ، وشاهد كيف تهدأ الأمور فجأة، كالسحر تمامًا . الشعب قد يشتكي قليلا ، وربما يتظاهر لوهلة ، لكن طالما أن شبكة الفساد تحافظ على توازن المصالح بين الأطراف المختلفة وتُرضي حلفاءك ، فثق تمامًا بأنك باقٍ في مكانك ، مستقراً كجبل لا يتزعزع .

في النهاية ، النزاهة قد تكون كلمة تُذكر في خطابات نارية تُلقى على المنابر ، ولكن الفساد المريح هو القانون الحقيقي الذي يجعلك تبقى وتزدهر في هذا الميدان السياسي العجيب .

٢- قانون تبادل المصالح : لا يوجد عدو دائم أو صديق دائم ، فقط مصالح دائمة .

في دهاليز السياسة العراقية ، العلاقات أشبه برقصة فالس غير منضبطة : اليوم تتمايل معك ، وغداً تدوس على قدميك . لا مكان هنا للأعداء أو الأصدقاء الحقيقيين ، فالجميع لاعبو أدوار في مسرحية المصالح المتبادلة ، حيث يتغير سيناريو الحوارات بلمح البصر وفقًا للإغراءات القادمة .

في هذا العالم ، العدو الذي تقف ضده على المنصات العامة قد يصبح شريكك في مؤامرة محكمة تحاك في الظلام ، والصديق الذي تتظاهر بالولاء له قد يبيعك بأبخس الأثمان عند أول فرصة سانحة . القاعدة الذهبية هي أن تبقى جاهزاً دومًا لتبديل الأقنعة والخطابات ، لتتوافق مع اتجاه الريح .

العلاقات هنا ليست قائمة على الأخلاق أو القيم ، بل على دفاتر المصالح والتوازنات المؤقتة . طالما أن لديك ما يُعطي ، ستجد حولك أصدقاء مستعدين لمساندتك ، لكن عندما تجف منافعك ، سيتحولون إلى أعداء ينقضون عليك بلا تردد .

لا تتفاجأ إذا رأيت ألد الأعداء بالأمس يتقاسمون الولائم اليوم ؛ فهذا ليس انقلابًا في المبادئ ، بل مجرد تغيير في جدول الأعمال . الكلمات لا وزن لها هنا ، المهم هو ما يمكنك تقديمه من فوائد ملموسة .

لتنجو في هذا المستنقع المتقلب ، عليك أن تتقن فن الحرباء السياسية ، فتتغير ألوانك وعلاقاتك حسب الحاجة . الولاء والعداء ليسا إلا أدوات تُستخدم وتُرمى عندما تُصبح بلا فائدة . المهم هو أن تعرف كيف تُوظف مصالحك بحنكة ، وستجد نفسك دائمًا في مركز اللعبة ، مهما كانت الرياح تهب بعكس اتجاهك .

٣- قانون التحالفات المؤقتة: التحالفات تدوم حتى اليوم الذي ينقلب فيه أحد الطرفين.

في السياسة العراقية، التحالفات تشبه الهدنة بين قطتين متربصتين؛ تبدو وديعة من الخارج، لكنها محكومة بالانفجار في أي لحظة. هذه التحالفات ليست اتفاقات أبدية، بل هي تصاريح مرور مؤقتة، تظل سارية حتى يقرر أحد الأطراف أن الكعكة المشتركة لم تعد تكفي للجميع.

التحالف السياسي هنا ليس تحالفًا حقيقيًا، بل هو تأجيل مؤقت للخيانة، يُكتب بالدموع والأمل، لكنه يمحى بأول قطرة من الجشع. تدوم التحالفات طالما كان الجميع يتقاسم الغنائم بنسب مرضية، ولكن فور أن يشعر أحدهم أن الآخر قد نال قطعة أكبر، يبدأ العد التنازلي لساعة الصفر.

المشهد أشبه بسباق تسلح صامت: الجميع يعرف أن الصراع قادم لا محالة، لكنهم يلتزمون الهدوء، يجمعون القوى ويخططون للانقلاب، وكل طرف يراقب الآخر بعين نصف مغمضة، منتظراً اللحظة المناسبة للانقضاض. وعندما يحين الوقت، لا تكون الخيانة مفاجأة، بل هي النهاية المتوقعة لمسرحية سياسية طويلة، حيث يقوم أحد الشركاء من المائدة ليغرس خنجراً في ظهر الآخر، وكل ذلك بابتسامة متأنقة.

إذا أردت البقاء في هذا الميدان، عليك أن تكون مستعداً دائمًا للانقلاب قبل أن يُنقلب عليك. التحالفات هنا ليست سوى جسر عبور مؤقت، وعندما تصل إلى الضفة الأخرى، لا تتردد في حرق الجسر وراءك.

التحالفات السياسية في العراق ليست إلا ألعابًا نارية، تُبهرك للحظة ثم تتلاشى، تاركة خلفها دخانًا كثيفًا وخيبة أمل لكل من صدق وهماً استمر ليومٍ واحد أكثر من اللازم. لذا، لا تُراهن كثيراً على تحالفاتك، بل كن دائمًا جاهزاً لطعنة الظهر التالية.

٤- قانون تغيير الولاءات: يمكنك تبديل ولاءاتك كلما كان ذلك مفيدًا، فلا يوجد شيء ثابت في السياسة.

في السياسة العراقية، الولاء ليس سوى ورقة تُلعب في اللحظة المناسبة، ثم تُرمى عندما تتغير الرياح. المبادئ هنا ليست أكثر من ريشة في مهب عواصف المصالح، تتحرك حيثما دفعتها المكاسب. السياسي الذكي لا يتقيد برباط ثابت، بل يعرف كيف ينسلخ من تحالفاته مثلما يخلع معطفه في نهاية يوم طويل.

التحالفات والعلاقات تُبنى على أساس اللحظة؛ اليوم أنت حليف، وغداً قد تصبح غريمًا. السر يكمن في أن تظل دائمًا على أهبة الاستعداد لتغيير المسار، متى ما شعرت أن السفينة التي تركبها بدأت تأخذ في الغرق. ولاء الأمس قد يصبح عبئًا اليوم، وحليف الأمس قد يتحول إلى خصم في غمضة عين.

في هذا العالم، الولاء أشبه بعملة قابلة للتداول، ترتفع وتنخفض قيمتها وفقًا للسوق السياسي المتقلب. التمسك بولاء ثابت قد يبدو نبيلا، لكنه في واقع الأمر يُعد خطأً فادحًا في لعبة تحكمها المصالح المتغيرة. عليك أن تكون مثل الحرباء، تغير ألوانك وفقًا للبيئة المحيطة، وتتكيف مع أي ظرف يعترض طريقك.

الناجح في هذه اللعبة هو من يدرك أن الثابت الوحيد هو مصلحته الشخصية، وكل ما عدا ذلك يمكن أن يتبدل. فالمبادئ والمواقف لا يجب أن تكون سوى أدوات تُستخدم للوصول إلى الهدف، ثم تُركن جانبًا عندما يُصبح استخدامها غير مجدٍ.

السياسة العراقية لا تعترف بالولاء المطلق، بل تُقدّر أولئك الذين يجيدون فن التغيير. لا تخشَ تبديل ولاءاتك، بل اجعل من ذلك جزءًا من استراتيجيتك للبقاء، وكن دائمًا مستعدًا لقلب الطاولة عندما تستدعي الحاجة.

٥ - قانون الشعار الفارغ : اختر شعارات ضخمة وفارغة من المعنى ، فهي تجذب الناخبين ولا تلزمك بشيء .

في السياسة العراقية ، الشعار هو السلاح السري الذي يحمله السياسي الذكي في جعبته ، ليس لأنه يعكس رؤية حقيقية ، بل لأنه وسيلة لإغواء الجماهير دون أي التزام فعلي . الشعار المثالي هو ذاك الذي يبدو عظيمًا في ظاهره ، بينما يفتقر تمامًا إلى أي مضمون حقيقي ، مثل صندوق فاخر براق ، لكنه خالٍ من الداخل .

عند اختيار شعارك ، ركز على العبارات التي تثير الحماسة وتوقظ الأمل ، لكن اتركها غامضة ، مبهمة ، وقابلة للتفسير بطرق لا حصر لها . بهذه الطريقة ، يمكنك أن تتجنب أي مساءلة مستقبلية ؛ فالشعار ، بعد كل شيء ، لم يكن سوى جملة عابرة تحمل آلاف المعاني المحتملة ، ولا شيء ملموسًا يمكن أن يمسك به أحد .

الشعار الفارغ هو تذكرة ذهبية لدخول عقول الناخبين ، حيث يمنحك القدرة على جمع التأييد دون أن تضع نفسك في موقف يتطلب الوفاء بوعد محدد . إنه الفن الحقيقي في الخداع السياسي ، حيث تستطيع أن تتحدث عن "الإصلاح" و"التغيير" و"العدالة" ، دون أن تشرح كيف ستتحقق هذه الأهداف أو حتى إن كنت تنوي تحقيقها من الأساس .

الجمهور قد ينجذب للشعارات الكبيرة ، ويجد فيها أملا جديداً في كل مرة ، لكنك تعلم أن تلك الكلمات الرنانة ليست أكثر من دخان يتلاشى في الهواء . المهم هو أن تجعل شعارك يبدو كما لو كان يضم كل الحلول السحرية ، بينما في الواقع ، هو مجرد كلمات خالية من أي مسؤولية أو التزام .

السر هنا هو أن تجعل الشعار مرنًا ، قابلا للتكيف مع أي موقف ، بحيث يمكنك دائمًا إعادة تأويله وفقًا للظروف الجديدة . بهذه الطريقة ، ستظل

دائمًا على حق، وسيظل جمهورك مأخوذًا بأحلامك الكبيرة التي لا تترجم أبدًا إلى واقع.

في النهاية، الشعار الفارغ ليس مجرد تكتيك، بل هو الأساس الذي يبني عليه السياسي مسيرته في عالم السياسة. إنه أداة ذكية تجعل من الوعود سرابًا، ومن المطالب أهدافًا بعيدة المنال، ليظل السياسي دائمًا في موقف السيطرة، بعيدًا عن أي مساءلة أو انتقاد.

٦- قانون الوعود الكاذبة: وعود ما قبل الانتخابات لا يجب أن تكون قابلة للتنفيذ، فقط للإقناع.

في السياسة العراقية، وعود ما قبل الانتخابات تُشبه الألعاب النارية؛ تلمع في السماء للحظات، تجذب الأنظار، ثم تتلاشى تاركة خلفها دخانًا خفيفًا وذكريات باهتة. هذه الوعود ليست وسيلة لإحداث تغيير حقيقي، بل هي أدوات إقناع تُصمم خصيصًا لسرقة قلوب الناخبين قبل عقولهم، وتبقى مجرد أحلام تراودهم حتى بعد أن تنتهي اللعبة.

السياسي الذكي يدرك أن الناخب لا يبحث عن الخطط المدروسة، بل عن الأمل المغلف بورق لامع. لذا، عليه أن يُطلق وعودًا تبدو وكأنها قادرة على تحويل الصحراء إلى جنات خضراء، دون أن يكلف نفسه عناء التفكير في كيفية تحقيقها. فالجمهور لا يطلب أدلة، بل يكفيه الوهم الجميل الذي يُباع له في موسم الانتخابات.

السر ليس في التنفيذ، بل في خلق رؤية خيالية تُلهب الحماسة في نفوس الجماهير. تحدّث عن بناء مدن مستقبلية في الصحراء، أو عن توفير ملايين الوظائف بلمسة سحرية، المهم أن تُغذي أحلام الناس وتترك التفاصيل المزعجة لوقت آخر، وقت لا يأتي أبدًا.

الوعود الكاذبة هي رأس المال الذي تُراهن عليه في السوق الانتخابي. فهي تجلب الأصوات دون أن تحمّلك أي عبء حقيقي بعد الفوز. وعندما يُفاجأ الناس بأن شيئًا لم يتحقق، سيكون لديك دائمًا أعذار جديدة وشعارات جديدة، جاهزة للاستخدام في الدورة المقبلة.

الوعود الانتخابية ليست اتفاقيات ملزمة بقدر ما هي فنون في صناعة الأمل الوهمي. إنها لعبة الكلمات المنمقة التي تفتقر إلى الفعل، لكنها مليئة بالوعود التي لا تحتاج أبدًا إلى الوفاء. المهم أن تظل الخطابات مشتعلة، بينما يذوب الواقع في طيات النسيان.

٧- قانون التحصين الذاتي: أصدر قوانين تحميك من المساءلة مهما فعلت.

في السياسة العراقية، التحصين الذاتي هو جوهر البقاء، حيث يتقن السياسي حياكة القوانين التي تُشكّل درعًا واقيًا يصدّ عنه كل محاولات المساءلة. هنا، القوانين ليست لفرض النظام، بل لفرض الحصانة، فالمسؤول الناجح هو من يتفنن في صياغة تشريعات تُبقيه خارج دائرة المحاسبة، مهما كانت تجاوزاته فادحة.

التحصين الذاتي ليس مجرد إجراء احترازي، بل هو فن تحويل القانون إلى جدار خفي يحجب عنك أعين الرقابة. كلما زادت تجاوزاتك، ازدادت حاجتك لتعزيز هذا الجدار بالقوانين التي تُفصَّل بدقة لتتناسب مع كل خطيئة قد ترتكبها. الهدف ليس مجرد الإفلات من العقاب، بل بناء حصن قانوني يحميك من أي تهديد بالمساءلة.

السياسي المحنك لا يكتفي بتحصين نفسه فقط، بل يمد مظلة الحماية لتشمل دائرة كاملة من الحلفاء والمقربين. فتتحول السلطة إلى قلعة محصنة، يحرسها قانونٌ صُمم بعناية فائقة ليُبقيك أنت ومن حولك في مأمن من أي محاولة للمسائلة. إنه درع يلمع بالعدالة في ظاهره، لكنه في الحقيقة يخفي في طياته كل ما يُبقيك بعيداً عن طائلة القانون.

في هذا المسرح السياسي، النزاهة ليست مطلبًا بقدر ما هي قناع يمكن ارتداؤه عند الحاجة، مع ضمان وجود قوانين تضمن عدم انكشاف الوجه الحقيقي. كل خطوة تخطوها، مهما كانت محفوفة بالمخاطر، تجد لها في القانون متنفساً يقيك من أي مساءلة، ويُظهر تصرفاتك وكأنها تحركات ضمن نطاق الشرعية.

التحصين الذاتي هو صك الأمان الذي يمنحك الحرية المطلقة في اتخاذ القرارات دون خشية من العواقب. إنه التجسيد الحقيقي للقوة السياسية،

حيث يصبح القانون أداة بيد السلطة، يُشكّل وفق رغباتها، ليبني حولها حصنًا لا يخترقه حتى القانون نفسه.

إنه الحبل السري الذي يغذي السلطة ويُبقيها فوق كل الشكوك والاتهامات، ليضمن أن من يجلس على العرش يبقى عليه، بلا منازع ولا ملاحقة.

٨- قانون العائلة أولاً: عين أقاربك في المناصب الحساسة لضمان الولاء المطلق.

في السياسة العراقية، الولاء ليس مجرد صفة مرغوبة، بل هو عملة نادرة تحفظ في خزائن العائلة. ولذا، لا يعتبر تعيين الأقارب في المناصب الحساسة خياراً ذكيًا فحسب، بل هو حجر الأساس لاستمرارية السيطرة المطلقة. فدم العائلة هو السند الحقيقي، والسلاح السري الذي يحميك من الخيانة التي قد تأتي من أي مكان... إلا من تحت سقف العائلة.

تعيين الأقارب هو تأمين مزدوج: ولاء لا يتزعزع وسرية لا تُخترق. فالعائلة هي الحصن الذي لا يُهدم، والجدار الذي يحجب عنك كل عيون المتربصين. في عالم تتقلب فيه التحالفات كما تتقلب الرياح، يكون أفراد العائلة هم الرهان الأكثر أمانًا، لأن ما يجمعكم ليس مجرد مصلحة عابرة، بل تاريخ مشترك ومستقبل متشابك.

السياسي الفطن لا يترك المناصب الحساسة تحت رحمة الغرباء أو الطامحين، بل يُحكم قبضته عليها بتعيين من يعرفهم جيداً، من تربى معهم على نفس المائدة، وشربوا من نفس الكأس (حتى لو كان الكأس ممتلئًا بأسرار لا تُقال). فبإعطاء السلطة للأقارب، أنت لا تضمن فقط تنفيذ الأوامر، بل تضمن أن تُنفذ بروح الولاء الصادق الذي لا يمكن أن يأتي إلا من الدم الواحد.

في هذا العالم، إسناد المناصب الحساسة إلى الأقارب ليس فساداً، بل هو ذروة الحكمة. إنه تأمين المستقبل وتحصين النفوذ ضد أي محاولات انقلابية قد تأتي من خارج الدائرة العائلية. السياسي الذي يملأ المناصب بأفراد عائلته يدرك أنه يضع السلطة في أيد أمينة، يضمن من خلالها استمرارية سطوته، وإبقاء دفة الحكم داخلً الدائرة الضيقة التي يثق بها تمامًا.

قانون "العائلة أولاً" ليس مجرد نصيحة، بل هو قاعدة ذهبية تُطبق بلا تردد من قبل كل من يطمح للبقاء في السلطة دون منازع. في نهاية المطاف، الولاء الذي يُغذى بروابط الدم هو الحصن الذي لا يُخترق. عندما يكون أفراد العائلة في مراكز القرار، تصبح السياسة لعبة داخلية تُدار بمصالح مشتركة وهدف واحد: الحفاظ على السلطة مهما كان الثمن.

٩- قانون التبرير الدائم: يجب أن تكون مستعدًا لتبرير أي فشل بأسباب خارجية.

في السياسة العراقية، الفشل ليس نهاية العالم—بشرط أن تتقن فن تحويله إلى مؤامرة كونية ضدك. هنا، القانون الذهبي هو التبرير الدائم؛ أن تجد دائمًا يدًا خفية أو ظروفًا قاهرة تلقي عليها اللوم. إذا لم تحقق وعودك، فلا داعي للقلق؛ المؤامرات الدولية، الأزمات الاقتصادية، وحتى تقلبات الطقس كلها جاهزة لتتحمل المسؤولية نيابة عنك.

السياسي الذكي لا ينفد من الأعذار أبدًا. عليك أن تبقى مستعدًا دائمًا بسلسلة من التبريرات المحكمة، التي تُظهرك كضحية للظروف، وليس كمتسبب في الفشل. إذا تأخرت مشاريعك، فلا تتردد في توجيه أصابع الاتهام نحو الأوضاع الإقليمية المضطربة. وإذا انهارت الميزانية، فإن الأعداء الخارجيين والعقوبات الاقتصادية يوفرون لك درعًا تبريريًا جاهزًا.

في هذا المسرح، الفشل ليس سوى فرصة جديدة لعرض براعتك في التملص من المسؤولية. الناخبون لا يبحثون عن الحقائق، بل عن قصة مُحكمة تُفسر لهم لماذا لم تحقق الوعود. وهنا يأتي دورك في تحويل كل تعثر إلى رواية مليئة بالتحديات التي تُظهر بطولتك في مواجهة قوى أكبر منك. ليس عليك أن تكون ملامًا، بل أن تكون البطل الذي يقاوم العواصف، حتى لو كانت تلك العواصف من صنع خيالك.

التحضير للتبرير يجب أن يكون جزءًا لا يتجزأ من استراتيجيتك. كما تضع خططك المستقبلية، عليك أن تحتفظ بقائمة مرنة من الأعذار الجاهزة لكل طارئ. تنوع تبريراتك هو مفتاح النجاح؛ فكلما زادت الخيارات، كلما كنت مستعدًا لأي اتهام محتمل. ولتكن مستعدًا لإلقاء اللوم على أي شيء—من القوى الخارجية إلى الحظ العاثر، وحتى الفصول الأربعة!

التبرير الدائم هو درعك الواقي، وسلاحك السري الذي يحميك من المحاسبة ويُبقيك في مأمن من العواقب. فأنت لست الفاشل، بل القائد الذي يواجه تحديات أكبر من أي إنجاز ممكن، وفي هذا تكمن عظمتك... على الأقل في أعين من تبرر لهم.

١٠ – قانون التخوين : إذا شعرت بالتهديد ، اتهم منافسيك بالخيانة .

في السياسة العراقية ، الخيانة ليست مجرد تهمة عابرة ؛ إنها سلاحك الفوري والأكثر فعالية لإسكات أي تهديد محتمل . حينما تشعر بأن المنافسين يتجرأون على الاقتراب من موقعك ، لا تتردد—اطلق صاروخ التخوين . إنها ضربة قاضية تجعلهم يتراجعون فوراً ، أو على الأقل ، تجعل الجميع يشك في نواياهم .

التخوين ليس بحاجة إلى أدلة أو حقائق ؛ إنه فن إثارة الشكوك وتحويل كل منافس إلى عدو محتمل للوطن . الجماهير لا تبحث عن الحقيقة المطلقة بقدر ما تبحث عن رواية تُبقيهم مشدوهين ، وتبرر لهم لماذا يجب أن يظلوا بجانبك . وفي هذه اللعبة ، الشك هو سلاحك الأبرز .

السياسي البارع يعرف أن التشكيك في وطنية الخصم هو أسرع طريق لإخماد أي محاولة للتمرد . حينما تجد نفسك في موقف ضعف ، فإن أفضل طريقة للتغطية على ذلك هي تحويل الأنظار إلى خيانة محتملة . فجأة ، تتحول المعركة من منافسة سياسية إلى معركة بقاء ، حيث تجد نفسك في موقف البطل الوطني ، المدافع عن الوطن ضد الأيادي الخفية المتآمرة .

التخوين هو عصا سحرية في حقيبة السياسي ، يمكنها تحويل أي موقف لصالحك . بلمحة عين ، يمكن لك أن تُظهر نفسك كحامي حمى الوطن ، وتقلب الطاولة على خصومك ، الذين سيجدون أنفسهم مضطرين للدفاع عن وطنيتهم بدلا من مهاجمتك . وفي هذا السياق ، لا يهتم الشعب بالتفاصيل الصغيرة ؛ يكفي أن تلوح براية الوطنية بينما تُلقي بتهمة الخيانة على كل من يُعارضك .

الاتهام بالخيانة في السياسة العراقية ليس مجرد استراتيجية ، بل هو تكتيك للبقاء في القمة . عندما تضع منافسيك في خانة الخونة ، تضمن أنك من

يكتب القواعد ويُحدد مَن هو العدو. تذكر دائمًا: من يمسك بزمام التخوين، يمسك بزمام السلطة.

١١- قانون توزيع الغنائم: بعد كل صفقة سياسية، لا تنس توزيع المكاسب بين حلفائك.

في السياسة العراقية، لا تنتهي الصفقة السياسية بمجرد توقيع الاتفاقيات وتبادل الابتسامات الماكرة؛ بل تبدأ اللحظة الحاسمة عندما يحين وقت توزيع الغنائم، حيث تتحول الكواليس إلى مسرحية من التوازنات الدقيقة والوعود المغلفة بالابتسامات العريضة. هنا، لا يكفي أن تحقق الانتصار، بل يجب أن تتقن فن تقاسم الكعكة، بحيث لا يخرج أحد من الحفل جائعًا أو متذمراً.

توزيع الغنائم هو أشبه بتقسيم غنيمة بحرية بين قراصنة، كل منهم يحمل في قلبه طموحات شرسة لا يشبعها سوى نصيب وافر من الكنز. تخيل نفسك قائداً لأسطول من السفن الجائعة، وكل قائد سفينة يتربص ليحصل على نصيبه العادل. الفشل في إرضاء الجميع قد يجعل الأمواج تهدر ضدك، وتحول الحلفاء إلى قراصنة ناقمين.

العملية برمتها تُشبه توزيع قطع الحلوى في عيد ميلاد، لكن ليس أي عيد ميلاد؛ إنه احتفال يحتاج إلى مهارة في إدارة توازنات دقيقة. عليك أن توزع المكاسب بحرفية، بحيث لا يشعر أحدهم بأنه قد نال الفتات بينما يُغرق الآخر في الولائم. كل حليف يجب أن يغادر الحفل وهو مقتنع بأنه حصل على نصيبه المستحق، وأنك تفهم وتُقدر طموحاته، وإن كانت مغمورة بطبقة من التملق السياسي.

الصفقات هنا ليست مجرد عمليات تجارية، بل هي ولائم دسمة تُشبع شهية حلفائك المتعطشين للمكاسب. ولائم سياسية حيث الطاهي الرئيسي، أي أنت، يوزع الأطباق بعناية فائقة، متجنبًا أي تلميح بأن هناك من تناول أكثر مما يستحق. فإذا لم تكن حذراً، قد يتحول التهام الكعكة إلى معركة شرسة على الطاولة، تخلّف وراءها حلفاء ساخطين يبحثون عن مائدة أخرى.

لكن تذكر، أن توزيع الغنائم ليس مجرد ممارسة شكلية؛ إنه اختبار حقيقي لمدى مهارتك في الحفاظ على شبكة التحالفات، وعلى قدرتك على جعل الجميع يشعرون بأنهم جزء من اللعبة. لا يتعلق الأمر فقط بتوزيع المكاسب، بل بإدارة التوقعات، وضمان أن كل حليف يعرف مكانه في الصف، ويشعر بأن له دوراً محورياً في الخطط المستقبلية.

المكاسب قد تكون في شكل مناصب رفيعة، أو عقود مغرية، أو حتى وعود بمستقبل زاهر. المهم هو أن تبقى آلة الولاء مشتعلة، وأن تضمن أن الحلفاء يرون فيك المصدر الذي لا ينضب للمكاسب. فالسياسة هنا تُشبه إدارة قطيع من الذئاب: طالما أن الفريسة تُوزع بانتظام، سيظلون إلى جانبك، لكن احذر، فالجائع قد يتحول إلى خصم يهدد عرشك.

توزيع الغنائم هو الحيلة التي تبقي الحلفاء في جيبك، وتحولهم من مجرد شركاء في صفقة إلى حراس أوفياء لعرشك. في السياسة العراقية، هذا ليس مجرد واجب، بل هو قانون البقاء؛ قانون يضمن لك أن تكون دائماً في مركز اللعبة، محاطاً بحلفاء راضين ومستعدين لخوض معاركك المقبلة، ليس لأنهم يؤمنون بك، بل لأنهم يعرفون أنك توزع الغنائم كما يوزع الحاوي الحلوى على جمهور مشدوه.

١٢- قانون صناعة الأزمات: افتعل أزمة عندما تكون شعبيتك في انخفاض.

في السياسة العراقية، كما في كل لعبة ذكية، يأتي وقت تحتاج فيه إلى خلط الأوراق لتضمن أن تظل "الكوتشينة" بين يديك. وهنا يظهر قانون صناعة الأزمات، الذي يتبعه السياسي العراقي بحرفية عالية تكاد تقترب من فنون السحر والشعوذة.

عندما تنخفض شعبيتك وتبدأ الجماهير بالنظر إلى الساعة وهي تتساءل: "لماذا هذا الرجل ما زال هنا؟"، يحين وقت تطبيق هذا القانون البديع. تبدأ أولى الخطوات باختيار أزمة ملائمة، قد تكون أزمة اقتصادية، أو أزمة أمنية، أو حتى أزمة مفتعلة حول نقص الخبز! كلما كانت الأزمة غير متوقعة وغير مبررة، كان تأثيرها أقوى.

فلنأخذ مثالاً تخيلياً: رئيس وزراء يشعر بأن كرسيه أصبح ساخنًا أكثر من اللازم، والجماهير بدأت تحلم بأنفسها في مقعده. ماذا يفعل؟ ببساطة، يفتعل أزمة جديدة! فجأة، يصبح خبر انقطاع المياه في حي من الأحياء خبر الساعة، وتتسابق وسائل الإعلام لتغطية الحدث وكأنه إعلان لنهاية العالم. المواطنين، بدلاً من التذمر حول الأداء الحكومي، يبدأون بالتذمر حول المياه، أو الغاز، أو أي أزمة تم افتعالها ببراعة.

وهنا تظهر عبقرية هذا القانون: مع انشغال الشعب بالكارثة الجديدة، يتاح للسياسي فرصة ليلتقط أنفاسه، وربما يبدأ بخطط جديدة، أو على الأقل يستمتع ببعض الهدوء المؤقت.

لكن الأجمل في هذا القانون هو أنه ليس مجرد وسيلة للتغطية على الفشل، بل هو أيضاً اختبار لقدرة السياسي على التحكم في الجماهير. إذا نجح في تحويل الانتباه عن مشاكله الشخصية إلى أزمة مفتعلة، فإنه يثبت للعالم أجمع أنه ليس مجرد سياسي عادي، بل "مايسترو" يتحكم بأوتار الفوضى بكل أناقة!

يبقى الشعب العراقي مسرحًا لهذه اللعبة، حيث الأزمات تظهر وتختفي مثل عروض السيرك، وكلما تكرر العرض، ازداد إعجاب الجمهور بمهارات اللاعبين، على الرغم من معرفتهم بأنهم في النهاية، مجرد متفرجين على عرض تم تنظيمه بعناية.

١٣ – قانون استغلال الدين : استخدم الدين كوسيلة لتبرير قراراتك والسيطرة على الجماهير

في السياسة العراقية، كما في لعبة الشطرنج، يتطلب الحفاظ على الملكية والتحكم في اللعبة مجموعة من الاستراتيجيات المتقنة. ومن بين هذه الاستراتيجيات، يبرز "قانون استغلال الدين" كواحد من أكثرها فعالية وإثارة للإعجاب.

السياسي العراقي الماهر يدرك تمامًا أن الدين ليس مجرد مجموعة من الطقوس والعقائد، بل هو أداة ذات حدين يمكن استخدامها لإبقاء الجماهير تحت السيطرة وتبرير أي قرار، مهما كان غريبًا أو غير منطقي. فمن الذي يجرؤ على الاعتراض عندما تُبرم الأمور باسم الدين؟

تبدأ الخطة بجملة بسيطة: "باسم الله". هذه الجملة الصغيرة تفتح أبوابًا لا حصر لها من التبريرات، وتجعل أي قرار يبدو كأنه مُنزّل من السماء. هل تريد رفع أسعار الوقود؟ "الله أمرنا بالصبر". هل ترغب في فرض ضرائب جديدة؟ "الضرائب زكاة في سبيل الله". وهكذا، يتحول كل إجراء سياسي إلى واجب ديني، لا يمكن لأحد الاعتراض عليه دون الشعور بالذنب.

وفي الوقت الذي يعتقد فيه الجمهور أنه يقترب من الحقائق الإلهية، يكون السياسي قد نجح في تمرير أجنداته الخاصة بكل سهولة. إنها عملية سحرية تقريبًا، حيث يتحول الغضب الشعبي إلى تسبيح ودعاء، ويتحول الاعتراض إلى تسليم بالقضاء والقدر.

ولأن اللعب على وتر الدين لا يعرف حدوداً، فإن كل خطوة محسوبة مسبقًا. هل هناك أزمة سياسية أو اقتصادية؟ الحل يكمن في إعلان يوم للصيام والدعاء. فبمجرد أن يتحول النقاش من قضايا ملموسة إلى نقاشات روحية، يضمن السياسي أن الناس سينشغلون بالأدعية أكثر من انشغالهم بالمطالبة بالتغيير.

الأكثر إثارة للإعجاب في هذا القانون هو مدى قدرته على التكيف مع كل الظروف. بغض النظر عن مدى تعقيد الأزمة، أو حتى تفاهة القرار، يمكن للدين أن يكون الوسيلة المثالية لتمرير كل شيء بسلاسة، ودون أدنى مقاومة.

١٤- قانون التحريض العرقي والطائفي: فرق تسد، استخدم الانقسامات لتثبيت سلطتك

في السياسة العراقية، حيث تبدو الكراسي أحيانًا وكأنها مزروعة بالأشواك، هناك قانون ذهبي لا يخيب أبداً: "فرق تسد". لكن هنا، لا نتحدث عن تقسيم بسيط، بل عن فن معقد يحتاج إلى مهارة في إشعال النيران الطائفية والعرقية، وإدارتها كما يدير الطاهي الماهر قدراً يغلي.

تصور سياسيًا يرى شعبيته تتآكل كقطعة بسكويت في كوب شاي. الحل؟ لا يحتاج إلى عبقرية نيوتن؛ يكفي أن يفتح "علبة الكبريت" الخاصة به ويلقي بشرارة بسيطة على أرض مشبعة بالقش. كلمة هنا وإشارة هناك، وفجأة يتحول المشهد من نقاشات حول الفساد والفشل إلى معركة محتدمة حول من يستحق الأولوية: أبناء الطائفة أم أبناء العرق.

وهكذا، بدلا من مواجهة الحقيقة المُرة، ينجح السياسي في تحويل الأنظار إلى صراع هامشي. الجميع ينشغل بحماية هويته الفرعية، متناسين أنهم جميعًا في نفس القارب المثقوب. وفي هذه الأثناء، يستغل السياسي الوقت لتأمين مواقعه، كمن يستغل العاصفة لسرقة القلادة.

لا تحتاج إلى أن تكون خبيراً في علم النفس لتعرف كيف يعمل هذا القانون. الناس مشغولون بقتال بعضهم البعض، بينما يستمتع السياسي بوقته في عقد الصفقات، وتوزيع المناصب، وربما حتى التخطيط لشراء كرسي جديد أكثر راحة. إنه يشبه قائد الأوركسترا الذي يرفع عصاه، فتبدأ الجوقة بأداء أغنية الفتنة بينما ينحني الجمهور تحيةً له على هذه "القيادة الحكيمة."

والنتيجة؟ كلما اشتدت الخلافات، زادت حاجة الناس إلى "الزعيم" الذي أشعلها. فيتحول إلى المخلص الذي يطفئ النيران التي أشعلها بنفسه. والجماهير؟ تواصل الصراع، تغني لحن "نحن وهم"، بينما يضحك

السياسي في سره، فهو يعلم أن بقاءه في القمة مضمون طالما استمرت الفرقة.

إذا شعرت أن الكرسي تحتك بدأ يتأرجح، لا تضيع وقتك في إصلاحه؛ فقط ألق بشرارة وانظر كيف تتوهج، فالفوضى دائماً هي الحليف الأمثل للبقاء علَى القمة، بينما يتلهى الجميع في صراع لا ينتهي.

١٥- قانون الأعداء الوهميين: اخترع أعداء وهميين لتوحيد صفوف مؤيديك ضد خطر مشترك

في السياسة العراقية، حيث كل يوم هو مغامرة جديدة للبقاء على قمة الجبل السياسي الوعر، يأتي "قانون الأعداء الوهميين" كالسلاح السري الذي لا يفشل. عندما تشعر بأن الأرض بدأت تهتز تحت قدميك، وأن مؤيديك بدأوا يرمقونك بنظرات تساؤل وريبة، لا تحتاج سوى إلى جرعة من الإبداع: اخترع عدواً وهمياً! عدوٌ لا وجود له إلا في مخيلتك، ليصبح الحصن الذي يتجمع حوله الجميع، مستعدين للقتال حتى آخر رمق.

السياسي المحنك يدرك أن الأعداء الحقيقيين يستنزفون الطاقات والموارد، بينما الأعداء الوهميون؟ إنهم مثل الضباب؛ كثيف بما يكفي لإخفاء الحقائق، لكنه يتلاشى عندما لم تعد بحاجة إليه. يكفي أن تخرج على الناس بوجه جاد وخطاب مليء بالتحذيرات: "إننا نواجه خطراً كبيراً يهدد وجودنا!". من هو هذا العدو؟ لا يهم! قد يكون قوة غامضة، جماعة سرية، أو حتى جيش من المخلوقات الفضائية المتخفية بيننا. كلما كان العدو أكثر غموضاً وسخافة، زادت فعالية الخطة.

ومع مرور الوقت، يتحول هذا العدو الوهمي إلى الشماعة التي تُعلق عليها كل شيء. لماذا الأسعار ترتفع؟ لأننا في حالة حرب مع العدو الوهمي. لماذا الكهرباء مقطوعة؟ لأن العدو الوهمي يستهدف بنيتنا التحتية. وبدلا من التساؤل عن كفاءتك، ينشغل الناس بالتأهب للمواجهة الكبرى مع هذا الكيان الخيالي.

لكن العبقرية الحقيقية تكمن في التحكم الكامل بهذه المسرحية. يمكنك تصعيد التهديد أو تهدئته حسب الحاجة، وإذا بدأت الأوضاع تهدأ وتحتاج إلى حافز جديد، فقط أضف بعض "التفاصيل السرية" الجديدة: ربما مؤامرة جديدة تم كشفها، أو تهديد جديد قادم من "أعداء الداخل".

الجماهير ستبقى في حالة تأهب، وأنت تظل بعيداً عن أي محاسبة حقيقية، فالكل مشغول بالعدو الوهمي الذي اخترعته بمهارة.

عندما ترى أن الوقت قد حان، تعلن الانتصار العظيم على هذا العدو الخيالي. الأعلام تُرفع، والأهازيج تُغنى، والجميع يهتف باسمك كالقائد الذي أنقذهم من الفناء. وأما العدو؟ يعود إلى الظلال، مستعداً للخروج مرة أخرى عندما تحتاج إلى إعادة استخدامه.

إذاً، تذكر هذا: لا شيء أقوى من عدو غير موجود، ولا معركة أسهل من تلك التي تخوضها ضد خطر من نسج خيالك. وبهذا الأسلوب البسيط، تبقى على القمة، محاطًا بمؤيدين يرون فيك البطل الذي يخوض المعارك ضد الأشباح، بينما يظل الواقع بعيداً عن متناولهم، مستتراً خلف ستار الأوهام.

١٦- قانون التصريحات الرنانة: قل ما يريد الناس سماعه، واترك التنفيذ للزمن.

في السياسة العراقية، التصريحات الرنانة هي المفتاح الذهبي الذي يفتح جميع الأبواب، حتى تلك التي تؤدي إلى الفراغ. القانون هنا بسيط وفعّال: صيغ وعوداً براقة، املأها بالأمل والتفاؤل، ثم دع الزمن يتكفل بباقي التفاصيل—أو بالأحرى، بتجاهلها.

السياسي الفطن يُدرك أن الجماهير لا تطلب منك خارطة طريق دقيقة؛ يكفي أن تُعطيهم وعداً لامعاً يشع في الظلام، كنجمة بعيدة لا يهم إن كانت حقيقة أو مجرد وهم بصري. التصريحات الرنانة أشبه بزهور بلاستيكية، لا تذبل أبداً، لكنها أيضاً لا تنبت في أرض الواقع. المهم أن تُبقي الجمهور مأخوذاً بجمال الوعد، دون أن يدقق في تفاصيل التنفيذ.

تخيل أنك قائد أوركسترا في مسرح مليء بالجماهير، تنتظر منك أن تعزف لحناً ساحراً. أنت تعلم جيداً أن هذه الجماهير لن تتذكر التفاصيل الدقيقة للنوتة الموسيقية، بل ستحتفظ فقط بالألحان الرنانة التي تخاطب عواطفها. لذلك، لا تتردد في إطلاق الوعود الكبيرة: "سنمحو الفقر"، "سنحول العراق إلى جنة على الأرض"، "سنرفع الرايات في كل المحافل الدولية". إنها كلمات تلامس القلوب، حتى لو كانت بعيدة كل البعد عن الواقع.

السر يكمن في خلق توازن بين الوعد والتنفيذ—أو بالأحرى، بين الوعد والتأجيل. فالوعد هو مثل النار التي تُدفئ القلوب، بينما التنفيذ هو الدخان الذي قد يُخفي ما لا ترغب في إظهاره. اترك الزمن يتولى أمر التنفيذ، فمع مرور الوقت، تصبح التصريحات ذكريات تتلاشى، ويمكنك دائماً أن تُلقي باللوم على "الظروف الصعبة" أو "التحديات المفاجئة" التي حالت دون تحقيقها.

التصريحات الرنانة هي أشبه بالبالونات؛ تزين الأجواء وتبهر الأنظار، لكنها في النهاية مجرد هواء محبوس. وعندما يسألك الناس عن التنفيذ، يمكنك ببساطة أن تبتسم وتذكرهم بأن الأهداف الكبيرة تحتاج إلى وقت كبير—وربما، إلى أجيال قادمة لتحقيقها.

قانون التصريحات الرنانة ليس مجرد تكتيك، بل هو فن يُتقنه الساسة للبقاء في دائرة الضوء. إنه الوعد الذي يُباع بدون ضمان، الحلم الذي يبقى معلقًا في الهواء، والآمال التي تجدد مع كل تصريح. المهم أن تظل الأضواء مسلطة عليك، وتظل الكلمات تردد في الأذهان، بينما يُترك التنفيذ للزمن—زمن قد يُحسن التوقيت أو قد يُسدل الستار دون إنجاز.

١٧- قانون تصفية الحسابات: استغل السلطة لتصفية حساباتك مع خصومك.

في السياسة العراقية، السلطة ليست مجرد وسيلة لتحقيق الأهداف الوطنية أو خدمة الشعب، بل هي أيضًا سلاح موجه بعناية لتصفية الحسابات القديمة وإزالة العوائق من طريقك. عندما تكتسب القوة، فإن أول ما يجب أن تتعلمه هو فن استخدام النفوذ كأداة لتسديد الديون القديمة وإحكام قبضتك على المشهد السياسي.

تخيل أنك سيد قلعة حصينة، وقد أعطيت مفاتيح البوابات والسهام المسمومة. خصومك ليسوا سوى أولئك الذين تجرأوا في الماضي على الوقوف في طريقك أو زعزعة عرشك. الآن، وقد أصبحت سيد اللعبة،

حان الوقت لرد الصاع صاعين. ولكن ليس بالطرق البدائية—بل بالأساليب التي تُظهرك في صورة البطل الذي يطبق العدالة، بينما تخفي في جعبتك سيوف الانتقام.

تصفية الحسابات هنا هي رقصة متقنة على أوتار السلطة، تبدأ بخطوة ناعمة، حيث تُظهر التسامح والحكمة، ثم تُلقي بخصومك في حفرة من النسيان أو تجعلهم عبرة لكل من تسول له نفسه الوقوف ضدك. السلطة هي فرشاة ترسم بها ملامح التاريخ، وأنت من يحدد من يظهر في الصورة ومن يمحى منها.

السلطة هي مبضع جراح، وأنت الجراح البارع الذي يعرف بالضبط أين يقطع ليزيل الورم الخبيث دون أن يترك أثراً ظاهراً. خصومك هم تلك الأورام التي تنمو على جسد الوطن، وأنت الطبيب الذي لا يتردد في استخدام مشرطه لإعادة الأمور إلى نصابها، ولو كان ذلك يعني بتر بعض الأطراف.

لكن هنا يكمن الفن: عليك أن تبدو دومًا كمن يطبق العدالة، لا الانتقام. فلا أحد يحب المنتقم الصريح، لكن الجميع يحترم الزعيم الذي يضرب

بيد من حديد تحت راية القانون. استغل أي فرصة تسنح لك لتبرير أفعالك باسم "الإصلاح" أو "حماية الدولة"، بينما تمضي قدماً في تنظيف الساحة من كل من يتجرأ على مخالفتك.

قانون تصفية الحسابات ليس مجرد ممارسة انتقامية، بل هو جزء من فن البقاء في القمة. إنها لعبة الشطرنج التي لا مجال فيها للتسامح مع الأخطاء أو التفريط في الفرص. عندما تمتلك القوة، يصبح الانتقام البارد ألذ من أي انتصار، ويصبح تسديد الحسابات المتأخرة هو الخطوة الأولى نحو تأمين عرشك من أي تهديد مستقبلي.

١٨- قانون المناقصات المشبوهة: اجعل المناقصات فرصة لجني المكاسب الشخصية.

في السياسة العراقية، المناقصات ليست مجرد إجراءات لتوزيع المشاريع العامة، بل هي مناجم ذهب تنتظر من يعرف كيف يُنقب فيها. القانون غير المكتوب هنا واضح: كل مشروع يُعلن عنه يحمل في جوفه فرصة ذهبية لتحويل المال العام إلى مكاسب خاصة، إذا كنت تمتلك المهارة اللازمة للاستفادة من الفوضى.

تخيل المناقصات كسوق مفتوحة، حيث تُعرض العقود كسلع ثمينة، وأنت التاجر الذي يعرف كيف يلتقط أفضل البضائع. لا يهم إذا كانت العروض براقة من الخارج، فالأهم هو ما تخفيه في طياتها من أرباح خفية. عليك أن تتقن فن الانتقاء، تترك للعامة ما يلمع للعيان، بينما تستحوذ على الجواهر الخفية.

المناقصة هي مثل شبكة صيد واسعة، عليك أن تعرف أين تلقيها لتصطاد أكبر الأسماك دون أن تترك أثراً. الأمر لا يتعلق فقط بجني المكاسب، بل بضمان أن تُوزع الغنائم بين الحلفاء دون أن تُثير الشبهات. المفتاح هو إظهار النزاهة في الظاهر، بينما تُعيد ترتيب الأوراق لصالحك خلف الأبواب المغلقة.

في هذا العالم، أنت أشبه بجراح ماهر يمسك بالمبضع، يقطع بعناية فائقة ليترك أقل قدر من الندوب. المشاريع الضخمة هي تلك الفرص التي تحتاج إلى براعة في استغلالها، بحيث تستفيد منها بأقصى قدر ممكن، دون أن تترك خلفك أي آثار تدل على اللعبة التي تديرها بمهارة.

توزيع المناقصات هو اختبار لذكائك السياسي؛ عليك أن تُرضي الحلفاء وتضمن أن الكعكة تُقسم بشكل يجعل الجميع سعداء، بينما تضمن أن القطعة الأكبر تُخبأ لك. الأهم هو أن تبقى بعيداً عن الأنظار، تستمتع

بالغنائم دون أن تُشعل الشكوك حولك. كما يقولون، الذكاء ليس في المشاركة في اللعبة، بل في كتابتها على مقاسك.

قانون المناقصات المشبوهة هو درس في كيفية تحويل الفرص العامة إلى مكاسب شخصية بمهارة. إنها اللعبة التي تُلعب في الظل، حيث تتحول المشاريع إلى أدوات لتحقيق الثراء بعيداً عن أعين الرقابة. إنها السياسة في صورتها الأكثر حرفية: حيث تُخدم المصالح الخاصة تحت قناع الصالح العام، وتُعاد صياغة القوانين وفقًا لمن يعرف كيف يحرك الخيوط.

١٩- قانون الاحتفاظ بالسرية: احتفظ بأسرارك بعيدًا عن الجميع، حتى عن أقرب الناس إليك.

في السياسة العراقية، السرية ليست مجرد فضيلة بل هي ركيزة البقاء. القاعدة الذهبية هنا واضحة: كلما كانت أسرارك أعمق، زادت قدرتك على النجاة من مفاجآت الأيام وغدر الأصدقاء. الأسرار هي عملتك الصعبة في عالم يتغير فيه الولاء بسرعة البرق، وأنت وحدك من يقرر متى وأين تنفق هذه العملة.

السرية هي القلعة التي تحميك من السهام الطائشة ومن الأعين الفضولية. احتفظ بأسرارك كما يحتفظ الجواهري بأثمن جواهره في خزينة لا يملك مفتاحها سوى هو. في عالم السياسة، الثقة ليست أكثر من سراب، والاحتفاظ بأسرارك هو ضمانتك الوحيدة للبقاء في القمة، مهما تعاقبت الأيام وتبدلت الوجوه.

تصور نفسك قبطانًا لسفينة في بحر مضطرب، تملك الخريطة الوحيدة التي تقود إلى الكنز المخفي. الطاقم قد يكون مخلصًا اليوم، لكن من يضمن لك أنهم سيبقون كذلك عندما تُغرقهم طموحاتهم؟ من الأفضل أن تبقى أنت الوحيد الذي يعرف طريق النجَاة، بينما تترك البقية يتبعونك في ظلال من الغموض، مقتنعين أنك تقودهم نحو البر الأمان.

السرية هي فن التحرك في الظلال، حيث لا يراك أحد ولا يستطيع أحد توقع خطواتك التالية. كلما كانت خططك محكمة وسرية، قلّت فرص خصومك في الإيقاع بك. وحتى عندما تضطر إلى الكشف عن بعض أوراقك، تأكد أن ما تظهره ليس إلا ستارًا يخفي خلفه اللعبة الحقيقية. ففي السياسة، الإبهام هو القوة الحقيقية.

الحفاظ على الأسرار ليس مجرد احتياط، بل هو استراتيجية ضرورية للبقاء. إنه ما يميز القائد الذكي الذي يعرف متى يتكلم ومتى يصمت، عن

ذلك الذي يسقط بسبب لسانه الطويل. في السياسة، من يملك السر، يملك السلطة.

قانون الاحتفاظ بالسرية هو ركيزة القيادة السياسية. إنه الحبل الذي يربطك بالنجاح، والدرع الذي يحميك من الطعنات الغادرة. في عالم مليء بالمؤامرات والتقلبات، يبقى السر المدفون هو صديقك الوحيد، وحليفك الذي لا يخون.

٢٠- قانون التغطية الإعلامية: احرص على السيطرة على الإعلام لتوجيه الرأي العام

في عالم السياسة العراقية، حيث يتغير المشهد بسرعة الرياح في الصحراء، يأتي "قانون التغطية الإعلامية" كالأداة السحرية التي بيدها يُعاد تشكيل الواقع. فمن يحتاج إلى الحقيقة عندما تكون الكاميرات جاهزة للتصوير، والميكروفونات مفتوحة لتسجيل ما تريد أن يُقال؟

السياسي الذكي يدرك أن الإعلام هو المرآة التي يعكس من خلالها صورته المثالية للجماهير. ولكن، كما تعلمون، هذه المرآة تأتي مع فلاتر تُخفي العيوب، وتبرز الفضائل غير الموجودة. عندما تكون أنت المسيطر على القنوات، الصحف، وحتى الحسابات الوهمية على وسائل التواصل، يمكنك أن تخلق واقعًا بديلا يُعرض على الشاشات ويُناقش في المقاهي.

البداية دائمًا تكون باتصال صغير، لكنه بالغ التأثير، مع "الرفاق الإعلاميين". ومن هناك، يبدأ التوجيه: القضايا الحرجة تُخفف بلمسة خفيفة من التعليقات السطحية، بينما الإنجازات الصغيرة تُضخم حتى تبدو وكأنها فتحٌ مبين. وفي حالة وجود أزمة لا يمكن تجاهلها؟ ببساطة، اختلق أزمة جديدة أكبر وأغرب منها، وسلّط الأضواء عليها، ستجد أن الجميع نسوا أصل المشكلة.

وعندما تحين اللحظة لتظهر على الشاشة، تكون الأمور مرتبة مسبقًا. المذيع جاهز، الأسئلة محسوبة بدقة، والإجابات معدة مسبقًا بحيث تبدو كأنها تنبع من الحكمة الخالصة. حتى نظراتك وأسلوب حديثك يتم تدريبهما، لتبدو وكأنك القائد الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه. أما الجمهور، فيتفاعل كما لو كان يشاهد مسرحية هزلية، لكنه لا يدرك أنه مجرد جزء من المشهد، يُدفع ليصفق في اللحظة المناسبة.

وإذا كانت هناك تكنولوجيا جديدة، فلا داعي للقلق؛ وسائل التواصل الاجتماعي هي ملعبك الآخر. بضع تغريدات هنا، فيديو مفبرك هناك،

وحملة مدفوعة بأموال طائلة تجعل من المعارضة مجموعة من الأشرار الكاريكاتوريين، بينما تصعد أنت على أكتافهم نحو القمة. هكذا، يظل الناس مشغولين بتفاصيل وهمية، ينسجون قصصًا عن بطولاتك الوهمية، ولا يتركون مجالا للتفكير في الواقع الحقيقي.

الدهاء الحقيقي في هذا القانون يكمن في التوازن بين الحقيقة والزيف، كما يمزج الرسام الألوان ليخلق لوحة لا يمكن التمييز فيها بين الواقع والخيال. أنت تتحكم في هذه اللوحة، تضيف لمسة من الضوء هنا، وتزيد من الظلال هناك، حتى تصبح الصورة النهائية هي ما تريده تمامًا. وبهذا، يتحول الإعلام إلى سيفك ودرعك، تهاجم به حينًا، وتدافع به حينًا آخر، وتبقى دومًا في الصورة التي تختارها.

السيطرة على الإعلام ليست مجرد أداة، إنها فن. الفن الذي يجعلك البطل في كل قصة، حتى لو كانت الحكاية مليئة بالثقوب. لأنك أنت من يكتب السيناريو، ويختار المخرج، والجميع يشاهد فيلمك، ويصفق لك في النهاية، دون أن يدركوا أن التحكم بيدك أنت، لا في جهاز التحكم عن بعد.

٢١- قانون توزيع الأدوار: اجعل لك في كل جهة مسؤولة رجلا ينفذ أوامرك

في دهاليز السياسة العراقية، حيث الكواليس أهم من المسرح نفسه، يأتي "قانون توزيع الأدوار" كالوصفة السحرية للسيطرة على المشهد. فلماذا تتعب نفسك بالجري من مكان لآخر، بينما يمكنك أن تزرع رجالا مثلك تماماً، مبرمجين ليقولوا "نعم" بمهارة فنان؟

السياسي البارع يعرف أن العالم ليس سوى مسرح كبير، وكل مشهد يحتاج إلى ممثلين يتقنون دورهم حتى لو كانوا مجرد كومبارس. ولكن هنا، لا تبحث عن أصحاب الكفاءات؛ بل اختر من يجيدون فن الإيماء بالموافقة ورفع الأيدي في اللحظات الحاسمة. هكذا تتحول الوزارات إلى جوقات موسيقية، وأنت قائد الأوركسترا الذي يتحكم بكل النغمات.

تبدأ اللعبة بتوزيع رجال الثقة كما توزع البهارات في طبق مُعد بعناية. في كل وزارة، في كل دائرة، في كل لجنة، هناك شخص يعرف أنه مجرد امتداد ليدك الطولى. هل تحتاج إلى تمرير قانون عجيب؟ لا تقلق، "رجلنا" في اللجنة سيبتسم ويضغط على الزر المناسب. هل تواجه فضيحة بدأت تطفو على السطح؟ "رجلنا" في الإعلام سيغطيها بغيمة من الأخبار السخيفة.

والمفارقة الساخرة هنا؟ أنك لا تحتاج حتى إلى إعطاء أوامر صريحة؛ فمجرد نظرة أو كلمة ملتوية تكفي لتحريك الأمور. إنهم مثل ممثلين في مسرحية مرتجلة، يعرفون متى يضحكون، متى يبكون، ومتى يتراجعون، لكنهم دائماً يعرفون لمن يجب أن يوجهوا التحية في النهاية.

أما الجمهور، فيراقب هذا العرض الساخر دون أن يدرك أنه مجرد مشاهد في لعبة محبوكة مسبقًا. كل حركة، كل تصريح، كل قرار، قد تم وضعه في مكانه بعناية كما توضع قطع الشطرنج على الرقعة. وما هم إلا متفرجون في مسرحية تُعاد كل يوم مع تغييرات طفيفة في النص.

ولكن الأجمل في هذا القانون؟ أنه يمنحك حرية الاختفاء عندما تحتاج لذلك. إذا سارت الأمور كما ينبغي، يمكنك الظهور في النهاية والتباهي بالإنجازات. وإذا انقلبت الأوضاع، يمكنك ببساطة الاختباء وراء الستار، وترك "رجالك" يتلقون السهام نيابةً عنك. وفي هذه الأثناء، تستعد أنت للدور الكبير في الفصل القادم من هذه الدراما المستمرة.

تذكر أن توزيع الأدوار ليس مجرد استراتيجية، بل هو فن يتطلب براعة في استخدام الخيوط التي لا يراها أحد. فمن خلال هؤلاء الرجال الذين هم نسخة عنك، يمكنك أن تكون في كل مكان دون أن تكون فعلاً هناك. وبهذا، يبقى العرض مستمراً، والكل يؤدي دوره بحرفية، بينما تظل أنت المخرج الخفي الذي يتحكم بكل شيء من وراء الكواليس.

٢٢- قانون التسويف: كلما طُلب منك إصلاح ما، قم بتأجيله قدر الإمكان

في عالم السياسة العراقية، حيث يبدو أن الزمن قد تآمر معك ليصبح حليفك الأبدي، يتربع "قانون التسويف" على عرش التكتيكات السياسية. عندما يُطلب منك إصلاح ما، سواء كان شارعًا غارقًا في الحفر أو مشروعًا وُعد به منذ زمن، فإن أفضل استجابة هي التأجيل، ثم مزيد من التأجيل، حتى تصبح المطالب مجرد صدى يتلاشى في زوايا النسيان.

السياسي المحترف يتقن التسويف كما يتقن لاعب الورق خلط الأوراق؛ بمهارة وخفة يد لا يراها أحد. يبدأ كل شيء بوعد غامض، يتبعه تأكيد متكرر بأن "الأمور تحت السيطرة"، أو ربما "الدراسة على وشك الانتهاء". لكن هنا تكمن الحيلة: الدراسة لا تنتهي أبدًا، والخطة دائمًا ما تحتاج إلى "مراجعة نهائية"، والتي، بالطبع، تستغرق وقتًا غير محدد.

تخيل أنك تواجه جمهوراً محبطًا يطالبك بإصلاح جسر قديم يكاد يسقط. ما العمل؟ بسيطة، ابدأ بإطلاق حملة دعائية تظهر مهندسين يبتسمون أمام الجسر المهترئ، يشيرون إلى مخططات معقدة لا يفهمها أحد. وبينما ينشغل الناس بمحاولة فك رموز هذه المخططات، تمر الأيام والأسابيع، دون أن يتغير شيء. وهكذا، يصبح الجسر نفسه مجرد "مشروع مستقبلي" في أذهان الجميع.

وعندما يبدأ الضغط يتصاعد، لا تقلق؛ فالتسويف لديه دائمًا خطة بديلة. "اللجنة العليا لمناقشة اللجان" ستقوم بإجراء دراسة متأنية قد تستمر لشهور، وربما سنوات. الاجتماعات تعقد، ولكن بلا نتائج تُذكر، تمامًا كحفلة شاي لا تنتهي، حيث الجميع مشغول بالحديث عن المشكلة دون الاقتراب من حلها. وهكذا، يتحول التسويف إلى فن، حيث يصبح كل تأجيل نجاحًا بحد ذاته.

الفكاهة السوداء هنا تكمن في أن التسويف ليس مجرد هروب من العمل، بل هو استراتيجية متقنة لتحويل الأزمات إلى فرص جديدة لشراء الوقت. ما الداعي لإصلاح شيء اليوم بينما يمكنك تأجيله إلى غد بعيد، أو ربما إلى الأبد؟ الوقت، في النهاية، كفيل بتغليف كل شيء بالغبّار، بما في ذلك المطالب التي كانت ملحة يومًا ما.

والأكثر عبقرية في هذا القانون أنه لا يفشل أبدًا؛ ففي نهاية المطاف، إما أن ينسى الناس ما كانوا يطالبون به، أو يتقبلون أن الإصلاح يتطلب وقتًا طويلا قد يمتد إلى ما بعد عمرهم. وأنت؟ تظل هناك، مُحاطًا بوعدك اللامتناهي بالإصلاح، تعيد صياغة وعود جديدة كلما دعت الحاجة، دون الحاجة إلى فعل أي شيء حقيقي.

التسويف هو حليفك الأعظم؛ فهو يتيح لك البقاء في مكانك بينما يدور الجميع في حلقة مفرغة. كل وعد جديد هو أسطورة تضاف إلى مخزون الوعود المؤجلة، وكل تأجيل هو خطوة أخرى نحو إتقان فن البقاء بلا حركة، حيث تتحول كل مطالبة بالإصلاح إلى سراب يُحكى في حكايات ما قبل النوم.

٢٣- قانون التضحية بالقطط السمان: ضحِ بأحد أتباعك عند الحاجة لإثبات نزاهتك

في مسرح السياسة العراقية، حيث النزاهة تُعرض على خشبة المسرح كأحد الأدوار الثانوية، يتصدر "قانون التضحية بالقطط السمان" كخدعة بارعة لإبقاء الجمهور مأسوراً. فعندما تضيق عليك حلقات الفساد وتحاصر بالفضائح، لا تبحث بعيداً؛ فقط استدع أحد أتباعك المتخمين بالثراء والسلطة، وقم بتقديمه قرباناً على مذبح النزاهة. بهذه الحركة، ستبدو كالقائد الذي لا يتوانى عن اقتلاع الفساد من جذوره، حتى لو كنت أنت مَن زرع تلك الجذور بنفسك.

السياسي الذكي يعرف أن القطط السمان ليست مجرد أتباع؛ بل هم مثل الفئران في مختبر تجاربك. عندما تبدأ الشكوك تحوم حولك، ما عليك سوى أن تسحب أحدهم من مخبأه، تُلقي به في مهب العاصفة، وتتركه ليواجه العاصفة وحده. هكذا، ينخدع الجميع ويعتقدون أنك البطل الذي يضحي بأقرب المخلصين من أجل مصلحة البلاد، بينما تظل أنت بعيداً عن الأنظار، تمسك بخيوط اللعبة.

تخيل سيناريو كاريكاتيري: فضيحة مالية ضخمة تهدد بإغراق سفينة السلطة التي تديرها. الحل؟ بسيط، اختر أحد أتباعك ممن أصبح وزن جيبه أثقل من منصبه، وارمه في البحر، ملقياً عليه كل المسؤولية. قدم بياناً رناناً تتحدث فيه عن شجاعتك في محاربة الفساد، واستمتع بمشاهدة التصفيق يتعالى من الجماهير التي تظن أنها شاهدت للتو فصلاً من فصول النضال ضد الفساد.

لكن هذه اللعبة لا تتوقف عند التضحية الفردية. فأنت، بحنكة العارفين، تعلم أن القطط السمان الباقية سترى في هذا القط المسكين عبرة وعظة. وستعرف جيداً أن السبيل للبقاء في مأمن هو زيادة الولاء والطاعة لك، سيد اللعبة. وهكذا، تتحقق عدة أهداف بضربة واحدة: تهدئة الأوضاع، طمأنة الأتباع، وإبقاء الجميع على أهبة الاستعداد لخدمتك.

المفارقة السوداء هنا أن التضحية بالقطط السمان ليست مجرد مناورة سياسية؛ إنها أشبه بطقس دوري يتكرر مع كل عاصفة تلوح في الأفق. إنها عملية تطهير رمزية، تجدد بها صورتك كقائد شجاع يتخذ القرارات الصعبة، بينما تظل آمنًا خلف الكواليس. وكأنك في عرض مسرحي كبير، تظل دائمًا البطل الذي لا يمس، بينما تحترق القطط السمان على مذبح نزاهتك المصطنعة.

تذكر دائمًا: القطط السمان موجودة فقط لتُضحي بها في اللحظات الحرجة. إنها جزء من اللعبة الكبرى التي تلعبها بمهارة. كل تضحية تُكسبك المزيد من النقاط في لعبة السلطة، وكل قربان يُساق يُعزز من صورتك كملاك النزاهة. وهكذا تستمر المسرحية، وتظل أنت في القمة، بينما يتساءل الجميع من سيكون القط السمين التالي الذي يُساق إلى المقصلة في فصل جديد من فصول هذه اللعبة السياسية المحكمة.

٢٤- قانون البقاء بالخوف: احرص على نشر الخوف من الفوضى أو الحرب الأهلية لتظل في الحكم

في السياسة العراقية، حيث البقاء في السلطة أشبه بمباراة شطرنج تُلعب بالأنفاس لا بالقطع، يبرز "قانون البقاء بالخوف" كأداة سحرية لضمان استمرارك على العرش. فبينما تذوي الوعود وتتبدد الأحلام، يبقى الخوف من الفوضى هو العصا السحرية التي تجعلك تبدو وكأنك الوحيد القادر على الإمساك بخيوط النظام وسط العاصفة.

السياسي الذكي يدرك أن الشعب يمكنه التأقلم مع الفساد، الفقر، وانقطاع الخدمات، ولكن ما لا يمكنه تحمله هو شبح الفوضى الذي يتربص في كل زاوية مظلمة. هنا يأتي دورك في إيقاظ هذا الشبح من سباته، لتجعله رفيقًا دائمًا في أحاديث الناس وأحلامهم المزعجة. تبدأ الحكاية بهمسة هنا وإشاعة هناك، تلمح أن الأوضاع هشة، وأن أي محاولة للتغيير قد تفتح أبواب الجحيم.

تخيل نفسك قائداً لسفينة تتقاذفها الأمواج العاتية، والركاب يبدؤون بالتمرد على طريقة قيادتك. في مثل هذا الموقف، بدلا من تهدئة الأمور، قف أمامهم وأخبرهم بقصة مخيفة عن القراصنة المتربصين، والأعاصير التي تنتظرهم إذا فكروا حتى في القفز إلى مياه الإصلاح. سترى كيف يتحولون من متمردين إلى مؤيدين، متمسكين بمقاعدهم، يصلون من أجل أن تبقى أنت القبطان.

وعندما يظهر صوت معارض هنا أو هناك مطالبًا بالتغيير، لا تُضع وقتك في الرد المنطقي أو التبريرات الواهية؛ فقط ارسم له صورة سريعة لمستقبل مظلم تعمه الفوضى والخراب. "هل تريدون التغيير؟ إذن استعدوا للعودة إلى زمن الكوابيس!" تقولها ببرود، وتتركهم يتخيلون الأسوأ، ليعودوا مهرولين إلى أحضانك طلبًا للأمان.

الفكاهة السوداء هنا تكمن في أنك لا تحتاج لعمل شيء يذكر، فقط تُبقي الشعلة مشتعلة، وتراقب من بعيد كيف يتحول الخوف إلى درع يحميك من كل نقد. الناس، الذين كانوا ينتظرون منك حلولا، باتوا يرون فيك الحاجز الأخير الذي يمنعهم من السقوط في هاوية الفوضى. وبدلا من المطالبة بالإصلاح، يبدأون بالدعاء لبقائك، حتى لو كانوا يكرهونك سراً، لأن البديل أسوأ بكثير.

وكلما زاد القلق في الشوارع، كلما زاد تمسك الناس بك، وكأنك القائد الذي بيده مفتاح النجاة. حتى أكثر المعارضين صلابة سيبدأ في التفكير مرتين قبل أن يرفع صوته، خوفًا من أن يكون البديل عنك هو الفوضى التي قد تبتلع الجميع.

وفي هذه المسرحية السوداء، تتحول أنت إلى بطل خارق من نوع خاص؛ ليس لأنك تحل المشكلات، بل لأنك تعرف كيف تتلاعب بالخوف، وتجعل منه سلاحًا يثبت حكمك. وهكذا، تظل على رأس اللعبة، بينما يظل الخوف هو القيد الذي يقيد الجميع، ويبقيك على القمة كضرورة حتمية لا يمكن التخلي عنها.

الخوف هو حليفك الأعظم. استخدمه بمهارة لتظل في الحكم، دع الناس يرونك كالسد المنيع الذي يحميهم من فيضان الفوضى، بينما تظل أنت وراء الستار، تمسك بخيوط اللعبة، غير متأهب لمغادرة المشهد إلا عندما تختار ذلك بنفسك. هكذا تظل الزعيم الذي لا يُستغنى عنه في عالم لا يعرف سوى الخوف كقائد حقيقي.

٢٥- قانون التوريث السياسي: جهز ابنك أو ابنتك ليخلفوك في السلطة

في عالم السياسة العراقية، حيث يبدو أن الكراسي تم تصميمها لتلتصق بأصحابها، يأتي "قانون التوريث السياسي" كأحد أكثر الأسرار تداولا بين العائلات الحاكمة. فبينما يتحدث العامة عن الديمقراطية والتغيير، يعمل السياسيون خلف الستار على ضمان أن تبقى السلطة شأنًا عائليًا، يُسلم من الأب إلى الابن، وكأنها قطعة أرض مباركة لا يجوز التفريط فيها.

السياسي المخضرم يدرك أن الحكم ليس مجرد وظيفة، بل هو إرث عائلي يُحافظ عليه كما يُحافظ على الألقاب النبيلة في العصور الوسطى. يبدأ الإعداد منذ الصغر، حيث يُعامل الطفل كأمير صغير، محاطًا بالمستشارين الذين يعلمونه فنون السياسة بدلا من الألعاب. ينشأ على فكرة أن السلطة ليست شيئًا يُكتسب، بل هي حقٌ فطري، يتوارثه كما يتوارث العيون ذات اللون الواحد.

طفل يجلس على كرسي كبير يفوق حجمه، يستمع لحكايات "ما قبل النوم" التي لا تروي مغامرات الأبطال الخياليين، بل تحكي عن حيل السلطة ومكائد القصور. هذا الطفل يكبر وهو يشاهد والده يعقد الاجتماعات ويصدر الأوامر، بينما يُلقن الدروس حول كيفية التلاعب بالقوانين وحبك المؤامرات. وعندما يحين الوقت، يكون مستعداً لتسلم العباءة الملكية، ليس كزعيم جديد، بل كظلٍ للزعيم القديم.

وبينما يتم تدريب الوريث خلف الأبواب المغلقة، يُعد الناس لاستقباله على أنه "النجم الصاعد" في سماء السياسة، وكأنهم لا يدركون أن الشمس التي غابت ستشرق مرة أخرى من نفس العائلة. التغيير الوحيد هنا هو العمر؛ أما الأفكار، والسياسات، وحتى الابتسامات الزائفة، فهي ذاتها.

الفكاهة السوداء تكمن في أن الشعب، الذي يمنّي نفسه بالتغيير، لا يدرك أنه يشاهد إعادة لعرض قديم بحلة جديدة. في كل مرة يُقدم الوريث للجماهير، يُلبس ثوبًا من الوعود الزاهية، ولكن الجميع يعرف أن الجوهر لم يتغير. إنها نفس اللعبة القديمة، تُلعب بقواعد جديدة فقط على الورق، بينما تبقى الكواليس ملكًا لنفس العائلة.

وفي كل مرة يظهر فيها الوريث على المسرح، يُقدم على أنه حامل الشعلة، الرجل الذي سيقود البلاد نحو مستقبل مشرق. لكن في الواقع، هو مجرد استمرار للحاضر، نسخة مطورة من النظام القديم. وبينما يصفق الناس بحماس، يتجدد العقد غير المكتوب: السلطة ستظل في الأسرة، والشعب سيظل في دور المتفرج، يتابع بفارغ الصبر المسرحية الجديدة التي تحمل نفس النهاية.

التوريث السياسي ليس مجرد خطة لضمان الاستمرارية، إنه فن محكم، يشبه لعبة شطرنج تُلعب بعناية لتجنب أي حركة خاطئة. الوريث ليس فقط من يخلفك، بل هو امتدادٌ لظلك، يملأ الفراغ الذي تركته دون أن يشعر أحد بأن شيئًا قد تغير. وهكذا تستمر اللعبة، وكأنها دوامة لا تنتهي، حيث يتغير الأبطال، لكن المسرحية تبقى كما هي، والستارة لا تسدل أبدًا.

٢٦- قانون الغموض المتعمد: اجعل قراراتك وسياساتك غامضة لتجنب المساءلة

في أروقة السياسة العراقية، حيث يُفضل أن تبقى الحقيقة مدفونة تحت طبقات من التعقيد، يتجلى "قانون الغموض المتعمد" كأداة أساسية لحماية السياسي من أي محاسبة. لماذا تضع الأمور على الطاولة بكل وضوح بينما يمكنك أن تحجبها تحت ستار من الضباب الكثيف، وتترك خصومك يتيهون في متاهة من التفسيرات المتناقضة؟

السياسي المتمرس يعلم أن الشفافية قد تكون فخًا، أما الغموض فهو طوق النجاة. فكلما كانت قراراتك مغلفة بلغة مبهمة وجمل ملتوية، كلما استطعت أن تفلت من قبضة المحاسبة. تبدأ اللعبة بإطلاق عبارات مثل "نحن في سياق ديناميكي يتطلب تكيفًا استراتيجيًا"، كلمات تبدو عظيمة ولكنها تخلو من المعنى الحقيقي. وحين يسألك أحدهم عن تفسير، يكون لديك عشرات الإجابات الغامضة الأخرى جاهزة لإرباكه.

تخيل مشهدًا عبثيًا: يطالب الشعب بتوضيح موقفك من قضية مهمة، فترد بابتسامة مليئة بالثقة وتقول، "إن سياستنا تقوم على إعادة تقييم مستمر للمتغيرات بناءً على أطر زمنية غير محددة". النتيجة؟ الجميع يحاول تفسير ما قلته، ولكن لا أحد يصل إلى إجابة واضحة. وكلما ازدادت محاولاتهم، كلما ضاعوا أكثر في دوامة من الأسئلة التي لا تنتهي.

الغموض هنا ليس مجرد حجاب يخفي الحقيقة، بل هو لعبة معقدة أشبه بلعبة شطرنج، ولكن بقواعد غير مفهومة إلا للاعب الواحد. بينما ينشغل الآخرون بمحاولة فك شيفرات هذه اللعبة، تظل أنت وحدك المتحكم في الرقعة، تحرك القطع كيفما تشاء دون أن يعرف أحد ما إذا كان هناك فائز أو خاسر.

والجميل في هذا القانون أنه يجعل المساءلة مستحيلة. إذا فشلت خططك، يمكنك ببساطة أن تقول إنهم أساءوا فهمك. وإذا نجحت بطريقة ما، تكون قد تركت مساحة كافية لاحتساب النجاح لك، وكأنك كنت تقصد هذا النجاح منذ البداية. المسؤولية تتحول إلى كرة من الدخان، لا يمكن لأحد الإمساك بها أو حتى رؤيتها بوضوح.

الفكاهة السوداء تكمن في أن الجمهور، رغم شكوكه، يظل محاصراً في دائرة الغموض هذه. يعتقدون أنهم يفهمون، لكن الحقيقة أنهم عالقون في لعبة لا قواعد لها، حيث تصبح الكلمات أدوات لخلق مزيد من التشتت. السياسي هنا ليس فقط صاحب القرار، بل هو أيضًا مخرج العرض، يصنع مشاهد مربكة تترك الجميع في حيرة.

الغموض هو حليفك الأذكى. فهو ليس فقط وسيلة لتجنب المساءلة، بل هو أيضًا قناع يغطي وجه السياسة الحقيقي. دع الناس يتخبطون في ضباب تفسيراتهم، بينما تظل أنت بعيدًا عن الأضواء، تدير اللعبة من خلف الكواليس. وهكذا، يبقى الغموض هو السلاح الأقوى، يحميك من الحقيقة، ويضمن لك البقاء على قمة المشهد دون أن يجرؤ أحد على سؤالك: "ماذا كان قصدك حقًا؟."

٢٧- قانون ترويج الشائعات : استخدم الشائعات كسلاح لتشويه سمعة خصومك.

في قاعة السياسة العراقية، حيث يتقن اللاعبون فنون المكائد كما يتقن الشاعر فنون القوافي، يأتي "قانون ترويج الشائعات" كواحد من أعظم الأسلحة الفتاكة. هذا القانون ليس مجرد حيلة عابرة، بل هو سلاح كيميائي سياسي يُطلق في الهواء ليختلط برائحة الدخان والكذب، ويُحوّل الحقيقة إلى مجرد طيف ضبابي يتلاشى في زوايا الذاكرة.

تخيل نفسك سيداً لحقل ألغام من الأكاذيب، تتحرك بخفة بين الحقول، وتزرع الشائعات كمن يغرس ألغاماً في طريق خصومك. الشائعة هنا ليست مجرد خبر كاذب يُلقى في الهواء، بل هي سُم يُدس في كؤوس المنافسين، يرتشفونه دون أن يدركوا أنهم قد ابتلعوا جرعة من السم السياسي المميت. تبدأ القصة ببضع كلمات هنا، وإشارة هناك، وفجأة يجد خصمك نفسه غارقًا في بحر من الهمسات والاتهامات التي لا تنتهي.

المشهد الكوميدي يتجلى حين يخرج أحد خصومك من بيته ليجد جيرانه يتجنبون النظر في عينيه، يتساءل ما الذي حدث؟ كيف تحول من بطل في أعينهم إلى خائن؟ لا يدري أن جدار المنزل المجاور قد سمع شائعة حوله، وانتقلت من فم إلى فم كما تنتقل النار في الهشيم. وفي صباح اليوم التالي، أصبح الجميع يعرف "حقيقته" الجديدة، تلك الحقيقة التي نسجتها بخيوط رفيعة من الأكاذيب، لكنه لا يعرف كيف أو متى.

الشائعات هنا ليست سوى خيوط العنكبوت، تبدو واهنة، لكنها قادرة على إسقاط أفراس جامحة في شراكها. لا تحتاج إلى أي دليل، فقط إلى قليل من الخيال، وكثير من الفصاحة، وسترى كيف تتحول الأكاذيب إلى حقائق راسخة في عقول الناس. والأفضل من ذلك، أنك لست مضطراً للوقوف وراء هذه الشائعات؛ دعها تسرح وتمرح في العقول، تتحول إلى

قصص تُروى في المقاهي، وتُضاف إليها تفاصيل جديدة مع كل جولة قهوة.

عبقرية هذا القانون تتجلى في عدم حاجتك لإثبات صحة الشائعة؛ فالشعب بطبيعته يميل إلى التصديق، خاصة عندما يتعلق الأمر بفضائح تُشبع رغبتهم في التلذذ بمآسي الآخرين. ومع الوقت، يتحول خصمك إلى مجرم فار من العدالة في أعينهم، بينما تجلس أنت على عرش النصر، محاطًا بهالة من البراءة الزائفة.

والأطرف؟ أنك، بعد أن تزرع الشائعة، يمكنك أن تتظاهر بالاستياء من انتشارها، وتدعو الناس إلى "التروي" وعدم تصديق كل ما يُقال. فتظهر في صورة الزعيم الحكيم، الذي ينصح بالتحلي بالحكمة، بينما تضغط في الخفاء على الزناد، مطلقًا المزيد من الشائعات نحو خصومك.

، "قانون ترويج الشائعات" ليس مجرد أداة، بل هو فنٌ يحتاج إلى براعة في النسيج، وصبر على الحياكة. إنه اللوحة التي ترسمها بريشة الكذب، لتُظهر خصومك بأبشع صورة ممكنة، بينما تظل أنت، المايسترو الخفي، تدير اللعبة من وراء الكواليس، بابتسامة رضا على وجهك، لأنك تعلم أن الشائعات هي أكثر الأسلحة فتكًا في هذا المسرح السياسي الكبير.

وفي عالم السياسة، يبقى من يملك الشائعة هو من يملك السيف.

٢٨- قانون الاتفاقيات السرية: اعقد اتفاقياتك خلف الأبواب المغلقة، ولا تدع أحداً يعرف التفاصيل.

في ازّقة السياسة العراقية، حيث تُنسج خيوط المؤامرات بأيد خبيرة كما يُنسج السجاد الفارسي، يبرز "قانون الاتفاقيات السرية" كواحدٍ من أقدس القوانين غير المكتوبة. هذا القانون هو بمثابة المبدأ الذهبي للسياسيين الذين يتقنون لعبة الخداع والتلاعب، حيث تُعقد الصفقات في الظلام، بعيداً عن أعين الفضوليين، وحيث الحقيقة هي أولى الضحايا.

تخيل نفسك في قاعة مغلقة، بُنيت جدرانها من صمت ثقيل، يجلس حول طاولتها رجال ببذلات أنيقة ووجوه لا تُقرأ، بينما تتسرب الأحاديث بين شفاههم كالرحيق المر، يُسكب في كؤوس لا ترتوي إلا بالصفقات المشبوهة. هنا، لا مكان للشفافية، بل تُستبدل بالقفازات الحريرية التي تُخفي أي بصمات قد تفضح أسرار اللعبة. الصفقة هنا ليست مجرد اتفاق؛ بل هي طقوس سرية تُنفذ بحذر شديد، بحيث لا يخرج منها أي دخان يدل على النار التي تشتعل تحت الطاولة.

في هذا المسرح الساخر، الأضواء لا تُسلط على اللاعبين الرئيسيين، بل تُترك مشتعلة في الخارج لتُبهر العامة، بينما تُعقد الصفقات الحقيقية خلف الستائر المخملية. العالم الخارجي يرى ما يُسمح له برؤيته: ابتسامات زائفة، مصافحات مطولة، وبيانات صحفية مُحكمة الصياغة، ولكن ما لا يعلمه أحد هو أن كل كلمة، كل إيماءة، قد تم التفاوض عليها بدقة خلف أبواب مغلقة، وأن الحقيقة الحقيقية قد دُفنت عميقًا في ملفات لا يطلع عليها إلا من كانوا في الحفل السري.

تصور المشهد: السياسيون يجتمعون في غرفة معتمة، تُضاء بشمعة واهنة تُلقي بظلالهم على الجدران مثل أشباح تتداول أسرار العالم السفلي. على الطاولة، تُطرح ملفات مغلقة، تُفتح لتكشف عن خطط محكمة، صفقات لا تنفصم عراها إلا إذا سقطت الأقنعة. يُسجل الجميع أسماءهم

على أوراق مصقولة، ولكن هذه الأوراق ليست وثائق رسمية، بل هي عقود غير مكتوبة تحفظ في ذاكرة منسية، تضمن أن ما يُقال هنا يبقى هنا.

السرية ليست مجرد تكتيك، بل هي فن يمارس بشغف، حيث يكون للكلمات معان مزدوجة، وللوعود وجوه خفية. لا أحد يخرج من هذه الاجتماعات وهو نفسه الذي دخلها؛ فكل منهم قد حمل معه جزءاً من السر، جزءاً من الحقيقة المغيبة، وكأنهم قد شربوا من نهر النسيان، ليعودوا إلى العلن وقد اغتسلوا من أي أثر قد يدل على ما حدث.

والأجمل في هذا القانون؟ أنك لا تحتاج إلى تبرير شيء لأحد. فحين تُسأل عن التفاصيل، يمكنك ببساطة أن تتظاهر بعدم المعرفة، أن تشير إلى "المصلحة العامة" و"الضرورات الأمنية"، تاركًا المحققين في حيرة، يحاولون فك طلاسم لغتك الملتوية. وهكذا، يظل الجميع منشغلين بتفاصيل لا يعرفونها، بينما تظل أنت، سيد اللعبة، بعيداً عن أي محاسبة، تمسك بخيوط الاتفاقات كما يمسك الساحر ببطاقاته المخفية.

"قانون الاتفاقيات السرية" ليس مجرد وسيلة لتأمين المصلحة، بل هو فلسفة قائمة على فهم عميق لطبيعة اللعبة السياسية. إنه العلم الأسود الذي يرفعه السياسيون فوق سفنهم، معلنين للعالم أنهم يُبحرون في مياه مظلمة، لا يرى أحدٌ عمقها، ولا يعرف أحدٌ أسرارها. وفي عالم السياسة، تلك الأسرار هي التي تضمن البقاء، هي التي تُبقي اللاعبين في موقع القوة، حيث يبتسمون للجماهير بينما تُدار اللعبة الحقيقية بعيداً عن أعين المتفرجين.

٢٩- قانون السيطرة على القضاء: اجعل القضاء أداة لتنفيذ أوامرك وليس لتحقيق العدالة.

في السياسة العراقية، حيث تنقلب الموازين كما تنقلب صفحات كتاب ممزق، يتجلى "قانون السيطرة على القضاء" كأحد أعظم الألاعيب التي يجيدها الساسة المحنكون. هنا، يصبح القضاء مجرد مسرح دمى، حيث تحرك الخيوط من خلف الستار، لتتحول العدالة إلى كلمة جوفاء تُقال في الخطابات، بينما الحقيقة تُقتل بصمت في أروقة المحاكم.

تخيل نفسك قائد أوركسترا، لكن هذه الأوركسترا لا تعزف الموسيقى، بل تعزف أنغام القانون المتلوّن وفق رغباتك. القاضي هنا ليس إلا عازف كمان، ينتظر منك الإشارة ليرفع المطرقة، ليس لتحقيق العدالة، بل لتنفيذ أوامرك كما تمليها عليه. في هذا المشهد الكوميدي المأسوي، يصبح القضاة مثل عساكر الطابور، يلتزمون الصمت وينفذون ما يُطلب منهم دون أن يرفعوا رؤوسهم ليروا الحقيقة التي سُحقت تحت أقدام السياسة.

تصور مشهد المحكمة: القاضي يجلس على منصة عالية، يرتدي أرواب العدالة التي تلمع في الظاهر، بينما في الواقع، تلك الأرواب قد تلطخت بأوحال السياسة. المتهم يقف في القفص، يعلم جيداً أن مصيره ليس بيد القانون، بل بيد من يمسك بخيوط اللعبة. وفي لحظة، يُسدل الستار على العدالة، ليحل مكانها سيناريو مكتوب بعناية، حيث تتلاشى الحقيقة بين طيات الأوراق القانونية التي لا تحمل سوى تعليمات عليا.

في هذا العالم، القضاء ليس إلا أداة في صندوق العدة السياسية، تُستخدم لتصفية الحسابات، وترتيب الأوراق، وتسوية الخلافات على مقاس الأهواء. الأحكام تُكتب مسبقًا، والمرافعات ليست إلا مسرحية هزلية، تُقدم للجمهور على أنها مشهد من مشاهد العدالة، بينما الجميع يعلم أن الكلمة الأخيرة ليست بيد القاضي، بل بيد من يجلس خلف الستار، يمسك بالقلم الذي يكتب الحكم النهائي.

والأدهى من ذلك؟ أن الناس ، رغم علمهم بهذه اللعبة القذرة ، يضطرون للمشاركة فيها ، يتجرعون مرارة الظلم بينما تُقدم لهم الوعود البراقة بأن العدالة ستأخذ مجراها . ولكن في الحقيقة ، تلك العدالة قد تم تقطيعها وأعيد تشكيلها لتناسب مصالح السادة . وعندما تصدر الأحكام ، تُعلن في الصحف وتُبث على الشاشات كأنها فتحٌ مبين ، بينما الجميع يعلم أنها ليست إلا نصراً زائفًا يُسجل في دفتر الحسابات السياسية .

ولكن الأروع في هذه اللعبة؟ أنك تستطيع أن تظل في موقع المدافع عن القانون ، تتحدث عن استقلالية القضاء وحصانته ، بينما في الخفاء ، تُصدر الأوامر وتحدد الأحكام . الناس يسمعون خطبك المليئة بالعبارات الرنانة عن دولة القانون ، بينما أنت تعلم أن تلك الدولة قد تم تحويلها إلى مزرعة خاصة ، يسرح فيها القانون تحت عصاك الغليظة .

وفي هذا العالم المقلوب ، يتربع القانون على عرشه ، لكن تحت أقدام من يحركه كما يشاء ، تاركًا العدالة تترنح خارج أسوار المحكمة .

٣٠- قانون توزيع الأدوار العسكرية: احتفظ بولاءات من خلال توزيع المناصب العسكرية على قادة موالين.

في حقول السياسة العراقية الخصبة، حيث تنمو شجيرات الولاء تحت سماء فاقعة بالوعود والمخاوف، يأتي "قانون توزيع الأدوار العسكرية" ليكونَ الساق القوي الذي يسند أوراق السلطة. هنا، لا تُختار القادة العسكريون لقدرتهم على مواجهة العواصف، بل يُنتقون بعناية كفروع تمتد لتظلل العرش، ما دامت جذورهم مغروسة عميقًا في تربة الولاء المطلق.

تخيل نفسك شجرة عظيمة، ترتفع بجذعها نحو السماء، لكن قوتها لا تأتي من العواصف التي تواجهها، بل من الجذور التي تسحب غذاءها من أعماق الأرض، تلك الأرض التي تملكها السلطة. القادة العسكريون هم فروعك، تنمو وتزدهر فقط إذا ما تم سقيها من قبل الحاكم. كل فرع يعلم أن استقامته مرهونة بمدى ولائه للجذور التي تمدّه بالحياة.

في هذه الحديقة السياسية، الترقية العسكرية ليست مكافأة على النصر في الميدان، بل هي ثمرة ناضجة تُقطف وتُعطى لمن يجيد فن الانحناء أمام الرياح القادمة من القصر. الجنرالات هنا ليسوا حماة للأمة، بل حماة لعرش يعلمون أن بقاؤهم مرهون بتظليلهم له من أشعة الشمس الحارقة لأي طموحات قد تهدد أمن السلطان.

الجيش في هذا العالم ليس إلا شجرة ضخمة، يتفرع منها الجنرالات كأغصان يُحركها الحاكم كيفما يشاء. كل غصن يعرف حدوده، ويعرف أن القوة لا تأتي من مكانته، بل من الجذر الذي يغذي الجميع، جذر الولاء الذي إذا انقطع، ذبلت الأغصان وتكسرت تحت أقدام الحاكم دون أدنى تردد.

وهكذا، يستمر قانون توزيع الأدوار العسكرية، حيث يبقى القادة كالفروع الخضراء، يتمايلون مع كل نسمة تأتي من القصر، ويفعلون ما

يُطلب منهم دون تفكير. في النهاية، النظام كله يعتمد على قوة تلك الجذور الخفية، التي لا يراها أحد، لكن الجميع يشعرون بها، تلك الجذور التي تجعل من الجيش سياجًا يحمي العرش أكثر مما يحمي الوطن.

٣١- قانون المال السياسي: استثمر أموال الدولة في حملاتك الانتخابية.

في عالم السياسة العراقية، حيث تتشابك الخيوط بين المصالح الشخصية والعامة كما تتشابك أغصان شجرة عتيقة في غابة مظلمة، يأتي "قانون المال السياسي" كأحد أقدم الفنون التي أتقنها الساسة على مر العصور. هذا القانون لا يُدرس في كليات الحقوق أو العلوم السياسية، بل يمارس في دهاليز السلطة، بعيداً عن أعين الرقابة التي غالبًا ما تكون مغلقة عن عمد. هنا، يصبح المال العام ليس مجرد أداة لتحقيق المشاريع التنموية أو تحسين حياة المواطنين، بل يتحول إلى وقود يحرك عجلة الحملات الانتخابية، ليضمن لمن يمسك بالسلطة أن يظل قابضًا عليها مهما كانت الرياح التي تعصف بالبلاد.

تخيل نفسك جالسًا على كرسي الحكم، لديك في يدك مفاتيح الخزينة، وفي جيبك مجموعة من الخطط التي لا علاقة لها بتحسين البنية التحتية أو بناء المدارس والمستشفيات، بل هي خطط دقيقة، مُحكمة، هدفها الأسمى هو تأمين طريقك نحو دورة انتخابية جديدة. في هذا المشهد، المال العام لا يُصرف على المشاريع التنموية إلا إذا كانت ستُلتقط لها صور وتُعلق على جدران المدن كدعاية انتخابية. فالطرق تُرصف، ليس لأن الناس بحاجة لها، بل لأنها ستكون خلفية رائعة لصورك في البوسترات الدعائية.

المال السياسي في هذا السياق لا يُستثمر في المستقبل، بل يُستخدم كقرض بلا فوائد يمنح لنفسك لضمان أن تظل على كرسيك. تبدأ اللعبة بتوجيه الأموال المخصصة للمشاريع العامة إلى "أنشطة" و"فعاليات" تخدم حملتك الانتخابية. هنا، تُعقد الندوات وتُنظم المهرجانات، ليس لرفع الوعي أو تحسين مستوى الثقافة، بل لتحشيد الجماهير حولك، ليصبحوا شهوداً على "إنجازاتك"، تلك الإنجازات التي لم تكن لتتحقق لولا السحر الأسود للمال العام.

تخيل حفلا ضخمًا يُقام على شرف أحد المشاريع الكبيرة، تُدعى له وسائل الإعلام وتُبث فيه الكلمات الرنانة، لكن في الواقع، هذا المشروع ليس إلا واجهة لتغطية حقيقة أن معظم الأموال المخصصة له قد انزلقت بهدوء إلى جيوب حملتك الانتخابية. الصحف تتحدث عن إنجازك العظيم، بينما تعلم أنت أن هذا الإنجاز ليس إلا ورقة توت تخفي خلفها شجرة الفساد التي تمتد جذورها عميقًا في أرض الدولة.

المال هنا ليس مجرد أوراق نقدية تُصرف على الحملات الانتخابية، بل هو شريان حياة سياسي، يُبقي على نبضات سلطتك مستمرة، ويغذي كل خطوة تخطوها نحو صناديق الاقتراع. تُستخدم الأموال لبناء الولاءات، لشراء الأصوات، لتأمين ولاء رجال الأعمال والشخصيات النافذة. وهكذا، يصبح المال السياسي السلاح الأكثر فتكًا في ساحة المعركة الانتخابية، سلاح لا يُرى، لكنه يُحس في كل زاوية من زوايا الدولة.

وبينما تُدير حملتك الانتخابية بمهارة ساحر يُخفي الخدع في كمّه، ينشغل المواطنون بمشاهدة العروض التي تُقدم لهم، دون أن يدركوا أن هذه العروض قد تم تمويلها بأموالهم الخاصة. إنهم يصوتون لك، دون أن يعلموا أنهم قد دفعوا مسبقًا ثمن هذا الصوت. فالطرق التي يسيرون عليها، والمدارس التي يتعلمون فيها، والمستشفيات التي يتلقون العلاج بها، كلها قد تم استخدامها كورقة ضغط لتجديد ثقتهم بك، دون أن يُدركوا أنهم قد تعرضوا لأكبر عملية خداع في تاريخهم السياسي.

ومع اقتراب موعد الانتخابات، تُفتح خزائن الدولة على مصراعيها، تُصرف الأموال بسخاء لا مثيل له، تُقام الحفلات، تُنظم المهرجانات، وتُوزع الهدايا على الناخبين، كل ذلك تحت غطاء "التنمية" و"الرعاية الاجتماعية". لكن في الحقيقة، هذا السخاء ليس إلا استثماراً طويل الأمد في حملة انتخابية قد تضمن لك البقاء لعقود أخرى في سدة الحكم.

وفي النهاية، عندما تُعلن النتائج، ويُرفع اسمك عاليًا كالفائز الذي حاز على ثقة الشعب، تعود إلى مكتبك، تنظر إلى تلك الخزائن التي أُفرغت

لتُملأ من جديد، وتبتسم. لقد كان استثماراً ناجحًا، استثمار في المستقبل الذي هو أنت، وليس في مستقبل البلاد. وهكذا، يستمر "قانون المال السياسي" في العمل كعجلة دائمة الحركة، تُديرها يد خفية تعرف كيف تحول أموال الدولة إلى أدوات طيّعة تضمن بقاء السلطة في يد من يعرف كيف يلعب هذه اللعبة القذرة بمهارة لا يُشق لها غبار.

٣٢- قانون الاستغلال الانتخابي: قدم رشاوى انتخابية للفوز بالدعم الشعبي.

في أعماق اللعبة السياسية العراقية، حيث تتحول كل مبادئ النزاهة والشرف إلى مجرد كلمات جوفاء تُلقى في الهواء، ينبثق "قانون الاستغلال الانتخابي" كأحد أكثر الأساليب جرأة ووقاحة. إنه القانون الذي لا يتعلمه السياسيون في قاعات الجامعات، بل يُلقن لهم في دهاليز السلطة المظلمة، حيث تتداخل المصالح الشخصية مع المصالح العامة، وحيث تتحول الوعود الانتخابية إلى صفقة مربحة يتم دفع ثمنها بأرواح الناخبين.

تخيل نفسك سياسيًا قد تمرّس في فن البقاء على كرسي الحكم، تعلم أن الخطابات الطنانة والشعارات الجوفاء لم تعد تجدي نفعًا في مواجهة ناخبين قد أرهقهم الفقر والفساد. هنا، يدخل قانون الاستغلال الانتخابي إلى المسرح، ليأخذك من العالم المثالي للوعود إلى العالم الواقعي حيث المال يتحدث، والرشوة هي العملة الوحيدة المتداولة.

مع اقتراب الانتخابات، تبدأ بحساباتك الدقيقة. تُخرج من خزائن الدولة ما يكفي لتغطية تكاليف "شراء الأصوات"، لكنك تقدم الأمر بشكل مقنع؛ فتسمي الرشوة "هدايا"، وتُظهرها كأعمال خيرية تقوم بها لفائدة الشعب. تبدأ جولتك في الأحياء الفقيرة، حيث تعلم أن أصواتهم هي الأقل كلفة. تطرق أبوابهم وتقدم لهم أكياس الطحين والسكر، تحيطهم بابتسامة دافئة ووعود مزيفة بمستقبل مشرق. لكنك تعلم في قرارة نفسك أن ما تقدمه لهم ليس إلا رشوة رخيصة، تستثمر فيها لإعادة إنتاج نفسك في السلطة.

ولا تتوقف عند الهدايا البسيطة؛ فالناس بحاجة إلى أكثر من ذلك لتصديق وعودك. فتتوسع دائرة الرشوة لتشمل قروضًا ميسرة، وتخفيضات على الفواتير، وتوزيع أجهزة كهربائية. تُطلق برامج وهمية لتوظيف الشباب، وتقدم وعودًا ببناء مدارس ومستشفيات، لكنك تعرف

جيداً أن هذه الوعود ليست سوى دخان في الهواء، يتبدد بمجرد إغلاق صناديق الاقتراع.

والأدهى من ذلك، أنك تبدأ في عقد الصفقات مع زعماء العشائر وكبار الشخصيات المحلية، تقدم لهم المناصب والمكاسب مقابل ضمان ولائهم ودعمهم في يوم الانتخاب. كل خطوة تقوم بها مدروسة بعناية، كل دينار يُنفق هو استثمار في مستقبل كرسيك، وليس في مستقبل الوطن.

ومع اقتراب موعد الانتخابات، تتحول الرشوة إلى فن يُتقن بمهارة. تتنقل بين القرى والمدن، تحمل وعودك في جيبك، وتعرضها على من يُقدم لك أصواته. حتى الأيادي الممدودة طلبًا للعون تحول إلى أصوات في صناديق الاقتراع، دون أن يشعر هؤلاء البسطاء أنهم قد باعوا حقوقهم في تحسين حياتهم مقابل وعود لن تُنفذ أبدًا.

وفي يوم الانتخابات، تتأكد من أن كل شيء يسير وفق الخطة. تراقب الناخبين يتدفقون إلى مراكز الاقتراع، وأنت تعلم أن ما يقومون به ليس خياراً حراً، بل نتيجة لحملة من الرشاوى المقنعة. وعندما تُعلن النتائج بفوزك الساحق، تعود إلى مكتبك، محاطًا بزمرة من المصفقين والمتملقين، لتدرك أن اللعبة قد تم إحكامها بإتقان.

لكن الأهم من كل ذلك، أنك تعلم أن الشعب قد تعود على هذه اللعبة، وأن السياسيين قد أتقنوا فن الرشوة إلى حد أنها أصبحت جزءاً من نسيج العملية الانتخابية. وهكذا، يبقى "قانون الاستغلال الانتخابي" يعمل كعجلة لا تتوقف، تدور وتدور، لتعيد إنتاج نفس النظام الفاسد الذي وعدت بتغييره، بينما تستمر أنت في إحكام قبضتك على السلطة، بعيداً عن أي مساءلة أو حساب.

في النهاية، تدرك أن الرشوة ليست مجرد وسيلة للوصول إلى السلطة، بل هي أداة لإعادة بناء هيكل كامل من الولاءات والصفقات. إنها السلاح السري الذي يضمن لك البقاء في قمة الهرم، بينما يظل الشعب يلهث خلف وعود زائفة، في دوامة لا نهاية لها من الخداع والانتهازية.

٣٣- قانون التهرب من المسؤولية: عندما تفشل، ألقِ اللوم على الحكومة السابقة أو الظروف الدولية.

في السياسة العراقية، حيث يتقن الساسة فنون الالتواء والاحتيال كما يتقن الحاوي خدعه السحرية، يبرز "قانون التهرب من المسؤولية" كواحد من أهم الأسلحة التي يستخدمها السياسي للبقاء في موقعه، مهما كانت الأزمات التي تواجهه. إنه القانون الذي يتعلمه السياسيون منذ خطواتهم الأولى على بلاط السلطة، حيث يصبح الفشل مجرد حدث عابر يمكن تجاوزه ببراعة عن طريق تحويل الانتباه إلى شيء آخر، شخص آخر، أو حتى إلى قوة لا يملك أحد القدرة على مواجهتها.

تصور مشهداً بسيطًا: مشروع ضخم يتم الإعلان عنه بتفاخر أمام الجماهير. الخطابات تملأ الأجواء بالحماس، والوعود تُنثر كأنها بتلات زهور في حفل زفاف سياسي. لكن ما إن تظهر أولى بوادر الفشل، حتى يبدأ العزف على نغمة التهرب. "الحكومة السابقة تركت لنا إرثًا كارثيًا"، يعلن السياسي أمام الكاميرات، بينما يجلس في مكتبه الفخم الذي تم تجديده حديثًا من أموال الدولة. تلك الحكومة، التي كانت تقود البلاد قبل مجيئه، تتحول إلى الشماعة التي تُعلق عليها كل الإخفاقات. "لقد ورثنا خزينة فارغة"، يقول، وكأن الخزينة لا تزال تدفع تكلفة ولائمه الفاخرة.

ولكن ماذا لو لم تعد حيلة الحكومة السابقة كافية؟ هنا تظهر براعة التهرب. "العالم يمر بفترة صعبة"، يقول السياسي بنبرة مليئة بالقلق الزائف. يتحدث عن الأزمات الاقتصادية العالمية، عن الحروب والتوترات السياسية، وعن الكوارث الطبيعية. يستخدم جملا معقدة وطويلة تجعل أي محاولة لفهم ما يقوله ضربًا من المستحيل. "الأسواق مضطربة"، "الوضع الإقليمي متوتر"، "التغيرات المناخية تضرب بقوة". في تلك اللحظة، يصبح السياسي ضحية للعالم، وحاميًا للشعب الذي لا حول له ولا قوة.

ويستمر في تشتيت الانتباه عن فشله بمزيد من التعقيدات. يضيف تفاصيل تجعل الناس يشعرون بأن الأمر خارج عن سيطرته تمامًا. يستخدم عبارات مثل "التحديات التي تفوق قدراتنا" و"الصعوبات غير المسبوقة"، ليُخفي الحقيقة خلف ستار من التبريرات المعقدة التي تترك الجميع في حالة من الحيرة، وفي النهاية، تقبلهم للواقع الذي يصوره.

لكن اللعبة لم تنته بعد. حينما يُجبر على مواجهة الحقيقة، يُظهر السياسي براعة في قلب الطّاولة لصالحه. "ربما أخطأنا في تقدير حجم التحديات"، يعترف، ولكن ليس قبل أن يجعل من نفسه بطلا يحارب ضد الأعداء الوهميين. "لكننا مستمرون في القتال، لن نتراجع، سنواصل مسيرتنا مهما كانت الصعوبات". هكذا، يُحول الاعتراف بالخطأ إلى علامة على الشجاعة والإصرار، بينما يتجنب تمامًا أي مسؤولية حقيقية عن الفشل.

وفي ختام المسرحية، يتوارى السياسي خلف ستار من المبررات، تاركًا الجماهير في حيرة من أمرهم، غير قادرين على تحديد من المسؤول عن هذا الفشل الذريع. لكن الأهم أن السياسي يبقى في مكانه، ينتظر الفرصة القادمة ليلعب نفس اللعبة مرة أخرى، متأكداً من أن ذاكرة الناس قصيرة، وأنهم سيبتلعون التبريرات نفسها عندما يعيد استخدامها.

وفي هذه اللعبة التي لا تنتهي، يبقى السياسي هو البطل الوحيد الذي لا يتحمل أبداً ثمن فشله، بل يجني دائماً ثمار تبريراته. بينما يستمر الناس في البحث عن الحقيقة، تلك الحقيقة التي يعرفها الجميع ولكنهم يتظاهرون بعدم رؤيتها، لعل وعسى أن يأتي يومٌ يُحمّل فيه الفاشلُ مسؤولية فشله، ولكن يبدو أن ذلك اليوم ما زال بعيداً، في عالم تتحكم فيه التبريرات أكثر من الحقائق.

٣٤- قانون التحكم بالمعارضة: ادعم معارضة صورية لتبدو الديمقراطية حية.

في عالم السياسة العراقية، حيث تتحرك القوة كالظل تحت ضوء قمر السلطة، يتجلى "قانون التحكم بالمعارضة" كأداة مُحكمة يُحسن الساسة استخدامها. إنه ليس مجرد تكتيك، بل هو فنٌ يتقنه القادة، فن خلق وهم الديمقراطية في أرضٍ جرداء من الحرية الحقيقية. هنا، المعارضة ليست إلا شجرة بلا جذور، تُزرع بعناية في مشهد سياسي مُعدّ بعناية فائقة، لتبدو الديمقراطية حية في أعين المراقبين، بينما هي في الحقيقة مجرد ديكور في مسرحية كبرى.

تخيل نفسك جالسًا في قصر السلطة، مستمعًا لمستشاريك وهم يناقشون كيفية تجديد وجه الديمقراطية. "سيدي، نحتاج إلى معارضة، لكن ليست أي معارضة. نحتاج إلى تلك التي تعرف حدودها، تلك التي لا تُكشر عن أنيابها، بل تستمتع باللعق على قدميك". تبتسم وتدرك أن هذه المعارضة ليست سوى أداة أخرى في صندوق العدة الخاص بك، تُخرجها عندما تحتاج إلى إظهار بعض الحركة السياسية، ثم تُعيدها إلى مكانها الآمن عندما لا تكون هناك حاجة إليها.

الخطوة الأولى في هذه اللعبة هي تصفية المشهد من أي معارضة حقيقية. الأشخاص الذين يحملون شجاعة المواجهة يُقصَون، ويُحاصرون، وربما يُنفون إلى غياهب النسيان. بعد ذلك، تبدأ عملية انتقاء الشخصيات المناسبة لدور "المعارضة"، تلك التي تمثل الهدوء المزيف والطموح الموجه. يمنحون مساحات في الإعلام، يُسمح لهم بتقديم خطب نارية، ولكن فقط ضمن نصوص مكتوبة مسبقًا، نصوص تعرف كيف تقف على حافة السيف دون أن تخترقه.

تُعقد اجتماعات سرية حيث تُكتب النصوص، تُراجع الخطوط العريضة، تُرسم الحدود بدقة. المعارضة الجديدة تعلم جيدًا أين تتوقف، وكيف تُبقي حدة الكلام دون أن تخرج عن النص. كل كلمة تحسب بدقة، كل تصريح

يُدرس بعناية، لتبدو كأنها تخدم الشعب، بينما الحقيقة أنها تخدم السلطة. يعرف الجميع أن هذه المسرحية تهدف فقط إلى خداع المتفرجين، لكنهم يلعبون أدوارهم بإتقان، لأن المكافآت تُوزع بسخاء.

وفي خلفية المشهد، تشاهد أنت النتائج. المعارضة تُظهر بعض التمرد الخفيف، تُصدر بيانات تنتقد السياسات، تُطالب بالإصلاحات، لكن دون أي فعل حقيقي يهدد قبضتك على السلطة. تُراقب اللعبة وهي تسير بسلاسة، فترى الجماهير تُصدق العرض، وترى الصحافة الأجنبية تكتب عن "الحيوية السياسية" و"التعددية"، بينما تظل أنت المخرج الخفي الذي يحرك كل الخيوط.

لكن الحيلة الحقيقية تكمن في قدرتك على إعادة تشكيل المعارضة كلما احتاج الأمر. ربما تُطيح بوجه مألوف وتُبرز وجهًا جديدًا، فقط لتُبقي اللعبة مثيرة في أعين المتفرجين. ربما تمنح المعارضة بعض الفتات، كعضوية في لجنة عديمة الفاعلية، أو مقعد في برلمان مشلول، لتظل على قيد الحياة، لكن دون أن تُهدد قلاعك المحصنة.

"قانون التحكم بالمعارضة" ليس مجرد حيلة سياسية، بل هو تجسيد لفن البقاء في السلطة في عالم مليء بالأوهام. المعارضة هنا ليست إلا شبحًا، يمر في الظل، يُخيف من يراه من بعيد، لكن لا يمتلك أي قوة حقيقية. إنها اللوحة التي ترسمها بيدك لتُضفي على مشهد الحكم بعضًا من الألوان، بينما تظل أنت السيد المطلق لكل ما يحدث، تُغير الألوان وتُعيد رسم الخطوط كلما احتاج الأمر.

وهكذا، تستمر المسرحية، فصلا بعد فصل، والجمهور يُصفق بإعجاب للعرض، بينما الحقيقة تبقى مدفونة تحت ركام من الأكاذيب والتمثيليات. ومع ذلك، تبقى في ذهنك فكرة صغيرة، فكرة أن كل هذه اللعبة قد تنقلب عليك يومًا ما، لكنك تُدرك أن هذا اليوم بعيد، لأنك تمسك بخيوط اللعبة، وتعرف كيف تلعبها حتى النهاية.

٣٥- قانون التغطية على الفضائح : أضف قصصًا غير مهمة لتغطية الفضائح الكبيرة.

في السياسة العراقية، حيث تتلاعب السلطة بالحقيقة كما يتلاعب الساحر ببطاقاته، يظهر "قانون التغطية على الفضائح" كأحد أعظم الاختراعات السياسية. إنه القانون الذي يمكّن القادة من إخفاء فضائحهم الكبرى خلف ستار من القصص الصغيرة والمملة، تلك القصص التي تُلقى في وجوه الجماهير كالعظام المتناثرة لتشغلهم عن اللحوم الفاسدة التي يُخفيها الحكام في مطابخهم السرية.

تخيل نفسك سياسيًا قد غاص حتى أذنيه في فضيحة قد تكلفك كل ما جمعت من نفوذ وسلطة. الصحافة تطاردك، والهمسات تنتشر كالنار في الهشيم، وأنت تعلم أن كل خطوة خاطئة قد تكون الأخيرة. هنا، ينطلق العقل السياسي إلى استخدام القانون غير المكتوب: قانون التغطية على الفضائح. تبدأ العملية بالبحث عن القصص البديلة، تلك القصص التي لا تحمل وزنًا حقيقيًا، ولكنها قادرة على إلهاء الجماهير وإبعادهم عن الكارثة الحقيقية.

الخطوة الأولى في هذه اللعبة هي تفتيت الانتباه. تُطلق العنان لشائعات مثيرة، قصص سخيفة لكنها تحمل جاذبية خاصة، مثل قضية سرقة غريبة في ضواحي العاصمة، أو فضيحة شخصية لأحد المشاهير، أو حتى خلاف تافه بين نجوم الشاشة. هذه القصص تُضخم بطريقة تجعلها تبدو وكأنها تستحق الاهتمام الوطني، بينما في الواقع، ليست سوى ستارة دخان تُخفي وراءها الحقيقة المرة التي تحاول الهروب منها.

ثم تأتي المرحلة التالية: مرحلة الإغراق بالمعلومات. هنا، تستدعي الصحفيين الموالين، تدفع لهم برزم من الأخبار الصغيرة التي تُلقيها على العناوين الرئيسية. "افتتاح جسر جديد في الريف"، "زيارة مفاجئة لوزير إلى مدرسة نائية"، "حملة تنظيف كبرى في العاصمة". كل هذه الأخبار

تُلقى في وجه الشعب كجرعات مهدئة، تجعلهم ينسون أو على الأقل يتجاهلون السؤال الكبير الذي كان يشغل بالهم.

لكن اللعبة لا تتوقف هنا، بل تستمر بمهارة العازف على أوتار الكذب والتشتيت. تُعيد تسليط الضوء على قضايا قديمة تم نسيانها، تُذكر الشعب بمشاريع صغيرة لم يكن لها تأثير يُذكر، تُضخم إنجازات تافهة وتُعطيها هالة من العظمة. كل ذلك يُستخدم كدرع يحميك من السهام المسمومة التي قد تأتيك من الإعلام أو المعارضة. فالجماهير، بطبيعتها، تميل إلى الانشغال بالتفاصيل الصغيرة إذا ما قُدمت لهم بجرعة من الدراما والتشويق.

وفي الوقت نفسه، تحرك رجالك في الإعلام ليبدأوا بإطلاق هجمات معاكسة. "لماذا تركزون على هذا الموضوع؟"، "هناك قضايا أكبر يجب الاهتمام بها"، "هذه ليست سوى محاولة لتشويه السمعة". كل هذه العبارات تُلقى في الساحة لتُشتت العقول وتُشوش الحقائق. وبهذا، تتحول الفضيحة الكبرى إلى مجرد همسة ضائعة في ضجيج الأخبار المتلاحقة.

الأجمل في هذا القانون هو قدرته على التحول والتكيف مع كل فضيحة جديدة. ربما يظهر فيلم وثائقي يلفت الانتباه إلى مشكلات قديمة تم حلها ظاهريًا، أو يُثار جدل حول قضية اجتماعية تافهة لكنها تستقطب الجماهير. كل هذه الوسائل تُستخدم كأدوات في يد السياسي الماهر، الذي يعرف كيف يُدير اللعبة ويُخفي الحقائق بين طيات القصص الجانبية.

ولكن، في عمق كل هذا، تعلم أنت أن الحقيقة لا تموت، بل تُدفن مؤقتًا تحت كومة من الأكاذيب والتلفيقات. تعلم أن هذه القصص التي تُغرق بها وسائل الإعلام ليست سوى قشور تُخفي تحتها بذور الفضيحة التي قد تنمو في أي لحظة إذا لم تُرعى بعناية. ولذلك، تظل يقظًا، تتأكد من أن الجميع مشغولون بالقشور، وأن لا أحد يجرؤ على الحفر في عمق الأرض بحثًا عن تلك البذور التي قد تفضحك.

ومع مرور الوقت، تبدأ في إتقان هذا الفن، فن التلاعب بالعقول وتوجيه الانتباه بعيداً عن الحقيقة. تتعلم كيف تُعيد تشكيل الواقع، وكيف تُعيد كتابة الروايات لصالحك. ولكنك تعلم أيضًا أن هذا القانون ليس عصا سحرية، بل هو مجرد أداة في يدك، تعتمد في نجاحها على مهارتك وقدرتك على قراءة المزاج العام وإدارة التوقعات.

"قانون التغطية على الفضائح" ليس مجرد تكتيك سياسي، بل هو فن يتطلب براعة في اختيار التوقيت، وذكاء في إدارة المعلومات. إنه القانون الذي يجعل من الفضيحة الكبرى مجرد حدث ثانوي، يُنسى مع مرور الوقت، بينما تظل أنت في مكانك، تواصل لعبتك السياسية، تحكم بقبضة من حديد وتُخفي الحقائق خلف ستائر من الدخان والأكاذيب.

٣٦- قانون شراء الذمم: استخدم المال والنفوذ لشراء ذمم المنافسين والمراقبين .

في دهاليز السلطة المظلمة العراقية، حيث تنصهر المبادئ وتتبخر الأخلاق أمام وهج المال والبريق اللامع للنفوذ، يظهر "قانون شراء الذمم" كأحد أخطر الأسلحة التي يجيد الساسة استخدامها. إنه القانون الذي يحول الرجال إلى بيادق، يُشترون ويُباعون كما تُباع السلع في الأسواق، ويجعل من الضمائر عملة نادرة تُتداول في المزادات الخفية. هنا، يصبح المال ليس مجرد وسيلة لتحقيق الأهداف، بل هو مفتاح لفتح الأبواب المغلقة، وذراع يمتد ليُحكم السيطرة على كل من يعترض طريقك.

تخيل نفسك سياسيًا قد أحكم قبضته على مقاليد الحكم، ولكنك تعلم أن الأعداء يتربصون بك، وأن المراقبين يحدقون في كل خطوة تخطوها. لا مجال للمخاطرة، فقررت أن تُفعل قانونك الخاص، قانون شراء الذمم. تبدأ بتقييم الساحة السياسية كما يُقيم التاجر بضائعه. تنظر في وجوه منافسيك، تقيس حجم طموحاتهم، تقدر مدى احتياجهم، وتعرف جيداً أن لكل منهم ثمنًا.

تبدأ اللعبة بالدعوات الودية، حفلات العشاء الفاخرة في قصور مشيدة بمال الدولة، حيث يُقدم الطعام اللذيذ ويُصب النبيذ في كؤوس تلمع كالذهب. هناك، تُلقي ببعض الكلمات المعسولة، تُلمح ولا تصرح، تجعل من المال حديثًا جانبيًا، وكأنه لا يعني لك شيئًا، بينما في الحقيقة هو السلاح الذي أعددته لإخضاعهم.

تستدعي أحد المنافسين الذين لطالما أزعجوك بتصريحاتهم الجريئة، تجلس معه تحت ضوء الشموع الخافت، وتبدأ بعرضك السخي. "أعلم أنك طموح، وأعرف أنك تملك الكثير لتقدمه"، تقول له بصوت هادئ، بينما تنزلق أمامه حقيبة ممتلئة بالأموال. "كل ما أطلبه هو أن تفكر بمستقبلك، أن ترى الأمور من زاوية أوسع". في هذه اللحظة، يتحول الموقف من

محادثة عادية إلى صفقة يحددها العرض والطلب. وأنت تعلم، كما يعلم هو، أن كل شيء قابل للبيع إذا كان الثمن مناسبًا.

لكن شراء المنافسين ليس سوى جزء من اللعبة. تعلم أن المراقبين هم العقبة الأكبر، أولئك الذين يُفترض بهم أن يكونوا حراس العدالة وأعين الشعب. هؤلاء يجب التعامل معهم بحذر أكبر، فهم يظهرون بمظهر الأنقياء، يدّعون النزاهة، لكنك تعرف أنهم أيضًا بشر، وللبشر نقاط ضعفهم. تبدأ بتحليلهم، تبحث عن ثغراتهم، تراكماتهم المالية، طموحاتهم الشخصية، وتعرف أن المال قد لا يكون كافيًا دائمًا. قد يكون النفوذ هو ما يحتاجونه، نفوذ يرفعهم فوق الجميع، يجعلهم يتسلقون سلم النجاح بسرعة لم يحلموا بها.

ترسل إليهم دعوات لحضور مؤتمرات دولية، تمنح لهم فرص لمناصب مرموقة، تُفتح لهم الأبواب التي كانت مغلقة في وجوههم. وفي المقابل، كل ما تطلبه هو الصمت، أو غض الطرف عندما تمرر قانونًا أو تعقد صفقة مشبوهة. "ليس عليك أن توافق"، تقول لأحدهم بابتسامة خبيثة، "فقط لا تعترض". وهكذا، يتحول المراقب الذي كان يتحدث عن العدالة والنزاهة إلى شريك صامت، تشتري صمته بثمن بخس.

ومع مرور الوقت، تبدأ نتائج قانونك تظهر بوضوح. المنافسون الذين كانوا يشكلون تهديدًا يصبحون أقرب إلى حلفاء، يختفون من الساحة السياسية أو يتحولون إلى أتباع يسبحون بحمدك في العلن. أما المراقبون، فيتحولون إلى مجرد أدوات في يدك، تبرر أفعالك، تغض النظر عن تجاوزاتك، وتُزين صورتك أمام الشعب. كل ذلك، وأنت تجلس في قصرك، تشاهد اللعبة وهي تسير بسلاسة كما خططت لها.

لكن في عمق عقلك، تعلم أن هذه اللعبة ليست بلا مخاطر. شراء الذمم هو سلاح ذو حدين، فالذين يشترون اليوم قد يُباعون غدًا، إذا جاء من يدفع أكثر. تعلم أن الولاء الذي يأتي بالمال لا يدوم، وأن النفوذ الذي

يمنح لا يبني صداقات حقيقية. ومع ذلك، تستمر في اللعب، لأنك تدرك أن هذا هو السبيل الوحيد للبقاء في قمة الهرم.

"قانون شراء الذمم" ليس مجرد وسيلة لتحقيق النصر، بل هو فلسفة حكم متكاملة، تحول السياسة إلى سوق، وتحول الرجال إلى سلع. إنه القانون الذي يُحكم به الأقوياء سيطرتهم على الضعفاء، والذي يبقيك في موقع القوة، طالما كنت تملك المفتاح الذي يفتح كل الأبواب: المال والنفوذ.

وهكذا، تستمر اللعبة. تظل تتحكم في المشهد من خلف الستار، تشتري الذمم وتبيعها، تُوجه كل خطوة وتُرسم كل حركة، بينما يظل الجميع يدورون في فلكك، غير مدركين أنهم ليسوا سوى قطع شطرنج تحركها كيفما تشاء. وفي لحظة تأمل نادرة، تدرك أنك قد أصبحت سيد اللعبة، ولكن بثمن؛ ثمن الروح التي تُفقد كلما اشترى المال ذمة جديدة.

٣٧-قانون التعتيم على الحقائق: لا تسمح بوصول الحقائق إلى الشعب، وحافظ على الرواية الرسمية.

في أروقة السلطة المعتمة العراقية، حيث يُصنع التاريخ وتحاك القصص على مقاس الحكام، يظهر "قانون التعتيم على الحقائق" كأحد أكثر الأدوات فاعلية في ترسانة السياسيين العراقيين الذين يخشون نور الحقيقة. إنه القانون الذي يجعل من الحقيقة عدواً، ومن الكذب فضيلة، ويحول الواقع إلى مسرحية تُكتب نصوصها خلف أبواب مغلقة، ولا يُسمح للجماهير إلا بمشاهدة ما يُسمح لهم برؤيته.

تخيل نفسك جالسًا في قصر الحكم، تحيط بك خرائط الدولة وتقارير الأجهزة الأمنية، وأنت تعلم أن الحقيقة، تلك الكائن الهش الذي لا يحتمل الضوء، قد بدأت بالتسلل عبر الشقوق. الأزمات تتزايد، الأخطاء تتراكم، والجماهير بدأت تشعر أن شيئًا ما ليس على ما يرام. ولكنك تعلم أن السبيل الوحيد للحفاظ على سلطتك هو التمسك بقانونك الثمين، قانون التعتيم على الحقائق.

أول خطوة في هذا القانون هي السيطرة على المعلومة. تبدأ بتنظيم جهاز إعلامي ضخم، تعمل فيه الأقلام كما تعمل السيوف، تقطع وتحرف وتعيد صياغة كل كلمة حتى تصبح الرواية الرسمية هي الحقيقة الوحيدة المتاحة. تُصدر الأوامر للصحف، للقنوات التلفزيونية، للمواقع الإخبارية، بأن لا يُنشر شيء إلا بعد أن يمر عبر فلتر السلطة. الحقيقة تُقص وتجمل وتُعاد تغليفها حتى تبدو بريئة تمامًا، وكأنها لا تحمل في طياتها أي أثر لما يحدث في الخفاء.

ولكن التعتيم لا يتوقف عند حدود الإعلام. تبدأ بتجنيد جيوش من المتحدثين الرسميين، أولئك الذين يُتقنون فن الخطابة دون أن يقولوا شيئًا. يقفون أمام الكاميرات بوجوه جامدة، يُكررون نفس العبارات الممجوجة التي سئم الناس من سماعها، ولكنها تُبقيهم في دائرة الكذب المريح. "كل شيء تحت السيطرة"، "لا توجد مشاكل حقيقية"، "ما يقال عن الأزمات

هو مجرد إشاعات مغرضة". هذه الكلمات تُلقى على مسامع الشعب كالجرعات المنومة، تُبقيهم في حالة من السكينة الكاذبة، بعيداً عن الحقيقة التي تتغلغل تحت السطح.

وفي الوقت نفسه، تبدأ بتحريك رجال الأمن في الظل. تُغلق الأبواب أمام أي محاولة للوصول إلى الحقائق، تُراقب الاتصالات، تُفتش الحقائب، وتُسكت الأصوات التي تحاول أن تكشف ما يجري خلف الستار. تُرسل رسائل غير مباشرة لكل من يفكر في خرق هذا القانون: "التحدث بالحقيقة هو خيانة"، "نحن هنا لحمايتكم من الفوضى". ومع كل خطوة تتخذها، تزداد الظلال كثافة، ويصبح الوصول إلى النور أكثر استحالة.

لكن اللعبة لا تنتهي هنا. تعلم أن العدو الأكبر للتعتيم هو الزمن، وأن الحقيقة، مهما دُفنت، تظل تنبض تحت التراب. لذلك، تُبدع في خلق روايات بديلة، تلك الروايات التي تجعل من الكذب فنًا قائمًا بذاته. تُعيد كتابة التاريخ القريب، تحول الهزائم إلى انتصارات، تُزين الكوارث وكأنها مجرد عقبات صغيرة تم تجاوزها بنجاح. وبمرور الوقت، تصبح الرواية الرسمية هي الوحيدة التي يعرفها الناس، ويصبح من يجرؤ على تذكيرهم بالحقيقة كمن يحاول إحياء الموتى.

ومع مرور الزمن، تصبح سيداً في هذا الفن. تُتقن خلق الأكاذيب، تُبدع في تصميم قصص تتناسب مع كل موقف، تُبقي الشعب في ظلام دامس بينما تظل أنت وحدك تعرف الحقيقة. تعلم أن في يدك القوة التي تجعل من الحلم حقيقة، ومن الكذب دستوراً، ومن التعتيم على الحقائق قاعدة لا تُكسر.

ولكن في أعماق عقلك، هناك تلك الهمسة التي لا تستطيع إخمادها تمامًا: "الحقيقة لا تموت". تعلم أن التعتيم ليس حلاً دائمًا، وأنه في يوم من الأيام قد تأتي اللحظة التي يخرج فيها نور الحقيقة ليُبدد كل الظلام الذي صنعتَه. تعلم أن الكذب، مهما كان محكمًا، يحمل في طياته بذور

زواله. ومع ذلك، تواصل اللعبة، لأنك تعرف أن السيطرة على الرواية هي السبيل الوحيد للبقاء.

وفي النهاية، "قانون التعتيم على الحقائق" ليس مجرد وسيلة للحفاظ على السلطة، بل هو فن من فنون الحكم، فن يجعلك تتحكم في الذاكرة الجماعية للشعب، تُشكلها كما تشاء، تُعيد كتابة الوقائع، وتُبقي على الوهم حيًا في عقول الناس. إنه القانون الذي يُبقيك في موقعك، بينما تظل الحقيقة مقيدة في أغلال الكذب، تنتظر اللحظة التي تتحرر فيها من ظلمات السردية الرسمية.

تظل الحقيقة محبوسة في الظلال، والرواية الرسمية تُعاد صياغتها مراراً وتكراراً، لتُناسب كل لحظة، كل أزمة، وكل تغيير في الأوضاع. وأنت، تحكم قبضتك على الحكم، تعلم أن التعتيم على الحقائق هو السلاح الأقوى في عالم لا مكان فيه للشفافية، عالم تتحكم فيه الأكاذيب وتُبنى فيه العروش على أساس من الرمال.

٣٨-قانون الاحتفاظ بالولاء : كافئ من يظل مواليًا لك حتى النهاية.

في الخيوط الخفية التي تُنسج خلف الستائر المغلقة، حيث تُدار الأمور بلا ضجيج، ينبثق "قانون الاحتفاظ بالولاء" كواحد من أكثر الأساليب دهاءً للحفاظ على السيطرة في عالم السياسة العراقية. في هذا النسيج المعقد من التحالفات المتقلبة والولاءات المتشابكة، يصبح الولاء عملة نادرة تُصان بعناية، ويُكافأ عليها أولئك الذين يظلون ثابتين بجانبك حتى في أحلك الظروف، لا يتزحزحون قيد أنملة.

كما تُبحر السفن عبر البحار العاتية، يعرف القائد أن البحارة المخلصين هم من يُبقون السفينة طافية، مهما اشتدت الأمواج أو تعالت الرياح. تبدأ بمنح الامتيازات والمكافآت التي تُبقي ولاءهم حيًا ومزدهراً. تُوزع المناصب، تُفتح أبواب النفوذ على مصاريعها، وتُظهر لهم أن الولاء هو الحبل السري الذي يُغذي علاقتهم بالسلطة، ويُبقيهم في دائرة القوة.

لكن المكافآت هنا ليست مجرد أموال أو مناصب. في هذه اللعبة، تُدرك أن الولاء لا يمكن شراؤه بالذهب وحده. لذلك، تُضفي طابعًا شخصيًا على علاقتك مع الموالين. تجعلهم يشعرون أن ولاءهم لك ليس مجرد تبادل للمصالح أو التزامات سياسية، بل هو رابطة أعمق، رابطة تتجاوز المظاهر لتصل إلى مستوى الصداقة الوثيقة. تُشاركهم في أفراحهم وأحزانهم، تُرسل الهدايا في المناسبات، وتجعلهم يشعرون بأنك أقرب إليهم من أي زعيم آخر.

ومع مرور الوقت، يُصبح هؤلاء الموالون أكثر من مجرد حلفاء؛ يتحولون إلى أعمدة تحمل سقف السلطة فوق رأسك. عندما تهب العواصف وتشتد الأزمات، تجدهم واقفين بثبات، يمسكون بالدفة بحزم، عيونهم مثبتة على الأفق، مستعدين لمواجهة أي تحد يأتي في طريقهم. تدرك أنك قد بنيت جداراً من الولاء لا يمكن اختراقه، جداراً يحميك من أي تهديد خارجي أو داخلي.

لكن الحنكة الحقيقية في هذا القانون تظهر عندما تبدأ الأزمات تتوالى، وتتضح الفوارق بين من كان يركب الموجة ومن بقي مخلصًا حتى النهاية. في تلك اللحظات الحرجة، تُكافئ أولئك الذين ظلوا بجانبك، تُعزز من نفوذهم، وتُظهر لهم أنك لا تنسى من وقف معك عندما تخلّى الآخرون. هؤلاء يصبحون جزءًا من تراثك السياسي، ورمزًا للوفاء الذي تمت مكافأته بسخاء.

ومع مرور الأحداث، يتضح أن هذا الأسلوب ليس مجرد خطوة تكتيكية، بل هو الأساس الذي تُبنى عليه سلطتك. كلما تقدمت في اللعبة، تُظهر المكافآت قوتها، وتجعل من الولاء طريقًا لا يمكن الفكاك منه. وكلما شعر الموالون بالرضا عن مكاسبهم، تُزيد من عطائك، تُبقيهم دائمًا في حالة ترقب للمزيد، لأنهم يعلمون أن ولاءهم لك هو الضمان الوحيد لبقائهم في دائرة القوة.

وعلى المدى البعيد، يُثبت هذا النهج أنه الحصن المنيع الذي لا يتزعزع، يبقى كقلعة تحصنك من كل التهديدات، لأنك بنيت دعائمه على أساس متين من الولاء المتبادل. في كل مرة تشتد فيها الرياح، تجد نفسك محاطًا برجال لم يُفكروا يومًا في القفز من السفينة، لأنهم يعلمون أن البقاء بجانبك هو التذكرة الوحيدة للنجاة.

وفي ختام كل مرحلة، تُدرك أن "قانون الاحتفاظ بالولاء" ليس مجرد وسيلة لتأمين السلطة، بل هو فنٌ يُبقيك في قمة الهرم، محاطًا برجال لن يتخلوا عنك، مهما كانت التحديات. إنه النسيج الذي يُبقي كل شَيء متماسكًا، حتى في أعتى العواصف، حيث تُظهر الحياة السياسية وجهها القاسي، وتختبر قوة كل ولاء وعدت بمكافأته.

٣٩- قانون تصدير الأزمات: اجعل الأزمات المحلية تبدو كنتائج لأسباب خارجية.

في عالم السياسة العراقية، حيث يتقن الساسة فن تحويل الواقع كما يتقن الرسام تحويل اللوحات، يظهر "قانون تصدير الأزمات" كأحد أكثر الأساليب دهاءً لتفادي المسؤولية وإلقاء اللوم على الآخرين. هذا القانون ليس مجرد حيلة عابرة، بل هو فن متقن يتطلب براعة في التلاعب بالعقول، وتحويل الأنظار بعيداً عن الجذور الحقيقية للأزمات، وإلقاءها على عاتق قوى خارجية غامضة أو ظروف كونية لا تقهر.

تخيل نفسك زعيمًا قد أحاطت بك الأزمات من كل جانب، من تدهور اقتصادي إلى اضطرابات اجتماعية. تشعر بالحرارة تتزايد، والضغط يكاد يفجر جدران قصرك الفاخر. ولكنك تعلم أن هناك مخرجًا، مخرجًا يجعلك تبدو كضحية لأحداث لا يد لك فيها، ويمنحك الوقت لتدارك الأمور. هنا يأتي دور قانونك السحري: تصدير الأزمات.

تبدأ اللعبة بتوجيه بوصلة اللوم بعيداً عنك، وتحديداً نحو تلك الأيدي الخفية التي تتآمر على دولتك. تُسخّر كل ما لديك من وسائل إعلام وجيوش من المتحدثين الرسميين لنسج روايات معقدة، تربط بين الأزمة المحلية التي تهدد سلطتك وبين أحداث خارجية لا يمكنك السيطرة عليها. "إنها ليست مشكلتنا"، تقول بصوت ملؤه الثقة أمام الجماهير. "إنها نتيجة لمؤامرات تحاك في الخفاء، لتحطيم اقتصادنا وإضعافنا".

تُبدع في رسم لوحة عالمية مظلمة، حيث تتآمر القوى الكبرى وتتصارع الدول من أجل مصالحها، وأنت، مثل قبطان شجاع في بحر هائج، تحاول أن تحافظ على السفينة طافية وسط الأمواج العاتية. تروي قصصًا عن الحصار الاقتصادي المفروض على بلدك، وعن الأزمات الدولية التي تُلقي بظلالها الثقيلة على الجميع، وعن الأعداء الذين لا يريدون لك النجاح. وفي كل مرة تذكر فيها أزمتك المحلية، تُرفقها بتلميح إلى تلك القوى الخارجية الشريرة التي تحرك الخيوط من وراء الستار.

ولكن اللعبة لا تقتصر على الكلمات. تعلم أن عليك تقديم "أدلة" تُقنع الجماهير بأن ما تقوله ليس مجرد كلام فارغ. تبدأ بإظهار رسائل مُسربة، ووثائق مُزيفة، وشهادات من "خبراء" مجهولي الهوية، كلها تصب في نفس الإتجاه: أن ما يحدث في الداخل هو مجرد نتيجة لأفعال الآخرين. تُشغل الناس بتفاصيل معقدة، تُغرقهم في نظريات المؤامرة، وتُبقيهم منشغلين بتحليل الأمور التي لا طائل منها، بينما الحقيقة الواضحة تظل مخفية خلف ضباب الكذب.

ومع مرور الوقت، تتحول هذه الروايات إلى حقيقة راسخة في أذهان الناس. تبدأ الجماهير في ترديد كلماتك، يُلقون اللوم على الأعداء الخارجيين، وينسون أو يتناسون السبب الحقيقي للأزمة. تحافظ على تركيزك على الهدف الأساسي: إبعاد الأنظار عن فشلك أو تقصيرك، وتحويل كل أزمة إلى معركة ضد عدو خارجي لا يمكن هزيمته.

وفي هذه اللعبة، تجد أن النجاح لا يتوقف عند حدود ما تقول، بل يمتد إلى كيفية استخدامك للأزمة لتحقيق مكاسب جديدة. تستغل الخوف الذي زرعته في قلوب الناس لتبرير المزيد من القيود، لتوسيع سلطاتك، ولتطويع القانون كما يحلو لك. تُصدر أوامر بتشديد القبضة الأمنية، وتمرر قوانين طارئة بدعوى حماية الوطن من المخاطر المحدقة. كل ذلك، وأنت تعلم أن الأزمة الحقيقية لا تكمن في الخارج، بل في داخلك، وفي إدارتك التي أوصلت الأمور إلى هذه النقطة.

لكن الحيلة الأكبر تكمن في قدرتك على جعل الآخرين يدافعون عنك. تُبث القصص التي نسجتها في كل مكان، وتجد من يرددها دون أن يفكر في صحتها. كلما شكك أحدهم في الرواية الرسمية، يجد نفسه مُحاصراً بالاتهامات، ويُتهم بأنه جزء من المؤامرة. وهكذا، تحكم سيطرتك على الموقف، ويصبح الجميع جزءاً من اللعبة التي صنعتها بنفسك.

ومع مرور الزمن، يصبح تصدير الأزمات أسلوبًا حياتيًا، لا يتوقف عند حد معين. كل أزمة جديدة تجد طريقها إلى الخارج، إلى تلك القوى

الغامضة التي لا يمكن الإمساك بها. تُبقي الناس في حالة من الخوف الدائم، تُبقيهم مشغولين بالبحث عن الأعداء في الخارج، بينما أنت تستمر في تعزيز قبضتك على الداخل.

وفي النهاية، تجد نفسك محاطًا بجدران من الأكاذيب التي صنعتها بيديك، جدران تحميك من الحقيقة ولكنها أيضًا تُبقيك معزولا عن الواقع. تدرك أن هذا الأسلوب ليس مجرد وسيلة لتجنب اللوم، بل هو سلاح يمكنك من البقاء في موقع القوة، مهما كانت الأزمات التي تعصف بك. وهكذا، تستمر في تصدير الأزمات، وتظل السلطة بين يديك، بينما يتلهى الجميع بملاحقة الأشباح التي صنعتها لهم.

٤٠ – قانون ترويج الفساد : اجعل الفساد يبدو طبيعيًا وعاديًا لضمان استمرارك .

في السياسة العراقية ، يظهر "قانون ترويج الفساد" كأحد أذكى الحيل التي يستخدمها الساسة لإحكام قبضتهم على السلطة . إنه القانون الذي يحول الفساد من عار يُخشى اكتشافه ، إلى ممارسة يومية ، تصبح جزءاً من نسيج المجتمع ، تُقبل كما تُقبل الضرائب والطقس السيء. في هذا العالم الملتوي ، الفساد ليس مجرد انحراف عن المسار الصحيح ، بل هو المسار نفسه .

تخيل نفسك قائداً محنكًا ، تتربع على قمة الهرم السياسي في بلد تعصف به التحديات من كل جانب. تعلم أن النقاء المطلق في الحكم ليس إلا وهمًا ، وأن البقاء في هذا العالم يتطلب مرونة كالتي يتحلى بها الثعبان الذي ينسل من جلده حينما يحتاج إلى النجاة . هنا يأتي دورك في ترويج الفساد ، ليس كفضيحة مخفية في الظلام ، بل كجزء من الواقع اليومي ، يُصبح مألوفًا حتى لا يثير أي دهشة أو استغراب .

تبدأ اللعبة بتحويل الفساد إلى روتين ، إلى شيء طبيعي لا يُثير القلق . تُنظم الأمور بحيث يصبح كل شيء قابلا للبيع : الوظائف ، العقود ، المناقصات ، وحتى القرارات. تحرر نفسك من القيود الأخلاقية ، وتحول نظام الحكم إلى سوق مفتوح ، حيث الكل يعرف أن النجاح لا يأتي من الجدارة أو الكفاءة ، بل من القدرة على الدفع لمن بيده الأمر. تُغرق النظام بالقوانين واللوائح التي تجعل من الفساد أمراً معقداً لدرجة أن أحداً لا يستطيع فهمه بالكامل ، وتترك المجال مفتوحًا للتلاعب تحت ستار التعقيد القانوني .

وتعلم أنك لا تستطيع تحويل الفساد إلى سلوك طبيعي دون تغيير في العقول والنفوس . تبدأ بتسريب القصص ، تلك القصص التي تجعل من الراشي والمُرتشي أبطالا شعبيين . تُصور الأمر وكأنه لعبة ، يُشارك فيها الجميع ، وكأن الفساد هو الطريقة الذكية لتحقيق النجاح في هذا العالم

الصعب. في كل مرة يسمع الناس عن صفقة مشبوهة، أو عن مسؤول يثرى بين ليلة وضحاها، يتحول الخبر إلى نكتة تُتداول في المقاهي، يُصبح موضوعًا للتندر وليس للاستهجان.

ثم تأتي مرحلة تعميم الفساد. تُتيح للجميع فرصة المشاركة في اللعبة، من أصغر موظف إلى أكبر مسؤول. تُغريهم بالمال السهل، بالمناصب السريعة، بالنجاح الذي لا يحتاج إلى جهد أو تعب. تجعل من الفساد أمرًا مغريًا، بابًا مفتوحًا أمام كل من يجرؤ على عبوره. وفي كل مرة يُقبل فيها شخص جديد على هذه اللعبة، يُصبح الفساد أكثر تجذرًا، أكثر قبولا، حتى يتغلغل في نسيج المجتمع، ويُصبح كالدخان الذي يتنفسه الجميع دون أن يشعروا به.

ومع مرور الوقت، تُدرك أن الفساد لم يعد مجرد سلوك منحرف، بل أصبح الثقافة السائدة، النمط الذي يتبعه الجميع. لم يعد هناك من يُفكر في الإصلاح، لأن الإصلاح يعني كسر القواعد التي أصبحت بديهيات. تُصبح الشفافية نكتة، والمساءلة مجرد شعار أجوف. في هذا العالم، الفساد لم يعد يستحق التستر عليه، بل يُحتفى به كعلامة على النجاح والذكاء. وكلما تعمق الفساد، كلما ازدادت قبضتك على السلطة، لأنك تعرف جيدًا أن الجميع مشارك في اللعبة، والجميع متورط، ولا أحد يستطيع الاعتراض دون أن يكشف عن نفسه.

لكن الجمال الحقيقي في هذا القانون يكمن في تحويل الفساد إلى حالة ذهنية، إلى قناعة بأن الفساد هو الطريق الوحيد للبقاء. تُلقن الناس أن الأمانة والنزاهة ليست سوى مفاهيم عفى عليها الزمن، وأن الذكاء الحقيقي يكمن في القدرة على استغلال النظام لتحقيق المكاسب. تُصبح الحياة في ظل الفساد نوعًا من البقاء للأقوى، سباقًا يتفوق فيه من يعرف كيف يلعب اللعبة، وكيف يستغل كل ثغرة وكل فرصة لتحقيق مصالحه.

وفي هذا العالم الجديد، تتحول أنت من قائد إلى ما يشبه العراب، الكل يأتي إليك طلبًا للمشورة أو للحماية، يعرفون أنك تتحكم في مفاتيح

اللعبة، وأنك الوحيد القادر على ضمان استمراريتهم في هذا النظام الفاسد. كلما زاد الفساد، كلما ازداد اعتمادهم عليك، وكلما ازداد اعتمادهم عليك، كلما ازدادت قوتك.

وهكذا، تجد نفسك محاطًا بجدران من الفساد الذي روجت له بذكاء. جدران تحميك من أي محاولة للإصلاح أو التغيير، وتضمن لك البقاء في موقعك دون منازع. لم يعد هناك من يجرؤ على التحدث عن النزاهة أو الشفافية، لأن الكل يعرف أن الفساد هو السائد، وهو الذي يُدير الأمور. وتعلم أنه طالما بقيت الأمور على هذا الحال، فإنك ستبقى في قمة الهرم، تتحكم في اللعبة، وتجعل من الفساد ليس مجرد عادة، بل ثقافة متجذرة في كل زاوية من زوايا المجتمع.

"قانون ترويج الفساد" ليس مجرد وسيلة لتحقيق المكاسب السريعة، بل هو استراتيجية متكاملة تحول الفساد إلى نظام حياة، إلى ثقافة يتبناها الجميع ويقبلها الجميع. إنه السلاح الأقوى في يد من يريد البقاء في السلطة إلى الأبد، دون خوف من المساءلة أو العقاب. إنه القانون الذي يجعل من الفساد أمرا طبيعيا، عاديا، لا يثير أي دهشة، بل يُقبل كجزء من الواقع الذي يعيشه الجميع.

٤١- قانون الشك: أبقِ الجميع في حالة شك دائم بشأن نواياك وسياساتك.

في متاهات السياسة الملتوية العراقية، حيث تُصنع القرارات كما تُنسج الأحاجي المعقدة، يظهر "قانون الشك" كواحد من أكثر الأسلحة فاعلية ودهاءً في ترسانة القادة الذين يتقنون فنون الحكم من خلف الستائر. إنه القانون الذي يحول الغموض إلى قوة، واليقين إلى ضعف، ويجعل من الشك غيمة دائمة تظلل كل من يحاول الاقتراب من الحقيقة.

تخيل نفسك زعيمًا محنكًا، قد اختبرت جميع السبل في إدارة السلطة، ووجدت أن أعظم وسيلة للحفاظ على نفوذك ليست القوة الظاهرة أو الخطط الواضحة، بل تلك اللحظة الحرجة التي يتساءل فيها الجميع عن نواياك الحقيقية. حينما تُبقي الجميع في حالة من الشك، تُصبح أنت اللغز الذي لا يمكن حله، والمعادلة التي لا يمكن فهمها.

تبدأ اللعبة بتوجيه إشارات متناقضة، تتحدث بلغة مزدوجة، تجعل كلماتك كالسيف ذي الحدين، تُفسر على أكثر من وجه ولا تُفهم بشكل كامل. في خطابك العلني، تلمح إلى سياسات جديدة قد تكون إصلاحية، ولكنك في الوقت نفسه تُبقي الغموض سيد الموقف. تقول إنك تفكر في تغيير كبير، ولكنك لا تحدد ما إذا كان هذا التغيير نحو الأفضل أم الأسوأ. تُطلق الوعود، ولكنها وعود مشروطة، مُعلقة في الهواء كفخ ينتظر أن يُغلق على من يحاول القبض عليه.

وفي الاجتماعات المغلقة، تُظهر جانبًا آخر، أكثر حدة وغموضًا. تُثير الشكوك حول نوايا المحيطين بك، تجعلهم يتساءلون عن ولائهم لك، وعن مدى معرفتك بما يخفونه في قلوبهم. تحرك رقعة الشطرنج دون أن تُخبر أحداً بخطتك التالية، تجعل الجميع يترقبون بحذر، يتساءلون عما إذا كنت ستخطو نحو الهجوم أو الدفاع. تُبقي كل الاحتمالات مفتوحة، وكل السيناريوهات ممكنة، بحيث لا يستطيع أحد أن يخطط لمواجهتك.

لكن اللعبة لا تتوقف هنا. تبدأ بترويج الإشاعات، تلك الهمسات التي تنتقل من فم إلى أذن كالنار في الهشيم، تُزرع في العقول كالبذور في التربة الخصبة، وتنمو لتصبح غابات من الشكوك التي تحيط بك من كل جانب. تُثير الشك في كل شيء: في نواياك، في ولائك، في خططك المستقبلية. تُطلق الإشاعات بأنك قد تعقد تحالفات جديدة، أو أنك تفكر في تغيير سياساتك جذريًا، أو حتى أنك قد تتخلى عن بعض مناصبك. وفي كل مرة تنتشر فيها هذه الإشاعات، تُبقي الجميع في حالة ترقب دائم، لا يعرفون ما إذا كانت هذه الإشاعات صحيحة أم مجرد دخان بلا نار.

وفي نفس الوقت، تُظهر للناس وجهاً آخر، تُبقي ملامحك جامدة، لا تظهر أي انفعالات أو تلميحات تكشف عما يدور في رأسك. تجعل من الصعب على أي شخص أن يقرأك، أن يفهم ما تفكر فيه. تبتسم في وجه من تود التخلص منه، وتُبدي الجدية مع من تثق به، تُربك الجميع بتصرفاتك المتناقضة، وتجعلهم يتساءلون في كل لحظة عما إذا كانوا يعرفونك حقًا أم أنك مجرد وهم صنعته عقولهم.

ومع مرور الوقت، يبدأ هذا الشك بالتغلغل في كل جوانب الحياة السياسية. تجد نفسك محاطًا بأشخاص لا يثقون في بعضهم البعض، ولا يستطيعون اتخاذ أي قرار دون العودة إليك. الشك يُصبح هو القاعدة، واليقين هو الاستثناء. كلما زادت الشكوك، زادت سيطرتك، لأنك الوحيد الذي يعرف الحقيقة، الوحيد الذي يعرف ما الذي سيحدث في الخطوة التالية.

لكن الجمال الحقيقي في "قانون الشك" هو أنه لا يتركك فقط في موقع القوة، بل يحميك أيضًا من أي تهديد خارجي. عندما يكون الجميع في حالة شك دائم، يصبح من المستحيل على أي شخص أن يجمع التحالفات ضدك، لأنهم لا يعرفون من يثقون به، ولا يعرفون ما إذا كانوا يتحركون في الاتجاه الصحيح أم أنهم يسيرون نحو الفخ الذي نصبته لهم. يصبح الشك درعك الذي يحميك من السهام التي لا تُطلق، لأن يد الرامي ترتجف، غير واثقة من هدفها.

دوماً تجد نفسك مُحاطًا بدائرة من الشكوك التي صنعتها بيديك. الشك أصبح الهواء الذي يتنفسه الجميع، والماء الذي يشربونه. ولكنك تعلم أن هذا الشك ليس ضعفًا، بل هو السلاح الذي يُبقيك في قمة الهرم، يُبقي الجميع في حالة من الترقب الدائم، يجعلهم يخافون من كل خطوة تخطوها، ويجعلهم يتساءلون في كل لحظة: "ماذا سيحدث بعد ذلك؟."

وفي لحظة صمت نادرة، تُدرك أن الشك الذي زرعته في قلوب الآخرين قد وصل إلى قلبك أيضًا. ولكنك تعرف أنه طالما بقي الجميع في حالة من الشك، فإنهم لن يتمكنوا من التحرك ضدك، ولن يتمكنوا من كسر الحصن الذي بنيته حول نفسك. وهكذا، تستمر اللعبة، ويستمر الشك في السيطرة على كل شيء، حتى يصبح الشك هو الحقيقة الوحيدة التي يؤمن بها الجميع.

٤٢- قانون الاستعانة بالخارج: لا تتردد في طلب الدعم الخارجي عند الحاجة، حتى لو على حساب سيادة الدولة.

في أروقة الحكم المعتمة العراقية، حيث تحاك الخيوط الدقيقة للسيطرة وتُغزل بألوان متعددة، يبرز "قانون الاستعانة بالخارج" كأحد أعمدة البقاء في هذا العالم المضطرب. هنا، حيث لا تعترف السياسة بحدود ولا تقف السيادة عائقًا أمام الطموح، يصبح الخارج أكثر من مجرد خيار، بل يتحول إلى ملاذ، إلى ورقة رابحة تُسحب في اللحظة المناسبة، لتغيير قواعد اللعبة.

الزعيم الحكيم، كما يُطلق عليه، يدرك أن النداءات الوطنية والشعارات الرنانة يمكن أن تملأ الفضاء، لكنها قد تفشل في جلب النتائج المرجوة عندما تكون الأزمات في ذروتها. عندئذ، ينقلب الزعيم إلى مهندس ماهر يعرف كيف يفتح النوافذ المغلقة، يدعُو الرياح الغريبة لتنعش أوراق شجرته المتذبذبة، حتى وإن كانت تلك الرياح قادمة من عواصف بعيدة قد تقتلع الجذور من عمق الأرض.

لا يعترف هذا القانون بمفاهيم عفا عليها الزمن مثل "السيادة" أو "الكرامة الوطنية"، فهي مجرد كلمات تُلقى في خطب المناسبات، بينما الحقيقة تدور حول مصالح أكثر عملية وبراغماتية. حين تشتد الأزمات وتصبح الحلول المحلية مجرد سراب، تجد القائد يمد يده خارج حدود الوطن، يبحث عن دعم يأتيه من وراء البحار. لا يهم إذا كان هذا الدعم مشروطًا أو مكبلا بالأصفّاد، المهم أن تأتي النتيجة التي تُبقيه على كرسيه المذهب.

لكن الاستعانة بالخارج لا تأتي بلا ثمن. مثل اللاعب الماهر في حلبة المقامرة، يعرف القائد أن عليه أن يقدم بعض التنازلات، أن يضع رقعته الوطنية على الطاولة، ليقايضها على المساعدات والقروض ووعود الدعم السياسي. تلك التنازلات تبدو في العلن كتنازلات بسيطة، وربما تُغلف بشعارات منمقة، لكنها في الكواليس تترك وراءها آثاراً لا تمحى، وتجعل من الوطن مجرد جزء صغير في لعبة دولية كبرى.

والمفارقة الكبرى تكمن في أن القائد، الذي يدعو إلى الوطنية والتمسك بالسيادة في كل مناسبة، هو نفسه من يفتح أبواب البلاد على مصاريعها للقوى الخارجية. يدعوهم باسم "الشراكة الاستراتيجية" أو "التعاون الدولي"، ويصفهم بـ"الأصدقاء الأعزاء" الذين يسعون لمصلحة الوطن. لكن الحقيقة الخفية التي لا يتحدث عنها أحد هي أن هؤلاء "الأصدقاء" يأتون بمطالبهم وشروطهم، يأتون ليفرضوا أجنداتهم على وطن أصبح في النهاية مجرد رقعة شطرنج في أيديهم.

ويستمر الزعيم في لعبته، يُنشد خطابات رنانة عن الاستقلال والسيادة، بينما يوقع في الخفاء على الاتفاقيات التي تجعل من دولته رهينة للقرار الخارجي. يعرف جيداً أن الاستعانة بالخارج ليست مجرد وسيلة لتجاوز الأزمة الحالية، بل هي سلاح ذو حدين، يمكّنه من البقاء في السلطة، ولكنه أيضًا يُسلم مفاتيح البلاد بيده إلى قوى لا تعرف سوى مصالحها.

لكن الزعيم لا يهتم طالما أن التوازن يميل لصالحه، طالما أن الخارج يقدم له الدعم الذي يعزز قبضته على الداخل. وعندما تُثار الأسئلة عن تلك التحالفات المشبوهة أو الصفقات السرية، يبتسم ابتسامته الباردة، ويقول إن الوطن بحاجة إلى الدعم في هذه الأوقات الصعبة. ثم يمضي قُدمًا في طريقه، غير عابئ بالصرخات التي تتعالى في الأفق، لأنه يعلم أن من يملك القوة لا يحتاج إلى تبرير أفعاله.

ويتحول قانون الاستعانة بالخارج إلى نهج دائم، جزء لا يتجزأ من سياسة البقاء. الوطن يصبح مثل البيت القديم الذي يحتاج دائمًا إلى ترميم، ولكن الترميم يأتي من أيدي الغرباء الذين لا يعرفون تفاصيله ولا يعيرون اهتمامًا لتاريخه. ويظل القائد واقفًا عند البوابة، يراقب الداخل والخارج، يُوازن بين المصالح ويُقايض بالمبادئ، يعلم أنه طالما بقيت القنوات مفتوحة، يمكنه دائمًا أن يمد يده عبر الحدود ليحصل على ما يريد، حتى لو كان الثمن هو سيادة الدولة نفسها.

لكن السؤال الذي يظل معلقًا في الهواء، والذي يتهامس به الجميع في الخفاء: إلى متى يمكن لهذا الزعيم أن يستمر في بيع قطع من وطنه مقابل استمراره؟ وإلى أي مدى سيقبل الخارج أن يدعمه قبل أن يطالب بنصيبه الكامل من الكعكة؟ يعرف الزعيم أن الوقت ليس في صالحه، لكنه يعلم أيضًا أن اللعبة لم تنته بعد، وأنه ما دام قادراً على تحريك القطع، سيظل يلعب، يمد يده عبر الحدود، ويجلب من الخارج ما يعزز سلطته، حتى لو أدى ذلك في النهاية إلى جعل الوطن مجرد تابع صغير في لعبة أكبر بكثير من حجمه.

وفي عالم السياسة حيث لا توجد ضمانات دائمة، يبقى الزعيم واقفًا على حافة الهاوية، مستعداً دائمًا لمد يده طلبًا للعون، غير عابئ بما يتركه وراءه من آثار. يظل يمسك بالحبال المتشابكة بين الداخل والخارج، يعرف أن الاستعانة بالخارج قد تكون سلاحًا فعالا، لكنها أيضًا قد تكون الحبل الذي يُلف حول عنقه في النهاية.

٤٣- قانون الاحتفاظ بالأسلحة: احتفظ بمليشيات مسلحة خارج إطار الدولة لضمان نفوذك.

في المشهد السياسي العراقي المترامي الاطراف، حيث تتشابك المصالح كما تتشابك الأفاعي في سلة واحدة، ينبثق "قانون الاحتفاظ بالأسلحة" كأحد أكثر القوانين جاذبيةً لأولئك الذين يتقنون لعبة الحكم. في هذا العالم المتقلب، لا تكفي الخطابات الرنانة والشعارات البراقة لضمان السيطرة؛ بل هناك حاجة إلى قوة حقيقية، قوة تمسك بزمام الأمور من خلف الستار، وتُرهب من يحاول الاقتراب أكثر مما يجب. هنا، يصبح السلاح ليس مجرد أداة للقتال، بل هو بطاقة التأمين الوحيدة التي تضمن بقاءك في دائرة النفوذ.

كما تُخبأ الأحجار الكريمة بعيداً عن الأعين، تحتفظ بفصيل مسلح خارج إطار الدولة، بعيداً عن أنظار القانون، ولكنه قريبٌ بما يكفي لتذكير الجميع بأنك لست وحدك في هذا الميدان. هذه المليشيات ليست مجرد جنود مدججين بالسلاح؛ إنها ذراعك الطولى، القابضة على عنق أي خطر يتهددك، والصوت المزلزل الذي يتحدث عندما تعجز الكلمات عن إيصال الرسالة.

ولأن لعبة السياسة ليست سهلة المنال، تفهم منذ اللحظة الأولى أن البقاء في قمة الهرم لا يعتمد على القوانين أو الدساتير، بل على ذلك الخوف الدفين الذي يُزرع في قلوب خصومك. تعرف أن الدولة، بجيشها وقواتها الأمنية، ليست سوى واجهة، وأن القوة الحقيقية تكمن في تلك المليشيات التي لا يُسجل وجودها على الورق، ولكنها حاضرة في كل زاوية، تنتظر إشارة منك لتتحرك.

مثل المهندس الذي يبني قلاعًا من الرمال، تُنشئ تلك المليشيات بحذر، تختار أفرادها بعناية، تُقدم لهم الوعود بالإغراءات، وتجعلهم يدينون لك بالولاء التام. يعرفون أن مصيرهم مرتبط بمصيرك، وأن سلاحهم هو

مفتاح قوتهم وبقائهم. تُغذيهم بالأسلحة كما تُغذي النار بالوقود، وتُبقيهم على أهبة الاستعداد في كل لحظة.

لكن هذا القانون لا يقتصر على مجرد الاحتفاظ بالقوة، بل يتعداه إلى استخدام تلك القوة في الوقت المناسب. حينما يُهدد خصومك بإسقاطك، أو حينما تشعر أن سلطتك تتراجع، تُطلق العنان للمليشيات، تجعلهم يظهرون من الظلال، ليذكروا الجميع بأنك لست مجرد زعيم سياسي، بل أنت من يمسك بالزناد. وهكذا، يُعاد ترتيب الأوراق، يعود الخوف ليسيطر، وتظل الكلمة الأخيرة لك وحدك.

وفي الوقت نفسه، تعرف أن عليك الحفاظ على التوازن. فلا يجوز أن تظهر هذه القوة للعلن بشكل فج، كي لا تثير حفيظة المجتمع الدولي أو حتى حلفائك داخل الدولة. تحافظ على توازن دقيق بين إظهار القوة وإخفائها، تجعل الجميع يتساءلون عن مدى سيطرتك على هذه المليشيات، دون أن يعرفوا الإجابة الحقيقية. هذا الشك هو جزء من خطتك الكبرى، وهو ما يُبقي الجميع في حالة ترقب دائم، غير قادرين على تحديك بشكل مباشر.

وكما يتقن الحاوي فنون الإلهاء، تُبدع في إخفاء آثار تحركاتك. تُغطي على عملياتك بالإشاعات والمعلومات المتضاربة، تجعل من الصعب على أي شخص تتبع خيوطك. وفي كل مرة يتحرك فيها رجالك، تبدو الأمور وكأنها حدثت من تلقاء نفسها، وكأن لا أحد يقف وراءها. هكذا، تظل في مأمن من أصابع الاتهام، ويظل الجميع يتساءل عن يدك الخفية التي تحرك الأمور من خلف الستار.

وبينما تستمر اللعبة، تُدرك أن هذه المليشيات ليست مجرد وسيلة لحمايتك، بل هي جزء من هويتك السياسية. إنها الصورة التي تُرسخها في أذهان الجميع: صورة الزعيم الذي يمتلك القوة، ليس فقط من خلال القانون والدستور، بل من خلال تلك القوة الخفية التي لا يعرفها إلا المقربون منك. وتصبح هذه القوة جزءاً لا يتجزأ من نظام حكمك، تُبقيك

في قمة الهرم، تُعطيك الهيبة التي تحتاجها، وتجعل من الصعب على أي شخص تحدي سلطتك.

لكن الزمن لا يرحم، وأنت تعلم أن الاعتماد على القوة وحدها ليس كافيًا. لذلك، تستمر في تطوير هذه المليشيات، تحدث أسلحتها، تُدرب أفرادها، وتُبقيهم في حالة من الاستعداد الدائم. تعلم أنهم ليسوا مجرد رجال يحملون البنادق، بل هم ترسانة متحركة تضمن بقاءك، مهما كانت التحديات التي تواجهك.

لا يمكن لقانون الاحتفاظ بالأسلحة أن يكون مجرد سياسة عابرة؛ إنه فلسفة حكم، استراتيجية تُبقيك في موقع القوة، وتحميك من تقلبات الزمن. إنه القانون الذي يجعل من السلاح ليس مجرد أداة، بل ضمانًا بأنك ستبقى في موقعك، مهما تعالت الأصوات من حولك، ومهما حاول البعض إسقاطك. بهذا القانون، تمسك بالزمام، وتُبقي الجميع تحت عينك الساهرة، يتساءلون عما إذا كان بإمكانهم مجابهة تلك القوة الخفية التي تحمي عرشك، وتُبقيك سيد الموقف بلا منازع.

٤٤- قانون الاستفادة من الأزمات :استغل الأزمات لتحقيق مكاسب سياسية واقتصادية .

حينما تتوالى السماء بغيوم الأزمات وتُقبل الرياح العاتية على ساحات الحكم ، يدرك القادة العراقيين أن اللحظات العاصفة ليست إلا فرصة متخفية بزي الكارثة .إن "قانون الاستفادة من الأزمات" هو الأدوات الخفية التي تُتيح لمن يتقن فن الخداع أن يحول الفوضى إلى مكاسب ، والخوف إلى نفوذ .وبينما يتعثر الآخرون في فخاخ الاضطراب ، يجلس القائد المتفكر على عرشه ، يتأمل المشهد من زاوية مختلفة ، يتلمس تلك الثغرات التي يمكن استغلالها لمزيد من التمكين .

الأزمات ، مثل السكاكين ذات الحدين ، يمكن أن تقطع وتؤلم ، لكنها أيضًا يمكن أن تُستخدم بحكمة لفتح الأبواب الموصدة. في لحظات الهلع الجماعي ، عندما تهتز الأرض تحت أقدام العامة ويضطرب الميزان ، تفتح أمام السياسي أبواب لم تكن لتُفتح في الأوقات العادية. يمسك بزمام الأمور وكأنه قائد أوركسترا يعزف على وتر الأزمة ، يُعيد توزيع الأدوار وينسج سيناريوهات تُصبغ بطابع الاستفادة المطلقة .

ما يميز هذا القانون عن غيره هو الفهم العميق لطبيعة الأزمات؛ تلك اللحظات التي تتخلى فيها الجماهير عن تفكيرها العقلاني وتصبح مثل الطين اللين في يد من يعرف كيف يُشكلها .لا حاجة لإقناع الناس بالخضوع عندما يطغى الخوف ، فهم بأنفسهم يهرولون نحو القائد الذي يُظهر لهم أنه يملك الحلول .في هذه اللحظات ، يتحول الزعيم إلى ذلك المنقذ الذي ينزل من السماء ، ولكن بيد تحمل العصا والجزرة معاً .

الاستفادة من الأزمات لا تقتصر على تعزيز النفوذ السياسي فقط ، بل تمتد إلى الأبعاد الاقتصادية ، حيث يُعيد الزعيم ترتيب الأوراق على الطاولة . تُصدر قرارات طارئة تحت ذريعة حماية الاقتصاد الوطني ، بينما هي في الحقيقة تحكم قبضته على مفاصل الاقتصاد ، يُوزع الثروات بشكل يعزز من ولاء رجال الأعمال الذين يعرفون من أين تهب الرياح .يُعلن عن

مشاريع ضخمة تحت مسمى إعادة الإعمار أو تعزيز البنية التحتية، لكن تلك المشاريع غالبًا ما تكون مجرد واجهة تُخفي خلفها صفقات رابحة تُعقد في الغرف المغلقة.

في خضم الأزمة، تتحول الجداول إلى أنهار من الفرص. تُفرض الضرائب الجديدة، تُرفع الأسعار، وتُخفض الرواتب، ولكن تحت ستار حماية الوطن من الانهيار. ولأن الأزمة تُغشي البصر وتُربك العقول، يتقبل الناس هذه التضحيات وكأنها ضريبة النجاة، دون أن يدركوا أنهم يدفعون أكثر مما يحصلون عليه.

وتأتي اللحظة الحاسمة عندما يبدأ السياسي في توسيع صلاحياته، يمرر القوانين التي كانت ستُواجه معارضة شديدة في الظروف العادية، لكنه الآن يجد الطريق ممهدًا. يُعلن حالة الطوارئ، يُصدر الأوامر التنفيذية، يُقيّد الحريات، ويُبرر كل ذلك بالضرورة الوطنية. ولأن الخوف من المجهول يُعمي البصيرة، يصفق له الناس ويهتفون باسمه، غير مدركين أنهم قد سلموا مقاليد أمورهم لمن يُتقن فن التحكم في الأزمات.

وكما يعرف المزارع أن البذور تحتاج إلى تربة خصبة لتنمو، يعرف الزعيم أن الأزمات هي التربة المثالية لزرع طموحاته. في هذه الفترات الحرجة، يُقلم الأجنحة المتمردة ويُطيل من أذرعه في كل زاوية. وعندما تبدأ الأزمة بالانحسار، يكون قد حصّن مواقعه، ووضع الأسس لمزيد من السيطرة.

لكن الذكاء الحقيقي يكمن في عدم الاكتفاء بالمكاسب الفورية؛ الزعيم الذي يتقن هذا القانون يعلم أن كل أزمة تفتح الباب أمام أخرى. ولذا، يبقى متيقظًا، يترقب الأزمات المستقبلية، يُخطط لكيفية تحويلها إلى فرص جديدة، ويُعد العدة لاستغلالها بالشكل الأمثل.

فكما أن النحات يرى في كل قطعة حجر فرصة لخلق تمثال جديد، يرى الزعيم في كل أزمة فرصة لإعادة تشكيل واقعه بما يتناسب مع طموحاته. لا يضيع وقتًا في الشكوى أو التردد؛ فالأزمات، في نظره، ليست سوى بوابات جديدة لعالم من النفوذ والسيطرة.

وفي النهاية، يدرك الجميع أن السياسي قد خرج من الأزمة أقوى مما كان، وأنه قد نجح في تحويل رياح الفوضى إلى أشرعة تُبحر بسفينته نحو شواطئ الأمان. ما كانت كارثة في أعين الآخرين، أصبحت في يده أداة لتحقيق غاياته. وهكذا، يبقى قانون الاستفادة من الأزمات ركنًا أساسيًا في فلسفة الحكم، سلاحًا يُستخدم في الخفاء، لا يراه إلا من يُجيد قراءة ما وراء السطور..

٤٥-قانون الإشغال :أشغل الشعب بمشاكل جانبية ليتجاهلوا القضايا الكبرى .

في عالم السياسة العراقية المتشابك كشبكة عنكبوت ضخمة ، حيث يتقن الساسة فنون الإلهاء كما يتقن الساحر حيله ، يظهر "قانون الإشغال" كأداة فريدة بيد أولئك الذين يعرفون أن التحكم في العقول لا يأتي بالحقيقة بل بالوهم. في هذا المسرح الواسع ، حيث تُسلط الأضواء على مشهد جانبي ، هناك دائمًا ما يشغل الناس عن القضايا الحقيقية ، قضية تافهة تُضخم ، جدل عقيم يُثار ، بينما تظل الأمور الجوهرية مخفية في العتمة ، حيث لا تصل إليها الأعين .

لا يحتاج السياسي إلا إلى بضع كلمات ليحول اهتمام الشعب عن أزمة مستعصية إلى نقاشات لا طائل منها . مثل المايسترو الذي يُدير أوركسترا بلا آلات ، يمسك بيده عصا الإلهاء ، يُحرك بها الجماهير كما يُحرك اللاعب أحجار الدومينو . فما الذي يثير اهتمام العامة أكثر من شائعة جديدة ، أو فضيحة صغيرة تُثير جدلاً واسعًا؟ بينما في الخلفية ، تتوالى الأحداث الكبرى دون أن يلتفت إليها أحد .

الذكاء الحقيقي يكمن في انتقاء القضايا التي تُشغل الناس عن الهموم الكبرى . ليست كل قضية تصلح للإلهاء ، يجب أن تكون مثيرة بما يكفي لتشعل النقاشات ، لكنها خالية من الجوهر. تثير الجدل دون أن تثير الأسئلة المهمة .ربما تدور المعركة الإعلامية حول لون الزي المدرسي الموحد ، أو حول قرار ثانوي يتصل بالحفلات الموسيقية في الساحات العامة ، بينما تتراجع في الخلفية أخبار الفساد المستشري أو الفقر المتفاقم .

ولا يتوقف الأمر هنا . بل يتم إطالة عمر هذه القضايا الجانبية بكل الطرق الممكنة . تُضخم الأمور ، تُسرب معلومات متناقضة ، يُدعى خبراء لتحليل اللاشيء ، ويُقدم كل هذا للشعب في علب براقة ليستهلكوه بشغف . الجميع يتحدثون ، يناقشون ، يختلفون ،" ويعتقدون أنهم

يمارسون دورهم كمواطنين فعالين، بينما هم في الواقع يدورون في حلقة مفرغة من التفاهات.

أما القضايا الحقيقية، فتظل كامنة كوحش نائم في كهوف النسيان. لا يتحدث أحد عن البيروقراطية التي تخنق البلاد، أو عن الفجوة الهائلة بين الأغنياء والفقراء. لا أحد يلتفت إلى الأزمات الاقتصادية التي تقضم حيوات الناس ببطء. كل هذه القضايا تبقى على الهامش، لأن الجميع مشغولون بحروب صغيرة حول مسائل لا تمس جوهر حياتهم.

في مشهد آخر، يجلس الزعيم في قصره الفخم، يُراقب المشهد بدهاء. يرى كيف ينشغل الشعب بأمور هامشية، كيف ينساق وراء قضايا تافهة، وكيف ينسى الأهم. يبتسم بينه وبين نفسه، مدركًا أن هذه اللعبة لا تحتاج إلى مجهود كبير؛ فقط شعلة صغيرة من الجدل تكفي لتشتعل نيران الإلهاء. ووسط هذا الصخب، يمرر القوانين ويعقد الصفقات، ولا أحد يلاحظ.

وبينما يستمر الناس في النقاشات العقيمة، يتساءل قلة قليلة عن المغزى من كل هذا. لكن أصواتهم تُخنق وسط الضجيج، فلا يسمعهم أحد. يعرف السياسي أن هذه الأصوات المنطقية تشبه تلك الصرخة التي تُطلق في الفراغ، لا يلتفت إليها إلا من يعرف ما يدور حقًا. وهكذا تستمر اللعبة، يمسك الزعيم بالخيوط، والناس يرقصون على أنغامه.

لا أحد يتساءل متى ستنتهي هذه الدوامة. لا أحد يدرك أن المشاكل الحقيقية تُركت لتتعفن بينما يتلهى الجميع بالواجهات الزائفة.

وفي النهاية، يُدرك الجميع أن قانون الإشغال ليس مجرد تكتيك سياسي، بل هو فن يُتقنه من يريد السيطرة، فن يبقي الجميع مشغولين بالقشور بينما تغيب عنهم الحقيقة. إنه ذلك السحر الذي يحول القضايا الصغيرة إلى حواجز أمام التفكير في القضايا الكبيرة، تلك التي تمس حياتهم بعمق. وبهذا، يبقى الزعيم في موقعه، يُدير المشهد كما يشاء، والناس لا يزالون يتجادلون حول أمور لا تسمن ولا تغني من جوع.

٤٦- قانون التنصل من الوعود : بعد الانتخابات، أنسَ كل ما وعدت به.

في دهاليز السياسة العراقية، حيث يَعدُ الزعماء بحوراً من الأحلام، لكنها تذوب في رمال الواقع القاسي فور انتهاء الانتخابات. هذا هو "قانون التنصل من الوعود" الذي يُعتبر من أكثر الأدوات براعة في يد السياسيين، خاصة في مشهد معقد كالمشهد العراقي، حيث تتداخل المصالح وتتصارع الأحزاب والطوائف.

عندما تدق ساعة الانتخابات، يتحول الساسة إلى شعراء، تُطلق الكلمات من أفواههم كالأسهم في الهواء، تحلق عالياً، تُلمع كالنجوم، لكنها في الواقع لا تسقط على الأرض إلا كهباء منثور" .سنصلح البنية التحتية، سنوفر فرص العمل للشباب، سنعيد بناء البلاد من جديد"، عبارات تتكرر في كل دورة انتخابية، وتُسمع في كل زاوية من شوارع بغداد، البصرة، الموصل، وكأنها وعود قادمة من عهد قديم.

لكن، ما إن تُغلق صناديق الاقتراع، حتى يُغلق دفتر الوعود .ما قيل بالأمس يُصبح جزءاً من الماضي، تُستبدل لغة الحملة الانتخابية بلغة الحكم الواقعية، لغة تستعين بالتعقيدات السياسية، التحالفات غير المستقرة، والمصالح المتناقضة لتبرير التنصل من كل ما وُعد به" .الأوضاع الأمنية لم تسمح"، "الميزانية كانت محدودة"، "الأطراف الأخرى تُعرقل الإصلاحات"، هكذا تُسوّق الأعذار، وكأنها حقائق لا تقبل الجدال.

في العراق، حيث أرهقت الحروب والأزمات البلاد، تعرف الطبقة السياسية كيف تُدير اللعبة ببراعة .بينما ينتظر الشعب تنفيذ الوعود، ينشغل الزعماء بتوزيع المكاسب بين الحلفاء، بإرضاء هذا الطرف أو ذاك، والحفاظ على التوازن الدقيق بين الطوائف والقوى الخارجية التي لا تخفى على أحد .ما يهم ليس الوفاء بالوعود، بل البقاء في السلطة، إدارة اللعبة بحيث تظل الكلمة الأخيرة في يد من يمسك بالخيوط.

والشعب، الذي اعتاد على سماع الوعود الفارغة، يبدأ في التساؤل" : أين الوعود؟ متى سنرى التغيير؟ "لكن الإجابة تأتي دائماً بنفس البرود: "الأمور معقدة، عليكم بالصبر ."تلك الصبر الذي يتحول مع الوقت إلى سخرية، إلى نكات يتداولها الناس في المقاهي، حول تلك المشاريع العملاقة التي لم تتجاوز بعد الورق، وحول تلك الأحياء التي وُعدت بأن تتحول إلى جنات على الأرض، لكنها ما زالت غارقة في المياه الآسنة.

ويعلم الزعيم، الذي أصبح يتقن اللعبة بعد دورات عديدة من الانتخابات، أن ذاكرة الشعب قصيرة، وأن الأزمات المتتالية تُغطي على بعضها البعض، تُخفي الوعود القديمة تحت ركام من الأزمات الجديدة. يُغطي على فشله بإشغال الناس بمشاكل جانبية، يُثير قضايا جديدة ليصرف النظر عن قضايا الأمس، ويظل يجدد وعوده كلما اقتربت دورة انتخابية جديدة، وكأن كل شيء سيبدأ من جديد.

وفي النهاية، يُصبح قانون التنصل من الوعود جزءًا لا يتجزأ من اللعبة السياسية العراقية .الشعب يعلم أن الوعود ستُنسى، لكنهم يستمعون لها مرة أخرى، ربما على أمل أن يتحقق شيء منها، أو ربما لأنهم اعتادوا على هذه اللعبة .وهكذا، تستمر الدورة، تتكرر الوعود، تتجدد الأحلام، لكن النتائج تظل كما هي، مجرد كلمات في الهواء، لا تملك من القوة إلا تلك التي يُعطيها إياها من يُلقيها.

٤٧- قانون التفرقة بين الناس : اشعل الخلافات بين فئات الشعب لتبقى أنت الجامع الوحيد.

في دهاليز الحكم المظلمة العراقية، حيث تُنسج المؤامرات بدقة وخبث، ينبثق "قانون التفرقة بين الناس" كأحد أذكى الأدوات في يد القائد الذي يتقن فن البقاء. إنه ليس مجرد حيلة سياسية، بل هو فن عتيق، يمارسه القائد كما يمارس الحاوي حيله، فيُبقي الجميع في حالة من التوتر والترقب، متيقظين لأي حركة يقوم بها جيرانهم، مترقبين لأي همسة قد تزرع بذور الفتنة بينهم.

في البداية، لا تحتاج إلا لبضع كلمات تُلقى في الهواء كالبذور، تتلقفها الرياح وتزرعها في تربة الشك. ربما تقول: "أترى هؤلاء الجيران؟ إنهم ليسوا كما يدعون، لديهم أجنداتهم الخاصة". مثل هذه الكلمات، وإن بدت بسيطة، تُشعل النار في الهشيم. يتحول القريب إلى غريب، والغريب إلى عدو. هكذا تُزرع الفتنة، تنمو كالأشواك بين الحقول، تشق الصفوف، وتُفرق بين الناس.

لكن السياسي يعرف جيداً أن الفتنة لا تنمو وحدها، تحتاج إلى تغذية مستمرة، إلى سكب الزيت على النار من حين لآخر، حتى لا تنطفئ. يرسل بين الفئات مندسين، يُثيرون القضايا التي تبدو تافهة في ظاهرها، لكنها تحمل في طياتها بذور الفتنة. ينشغل الناس بتلك القضايا، يتجادلون حولها بعنف، بينما تظل القضايا الكبرى غائبة، مغطاة بدخان النزاعات الصغيرة.

لكن المكر الحقيقي يظهر عندما يتدخل السياسي بنفسه، يظهر بمظهر المنقذ، الجامع الوحيد بين الأطراف المتصارعة. يُقدم نفسه كصوت العقل، كالحكمة التي تأتي عندما تتوه العقول في دوامة التفرقة. يظهر على المنصة، يخاطب الناس بصوته الرخيم، يقول لهم: "كفاكم خلافًا، الوطن أكبر من هذه التفرقات الصغيرة". فيهدأ الجميع، يشعرون بأن القائد هو الحبل الذي يجمعهم، الصخرة التي تستند إليها الأمة.

ولكن خلف هذا القناع الهادئ، يظل السياسي يراقب بحذر، يُعيد إشعال الفتن كلما بدأ الناس بالتقارب. يعرف أن بقاءه يعتمد على هذه اللعبة الخطيرة، على إبقاء الجميع في حالة من الشك والترقب. في كل مرة يبدو أن الأمور قد تهدأ، يُلقي بتصريح غامض، أو يُشعل جدلا جديداً، ليعيد الجميع إلى حالة التوتر.

ويتعلم الناس مع الوقت أن العيش في ظل التفرقة هو الوضع الطبيعي، أنهم لن يجدوا الأمان إلا تحت جناح السياسي. يشعرون بالخوف من بعضهم البعض، يتجنبون الحديث عن القضايا الكبرى، ويركزون على النزاعات الصغيرة التي لا تنتهي. وفي هذه اللعبة المعقدة، يتحول القائد إلى سيد اللعبة بلا منازع، يمسك بخيوط المجتمع، يُحركها كما يشاء، يُبقي الجميع في حالة من الصراع المستمر.

ولكن ما لا يدركه الناس هو أن هذا الوضع ليس إلا دائرة مفرغة، يدورون فيها بلا هدف، يبحثون عن مخرج لا وجود له. والسياسي، الذي يبدو وكأنه المنقذ، هو في الحقيقة من يُدير هذه الدائرة، يُبقيهم متفرقين حتى يظل هو الوحيد الذي يمكنهم الثقة به.

وفي النهاية، يُصبح "قانون التفرقة بين الناس" أكثر من مجرد أداة سياسية؛ إنه استراتيجية للبقاء، وسيلة تجعل السياسي هو الجامع الوحيد في بحر من التفرقة. يبقى السياسي في موقعه، يراقب الناس وهم يتصارعون على الفتات، بينما هو وحده يحتفظ بالخبز كله.

٤٨- قانون التبجيل الزائف : ازرع حولك أشخاصًا يمجدونك باستمرار ويثنون على قراراتك.

في قصور السلطة العراقية، حيث تُكتب القرارات على جدران من رخام، وتُلقى الكلمات في هواء مُشبع بالعطور الثقيلة، يبرز "قانون التبجيل الزائف" كأحد أكثر الأسلحة نفوذًا وتأثيراً في ترسانة من يريد البقاء على القمة. إنه قانون لا يُكتب في الدساتير ولا يُعلن في الخطب، ولكنه يعمل في صمت، كرياح لينة تحمل معها رائحة الزهور المسمومة.

السياسي الذي يُتقن هذا الفن، لا يحتاج إلى ذكاء خارق أو رؤية ثاقبة؛ يكفيه أن يعرف كيف يُحيط نفسه بمن يُجيدون فن التبجيل، أولئك الذين يتقنون لعبة الثناء كما يتقن الطائر غناءه. هؤلاء لا يُسمون مستشارين أو خبراء، بل يُطلق عليهم في الخفاء "أوركسترا المدح"، جوقة تُردد على مسامع الزعيم كل صباح ما يحب أن يسمعه، كلمات تتكرر بلا ملل، تجعل الأذن تطرب والقلب يرقص على أنغامها.

ليس هناك مكانٌ أفضل لتنفيذ هذا القانون من المجالس الخاصة، حيث يجلس السياسي على كرسيه المذهب، وأمامه يجلس هؤلاء المادحون، يُلقون عليه ألوانًا من الثناء وكأنها قلائد تُزين عنقه. "ما أذكاك! ما أروع قراراتك! يا له من عبقريتك الفذة!". تُطلق الكلمات كالسحر، تتطاير في الهواء، تُشكل هالة من القداسة حول السياسي، تجعله يشعر بأنه ليس كغيره من البشر، بل هو أسمى، وأرفع.

وفي الوقت نفسه، يعرف هؤلاء المتملقون جيداً أن دورهم ليس مجرد ترديد كلمات جوفاء، بل هم يُحترفون فنون التلاعب بالمشاعر. يُشعرون الزعيم بأنه صانع التاريخ، بأنه صاحب الفضل في كل خطوة إلى الأمام، وبأن أي انتقاد له ليس إلا غيرة من عظمتهم. يُخلقون جواً من الرهبة حول شخصه، يجعل من أي شك في قراراته خيانةً تُعرض صاحبها للعنة الإبعاد من الدائرة المقربة.

لكن العبقرية الحقيقية في هذا القانون تكمن في خلق هالة لا يستطيع الزعيم نفسه أن يراها على حقيقتها . فمع مرور الوقت، يُصدق الزعيم هذا التبجيل، يبدأ في رؤية نفسه من خلال أعين هؤلاء الذين لا يعرفون سوى لغة الثناء . يشعر وكأن قراراته مُنزلة من السماء، وكأن خطأه غير ممكن . يتحول كل قرار، مهما كان تافهًا أو عاديًا، إلى حدث تاريخي، يُكتب في صفحات المستقبل بأحرف من ذهب .

ولكن هذا التبجيل الزائف لا يقتصر على الكلمات وحدها؛ إنه ينتقل إلى الأفعال . تُدار الاجتماعات بمسرحيات صغيرة، تحاك فيها الأمور بدقة، حيث تُطرح الأفكار وتُناقش وكأنها وحي من الزعيم ذاته . تُرفع التقارير التي تمجد السياسات، تُنظم الفعاليات التي تُظهر عظمة الإنجازات، وكل من يجرؤ على النقد يُعتبر خارج السياق، مجرد صوت نشاز في جوقة الانسجام .

النتيجة الطبيعية لهذا التبجيل هو أن الزعيم يبدأ في الانعزال عن الواقع . يُحيط نفسه بفقاعة من الإطراء، تُغلق أمامه الأبواب التي قد يدخل منها صوت الحقيقة . يبدأ في الاعتقاد بأن كل من حوله يُشاركونه الرؤية، وأن الشعب بأسره لا يرى فيه سوى القائد الأوحد، المخلص، الذي لا يخطئ . وفي هذه الفقاعة، يُصبح من السهل على السياسي أن يفقد الاتصال بالحقيقة، أن يغرق في بحر من الأوهام التي صنعها له المتملقون .

ومع مرور الوقت، تتحول هذه اللعبة إلى شبكة معقدة من الأكاذيب، يتشابك فيها الجميع، من السياسي الكبير إلى أصغر موظف في دولته . الكل يلعب دوره، الكل يعلم أن التبجيل هو السبيل للبقاء، وللحصول على المكاسب . يتحول هذا القانون إلى قانون غير مكتوب يفرض نفسه على الجميع، يُصبح المدح هو العملة التي تُتداول في بلاط الزعيم، والإطراء هو جواز المرور إلى قلبه .

لكن في لحظة ما، عندما ينفجر واقعٌ لا يمكن تجاهله، يُدرك السياسي فجأة أن هذا التبجيل كان خدعة، خدعة وقع هو نفسه في فخها . حينها، قد

يجد نفسه وحيداً في مواجهة الحقيقة، حقيقة أن القرارات التي اتخذها كانت خاطئة، وأن المدائح التي سمعها لم تكن سوى أوهام، وأن الناس الذين كانوا يُثنون عليه قد تحولوا إلى أشباح تُلاحقه بعبارات لم تعد تحمل أي معنى.

وفي النهاية، يُصبح "قانون التبجيل الزائف" سيفًا ذو حدين. فبينما يُبقي الزعيم محاطًا بهالة من القداسة لفترة، يُبعده عن الواقع شيئًا فشيئًا، حتى يجد نفسه في عالم من الأوهام، لا يستطيع العودة منه. وهكذا، ينتهي الأمر بالسياسي الذي كان يظن نفسه أذكى من الجميع، غارقًا في بحر من المجاملات الفارغة، بينما تتهاوى حوله أركان السلطة، واحدة تلو الأخرى.

٤٩- قانون التلاعب بالقوانين : عدّل القوانين حسب مصلحتك، وغيّرها كلما دعت الحاجة.

في قاعات الحكم العراقية المزخرفة، حيث تُكتب النصوص على ألواح من ذهب، لا يُنظر إلى القانون إلا باعتباره أداة، أداة في يد من يعرف كيف يَستخدمها بذكاء. هنا، يتجلى "قانون التلاعب بالقوانين" كأعظم الفنون السياسية، يمارس ببراعة منقطعة النظير، وكأنما هو رقصة تُؤدى على أنغام مصالح السياسي وأهوائه.

في كل زاوية من زوايا الدولة، يتردد همس خافت عن المستشار القانوني، ذلك الرجل الذي يُطل دائمًا بمظهر الواثق، يحمل في جعبته نصوصًا ملتوية، تُكتب بحروف من ذهب لكنها تحمل بين سطورها فخاخًا لا يراها سوى من أُحسن تعليمه فن الالتفاف. يبتسم السياسي العراقي ويومئ برأسه، فيشرع المستشار في تعديل القانون، كما يُعيد النحات تشكيل الطين.

عندما يقترب موعد الانتخابات، أو حين يشعر الزعيم بأن قبضته قد تراخى، يُخرج القانون من درج مكتبه ليُجري عليه تعديلات دقيقة، تعديلات تجعل النصوص تبدو كما هي، لكنها تحمل في طياتها تغييرات جذرية. يصبح القانون سلاحًا، يُستخدم لتحديد من يبقى ومن يذهب، من يُكافأ ومن يُعاقب. ولكن الجميع يعلمون أن الاختيار ليس بيد القانون، بل بيد من يعرف كيف يُغيره كما يشاء.

وفي كل مرة يُجرى فيها هذا التلاعب، يشعر الناس وكأنهم يعيشون في متاهة قانونية، يحاولون التكيف مع القواعد الجديدة، لكنهم يُدركون سريعًا أن القواعد تتغير كلما اقتربوا من فهمها. القانون أصبح كالشبح، يظهر ويختفي، يُطارد الناس في أحلامهم، يُبقيهم في حالة من الترقب المستمر، غير قادرين على الإمساك به أو الاعتماد عليه.

لا يكتفي السياسي بتغيير النصوص فقط، بل يُتقن فن اللعب بالكلمات، يُفسر القوانين حسبما تقتضي مصلحته. يخلق منها درعًا يحميه من أي انتقاد، ويحولها إلى سيف يقطع به رقاب معارضيه. الجميع يدركون أن القانون لم يعد وسيلة لتحقيق العدالة، بل أصبح أداة تُستخدم لتعزيز السلطة وضمان استمرارها.

وفي لحظات الأزمات، عندما يشعر السياسي بأن العرش قد يهتز، لا يتردد في قلب الطاولة، يُعلن حالة الطوارئ، يُعلق العمل ببعض القوانين، ويُصدر أوامر استثنائية تُتيح له التصرف بحرية. كل هذا يحدث تحت شعارات حماية الدولة، بينما يعلم الجميع أن كل ما يفعله ليس سوى تعزيزاً لموقعه وضمانًا لبقائه على رأس السلطة.

مع مرور الوقت، يبدأ الناس في فهم اللعبة، يعرفون أن القوانين أصبحت مثل الظلال، تطول أو تقصر حسب حركة الشمس. القانون لم يعد يمثل العدالة، بل أصبح عجينًا يُعجن في يد الخباز وفقًا لما يريده الزبائن (أو الزعيم). تزداد المتاهة تعقيداً، ويجد الشعب نفسه محاصراً بين قوانين تتبدل كالرياح، ونصوص تفسر حسبما تقتضي الظروف.

وفي نهاية المطاف، يدرك الجميع أن القانون قد فقد معناه، أنه لم يعد سوى سراب، سراب العدالة الذي يظل الجميع يطاردونه دون جدوى. الزعيم، الذي يتقن هذه اللعبة، يُدرك أنه أصبح سيد اللعبة بلا منازع، يُدير دفة السلطة كما يشاء، بينما يبقى الناس أسرى لقوانين تتغير باستمرار، تُشكل حسب أهواء من يقف على قمة الهرم.

٥٠- قانون الحفاظ على الرصيد الشعبي : استغل مناسبات دينية أو وطنية لتعزيز شعبيتك.

في قصور السلطة العراقية المزدانة بألوان الفخامة، يقف السياسي، متأملا بحذر كيف يحافظ على تلك الخيوط التي تربطه بشعبه .في عقله، تتشابك الخطط كما تتشابك الألوان على لوح رسام ماهر، يعلم أن مناسبات الوطن والدين ليست مجرد أحداث عابرة، بل هي فرص ذهبية لتثبيت صورته في أذهان الجماهير كالشمس التي لا تغيب عن سمائهم.

مع اقتراب المناسبة، يتحول السياسي إلى مايسترو يقود أوركسترا شعبية ضخمة .لا يترك شيئًا للصدفة، يُخطط لكل خطوة، لكل كلمة، ولكل حركة. يضع نفسه في قلب المناسبة، يتجول بين الناس، يُصافحهم بابتسامة تُشع كما لو كانت شمسًا تُدفئ أرواحهم المتعبة. ينظر إلى هؤلاء المحتشدين أمامه كنجوم تدور في فلكه، متيقنًا أن كلماته ستظل تتردد في سماء عقولهم لفترة طويلة بعد انتهاء العرض.

ولكن السياسي ليس مجرد ممثل على مسرح الأحداث، بل هو من يُبدع في كتابة السيناريو نفسه. يُنسق المراسم بعناية، يُعطي تعليماته لمن حوله، فيجعل من المناسبة مسرحية كبرى تُبهر العيون وتُدفئ القلوب. يُحيط نفسه برجاله الأوفياء، الذين يُنشدون باسمه في كل زاوية، يُرددون كلماته كأنها وحي، ويتحدثون عن إنجازاته كما لو كانت أساطير تحكى للأطفال قبل النوم.

في اللحظات الحاسمة من المناسبة، يقف السياسي الزعيم أمام الحشود، يمسك بالميكروفون كأنه يمسك بمفتاح قلوبهم، يبدأ خطابه بنبرة هادئة، مليئة بالوقار، يُذكر الناس بقيمهم الوطنية والدينية، يُعيد رسم الخطوط التي تربطهم به، وكأنه هو الجسر الذي يعبرون من خلاله إلى مستقبل أفضل .في كل كلمة يُلقيها، يُضيف شعلة جديدة إلى نار الوطنية، يجعلهم يشعرون وكأنهم جزء من ملحمة عظيمة، هو قائدها الذي لا يهزم.

ولكنه يعرف أيضًا أن الكلمات وحدها لا تكفي . يُطلق العنان للأفعال الرمزية، يُوزع الهدايا على الفقراء، يُطلق مبادرات جديدة، تُشعل النقاشات في المقاهي والشوارع . "هل سمعت عن المبادرة الجديدة؟ الزعيم لم ينسَنا" . بهذه الطريقة، يُثبت أنه ليس فقط قائدًا، بل هو أبٌ حنون، يعرف كيف يمسح على رؤوس أبنائه في اللحظات التي يحتاجون فيها إلى دفء .

في كل مناسبة، يُجدد الزعيم نفسه، يخلق سيناريوهات جديدة، يُدخل تحسينات على العرض، يُضيف عناصر جذب تجعل الناس يتساءلون : "ماذا سيفعل هذه المرة؟" . إنه يعرف أن الجمهور، رغم حبه، قد يشعر بالملل إذا تكررت الأفعال، فيُبقيهم على حافة الانتظار، يخلق الإثارة في كل حركة، في كل كلمة، في كل وعد .

ولكن وراء كل هذه الأضواء، يعرف الزعيم أن الزمن هو عدوه الأكبر . الزمن الذي قد يُفسد صورته في أذهان الناس إذا لم يُبق على هذه النار مشتعلة . ولذا، يُحافظ على تواجده الدائم في الذاكرةَ الجمعية، يُعيد إحياء الرصيد الشعبي في كل مناسبة، يُذكّر الناس بأنه هو الثابت في حياتهم المتغيرة .

يبقى الزعيم كالخيط الذي يربط بين حبات سبحة الوطنية . هذا الخيط قد يبدو رقيقًا، لكنه متين بما يكفي ليجمع كل هذه الحبات معًا . يعلم أن الناس بحاجة إلى رمز يتشبثون به في زمن الأزمات، ويحرص على أن يكون هذا الرمز هو نفسه، القائد الذي لا يغيب، النجم الذي يُنير لهم دروبهم في الليالي الحالكة .

٥١- قانون تحويل الانتباه: ابتكر وهمًا، واسرق الأنظار

في السياسة العراقية، حيث يُساق الشعب كقافلة في صحراء العواصف، ليس هناك مهارة أرقى من فن تحويل الانتباه. هذه المهارة ليست مجرد حركة بهلوانية بسيطة، بل هي شيفرة سرية يتقنها الساسة، كأنهم يسحبون بساط الواقع من تحت أقدام الجماهير ويستبدلونه بلوحة سريالية جديدة لا منطق فيها ولا انسجام. تصبح الأزمة الأصلية كظلال باهتة على جدران كهف قديم، بينما يسحبك الوهم الجديد إلى ضوءٍ خادع يتراقص في عيون العَميان.

تبدأ القصة عندما تجد نفسك، أيها السياسي المحنك، محاصراً في زاوية ضيقة، والجماهير الغاضبة قد أحاطت بك كأمواج عاتية تتكسر على صخور ساحلك. الفضيحة هنا تُشبه سمكة قرش جائعة تطارد سفينتك في بحر لا قرار له. في مثل هذا الموقف، يبرز سلاحك السحري: قانون تحويل الانتباه.

القانون بسيط في جوهره، لكنه يتطلب لمسة سحرية لتنفيذه بمهارة. عندما تتسرب الأزمات من كل جانب، وحين تصبح الحقائق كالحجارة الثقيلة التي تغرقك، لا تبحث عن الحلول؛ بل اصطنع مشكلة جديدة، أكبر وأغرب. اخلق من العدم قضية تشغل العقول وتسرق الأبصار، حتى يصبح كل حديث عن الأزمة الأصلية مجرد همسٍ تائه في عاصفة الأخبار.

تخيل أن أرض العراق تشتعل بنار الغضب، بسبب انهيار اقتصادي أو فساد فاحت رائحته حتى تجاوزت حدود البلاد. الشعب يُطالب بالمحاسبة، والخناق يضيق حول رقبتك. ما العمل؟ بكل بساطة، اخرج إلى الناس في خطاب ناري، مُستغلا مهاراتك البلاغية في نسج خيوط قضية جديدة، غير متوقعة، تلهب العقول وتبعثر الانتباه. قد تكون قضية حول "مؤامرة خارجية" تستهدف وحدة الوطن، أو عن "خطر داهم" يهدد الأمن القومي، أو حتى عن أزمة اجتماعية مفتعلة تتعلق بقيم المجتمع

وهويته. كقائد متمرس، تذكر دومًا أن أقدم الأساطير عن الجن والعفاريت تعيش بين الناس كأنها حقيقة، فلماذا لا تستلهم منها لتروي حكاية جديدة تنقلهم إلى عالم لا يعرف سوى الخيال؟

هنا، تنقلب الأمور رأسًا على عقب. فبدلاً من التركيز على الفساد الذي يغرق البلاد، ينشغل الجميع بالعدو الجديد الذي اخترعته. الإعلام يهرع لتغطية الحدث الطارئ، والناس يبدأون في الانقسام حول القضية التي لم تكن موجودة قبل لحظات. الجدل يحتدم في المقاهي وعلى شاشات التلفاز، والجميع ينسى فجأة الأزمة الحقيقية التي كانت تشغلهم. لقد نجحت في سرقة الأنظار، وأصبحت الأزمة الأصلية طي النسيان، مجرد ذكرى باهتة تذوب في خضم الزيف الجديد. تمامًا كما تتلاشى آثار القدماء في رمال الصحراء، تطمس الرياح آثار ما كان يمسهم بالأمس.

وفي هذا المشهد المسرحي البديع، تتنقل أنت بين الأدوار كحاوي في سيرك متجول. تمسك بالخيوط الخفية التي تحرك الدمى، توجه الأنظار إلى حيث تريد، وتنسج القصص كما يشاء خيالك الواسع. كلما شعر الناس بأنهم قاب قوسين أو أدنى من الحقيقة، تلقي أمامهم بقضية جديدة، تشبه تلك الكرات الملونة التي يلقيها الحاوي في الهواء، فيظل الجمهور مشدوهًا، عاجزًا عن الإمساك بأي منها. وباستمرار العرض، تتحول اللعبة إلى رقصة ساحرة، حيث لا يمكن لأحد أن يحدد من هو الحاوي ومن هم الدمى.

لكن العبقرية في هذا القانون لا تكمن فقط في تحويل الانتباه، بل في التحكم التام في إيقاع الأحداث. فأنت تعلم متى ترفع الستار عن القضية الجديدة، ومتى تسدل الستار على ما سواها. وتعلم أيضًا كيف تُدير دفّة النقاش العام، بحيث يبقى الجميع مُنشغلا في دوامة لا تنتهي، بينما تظل أنت الوحيد الذي يعرف طريق الخروج. كما أن الحكمة القديمة تقول: "البقاء لمن يملك زمام الرياح"، فها أنت تسير بين الرياح، توجهها كما تشاء، لتبقى وحدك في مأمن من العواصف التي تثيرها.

والأجمل من ذلك، أنك تخلق لنفسك مساحة للتنفس، مساحة للهروب من المحاسبة، ومساحة للإعداد للخطوة التالية في رقعة الشطرنج السياسي. الشعب الذي كان يطالب برأسك على طبق من فضة، أصبح الآن يبحث عن إجابات لألغاز جديدة وضعتها أمامه. وكلما اقتربوا من حل لغز، فاجئتهم بلغز آخر، حتى باتوا يدورون في حلقة مفرغة من التساؤلات، تاركين الحقيقة خلفهم دون أن يدركوا.

وعندما تهدأ العاصفة، وتزول الغيوم عن المشهد، تكون قد تجاوزت الأزمة بأمان، دون أن ترفع إصبعًا لإصلاح ما كان يجب إصلاحه. كل ما فعلته هو تحويل الأنظار إلى سحابة دخان، وجعل الناس يلهثون خلف سراب في صحراء السياسة. وبهذا الأسلوب، تظل دائماً في مأمن، لا تطالك يد المساءلة، لأنك ببساطة أتقنت فن تحويل الانتباه، وجعلت من الوهم حقيقة، ومن الحقيقة وهماً، في مسرحية لا نهاية لها.

لكن احذر، فالجمهور الذي أشغلت أنظاره قد يستيقظ يومًا، ليكتشف أن المسرح كان وهمًا، وأنك لست إلا دمية تحركها أيد خفية في الظلام. فالعقل الجمعي، وإن تأخر، قد يُباغتك في لحظة لم تكن في حسبانك، ليجعل من غفلتك عبرة للأجيال القادمة، وكأنهم يعيدون كتابة الأساطير التي طالما خفتَ أن تمحى من الذاكرة.

٥٢- قانون السيطرة على المؤسسات الدينية: اربط الفتاوى بسلاسل الولاء، ووجِّه الإيمان حيث تشاء

في معترك السياسة العراقية، حيث تُنسج الخيوط بين دهاليز السلطة وظلال المساجد، يكمن أحد أقوى الأسلحة وأكثرها فتكًا: السيطرة على المؤسسات الدينية. هذا السلاح ليس مجرد سيف مُسلط على رقاب الخصوم، بل هو مفتاحٌ يُحكم إغلاقه على أبواب قلوب الجماهير، فتغدو الفتاوى كالمفاتيح التي تُدار بها العقول، والتوجيهات الدينية كالبوصلة التي تُرشد الناس إلى حيث تشاء. إنها ليست مجرد كلمات تُلقى من فوق المنابر، بل صواعق تهوي على الأفئدة، فتعيدها إلى مسار الولاء والطاعة.

تخيل نفسك، أيها السياسي الفذ، وقد جلست على عرش السلطة، تحيطك التحديات من كل جانب، والولاء المطلوب من الشعب بدأ يتهاوى كأوراق الخريف. عندها تتجه أنظارك إلى المنابر التي يُخاطب منها الناس ربهم، تلك المنابر التي لا يناقش أحد ما يُقال فيها، والتي تتسرب كلماتها إلى القلوب دون حواجز. هنا، تدرك أن القوة ليست فقط في السيف والقلم، بل في السيطرة على كلمات الإيمان، فتغدو الفتاوى كالسلاسل التي تُقيِّد العقول، وتُوجهها إلى مرادك دون عناء.

تبدأ اللعبة بإحكام قبضتك على المؤسسات الدينية، حيث يصبح العلماء والمفتون أشبه بالدمى الخشبية في مسرح العرائس، تحركهم كما تشاء، وتملي عليهم ما يُقال وما يُخفى. تنساب الفتاوى من بين شفاههم كالماء الجاري، لكنها ليست سوى طُعْم تُلقيه للجماهير، يجذبهم إلى شِراك الولاء لك، دون أن يدركوا أن الإيمان قد بات مصيدة لخططك.

تصور المشهد: أزمة سياسية تلوح في الأفق، والمعارضة بدأت ترفع صوتها. فما الذي تفعله؟ ببساطة، تُطلق فتوى من تحت عباءتك، تحذر الناس من مغبة التمرد، وتدعوهم للسكينة والصبر. وكالسد المنيع الذي يحميك من غضب الجماهير، تأتي الفتوى كصاعقة من سماء الدين،

تفرق الجمع وتعيد القلوب إلى حظيرة الطاعة. وهكذا، يتحول الدين من ملاذ الروح إلى قيد على الإرادة، وأنت تمسك بالطرف الآخر من القيد، تتحكم بكل حركة، وكل همسة.

لكن لا تكتفي بالفتاوى فقط، بل أضف إليها التوجيهات الدينية التي تُسيِّر بها الناس كالقطعان. إذا شعرت بأن الناس بدأوا بالتساؤل عن دورك، فما عليك إلا أن تأمر بحملة من الدعوات إلى الصبر والرضا، تُطلقها من على المنابر، فيصمت الجميع طمعًا في الثواب، وينشغلون بانتظار الفرج السماوي بينما تواصل أنت في إدارة الأمور على الأرض كما يحلو لك. وبينما يعتقد الناس أنهم يرتقون بسماع الفتاوى، تجد نفسك ترتقي على أكتافهم، محكمًا سيطرتك بقبضة من حرير تغلفها كلمات التقى والورع.

ومن عجائب هذا القانون أن الجميع يتوهم أنهم يتحركون وفق إرادة إلهية، بينما في الواقع، أنت من يتحكم بالخيوط من وراء الستار. المصلون في المساجد يرفعون الأكف بالدعاء، ويتلون آيات الصبر والرضا، غير مدركين أن تلك الأكف هي نفسها التي ترفعك إلى عرش السلطة كلما كاد أن يهتز. أصبحت أنت المرشد، القائد الذي لا يُعصى له أمر، حتى لو كان أمره مغلفًا بآيات من الذكر الحكيم.

وفي خضم هذه اللعبة، تتحول المساجد إلى مراكز لتجديد الولاء، يُجمع فيها الناس كأنهم في مهرجان احتفالي، يتباركون بتوجيهاتك ويُقدسون فتاوى تخرج من تحت عباءتكَ. كلما ازداد ولاؤهم لك، ازدادت قوتك، وكلما ازداد نفوذك في أروقة الدين، زادت قدرتك على التحكم في مصائرهم، حتى يصبح كل ما يصدر عنك مُقدسًا، لا يُسأل عما يفعل وهم يُسألون.

لكن حاذر، أيها السياسي البارع، فإن اللعب على وتر الإيمان قد يجعلك تظن أن القوة بيدك إلى الأبد. صحيح أن الناس يُطيعونك الآن، لكن ما تزرعه من سيطرة في نفوسهم قد ينقلب عليك يومًا. فإن رأوا فيك يومًا

شيئًا لا يروق لهم، فقد يتحول دعاؤهم من طلب للرضا إلى طلب للنجاة منك. التاريخ مليء بأمثلة أولئك الذين سقطوا عندما انقلب عليهم ولاء الناس الذين خدعوا بهم يومًا. العلاقة التي رسمتها مع المؤسسات الدينية هي أشبه برسم دقيق على زجاج هش؛ تبدو متينةً من بعيد، لكنها قد تتحطم عند أولِ رياح تعصف بها.

عندما تنظر من فوق عرشك إلى تلك الجموع الغفيرة، وهي تستمع بخشوع إلى كلمات الإيمان التي تمليها عليهم، تذكر أنك أصبحت أكثر من مجرد سياسي. لقد أصبحت إمامًا في السياسة، توجه الناس بكلماتك كما يُوجه القائد جيشه في معركة. كل كلمة تخرج منك هي سهم في قلب الواقع، وكل فتوى هي سيف في غمد السلطة. لكن تذكر أيضًا أن هذا السيف ذو حدين، فهو اليوم في يدك، ولكن في يومٍ آخر قد يصبح في يد من كنت تظنهم خاضعين لسلطانك.

وهكذا، تستمر المسرحية الكبرى، حيث يجلس الناس في مسرح الإيمان، ينتظرون إشاراتك ليصفقوا، ليهتفوا، وليدينوا بالولاء، دون أن يدركوا أن المسرح نفسه كان حيلة في لعبة أكبر منهم بكثير. لعبة الإيمان والسياسة، حيث تصبح الفتاوى قنابل تُفجر العقول، والتوجيهات الدينية سلاسل تُقيد النفوس، بينما تظل أنت وحدك من يعرف الحقيقة الكاملة، تلك الحقيقة التي تكتبها بيدٍ وتخفيها باليد الأخرى.

ولكن احذر، فكلما زادت سيطرتك، ازدادت التحديات، وما كان يُنجيك اليوم قد يكون ذاته الذي يُسقطك غدًا. فالناس قد يفيقون يومًا ليكتشفوا أن الولاء الذي ظننت أنك ملكته كان مجرد سراب، وأن القيد الذي ظننت أنك وضعتهم فيه قد يتلاشى عندما يصحون على حقيقة أنك لم تكن سوى ظلاً يلعب دورًا في مسرح الخداع الكبير.

٥٣- قانون التغاضي عن الجرائم: اغفر للجاني إذا كان من جماعتك، واجعل العدل أعمى

في السياسة العراقية، حيث تختلط خيوط الولاء بظلال الفساد، يظهر قانون آخر من قوانين البقاء، يكاد يكون من أكثرها قوة وفعالية: قانون التغاضي عن الجرائم. هذا القانون ليس مجرد تدبير احترازي، بل هو حجر الزاوية في بناء السلطة، حيث يصبح العدل أداة تُستخدم فقط عندما يناسب المقام، وتُترك لتصدي الرياح في أوقات أخرى. كمن يحفر آباراً في أرض صخرية، تبدو هذه التجاوزات غير ضارة في البداية، لكنها تؤدي إلى انهيار الأرض بأكملها عندما لا يتوقع أحد ذلك.

تخيل نفسك، أيها السياسي البارع، جالسًا على عرش السلطان، مُحاطًا بمستشارين وقادة، كلٌ منهم يحمل ولاءً لك بحجم الجبال. ثم يحدث ما لا يمكن تجنبه: يرتكب أحد هؤلاء المقربين جريمة شنعاء، يندى لها الجبين، وترتعد لها فرائص العدالة. في الظروف العادية، قد يتطلب الموقف استدعاء القانون وتطبيق العدالة، ولكنك لست مجرد سياسي عادي. أنت تدرك أن الحفاظ على شبكة الولاء أهم بكثير من حفظ ماء وجه القانون. فماذا تفعل؟ ترفع الستار عن مسرحية التغاضي الكبرى، حيث تُعمي العدالة وتغطيها بغشاء من الحرير، لكيلا ترى إلا ما تسمح لها برؤيته.

تبدأ المسرحية عندما تتظاهر بأنك لم ترَ شيئًا، وأن ما حدث كان مجرد "سوء فهم" أو "خطأ غير مقصود". الجاني هو رفيق الدرب، شريك في بناء الإمبراطورية، فكيف لك أن تسمح للعدالة أن تمسه بسوء؟ كالبستاني الذي يقطع الأشواك من حول زهوره المفضلة، تهتم أنت بإبعاد أي شوكة قد تعكر صفو علاقاتك بالمقربين، حتى لو كانت تلك الأشواك مغطاة بدماء الأبرياء. ومع كل تغاضٍ، تنسج خيوط الولاء حول عنق العدالة، حتى تصبح العدالة ذاتها أسيرةً في قفص من ذهب.

ثم تأتي مرحلة التبرير، حيث يبدأ مساعدوك بإطلاق سيل من الأعذار، كلٌ منها أغرب من الآخر، وكلما زاد غرابتها زادت قوتها في إقناع الجمهور. "لقد كان الجاني يدافع عن شرف الأمة"، أو "ما فعله كان في إطار الحفاظ على استقرار البلاد"، أو حتى "إنه بطل قومي لا يُسأل عما يفعل، وهم يُسألون". هنا تتحول الجريمة من فعل شائن إلى بطولة مغلفة بالكلمات الجزلة، وينقلب السحر على الساحر، فيصبح المجرم في نظر الناس ضحية الظروف.

وفي هذه الأثناء، تتحول العدالة إلى عجوز كسيحة، تتعثر في ثوبها الطويل بين الملفات المتراكمة، لا تملك من القوة سوى تلك التي تسمح بها أنت. فالقانون في يدك كالطين في يد الخزاف، تُشكله كما تشاء، تغض الطرف هنا، وتفتح العين هناك، حسبما تقتضي المصلحة. وإذا جرؤ أحدهم على التذكير بالعدالة، يُذكر بفضائل التغاضي، وكيف أن التستر على "الأخطاء" أحيانًا يُعتبر مصلحة عليا، تقتضيها الحكمة والحنكة السياسية.

تخيل كيف تتسرب الحقيقة إلى الشعب كقطرات ماء في صحراء قاحلة، كل قطرة تزيد من عطشهم للعدل، ولكن قبل أن يصلوا إلى الينبوع، تكون قد جففته بقرار حكيم من فوق عرشك. وهكذا، يصبح الشعب مثل مسافر ضل الطريق، يتبع السراب ظنًا أنه سيصل إلى الحق، ولكنه لا يصل إلا إلى مزيد من الرمال المتحركة التي تبتلع كل أحلامه بالإنصاف. يرى الناس القوانين وهي تُخيط بثوب من الحرير على مقاس المقربين، فيصمتون، ولكن هذا الصمت يخفي خلفه همسًا متزايدًا قد يتحول يومًا إلى صرخة مدوية.

ومع مرور الوقت، تتعاظم قوتك كلما تغاضيت عن جريمة جديدة، ويزداد ولاء المقربين كلما شعروا بأنك الحامي الحقيقي لهم، المتغاضي عن كل زلة، المستعد للتضحية بالقانون في سبيل الحفاظ على جماعتك. وهذا الولاء المتبادل يصبح الحصن الذي يحميك من العواصف التي قد تأتي من الخارج. ففي كل مرة يتساءل الناس عن العدالة، يجدون أنها قد تحولت إلى مجرد ذكرى قديمة، مشوشة ومغمورة تحت غبار الزمن. وكما تترك

الجروح دون علاج لتتحول إلى ندوب، ستترك جرائم المقربين لتتحول إلى سكاكين تطعنك من الخلف.

لكن حاذر، فكما أن العدل أعمى في يدك، فإن غضب الناس قد يكون كالإعصار الذي يجتاح كل ما في طريقه. اليوم تتغاضى، وغداً قد تجد نفسك محاصراً بتلك الجرائم التي ظننت أنها قد اندثرت. فالناس لا ينسون بسهولة، وإن كانوا يلتزمون الصمت اليوم، فقد يكونون كالبركان الذي يغلي بصمت، ينتظر اللحظة المناسبة لينفجر.

وفي النهاية، عندما تجد نفسك واقفًا أمام مرآة التاريخ، ترى صورتك محاطة بتلك الوجوه التي حميتها بالتغاضي، تذكر أن تلك الوجوه نفسها قد تكون هي التي تُسقطك عندما تجد أنك لم تعد قادراً على حماية نفسك. فالولاء المبني على التغاضي قد يكون سيفًا ذا حدين، يلمع في وجهك اليوم، ولكنه قد ينقلب عليك غداً.

وهكذا، تظل المسرحية مستمرة، حيث يتوارى العدل خلف الكواليس، بينما تبرز أنت في مقدمة المشهد، بيديك جميع الخيوط التي تحركها كيفما تشاء. الناس يهتفون باسمك، غير مدركين أن الهتاف ذاته هو سلاحك الذي تستخدمه لتبقى في القمة. ولكن احذر، فالعاصفة التي تتجاهلها اليوم قد تكون هي ذاتها التي تُسقطك في الغد، عندما يدرك الجميع أن العدل الذي غمسته في الظلال، لم يكن إلا حيلة في لعبة كبيرة، حيث أنت الوحيد الذي يعرف النهاية

٥٤- قانون نشر الخوف من التغيير: اصنع وحشًا من الوهم، واجعل التغيير عدوًا مرعبًا

في عالم السياسة العراقية، حيث الكراسي مُعشقة بالجذور والمقاعد متشبثة بالأرض كأنها أوتاد الجبال، يتربع على عرش الأساليب الفعالة قانونٌ قديم لكنه دائمًا جديد: قانون نشر الخوف من التغيير. هذا القانون ليس مجرد أداة لتثبيت السلطة، بل هو فن من فنون السياسة المتقنة، حيث تُصنع الأساطير وتحاك الحكايات التي تجعل من فكرة التغيير وحشًا مخيفًا، كأنه كابوس يطارده الجميع في ظلام الليل.

تخيل نفسك، أيها السياسي المخضرم، جالسًا على كرسي الحكم الذي حفر في الخشب بصماتك عبر السنوات الطويلة. ترى حولك أصواتًا تتعالى، همسات تهمس بالتغيير، ونفوسًا بدأت تحلم بمستقبل جديد. هنا تبدأ في تطبيق هذا القانون: اجعل التغيير يبدو كالسير على حافة هاوية مظلمة، حيث لا ينتظر المرء سوى السقوط في هوة لا قرار لها. اصنع من التغيير جنّيًا خرافيًا، يظهر في حكايات الليل ليرعب الأطفال والشيوخ على حد سواء.

تبدأ الحكاية بإطلاق الشائعات عن التغيير وكأنه وحش من الأساطير القديمة، وحش يتربص بكل من يفكر في التحرر من قبضتك. تتسرب كلماتك إلى الأذهان كالدخان في حجرة مغلقة، تملأ العقول بالخوف والرهبة. "التغيير؟ إنه يعصف بكل شيء. إنه الزلزال الذي يهدم الجسور، والريح العاتية التي تقتلع الأشجار من جذورها. ماذا سيحدث لو تغيرت الأمور؟ ستفقدون كل ما لديكم، ستعودون إلى عصر الفوضى والانهيار"!

كل كلمة تُلقيها تُنبت في عقول الناس بذور الرعب، تلك التي لا تنبت إلا في تربة الخوف الخصبة. تنسج خيوطًا من الوهم حول التغيير، تجعله يبدو كوحش ينفث النار، لا يترك خلفه سوى الرماد. فيصبح التغيير في نظرهم

تهديداً لا يجرؤ أحد على مواجهته. تماماً كما يخشى الأطفال وحوش الظلام، يخشى الناس التغيير الذي ألبسته ثوب الرعب.

ثم تبدأ في تصوير نفسك كالحامي الوحيد، الدرع الذي يقيهم من هذا الوحش الذي صنعته بمهارة. "أنا الحارس، الحاجز الأخير بينكم وبين الفوضى. بدون حكمتي وتدبري، سينهار كل شيء." تُشعرهم بأنك الصخرة التي تقف في وجه المد الجارف، والقائد الذي يعرف كيف يحافظ على الاستقرار في عالم يموج بالفوضى.

ومع مرور الوقت، يصبح الخوف من التغيير جزءاً من الوجدان الشعبي، كأنه طقس يومي يمارسه الجميع دون وعي. يبدأ الناس يتحدثون عن التغيير وكأنه مصيبة محققة، فتتحول المجالس إلى منتديات للخوف، حيث يتبادل الناس القصص عن "ما قد يحدث" لو تغيرت الأمور، وكأنهم يتحدثون عن جنّي يتربص بهم في غياهب الجبال. في كل ليلة، يتسلل الخوف إلى أحلامهم كظل ثقيل، يُلقي بظلاله على كل ما هو قادم، فيتحول التغيير من فكرة إلىً كابوس لا يمكن الهروب منه.

لكن لا تكتفي بذلك، بل اجعل كل خطوة نحو التغيير تبدو وكأنها تفتح أبواب الجحيم. إذا اقترح أحدهم فكرة جديدة، لا تهاجمه مباشرة، بل ضع أمامه مشهداً مستقبليًا مليئًا بالكوارث: "هل تريدون هذا التغيير؟ إذاً استعدوا لانهيار الاقتصاد، واندلاع الحروب، وضياع الأمان. استعدوا لعودة الأوبئة والمجاعات، للرجوع إلى عصر الظلمات حيث لا قانون ولا نظام".

كلما زرعت الخوف في قلوبهم، زادت قوتك، ولكن كلما زاد هذا الخوف، شعرت بأنك تزرع بذور نهايتك بيديك. التغيير الذي صورته كعدو قد يصبح يوماً الرغبة الدفينة في قلوب الناس، والوحش الذي صنعته من الوهم قد يتحول إلى طيف يطاردك أنت. الصراع الداخلي يبدأ في التنامي؛ تدرك أنك بقدر ما نجحت في إبعاد الناس عن التغيير، قد تكون قد أعددت بنفسك لحظة المواجهة النهائية.

وفي هذه اللعبة، أنت تعرف تمامًا أن التغيير قد يكون أفضل لهم، لكنك لا تعنيك مصلحتهم بقدر ما يعنيك بقاؤك في السلطة. تضع يدك على نبض الخوف في قلوبهم، وتضغط عليه كلما احتجت إلى تثبيت سلطتك. تخلق وهمًا بأن التغيير هو العدو الأكبر، وتجعل من نفسك المنقذ الذي لا يمكن الاستغناء عنه.

لكن حاذر، فكما أن الخوف أداة قوية، فإنه أيضًا هش كخيوط العنكبوت. اليوم تغزل خيوط الرعب حول التغيير، لكن غدًا قد تجد نفسك محاصراً في تلك الخيوط التي نسجتها بنفسك. الناس قد يستيقظون يومًا ليكتشفوا أن التغيير الذي أرعبتهم منه لم يكن سوى شبح من صنعك، وأنك لم تكن إلا لاعبًا ماهراً في مسرحية الخوف الكبرى.

وفي النهاية، عندما تنظر إلى الشعب الذي رسمت في عقله خريطة الخوف، تذكر أنك صنعت منهم أتباعًا، لكنك أيضًا صنعت لنفسك عدواً كامنًا، قد ينهض في يوم غير محسوب. فالتغيير الذي حذرته الناس منه قد يصبح يومًا رغبتهم الأكبر، والشبح الذي يخشونه قد يتحول إلى طيف يطاردك أنت، في قلب ليل السياسة الطويل.

هكذا، يستمر العرض، وأنت تمسك بخيوط الخوف، تحركها كيفما تشاء، وتجعل من التغيير وحشًا خرافيًا، لا يجرؤ أحد على مواجهته. ولكن لا تنس أن الوحوش، مهما كانت قوية، قد تنهار أمام شجاعة من يجرؤ على المواجهة. والخوف، مهما كان عميقًا، قد يتحطم في لحظة وعي، ويصبح التغيير الذي حذرت منه، هو ذات الشيء الذي يهدم عرشك من أساسه.

٥٥- قانون القمع الناعم: حاصرهم بظلال الدستور، وأسرهم بسلاسل القوانين

في عالم السياسة العراقية، حيث الصمت أحيانًا أبلغ من الكلام، يبرز قانون لا يقل دهاءً عن بقية قوانين السلطة: قانون القمع الناعم. هذا القانون ليس بالسيف المسلول ولا بالعصا الغليظة، بل هو أشبه بسيف مخفي تحت عباءة القانون، يُستخدم بذكاء وحذر لإسكات الأصوات المزعجة، دون أن تترك أثرًا يُستدل منه على العنف أو البطش. إنه فنٌّ من فنون السيطرة، حيث تُكمم الأفواه تحت راية الشرعية، وتُغل الأيدي بقبضة من حديد مغلفة بالحرير.

تخيل نفسك، أيها السياسي المحنك، وقد أحاطت بك الأصوات المنتقدة، كأصوات الرياح في ليلة عاصفة، تُزعج نومك الهادئ على وسادة السلطة. لا تريد أن تثير ضجة، ولا ترغب في أن يراك العالم كطاغية يستخدم السيف لإسكات معارضيه. فما العمل؟ هنا تدخل إلى عالم القمع الناعم، حيث تحيل المعارضة إلى صمت طويل من خلال أدوات تبدو في ظاهرها قانونية ودستورية، لكنها في باطنها تحفر عميقًا في جذور حرية الرأي.

البداية تكون بوضع إطار قانوني محكم، إطار يبدو للجميع وكأنه نتاج عبقرية تشريعية، بينما هو في الحقيقة شبكة تُنصب بحنكة للإيقاع بكل من يجرؤ على الخروج عن الصف. تُسن القوانين التي تضع قيودًا صارمة على حرية التعبير، تحدد سقفًا لما يمكن قوله وما لا يمكن المساس به. تضع العقوبات البسيطة في ظاهرها، لكنها قادرة على تحطيم كل من يحاول تجاوز تلك الخطوط الدقيقة التي رسمتها بحذر.

"لا حاجة للعنف"، تقول في نفسك، "دع القوانين تقوم بالمهمة." القوانين التي تصوغها ليست سوى أبواب مغلقة بإحكام، تُدخل منها المعارضة إلى دهاليز معقدة من الإجراءات والمرافعات التي لا تنتهي. كلما حاولوا

رفع أصواتهم، وجدوا أنفسهم يغرقون في بحار من الأوراق، والتفسيرات القانونية التي تجعل من حقهم في الكلام مجرد سراب بعيد.

ثم تأتي دور الرقابة. لكنك لا تفرض الرقابة بشكل صريح، بل تجعل منها شبحًا يلوح في الأفق. تشكل لجانًا ولجانًا فرعية، تراقب ما يُكتب وما يُقال، لكن دون أن تعلن ذلك بوضوح. كلما كتب أحدهم مقالا ينتقد فيه سياساتك، يجد نفسه في مواجهة تحقيق قانوني مطول، بتهم فضفاضة مثل "الإساءة للمصلحة العامة" أو "التحريض على الفوضى". في نهاية المطاف، يختارون الصمت، ليس خوفًا من السجن، بل خوفًا من الغرق في مستنقع البيروقراطية الذي لا مخرج منه.

ولا تنسَ استخدام القضاء كأداة فعالة. القضاء المستقل هو عنوانك، ولكنك تعلم كيف تُسخره لصالحك دون أن يشعر أحد. تُعين القضاة الذين تثق بولائهم، وتدعم من يحافظ على مصالحك. القرارات القضائية تبدو عادلة في ظاهرها، لكنها في جوهرها تحمل رسائل خفية: "لا صوت يعلو فوق صوت القانون، ولكن هذا القانون هو نحن".

أما الإعلام، فتعلم جيداً أن قوة الكلمة لا تُقاوم بالسيف، بل بالكلمة المضادة. تُسيطر على وسائل الإعلام الرئيسية، ليس بالقوة، بل بالتأثير والتمويل. تجعل من قنوات الأخبار أبواقًا تردد ما تريد، وتُضخم إنجازاتك، بينما تُهمش المعارضة. تُغرقهم في طوفان من الأخبار الموجهة، حتى تختفي أصواتهم في بحر من الضجيج المُدبر.

وفي النهاية، تجد نفسك قد سيطرت على كل شيء دون أن تحرك جنديًا واحداً. المعارضة لم تعد قادرة على الكلام، ليس لأنك أسكتها بالعنف، بل لأنك جعلت من الكلام جريمة في حد ذاته. القوانين التي وضعتها هي سياطك الخفية، تُستخدم بيد من حديد مخملية، لا تترك أثرًا على الجسد، لكنها تُبقي الروح محبوسة في زنزانة من القلق والخوف.

لكن حاذر، فإن القمع الناعم قد يكون أحيانًا أشد قسوة من القمع العلني. صحيح أنك تظن أنك قد أحكمت قبضتك، لكن الأجيال

القادمة قد لا تنسى. الظلم، حتى لو كان مغلفًا بالقانون، يظل ظلمًا في نهاية المطاف. الناس قد يصمتون اليوم، لكنهم سيذكرون غداً أن أصواتهم أُسكتت بوسائل لا ترى بالعين المجردة، لكنها تحس في كل نفس مكموم.

وهكذا، تستمر لعبتك في السيطرة، حيث تبدو الديمقراطية في أبهى حللها، بينما الحقيقة تحتها أشبه بجبل الجليد الذي يخفي أكثر مما يظهر. القوانين التي وضعتها تُصبح كالأصفاد الذهبية، يلبسها الجميع دون أن يدركوا أنها تقيد حريتهم. وبينما تسير الأمور على هذا النحو، قد تنسى أن الغضب الذي يُكبت اليوم قد ينفجر غداً، وأن السلاسل المخملية قد تتحول يومًا إلى سيوف في يد من طالهم ظلمك الناعم.

٥٦- قانون التحالف مع الأقوى: أبحر مع الرياح العاتية، واستظل بظل الجبال الراسيات

في السياسة العراقية، حيث تدور المعارك بلا أسلحة وتُخاض الحروب بلا جيوش، يتعلم الساسة فن البقاء في ظل التحالفات القوية. هنا يظهر قانون آخر من قوانين البقاء على عرش السلطة، قانون بسيط في مظهره، لكنه معقد في تطبيقه: قانون التحالف مع الأقوى. إنه قانون يتطلب منك، أيها السياسي المحنك، أن تعرف أين تكمن القوة، وأن تضع يدك في يدها، حتى لو كان ذلك يعني السير في طريق لم تخطط له من قبل.

تخيل نفسك وأنت تقف في مفترق طرق، العواصف تهب من كل اتجاه، والجبال تبدو في الأفق شامخة لكنها بعيدة المنال. تدرك أن السفينة الصغيرة التي تقودها لن تصمد طويلاً في مواجهة الأمواج المتلاطمة، فتقرر البحث عن مركب أكبر، عن ربان قوي يستطيع أن يقودك عبر هذه العواصف بأمان. هنا يبدأ تطبيق قانون التحالف مع الأقوى: أنت لا تبحث عن رفيق، بل عن ملاذ، عن قلعة تستطيع أن تحتمي بأسوارها العالية، وعن جناحٍ يحميك من الرياح التي تهدد بإسقاطك من فوق العرش.

البداية تكون بالتعرف على موازين القوى في الساحة، لا تنظر فقط إلى من يملك السيف الأقوى، بل إلى من يملك القدرة على تغيير مسار التاريخ. ربما يكون هذا الحليف هو جيشًا جراراً، أو دولة عظيمة تملك نفوذاً واسعاً، أو حتى زعيمًا شعبيًا يمتلك قلوب الجماهير. المهم أن تعرف أين تضع يدك، وأين تزرع بذور تحالفك لتثمر ولاءً ومصلحة متبادلة.

عندما تجد الحليف الأقوى، لا تتردد. اقترب منه بخطى واثقة، لكن لا تقترب كثيراً فتفقد استقلالك. تحدث بلسان المصلحة المشتركة، وأظهر له أنك لست مجرد تابع، بل شريك يعتمد عليه. "أنا وأنت"، تقول له، "نستطيع أن نغير معاً وجه التاريخ. قوتك عظيمة، لكن معي تصبح

أقوى، وموقعي المتقدم يجعلك أقرب إلى تحقيق أهدافك." بهذا، تجعل من نفسك جزءاً من معادلة القوة، لا رقماً مهمشاً.

لكن حاذر، فعندما تدخل في تحالف مع الأقوى، عليك أن تعرف أنك تدخل في لعبة شطرنج معقدة، حيث لا مجال للخطأ. القوى الكبرى لا تعترف بالولاء العاطفي، بل بالمصالح الباردة. عليك أن تكون دائمًا على استعداد لتقديم التنازلات، لكن بذكاء. اعرف متى تتراجع، ومتى تتمسك بموقفك، تمامًا كما يعرف القائد الماهر متى يشن هجومًا ومتى يتراجع إلى الخلف ليعيد ترتيب صفوفه.

وفي هذا التحالف، قد تجد نفسك في مواقف لم تكن تتخيلها من قبل. قد تضطر إلى دعم قرارات لا توافق عليها قلبًا وقالبًا، لكن المصلحة تقتضي ذلك. قد تجبر على التضحية ببعض حلفائك الصغار لإرضاء الحليف الأكبر. لكن تذكر دائمًا أن الهدف الأكبر هو البقاء في السلطة، وأن الحليف القوي هو الجسر الذي يعبر بك إلى بر الأمان.

ولا تنسَ أن الحليف الأقوى قد لا يكون دائمًا على حق. قد يأتي يوم تشعر فيه أن ظله قد بدأ يطغى عليك، وأن قوتك الخاصة بدأت تتلاشى تحت جناحه الثقيل. في هذه اللحظة، عليك أن تكون مستعداً لاتخاذ قرار صعب: إما أن تظل تحت جناحه، وتقبل بدور التابع، أو أن تبدأ في البحث عن قوة جديدة، تتيح لك استعادة توازنك واستقلالك.

وعندما تجد نفسك وقد عبرت العواصف بسلام، ستدرك أن تحالفك مع الأقوى كان سلاحك السري للبقاء. لكن حاذر من أن تتحول من لاعب إلى ورقة في يد الحليف الأقوى. القوة التي تحتمي بها اليوم قد تكون ذاتها التي تسقطك غداً إذا لم تكن حذراً. التحالف مع الأقوى ليس مجرد خيار، بل هو فن من فنون البقاء، حيث تتحول من قائد مستقل إلى جزء من منظومة أكبر، حيث لا مكان للضعفاء ولا مجال للتراجع.

وهكذا، تستمر رحلتك في السياسة، محمولا على أكتاف التحالفات القوية، تبحر في بحرٍ من المصالح المتبادلة، تدرك أن الطريق إلى السلطة

ليس معبداً بالزهور، بل بالتحالفات التي تبنيها بحنكة وذكاء. وفي كل خطوة تخطوها، تذكر أن القوة التي تلتصق بها اليوم قد تكون هي ذاتها التي تبتلعك غداً، إن لم تتعلم كيف توازن بين الولاء والمصلحة، وبين التحالف والاستقلال.

٥٧- قانون الضربات الاستباقية: سدّد لكمة قبل أن ترتسم على وجه خصمك ابتسامة النصر

في ساحة السياسة العراقية، حيث لا مكان للضعفاء ولا وقت للانتظار، يُعد قانون الضربات الاستباقية سلاحًا لا غنى عنه لمن أراد البقاء في القمة. هذا القانون ليس مجرد تكتيك حربي، بل هو فلسفة كاملة، تتبنى مبدأ "اضرب قبل أن تُضرب"، حيث لا تنتظر حتى يتحرك خصومك، بل تقرر مصيرهم بيديك قبل أن ينطقوا بكلمة.

تخيل نفسك، أيها السياسي المتربص، في قصر منيع تحيط بك جنود من الولاء وأسلحة من الحيلة. تراقب من نوافذك أعداءً يخططون في الظلام، يتبادلون النظرات والهمسات، يدسون السم في العسل، ويعدّون العدة لساعة الصفر التي يحلمون بها. لكنك، بنظرتك الثاقبة، تعرف أن الانتظار هو حبل المشنقة الذي يلتف حول عنق من يظن أن الصبر فضيلة. هنا، لا مكان للتردد؛ عليك أن تكون المبادر، الصاعق، الذي لا يترك للعدو وقتًا لالتقاط أنفاسه.

تبدأ الضربة الاستباقية بالتحليل العميق لحركات خصومك. ترصد تحركاتهم، تجمع المعلومات كما تجمع النحلة الرحيق، تدرس مكامن قوتهم ونقاط ضعفهم، وتنتظر اللحظة المثلى للهجوم. ولأنك تعلم أن عنصر المفاجأة هو نصف النصر، فإن خطتك تُعد في السر، حيث لا يسمعها إلا جدران الغرف المغلقة ولا يراها إلا ظلّك في الليالي الحالكة.

ثم تأتي اللحظة الحاسمة، لحظة التحرك قبل أن يفكر الخصم في التحرك. تهاجم بفجائية تُربك العقول، فتُسدد ضربتك في الوقت الذي يظن فيه خصومك أنهم لا يزالون في أمان. ربما تكون ضربتك في صورة فضيحة تُكشف في وسائل الإعلام، أو مناورة سياسية تضعهم في زاوية لا يستطيعون منها الخروج. وربما تكون ضربة اقتصادية تدمر خططهم قبل أن ترى النور. المهم هو أن تسبقهم بخطوة، خطوة تجعلهم يدركون أن أحلامهم بالانتصار كانت مجرد سراب.

ولأنك سيد في فن الضربات الاستباقية ، فإنك لا تضرب بقوة فحسب ، بل بدقة تحيّر العقول . تستهدف مواقعهم الحساسة ، حيث يؤلمهم الهجوم أكثر، وحيث لا يتوقعون الهجوم على الإطلاق. تبدأ بإضعاف حلفائهم ، تكشف عن نقاط ضعفهم أمام الجمهور ، تُثير الشكوك حول نواياهم ، حتى يجدوا أنفسهم محاصرين من كل جانب . وفي اللحظة التي يحاولون فيها استجماع قواهم ، تكون قد وجهت لهم ضربة قاضية ، تُسقطهم أرضًا قبل أن يُكملوا جملتهم الأولى .

لكن ، أيها السياسي الذكي ، تذكر دائمًا أن الضربات الاستباقية ليست مجرد هجوم عشوائي ، بل هي فن يتطلب تخطيطًا محكمًا . لا يمكنك أن تُسدد الضربة إلا إذا كنت متأكدًا من أن خصمك لن يستطيع الوقوف بعدها . فالضربات التي لا تُسقط قد تزيد من عزيمة العدو ، وقد تحولهم إلى خصم لا يلين . لذا ، اجعل من كل ضربة نهائية ، كالسيف الذي يقطع الحبل السري بين خصمك وأمل البقاء .

ومع كل ضربة استباقية ناجحة ، تزداد هيبتك بين الخصوم والحلفاء على حد سواء . تصبح القائد الذي لا يرحم ، الذي لا ينتظر حتى تُوجه إليه السهام ، بل يسبق الجميع في الهجوم . وتدرك أنك بقدر ما تحافظ على قوتك ، فإنك تحتاج دائمًا إلى تحديث أسلحتك التكتيكية ، لأن العالم يتغير ، والخصوم يتعلمون من أخطائهم . لذلك ، عليك أن تكون دائمًا على استعداد لإعادة رسم خططك ، وابتكار وسائل جديدة لضرب خصومك قبل أن يفكروا حتى في التحرك .

لكن احذر من الإفراط في استخدام هذا القانون . فكما أن الضربات الاستباقية قد تضمن لك البقاء في السلطة ، فإنها قد تخلق لك أعداءً كثرًا ، يكبرون في الظل ويتربصون بك من حيث لا تدري . قد تجد نفسك في النهاية محاطًا بأشباح الماضي ، أعداء كان يمكن تجنبهم لو أنك تركت لهم فرصة للحديث بدلاً من تسديد الضربات .

عندما تستعرض إنجازاتك وتدرك أنك قد تمكنت من إسقاط خصومك واحداً تلو الآخر، تذكر أن كل ضربة استباقية ناجحة تحمل في طياتها درساً عميقاً: في السياسة، البقاء للأذكى وليس فقط للأقوى. وأن التفوق لا يعني دائماً القوة الغاشمة، بل القدرة على قراءة المستقبل والتحرك في الحاضر بذكاء وحنكة. الضربات الاستباقية ليست مجرد أداة في يدك، بل هي عقيدة تؤمن بها، تجعل منك لاعباً رئيسياً في مسرح السياسة، حيث لا مكان للضعفاء ولا وقت للتردد.

٥٨- قانون تشويه المعارضة: اجعلهم أقزامًا في نظر العامة، وشياطين في عيون التاريخ

في السياسة العراقية، حيث الحقيقة هي ما تقوله أنت، والقوة هي ما تملكها في يدك، يظهر قانون آخر من قوانين البقاء على العرش: قانون تشويه المعارضة. هذا القانون ليس سيفًا مسلولا على الرقاب، بل هو أشبه بريشة رسام خبيث، يعيد تشكيل ملامح خصومك حتى يصبحوا في أعين الناس كائنات مشوهة، عاجزة، أو حتى خائنة.

تصور نفسك، أيها السياسي المخضرم، وقد اجتمع حولك أعداء يملؤون الساحة صخبًا وضجيجًا، يُلقون بالاتهامات، ويزعمون أنهم يحملون مشاعل الحق والحقيقة. في هذا المشهد، لا تُضطر إلى مواجهتهم بالحجة والبرهان، بل تقلب الطاولة عليهم بطريقة ذكية: تجعل من المعارضة نفسها حكاية تروى للأطفال في ليالي الشتاء، حيث تبدو ككائنات خرافية نصفها جهل ونصفها الآخر خيانة.

تبدأ اللعبة بإطلاق سيل من الشائعات، تلك التي تتسلل إلى الأذهان كالماء إلى التربة، تغمرها دون أن تترك أثراً يُرى. تهمس في آذان العامة أن هؤلاء المعارضين لا يعرفون شيئًا عن قيادة البلاد، بل إنهم أشبه برعاة الغنم الذين ضلوا طريقهم في صحراء السياسة. تشكل من كلماتك صورة تجعلهم يظهرون كأنهم حفنة من الهواة الذين يلهثون وراء السلطة دون أن يفهموا كيف تُدار دولة أو كيف تُصنع القرارات.

ثم تأتي المرحلة التالية: توجيه أصابع الاتهام نحوهم بوصفهم عملاء للخارج. هنا، تظهر براعتك في غرس الشكوك في قلوب الناس، تجعلهم يتساءلون: "هل هؤلاء الذين يدّعون حب الوطن هم حقًا من يريدون له الخير؟ أم أنهم بيادق في يد قوى أجنبية تسعى لزعزعة استقرارنا؟" تزرع في العقول فكرة أن المعارضة ما هي إلا طابور خامس، يخدم أجندات لا تمت للوطن بصلة. تستخدم في ذلك تقارير مجهولة المصدر، وأدلة ملفقة تُقدمها على أنها حقائق لا تقبل الجدل.

وفي هذا المسار، تتلاعب بالتاريخ نفسه، فتكتب صفحات جديدة تجعل من المعارضة أعداءً للوطن، وتجعل من كل صوت يرتفع ضدك صوتًا خارجًا عن الصف الوطني، يستحق العقاب لا الاحترام. تحوّل المعارضة إلى مادة للسخرية والتندر، حتى يصبح ذكرهم في المجالس سببًا للضحك والهزء. فهم في سرديتك أشبه بأقزام ضالة، تحاول أن تقف أمام جبال راسية، أو كطيور صغيرة تحاول مواجهة العواصف الكبرى.

ولأنك سيد في فن التشويه، فإنك لا تكتفي بتشويه سمعتهم فحسب، بل تجعل من وجودهم عبئًا على البلاد. تصوّرهم كعقبة في طريق التقدم، كأنهم تلك الأحجار التي تتعثر فيها الأرجل بينما يحاول الجميع السير نحو المستقبل. تقول للناس: "انظروا إليهم، كيف يعترضون كل خطوة، كيف يحاولون دائمًا تعطيل عجلة التنمية. هؤلاء ليسوا شركاء في الوطن، بل هم أعداء له".

ومع مرور الوقت، ينسى الناس كل ما قالته المعارضة، فلا يبقى في أذهانهم إلا الصورة المشوهة التي رسمتها لهم. يصبح المعارضون في نظر العامة غير كفؤين، عاجزين عن تقديم أي بديل حقيقي، أو أسوأ من ذلك، يُنظر إليهم كخونة يستحقون النبذ والإقصاء.

لكن لا تغتر بقوتك، فكما أن الريشة تستطيع أن ترسم صورة قبيحة، فإنها تستطيع أيضًا أن تسقط من يدك إذا ما تغيرت الرياح. تشويه المعارضة قد ينجح لفترة، لكنه يحمل في طياته بذور سقوطك. إذا ما أفاق الناس يومًا على الحقيقة، قد تجد نفسك في مرمى نيران الشكوك التي زرعتها. فالأقزام التي حاولت جعلها مثار للسخرية، قد تتحول إلى عمالقة عندما يتكشف الغطاء عن الخداع، والشياطين التي صنعتها قد تصبح رموزًا للثورة إذا ما أدرك الناس أنهم كانوا ضحية لحيلة ماكرة.

وفي النهاية، عندما تنظر إلى الوراء، قد تدرك أنك لم تنتصر فعليًا على المعارضة، بل صنعت وحشًا جديدًا. هذا الوحش هو ذاكرة الناس التي لا تموت، والتي قد تعيد إحياء أولئك الذين حاولت تشويههم، وتجعل

منهم أبطالا في عيون الأجيال القادمة. وفي يوم ما، قد تجد أن الصورة التي رسمتها بألوان التشويه، قد انقلبت عليك، وجعلت منك أنت الظل الذي يجب أن يمحى.

هكذا، يظل قانون تشويه المعارضة سلاحًا ذا حدين، يعزز من قوتك في المدى القريب، لكنه قد يفتح عليك أبواب الجحيم في المدى البعيد. فأنت لا تستطيع أن تتحكم إلى الأبد في ما يراه الناس، ولا في ما يعتقدونه. وكما أنك تمكنت من تشويه سمعة المعارضة، فإنك قد تجد نفسك في لحظة ما في مواجهة ذات السلاح، حينما تنقلب المعادلة، ويتحول التشويه إلى مرآة تعكس صورتك الحقيقية

٥٩- قانون استغلال الفقر: بُنيان ولائك على فتات الخبز وسُحب الوعود

في السياسة العراقية، حيث تُكتب القوانين بحبر المصالح وتُرسم التحالفات على رقعة شطرنج تتبدل قواعدها مع كل نسمة هواء، ينبثق قانون لا يضاهيه شيء في فاعليته: قانون استغلال الفقر. هذا القانون هو السلاح السري للسياسي الفطن، الذي يعرف أن الفقر ليس مجرد حالة اجتماعية، بل هو منجم من الولاءات الرخيصة، يمكنك استثماره لتحصيل تأييدٍ صلد بأبخس الأثمان.

تصور نفسك، أيها السياسي المتمرس، جالسًا في قصر فاره، تتناول أشهى الأطعمة وتشرب من أفخر النبيذ، بينما شعبك يتضور جوعًا ويقف في طوابير طويلة للحصول على لقمة العيش. هنا، تأتيك الفكرة العبقرية: لماذا تُرهق خزينة الدولة في مشاريع عملاقة لجذب الولاء، بينما يمكنك شراء ذلك الولاء بكيس من الطحين أو وعدٍ عابر بمستقبل أفضل؟

تبدأ خطتك بإغراق شوارع البلاد بأحاديث الجوع، وإشاعة الفقر حتى يصبح الهمّ الأكبر للمواطن هو كيفية إطعام أطفاله. تُطلق البرامج الخيرية من حين لآخر، تُوزع أكياس الطحين وزجاجات الزيت في مشهد يُظهر كرمك السخي. كل حبة طحين تُلقى في يد فقير، وكل قطعة خبز تُوضع في فم جائع، تصبح عملة تُضاف إلى رصيد ولائك. ولأنك تعرف أن الحاجة تجعل من الناس عبيداً للحظة الراهنة، فأنت تبقيهم دائمًا على حافة الفقر، تمنحهم بالقدر الذي يحفظهم في حالة عوز دائم، لا يغرقون ولا ينجون.

ثم تأتي الوعود، تلك التي تُطلقها في المناسبات الكبيرة، واللقاءات العامة. تعدهم بغد أفضل، بمستقبل مشرق يلوح في الأفق، لكنك تعلم في قرارة نفسك أن هٰذا المستقبل ليس سوى سراب. تتحدث عن مشاريع تنموية، وعن خطط كبرى ستغير وجه البلاد، لكنك تعلم أن هذه المشاريع ليست سوىً قصور من رمال، ستتلاشى مع أول موجة تغيّر في

الأوضاع. الناس، المحاصرون بالفقر، يتشبثون بكل كلمة منك، كالغريق الذي يتمسك بقشة. فهم يعلمون أنه لا يمكنهم الاعتماد إلا على ما تمنحه أنت، حتى لو كان مجرد فتات.

ولأنك تدرك أن الفقر يصنع عيونًا لا ترى سوى الحاجة، فإنك تُبقي الناس في هذا العمى الاختياري. تجعلهم يُصدقون أن الحياة خارج دائرتك مستحيلة، وأن الخروج من دائرة الفقر يتطلب ولاءً أعمى لك. كلما شعروا بالجوع، ذكّرتهم بأنك أنت الوحيد القادر على إطعامهم، وكلما شعروا بالبرد، ذكّرتهم بأن دفء منازلهم الصغيرة يأتي من نارك.

في المقابل، تقف في المحافل الدولية تتحدث عن خططك للقضاء على الفقر، بينما في الحقيقة، أنت تُبقي على هذا الفقر كوقود يضمن لك السيطرة. الفقر يصبح أداة لتقوية قبضتك على الشعب، حيث يعرف الجميع أنه لا خلاص لهم إلا عبرك، ولا نجاة لهم إلا بطاعتك.

لكن حاذر، فالفقر سلاح ذو حدين. اليوم تستخدمه لشراء ولاء الناس، لكن غدًا قد يتحول إلى طوفان يجرف كل ما بنيته. الفقير الذي يبيع ولاءه مقابل رغيف خبز، قد يبيع غضبه لمن يدفع أكثر. الفقر يجعلك محبوبًا اليوم، لكنه قد يجعلك مكروهًا في الغد إذا ما اكتشف الناس أنك كنت تستغل حاجتهم لتحقيق مآربك.

وفي النهاية، عندما تستعرض إنجازاتك وترى نفسك وقد نجحت في شراء الولاء بأبسط الأشياء، تذكر أن ما بنيته ليس سوى بنيان على رمال متحركة. ولاء الفقراء لك اليوم قد يتبخر في لحظة، عندما يجدون من يستطيع أن يعطيهم أكثر. الفقر الذي استخدمته كسلاح قد يتحول إلى نقمة تلاحقك، لأنه يُذّكر الناس في كل لحظة بأنهم بحاجة إلى أكثر من الفتات الذي تمنحه لهم.

هكذا، يظل قانون استغلال الفقر سيفًا معلقًا فوق رأسك. اليوم تقود الناس به كأنك الراعي الذي يُسير قطيعه، لكن تذكر أن القطيع الذي تسير به اليوم قد يتحول إلى حشود هائجة غدًا إذا ما أدركوا أنهم كانوا مجرد

أوراق لعبت بها في لعبة السلطة. فما كان يومًا وسيلة للبقاء، قد يصبح في النهاية طريقًا إلى الهاوية.

٦٠- قانون التهرب من الانتخابات: دحرج كرة الديمقراطية حتى تنسى أين توقفت

في السياسة العراقية، حيث تتداخل المصلحة الشخصية مع شعارات الديمقراطية المرفوعة على الأعناق، يتجلى قانونٌ يُعد من أذكى أساليب البقاء في السلطة: قانون التهرب من الانتخابات. هذا القانون هو العكاز الذي يستند عليه كل سياسي يعرف أن شعبية اليوم قد لا تكفي غداً، وأن ميدان الانتخابات ليس دائماً الأرض الخصبة التي تجني منها ثمار البقاء. إذا شعرت أن الرياح لا تهب في صالحك، فما عليك إلا أن تأجل ذلك الموعد المنتظر، وتبقى في موقعك، متأملا أن تتحسن الظروف قبل أن يُطلب منك النزول إلى الساحة.

تخيل نفسك، أيها السياسي المحنك، وقد حانت لحظة الحقيقة. صندوق الاقتراع ينتظرك، والجماهير تترقب يوم الحساب الديمقراطي. لكنك، بنظرة ثاقبة، تدرك أن الساحة ليست كما كانت، وأن الآمال التي كنت تبني عليها قد تبخرت كقطرات الندى تحت شمس الظهيرة. ماذا تفعل؟ هنا يتجلى فن التهرب من الانتخابات، حيث تبدأ بحركة تبدو بريئة، لكن خلفها يكمن دهاء يفوق الوصف.

أول خطوة في هذه اللعبة المعقدة هي إثارة الغبار حول الاستعدادات. تتحدث عن ضرورة "ضمان النزاهة" وعن "الاستعداد الكامل"، فيبدو تأجيل الانتخابات وكأنه إجراء حكيم، يُظهر حرصك على أن تجري الأمور على أكمل وجه. تتسلل إلى العقول فكرة أن الانتخابات ليست مجرد يوم عادي، بل حدث مصيري يستحق التمهل والتأني، حتى وإن كان ذلك على حساب الوقت. تستدعي لجانًا جديدة، تُصدر قوانين إضافية، وتُغرق الجميع في تفاصيل تجعلهم ينسون أن التأجيل هو في صالحك أولاً وأخيراً.

ثم تبدأ في استغلال الظروف المحيطة، فتجعل من الأزمات شماعة تُعلق عليها كل مبرراتك. أزمة اقتصادية؟ لا يمكن للبلاد أن تتحمل تكلفة

الانتخابات الآن. توتر سياسي؟ الانتخابات في هذا الجو المشحون قد تؤدي إلى كارثة. تجعل من كل عقبة عذراً مقبولاً لتأجيل اليوم الموعود، فتظل تماطل وتُراوغ، حتى يتعب الجميع من المطالبة، ويصبح تأجيل الانتخابات أمراً واقعاً، بل وحتى مستحباً.

ولا تكتفي بذلك، بل تلعب على وتر "التغيير الإيجابي". تتحدث عن "ضرورة التحضير الجيد"، وعن "إصلاحات ضرورية" يجب إتمامها قبل أن تُقام الانتخابات. تُقنع الناس أن هذا التأجيل هو لمصلحتهم، حتى يشعروا أن انتظار الانتخابات هو أفضل لهم من إقامتها في موعدها. تعيد صياغة الجدول الزمني بما يتناسب مع مصالحك، وتجعل الجميع يقتنع بأنك تؤجل من أجل الصالح العام، بينما في الواقع، أنت تُبقي على كرسيك ثابتاً لا يتزحزح.

تُبنى جسور من الأعذار التي تبدو متينة، لكنها في حقيقتها مجرد تلاعب بالكلمات والأرقام. تبدأ الأحاديث في الدواوين والمجالس عن الحكمة في تأجيل الانتخابات، وكيف أن التأني قد يكون أكثر فائدة من التسرع. تتلاشى المطالبات بالانتخابات المبكرة تدريجيًا، وتتحول إلى همسات ضعيفة، لا تكاد تُسمع في ظل ضجيج المشكلات المفتعلة التي تُشغل بها الرأي العام.

لكن، أيها السياسي البارع، تذكر أن تأجيل الانتخابات قد يمنحك وقتًا إضافيًا، لكنه لا يضمن لك النجاة إلى الأبد. فالوقت الذي تشتريه اليوم بتأجيل الانتخابات قد يصبح غداً عبئًا ثقيلاً إذا لم تستغله بحكمة. الناس قد ينسون السبب الحقيقي للتأجيل، لكنهم لن ينسوا أن الانتخابات لم تجرى. السحب التي تحركها اليوم لتغطي بها شمس الانتخابات قد تتبدد في لحظة، لتجد نفسك في مواجهة شعب يتساءل: لماذا لم تُقم الانتخابات في موعدها؟ وما الذي كنت تخشاه؟

وعندما تراجع أوراقك وترى أنك قد نجحت في تفادي اللحظة الحاسمة مرة أخرى، تذكر أن كل تأجيل هو سلاح ذو حدين. صحيح أنك قد

ابتعدت عن المجهول الذي قد يحمله صندوق الاقتراع، لكنك أيضًا وضعت نفسك في موقف دفاعي قد يستغله خصومك ضدك في المستقبل. الشعب الذي يرضى اليوم بتأجيل الانتخابات قد يثور غدًا للمطالبة بها، وقد يُطالب حينها بأكثر مما كنت مستعدًا للتنازل عنه.

يبقى قانون التهرب من الانتخابات حلاً مؤقتًا، يتيح لك البقاء في الظل لفترة أطول، لكنه لا يضمن لك الاستمرار في هذا الظل إلى الأبد. فالزمن يمضي، والعقول تتفتح، والناس يتغيرون. وربما يأتي اليوم الذي تجد فيه نفسك مضطرًا للمواجهة، بعد أن استنفدت كل الحيل والأعذار. وعندها، ستدرك أن التأجيل لم يكن سوى شراء للوقت، وأن الوقت الذي اشتريته قد انتهى، ولم يعد هناك مجال للمراوغة.

٦١- قانون تبرير الفشل الاقتصادي: اصنع من العقوبات شماعة، وارسم المؤامرات بخيوط من دخان

في السياسة العراقية، حيث تُبرَّر الأخطاء بإلقاء اللوم على كل شيء إلا الذات، يظهر قانون لا غنى عنه لكل من أراد البقاء في السلطة رغم تعثر الاقتصاد وانهيار الأحلام: قانون تبرير الفشل الاقتصادي. هذا القانون هو الدرع الذي يقيك سهام النقد، وهو الوسادة التي تريح رأسك المثقل بالقرارات الخاطئة، لتتمكن من النوم قرير العين، مطمئناً أن الفشل ليس إلا نتيجة حتمية لعوامل خارجة عن إرادتك.

تخيل نفسك، أيها السياسي الفطن، وقد بدأت مؤشرات الاقتصاد في الهبوط، وجيوب الناس تفرغ، والأسواق تعيش على حافة الركود. المواطنون يتساءلون، والعيون تراقبك بانتظار إجابة شافية. لكنك تعرف أن الحقيقة، تلك التي تدين سياساتك وتكشف سوء تدبيرك، ليست ما يحتاجه الناس الآن. بل يحتاجون إلى قصة تبرر لهم هذا الانهيار، قصة تجعلهم يقتنعون أن أيديهم الفارغة ليست نتيجة لقراراتك، بل ليد خفية تتلاعب بمصير الأمة.

تبدأ خطتك بإحياء العدو التقليدي: العقوبات الدولية. تلك القيود التي يفرضها العالم الخارجي على بلادك تُصبح العصا التي تسوق بها الفشل بعيداً عنك. "كيف يمكن لاقتصاد أن يزدهر"، تقول لهم، "بينما تحاصرنا العقوبات من كل جانب؟ كيف يمكننا أن نرفع رؤوسنا في ظل هذه القيود التي تكبلنا؟". تجعل من هذه العقوبات شماعة تعلق عليها كل أخطائك، وتحوّل الفشل الاقتصادي إلى ضحية في معركة شرسة ضد قوى خارجية لا تريد الخير لوطنك.

لكن لأنك تعرف أن العقوبات وحدها قد لا تكون كافية لإقناع الجميع، تبدأ في نسج قصة أخرى أكثر تعقيداً: المؤامرة الخارجية. ترسم في مخيلة الناس صورة عن تآمر دولي يقوده أعداء الوطن، أعداء يسعون لإسقاطك من خلال ضرب اقتصاد البلاد. تحدثهم عن خطط سرية تحاك في الغرف

المظلمة، وعن قوى شريرة تتآمر على تجويع شعبك وإفقارهم. تجعلهم يشعرون أنهم جزء من معركة كبرى، وأن الصمود في وجه الفقر هو نوع من أنواع المقاومة الوطنية.

وفي هذا المسار، لا تنسى أن تثير العواطف الوطنية. تُذكّر الناس بأن ما يحدث ليس مجرد أزمة اقتصادية، بل هو اختبار لصلابة الأمة وإرادتها في مواجهة الأعداء. تجعل من الصبر على الفقر والبطالة نوعًا من التضحية في سبيل الوطن. تقول لهم: "نعم، نحن نعاني، لكن هذه المعاناة هي ضريبة الدفاع عن استقلالنا وكرامتنا. لو كنتم تريدون رفاهية مشروطة، فلتذهبوا إلى أعدائنا الذين يعرضون علينا الخضوع مقابل تحسين الاقتصاد".

بهذا الأسلوب، تتحول الأرقام السلبية في تقارير الاقتصاد إلى رموز للصمود الوطني، وتصبح الانتقادات الاقتصادية مجرد أصوات نشاز لا تعي حجم المؤامرة الكبرى. المواطن الذي كان يهمس بالشكوى يتحول إلى مؤيد متحمس، يرى في تحمل الأعباء الاقتصادية نوعًا من الوطنية. وفي كل مرة يزداد فيها الوضع سوءًا، تُعيد تكرار نفس الرواية: "لسنا نحن السبب، بل هم".

لكن، أيها السياسي المحنك، عليك أن تدرك أن هذه الحيلة، رغم فعاليتها المؤقتة، ليست سوى قناع يخفف من أثر الضربة، لكنها لا تمنعها. الناس قد يصدقونك لبعض الوقت، ولكنهم في النهاية سيشعرون بالحقيقة، وسيعرفون أن هذه الروايات التي تحكيها ليست سوى دخان في الهواء. كلما طال أمد الأزمة الاقتصادية، كلما بدأت أعذارك تبدو أضعف، وكلما بدأت الثقة التي كسبتها بالوطنية تتحول إلى ريح تعصف بك من كل جانب.

وفي النهاية، عندما تجد نفسك قد استخدمت كل ما في جعبتك من تبريرات، وتدرك أن الفشل الاقتصادي أصبح واقعًا لا يمكن الهروب منه، قد تجد أن الشعب الذي صدقك يومًا قد بدأ يشك في رواياتك. قد يبدأون

في التساؤل: إذا كانت العقوبات والمؤامرات هي السبب، فلماذا لا نرى غيرنا من الدول يعاني مثلنا؟ وإذا كنا نحن من يدفع ضريبة الصمود، فلماذا لا نشعر بأن هذا الصمود يثمر شيئًا؟

هكذا، يظل قانون تبرير الفشل الاقتصادي سيفًا ذا حدين. اليوم يمكنك أن تبرر الفشل بالعقوبات والمؤامرات، لكن غداً قد تجد نفسك محاصراً بأسئلة لا تملك لها إجابة. فالفقر الذي حاولت تبريره قد يتحول إلى وقود للغضب، والغضب قد يتحول إلى ثورة، والثورة قد تقلب الطاولة عليك. فما كان يومًا وسيلة للهروب من المسؤولية، قد يصبح في النهاية بابًا يُفتح على حسابك، ليكشف أن الفشل لم يكن نتيجة للعقوبات أو المؤامرات، بل نتيجة لسياساتك التي لم تعد تنطلي على أحد.

٦٢- قانون الاحتفاظ بالمعلومات: احتفظ بالأسرار كما يحتفظ البحر بأعماقه، ولا تسمح للأمواج أن تكشف ما تحت السطح

في عالم السياسة العراقية، حيث الأسرار هي العملة الأكثر قيمة، والحقيقة هي السراب الذي لا يُدرك، يتجلى قانون من أهم قوانين البقاء في السلطة: قانون الاحتفاظ بالمعلومات. هذا القانون ليس مجرد تكتيك، بل هو فلسفة كاملة، تعلّمك كيف تجعل من المعلومات سلاحًا سريًا لا تُفصح عنه إلا عندما يحين الوقت المناسب، إن حان.

تخيل نفسك، أيها السياسي الحذق، وأنت تُبحر في بحر من المعلومات، منها ما هو تافه، ومنها ما هو بالغ الخطورة. بعض المعلومات كالأصداف الملقاة على الشاطئ، يمكن للجميع رؤيتها والتقاطها دون عناء. لكن هناك معلومات أخرى، تلك التي تقبع في أعماق المحيط، حيث الظلام والضغط الهائل، تلك التي إذا ما ظهرت على السطح قد تحدث زلزالا يهز أركان حكمك. هنا، يجب أن تكون حذراً، أن تتقن فن الاحتفاظ بما هو ثمين، وعدم السماح لأي موجة مهما كانت قوية أن تكشف عما تحت سطح بحر معلوماتك.

تبدأ الحكاية عندما يطلب منك الشعب أو الإعلام أن تكشف عن بعض الحقائق، ربما عن اتفاقات سرية أو تفاصيل ميزانية الدولة. يظنون أن لديهم الحق في المعرفة، وأنه من واجبك أن تكون شفافًا. لكنك تعلم أن الشفافية ليست سوى وهم يُروج له الضعفاء، وأن القائد الحقيقي هو من يحتفظ بأوراقه قريبة من صدره. فالمعلومات ليست للعرض، بل للاستخدام الحكيم عندما تتطلب الظروف ذلك.

تتخذ موقفًا منيعًا، تجعل من نفسك سوراً لا تُخترق أبوابه. تُبقي على كل معلومة حساسة قابعة في مكانها، ككنز مدفون في أعماق الأرض. تُبرر موقفك بأن "المصلحة الوطنية" تتطلب الاحتفاظ بهذه الأسرار، وأن الكشف عنها قد يؤدي إلى تداعيات كارثية. تُظهر نفسك كالحارس

الأمين الذي يقف على بوابة الحقيقة، لا يسمح لها بالخروج إلا عندما يتأكد من أنها لن تؤذي أحداً، أو بالأحرى، لن تؤذيك أنت.

وفي هذا الموقف، لا تكتفي بالصمت فقط، بل تُضيف عليه لمسات من الغموض. تجعل من كل طلب للكشف عن المعلومات وكأنه طلب بفتح صندوق باندورا، ذلك الصندوق الذي إذا فُتح، سيُطلق الشياطين والكوابيس في كل ركن من أركان البلاد. تجعل من المعلومات التي تحتفظ بها أسطورة، تُروى في الخفاء، ويتحدث الناس عنها وكأنها كنز مفقود لا يعرف مصيره.

لكن حاذر، فالشعب ليس غافلاً تماماً. قد يرضى بالصمت لفترة، لكن كلما طال الصمت، كلما زاد الشك. هنا، تتقن لعبة التشتيت. تُطلق تصريحات عامة، تُشبع الفضول بجرعات صغيرة من المعلومات غير المهمة، فتبدو كمن يلقي عظمة لكلب جائع، يُبقيه مشغولاً، لكنه لا يُشبع جوعه الحقيقي. تجعل الناس يعتقدون أنهم يعرفون ما يكفي، بينما في الواقع، أنت الوحيد الذي يعرف الصورة الكاملة.

وفي الوقت نفسه، تجيد فن التبرير. تحدثهم عن الأمن القومي، وعن التحديات الإقليمية والدولية، وتُلمح إلى أن هناك قوى خارجية تنتظر أي فرصة لاستغلال المعلومات ضد الوطن. تجعل من الاحتفاظ بالمعلومات عملاً بطوليًا، كأنك الجندي الذي يقف وحيداً في ساحة المعركة، مُدافعًا عن أسرار الدولة ضد الجواسيس والمتآمرين.

لكن لا تظن أن الاحتفاظ بالمعلومات هو طريق سهل. فهو سلاح ذو حدين. صحيح أنك تحمي نفسك وتحمي موقعك، لكنك أيضًا تُراكم سحب الشك فوق رأسك. الشعب قد يرضى بعدم المعرفة لفترة، لكنه لن يظل راضيًا إلى الأبد. قد يأتي اليوم الذي تتراكم فيه تلك الأسرار إلى درجة لا يمكن معها الاحتفاظ بها. وإذا ما حدث ذلك، قد تجد نفسك في مواجهة طوفان من التساؤلات التي لا تملك إجابات لها.

وفي نهاية المطاف، عندما تجد نفسك قد نجحت في إبقاء الأبواب موصدة، وتأكدت أن الأسرار لا تزال في مكانها، تذكر أن كل سر يحتفظ به هو قنبلة موقوتة، قد تنفجر في أي لحظة. أن تكون سيداً للمعلومات يعني أن تعرف متى تتحدث ومتى تصمت، لكن أن تعرف أيضًا أن الصمت الطويل قد يُثير الريبة. قد تظن أنك تحمي البلاد بحجب الحقائق، لكنك أيضًا تحجب الثقة التي قد تكون أكثر قيمة من أي سرٍ تحتفظ به.

يبقى قانون الاحتفاظ بالمعلومات درعًا واقيًا في يدك، لكن عليك أن تستخدمه بحذر. لا تجعل من الصمت عدواً لك، ولا تجعل من الأسرار ثقلا يجرّك إلى القاع. كن حذراً، فالذي يعرف كل شيء قد يخسر كل شيء إذا لم يعرف متى يتكلم.

٦٣- قانون الولاء القبلي: ازرع شجرة الحكم في تربة العشائر، واسقها بدماء الروابط القديمة

في السياسة العراقية، حيث تُصنع القرارات من معجون التقاليد والتوازنات الدقيقة، يظهر قانون قديم بعباءة جديدة: قانون الولاء القبلي. هذا القانون ليس مجرد خطة استراتيجية؛ إنه أشبه بصفقة عتيقة، تُعقد تحت ظلال النخيل، حيث تُقاس الكلمات بموازين الذهب، وتُنسج العلاقات بخيوط من تاريخٍ لا يعرف النهاية.

تخيل نفسك، أيها السياسي البارع، وقد وجدت نفسك على قمة جبل من الأزمات، تحيط بك كالذئاب الجائعة. لا تجد في خزائن الدولة ما يكفي لسد أفواه الجميع، ولا تملك جيشًا من البرابرة لتحكم به بالقوة. لكنك تعلم أن هناك سلاحًا مخفيًا بين الرمال والصخور: الولاء القبلي. هذا الولاء هو السلاح الذي لا يصدأ، الجذر العميق في تربة العشائر الذي ينبت منه الدعم والطاعة.

تبدأ بحركة ذكية، وكأنك تسحب كنزًا مدفونًا من تحت الرمال. تدعو زعماء القبائل إلى مجلسك، لكنك لا تستقبلهم كضيوف عاديين. تستقبلهم كما يستقبل الشاعر ضيوفه في ملحمة قديمة، تُظهر لهم أنك لا تحمل فقط سيف السلطة، بل أيضًا عصا الحنكة والتفهم. تقدم لهم ما هو أكثر من المال: تقدم لهم الاحترام الذي يبحثون عنه في دفاتر التاريخ. تدرك أنهم لا يحتاجون إلى خطب رنانة أو وعود زائفة، بل إلى تذكير بأنك، في قرارة نفسك، تعرف كيف تلامس الجذور العميقة التي تربطهم بالأرض.

ثم تأتي الخطوة التالية: توزيع الهدايا والامتيازات. ولكن هنا، تتقن فن اللعب على الحافة. لا تمنحهم الكثير، فتغرقهم في الرضا الذي قد يؤدي إلى التمرد لاحقًا، ولا تمنحهم القليل، فتُشعل فتيل الغضب. تمنحهم بالقدر الذي يجعلهم يتشوقون للمزيد، بالقدر الذي يجعلهم يشعرون أن

يدك الممدودة ليست يد مانح، بل يد شريك يحتاج إليهم بقدر حاجتهم إليه.

وعندما تبدأ رياح التغيير بالهبوب، تقف بثبات في عين العاصفة، بينما تترك القبائل تتولى مهمة تثبيت أركان حكمك. لماذا تحتاج إلى جيوش من المرتزقة بينما لديك جيوش من الرجال المخلصين لعشائرهم، هؤلاء الذين يرون فيك امتداداً لزعمائهم التاريخيين، ويفهمون أن حماية حكمك هي حماية لشرف القبيلة وكرامتها؟ تشعر بأنك قائد جيوش خفية، لا تُرى ولكن تُسمع وتُطاع.

لكن لا تنخدع، فالقبائل ليست غافلة. كما أن للولاء القبلي ثمن، فإن له أيضًا طموحات تتجاوز حدود الولاء. قد تجد في لحظة غير محسوبة أن تلك القبائل التي اعتمدت عليها بدأت تفكر في أنها أقوى منك، وأن الوقت قد حان لتأخذ نصيبها من السلطة كاملاً. هنا، تتحول من سياسي محنك إلى مروض لأسود شرسة، لا تعرف متى تقرر أن تنقلب عليك.

وفي خضم هذه اللعبة، تتساءل أحيانًا، بينك وبين نفسك، إذا ما كان اللعب على أوتار الولاء القبلي هو السبيل الأمثل للبقاء. صحيح أنك تضمن دعم القبائل، لكنك أيضًا تعلم أن هذه اللعبة تضعف مركزية حكمك. القبائل، وإن بدت مخلصة، قد تتحول إلى كتل طموحة، ترى فيك مجرد وسيلة لتحقيق أهدافها. كيف تتحكم في زعيم قبيلة يرى نفسه ندًا لك؟ كيف تُبقي الجميع تحت سيطرتك دون أن تفقد سيطرتك على نفسك؟

وتدرك، وأنت تراقب الأحداث من عليائك، أن ما تزرعه اليوم من ولاءات قد يحصد غداً عواصف. القبائل التي تعتمد عليها قد تصبح هي نفسها العاصفة التي تقلب موازين القوى. فما كان يومًا حصنًا لحمايتك، قد يتحول إلى قيد يقيدك، إن لم تحسن اللعب على هذه الأوتار المشدودة.

وفي نهاية المطاف، عندما تجد نفسك قد تحولت إلى زعيم يحيط به زعماء، تذكر أن القوة الحقيقية لا تكمن فقط في التحالف مع القبائل، بل في القدرة

على أن تكون قائداً للجميع ، لا أسيراً للولاءات . تذكر أن تلك الشجرة التي زرعتها في تربة العشائر تحتاج إلى ريٍّ دائم ، وأن الريّ الزائد قد يُغرق جذورها في الطين .

وهكذا ، تستمر اللعبة ، حيث تبني حكمك على الولاءات القبلية ، تسقيها بالعطايا وتحصنها بالوعود . لكن تذكر دائماً أن الولاءات قد تكون سيفاً ذا حدين . اليوم أنت من يتحكم ، ولكن غداً قد تجد نفسك في قبضة تلك القبائل التي تحالفت معها ، تبحث عن طريق للخروج من تلك الحفرة التي حفرتها بنفسك . فالسياسة ، كما تعلمت ، هي لعبة طويلة ومعقدة ، وأحيانًا تكون نهاية اللعبة في اللحظة التي تظن فيها أنك قد فزت بها .

٦٤- قانون السخرية من المعارضة: اجعلهم أضحوكة المجالس وسلِبهم هيبتهم بالتهكم

في السياسة العراقية، حيث تُخلط الحقائق بالأوهام وتُقدم النكات على أنها حكمة، يبرز قانون لا يقل دهاءً عن أي قانون آخر في لعبة السلطة: قانون السخرية من المعارضة. هذا القانون ليس مجرد أداة للتسلية، بل هو سلاح فعّال يستخدمه الحاكم لإسقاط هيبة خصومه، وتحويلهم إلى مادة للضحك، تُطرح على الطاولة بين كوب من الشاي وقطعة من الحلوى.

تخيل نفسك، أيها السياسي المتمرس، وقد بدأت أصوات المعارضة ترتفع، تحاول أن تكسر حاجز الصمت وتنقل رسائلها إلى الناس. ولكنك، بدلاً من أن تواجه هذه الأصوات بالحجج والبراهين، تقرر أن تسحب بساط الجدية من تحت أقدامهم، وتجعل من كل كلمة يتفوهون بها مناسبة للتهكم والسخرية. لماذا تهدر وقتك في الجدل، بينما يمكنك أن تجعلهم أضحوكة أمام الملأ؟

البداية تكون بنزع الهيبة عن المعارِضة، فتُظهرهم كأنهم مجموعة من المهرجين الذين لا يعرفون كيف يُدار بلد. تلتقط أخطائهم الصغيرة وتضخمها، تجعل من زلات لسانهم عناوين رئيسية في الصحف. وعندما يحاولون تقديم أفكارهم، ترد عليهم بابتسامة عريضة وكأنك تقول: "هل هؤلاء من يُريدون قيادة البلاد؟ لا عجب أن الأمور تسير على هذا النحو."!

ثم تبدأ في إطلاق النكات على حسابهم، تجعل من كل اقتراح يقدمونه مادة خصبة للسخرية. تُشبه أفكارهم بمحاولات طائر صغير في تعلم الطيران وسط عاصفة. تقول لهم: "يا أصدقائي، لقد شاهدنا من قبل كيف يحاول الأطفال تقليد الكبار، ولكننا لم نرَ من قبل أطفالا يحاولون قيادة أمة!" بهذه الطريقة، تجعل الناس ينظرون إلى المعارضة كأنها مجرد

طلاب في مدرسة السياسة، يحتاجون إلى سنوات من التعلم قبل أن يُسمح لهم بدخول ساحة اللعب مع الكبار.

وتستمر في تسليط الضوء على التناقضات في مواقفهم، تُظهرهم كأنهم يتنقلون من موقف إلى آخر كراقص على حبل، لا يعرف كيف يحافظ على توازنه. تقول عنهم: "إنهم يتحدثون عن المبادئ لكنهم لا يعرفون معنى الثبات على المبدأ، يتحدثون عن الشجاعة لكنهم لا يجرؤون على اتخاذ موقف واضح." تجعلهم يظهرون كأنهم جماعة من المرتبكين، يبحثون عن موقف يلائم يومهم فقط دون النظر إلى ما بعده.

ولا تتوقف عند هذا الحد، بل تنشر قصصًا هزلية عنهم، تجعل من حياتهم الخاصة مادة للضحك في المقاهي والمجالس. تُخبر الناس أن أحد زعماء المعارضة قد فشل في إدارة مشروع تجاري صغير، فكيف يمكنه أن يدير دولة؟ تُلمّح إلى أنهم يتحدثون عن الإصلاح بينما يركبون سيارات فاخرة ويعيشون في بيوت فاخرة. تجعلهم يظهرون كأنهم يعيشون في عالم آخر، بعيداً عن واقع الناس العاديين.

ومع مرور الوقت، تجد أن الناس قد بدأوا يستهزئون بالمعارضة قبل أن تستمع إليهم. كلما حاولت المعارضة الحديث، كان الرد جاهزاً: "ها هم المهرجون يتحدثون مجدداً!" تحولّت المعارضة من قوة محتملة إلى مادة ترفيهية، تُستخدم لكسر رتابة الحياة اليومية.

لكن حاذر، أيها السياسي البارع، فإن السخرية سلاح ذو حدين. اليوم تجني ثمارها، لكن غداً قد تجد نفسك هدفًا للسخرية إذا ما تبدلت الأوضاع. السخرية التي جعلت منها سلاحًا قد تتحول إلى سيف مسلط عليك، إذا ما فقدت السيطرة على دفة الأمور. فالناس قد يضحكون اليوم، لكنهم قد يبكون غداً إذا ما اكتشفوا أن السخرية كانت مجرد غطاء يخفي خلفه فشلا في التعامل مع القضايا الحقيقية.

وفي النهاية، عندما تستعرض نجاحاتك وتجد أن المعارضة قد تحولت إلى شبح يلاحقها التهكم في كل مكان، تذكر أن هذه اللعبة، رغم متعتها،

قد تكون محفوفة بالمخاطر. قد تسخر من المعارضة اليوم، لكن تذكر أن السياسة عالم متقلب، وما تجنيه اليوم قد تخسره غداً إذا لم تحسن استخدام هذا السلاح.

هكذا، يظل قانون السخرية من المعارضة فنًا يتطلب مهارة وذكاءً. اليوم تُضحك الناس، وتجعل من خصومك أضحوكة، لكن تذكر دائمًا أن الضحك قد يتحول إلى غضب إذا ما اكتشف الناس أن السخرية كانت مجرد قناع لحجب الحقيقة. فالسياسة، كما تعلم، ليست مجرد نكات تُلقى في المجالس، بل هي توازن دقيق بين الحقيقة والتهكم، بين الجدية والهزل، بين السخرية واحترام العقول.

٦٥- قانون اللعب على الحبال: توازن بحذر، ولا تدع قدمك تستقر على أرض واحدة

في السياسة العراقية، حيث تُبنى التحالفات على أسس متغيرة وتتقلب الولاءات كما تتقلب الرياح في صحراء جافة، يظهر قانون قديم بألوان جديدة: قانون اللعب على الحبال. هذا القانون ليس مجرد استراتيجية، بل هو فنٌ دقيق يمارسه السياسي المتمرس، الذي يعرف كيف يظل ثابتًا في وسط العاصفة، متجنبًا أي انحياز قد يكلفه كرسي الحكم.

تخيل نفسك، أيها السياسي الماكر، وأنت تسير على حبل مشدود فوق واد سحيق. تحتك ظلمات السياسة المليئة بالألغام والفخاخ، وعلى جانبيك قوى متصارعة، كل منها يسعى لجذبك نحو معسكره. لكنك تعرف أن الانحياز الكامل لأي طرف يعني فقدان المرونة التي تعتمد عليها للبقاء في القمة. فأنت البهلوان الذي يتقن فن التوازن، تتحرك بخفة بين الأطراف، دون أن تدع قدميك تثبتان على أرض واحدة.

أول ما تفعله هو دراسة اللاعبين الرئيسيين في الساحة بدقة متناهية، كطائر جارح يراقب فرائسه من على بعد. تعرف متى تقترب، ومتى تتراجع، ومتى تترك الأمور معلقة في الهواء، كأنها مسألة لم يُحسم أمرها بعد. تُظهر للجميع أنك معهم، لكنك في الحقيقة معهم بقدر ما يخدم مصالحك. تُبقي الأمور غامضة، فتجعل كل طرف يعتقد أنك حليفه الأقرب، بينما في واقع الأمر، أنت لا تنتمي لأحد سوى لنفسك.

وفي الوقت نفسه، تلعب دور الميزان بحذر شديد. تزن كل كلمة، وكل وعد، وكأنك تسير على ريشة لا تحتمل الثقل. تُعطي كل طرف ما يكفي لإبقائه قريبًا، دون أن تمنحه السيطرة عليك. في الاجتماعات، تتحدث بلغة دبلوماسية معقدة، تُشيد بكل الأطراف ولا تُعارض أحدًا. تجعل الجميع يشعرون بأنك معهم قلبًا وقالبًا، ولكن عندما يغادرون، يدركون أنهم لم يحصلوا منك على شيء ملموس. أنت، ببساطة، تُلقي بالكلمات دون أن تُفصح عن موقفك الحقيقي.

وتدرك جيداً أن الشكوك هي حليفك الأكبر في هذه اللعبة. تُغذي هذه الشكوك بمهارة، تلمح لكل طرف بأن الطرف الآخر قد يتخلى عنه في أي لحظة. تُظهر نفسك كالجسر الذي يصل بين الضفاف المتباعدة، ولكنه جسر غير مستقر، قد ينهار في أي لحظة إذا ما اعتمدوا عليه بشكل كامل. تجعلهم يعيشون في حالة من الترقب والقلق، يتساءلون كل يوم: "إلى أي جانب ينحاز هذا السياسي؟ وما الذي يُخطط له في الخفاء؟"

ومع مرور الوقت، تصبح أنت مركز الجاذبية في هذا الكون السياسي المضطرب. كل القوى تسعى لكسبك، وكلها تخشى فقدانك. تُصبح الحبل الذي يمسك به الجميع، ولكنك، بحنكتك، لا تدعهم يمسكون بك بشكل كامل. تُبقي الحبل مشدوداً، لا يدري أحد إن كان سيظل كذلك أم سينقطع فجأة. تحول نفسك إلى لغز دائم، تجعل الجميع يشعرون بأنك الحليف الذي لا يمكن الوثوق به تماماً، ولكنهم في الوقت نفسه لا يستطيعون الاستغناء عنه.

لكن حاذر، أيها السياسي الذكي، فاللعب على الحبال قد يجعلك تحلق عالياً، لكنه قد يجعلك أيضاً تسقط سقوطاً مدوياً إذا فقدت توازنك ولو للحظة. الأطراف التي تسعى لكسبك قد تتحول إلى أعداء شرسين إذا ما شعرت أنك تخدعها، والتوازن الذي تبنيه بعناية قد ينهار إذا ما أخطأت في حساباتك. فالسياسة، كما تعلم، ليست لعبة لا تنتهي؛ إنها سلسلة من القرارات الحاسمة التي قد تنقلب عليك في أي لحظة.

وفي نهاية المطاف، عندما تجد نفسك قد نجحت في البقاء في القمة دون أن تُظهر ولاءك الكامل لأي طرف، تذكر أن هذه اللعبة لا تنتهي أبداً. ستظل طوال حياتك تسير على حبل رفيع، تحاول الحفاظ على توازنك بين قوى متصارعة، دون أن تمنح أي منها اليد العليا. ستظل تتقن فن الحديث دون الإفصاح، وتوزيع الوعود دون الوفاء، لأنك تعلم أن لحظة الانحياز الكامل هي لحظة السقوط المحتوم.

لكن قبل أن تبتسم برضا، تذكر أن التوازن الدقيق قد يتحول إلى لعنة تُلاحقك، إذا ما استشعر الناس أنك لست سوى لاعب على الحبال، يسعى لتحقيق مكاسب شخصية دون أن يعير مصالحهم الحقيقية أي اهتمام. فمن يلعب على الحبال قد يعتقد أنه يتحكم في اللعبة، لكنه قد يسقط فجأة إذا ما تلاشت الثقة من حوله.

هكذا، يظل قانون اللعب على الحبال سلاحًا ذو حدين. اليوم تمسك بزمام اللعبة، تتحكم في القوى المختلفة كيفما تشاء، لكن غداً قد تجد أن الحبال التي لعبت عليها قد تحولت إلى قيود تُكبلك. فاحذر، أيها السياسي الماهر، من أن يتحول هذا التوازن الدقيق إلى سكين يجرحك، ولا تنسَ أن من يركب الموجات دون أن يستقر قد يجد نفسه في يوم ما غارقًا في بحر من الفوضى.

٦٦- قانون الاحتفاظ بالولاءات المتعددة: كن كنايٍ يعزف على كل وتر، ولا تدع نغمة واحدة تسيطر على اللحن

في متاهات السياسة العراقية، حيث الولاءات هي السلعة الأثمن، وحيث التوازن بين القوى هو السبيل للبقاء، يظهر قانون براق: قانون الاحتفاظ بالولاءات المتعددة. هذا القانون ليس مجرد استراتيجية عابرة، بل هو حرفة يمارسها السياسي البارع، الذي يعرف كيف يعزف على أوتار مختلفة دون أن يقطع حبله الرفيع. إنه فن البقاء في القمة، مع التلاعب بالمصالح المتناقضة وكأنها نغمات تُعزف على ناي قديم.

تخيل نفسك، أيها السياسي المحنك، وأنت تقف وسط ساحة مليئة باللاعبين، كلٌ منهم يتطلع لأن يكون الأقرب إليك، يضع فيك آماله ويطمع في دعمك. لكنك تعلم أن سر البقاء في هذه اللعبة ليس في الانحياز لطرف واحد، بل في التلاعب بالجميع، وجعل كل طرف يعتقد أنه الوحيد الذي يحمل مفتاح قلبك السياسي. هنا، تبدأ رحلتك كناي يعزف نغمات مختلفة، كل نغمة تستجيب لطموحات طرف معين.

تبدأ بابتسامة تتناغم مع كل من يقف أمامك، تجعلهم يشعرون بأنهم يتحدثون إلى صديق حميم، إلى شخص يرى فيهم العمود الفقري لمستقبله. تُثني على كل واحد منهم بأسلوب يجعلهم يعتقدون أنهم هم الدعامة التي يرتكز عليها بنيانك السياسي. "أنت الرمز الحقيقي للوفاء"، تقول لأحدهم، وللآخر تهمس: "لا يمكننا أن نحقق شيئًا بدونك." وهكذا، تزرع في قلوبهم الشعور بأنهم الأهم، وأن وجودهم بجانبك هو ما يمنحهم قيمتهم الحقيقية.

ثم تنتقل إلى المرحلة التالية: بناء التحالفات المتوازنة. تعرف أن التوازن في هذه اللعبة هو كل شيء. لا تمنح ولاءك الكامل لأحد، بل توزع وعودك كما يوزع الراعي الماء على قطعان مختلفة. تتحدث بحذر، كلماتك تلامس القلوب لكنها لا تلتزم بأي شيء. في كل اجتماع، تُلقي

بالكلمات التي تجذب آذان الجميع، لكنك تتجنب إعطاء أي طرف ما يكفي ليفرض عليك سيطرته.

وأنت تلعب على هذه الأوتار المتعددة، لا تنسى أن تشعل نار الغيرة بين الأطراف. تُلمح لكل طرف أن الآخر قد يخذله في أي لحظة، وأنك الشخص الوحيد الذي يمكنه الحفاظ على التوازن. تجعلهم يشعرون بأنك الكفة التي لا غنى عنها في ميزان القوى المتقلب. تُبقيهم في حالة من التوتر الدائم، يتساءلون دومًا عن موقفك الحقيقي، ولا يجدون الإجابة أبدًا.

ومع مرور الوقت، تصبح أنت المايسترو الذي يقود أوركسترا من الولاءات المتعددة. كل طرف يعتقد أنه الأقرب إليك، بينما في الحقيقة أنت لا تقترب من أحد بما يكفي ليفرض عليك قيوداً. تلعب على وتر الطموحات الشخصية، تجعل كل زعيم يشعر بأنه هو الجسر الذي تعبر من خلاله لتحقيق أهدافك. وفي الوقت ذاته، تحافظ على مسافة آمنة تجعلك قادراً على تغيير اتجاهك في أي لحظة، إذا ما دعت الحاجة.

لكن في داخلك، تعلم أن هذه اللعبة محفوفة بالمخاطر. اليوم تنجح في التلاعب بالجميع، لكن غداً قد تجد نفسك في مواجهة مع من شعروا بالخداع. الولاءات التي بنت لك جسراً متينًا قد تتحول إلى حجارة تسقط عليك إذا ما اكتشفوا أنك كنت تلعب بأوراق متعددة. كلما زاد عدد الولاءات التي تحاول الاحتفاظ بها، كلما زادت احتمالات سقوطك إذا ما فقدت السيطرة.

وفي لحظات الصمت بين العزف على هذه الأوتار المتعددة، تتساءل بينك وبين نفسك: هل يمكن للناي أن يعزف نغمة واحدة نقية في هذا الكون المليء بالتناقضات؟ هل يمكنك أن تظل سيداً على الجميع دون أن تخسر ثقة أي منهم؟ أم أن اللحظة التي تتوقف فيها عن العزف هي اللحظة التي تبدأ فيها الولاءات في الانهيار كقلاع من رمل؟

وفي النهاية، عندما تجد نفسك قد نجحت في إبقاء كل الأطراف قريبة منك، تذكر أن هذه اللعبة لا تنتهي أبدًا. ستظل دائمًا مطالبًا بالحفاظ على هذا

التوازن الدقيق بين الولاءات المختلفة، ستظل دائمًا تبحث عن النغمة المثلى التي تُرضي الجميع دون أن تُفصح عن نيتك الحقيقية. لكن لا تنسَ أن الناي الذي يعزف على أكثر من وتر قد يجد نفسه يومًا وقد اختلطت نغماته، فلا يسمع منه سوى ضجيج متشابك.

هكذا، يبقى قانون الاحتفاظ بالولاءات المتعددة سلاحًا فعّالا، لكنه يتطلب مهارة فائقة وحذراً مستمراً في الاستخدام. اليوم تتحكم في اللعبة، لكن تذكر أن من يعزف على أوتار متعددة قد يجد نفسه في نهاية المطاف غير قادر على السيطرة على النغمة النهائية. فالسياسة، كما تعلم، ليست مجرد لعبة ولاءات، بل هي سمفونية معقدة، حيث النجاح الحقيقي يكمن في القدرة على العزف المتناغم دون أن تفقد إيقاعك.

٦٧- قانون التجزئة: اجعل البلاد رقعة من فسيفساء متصارعة، وكن أنت الصانع الوحيد لتلك اللوحة الفريدة

في عالم السياسة العراقية، حيث تتصارع القوى وتتنازع الأطراف، يظهر قانون قديم بوجه جديد: قانون التجزئة. إنه قانون يعرفه الساسة منذ أقدم العصور، ولكنه يعود اليوم ليُمارس بمهارة جديدة، وكأنه خُلق خصيصاً لتحكم قبضتك على البلاد. قانون يقوم على فكرة بسيطة ولكنها فعالة: قسم البلاد إلى مناطق نفوذ متناحرة، واجعل من نفسك الحكم الوحيد الذي لا يُستغنى عنه، الحاكم الذي يلجأ إليه الجميع لحل نزاعاتهم، والوحيد الذي يعرف كيف يُبقي هذا الفسيفساء متماسكاً دون أن يتحطم.

تخيل نفسك، أيها السياسي المتمرس، وقد وجدت نفسك في بلد تكتنفه الأزمات، حيث تشتعل الصراعات وتتعالى الأصوات المتنافرة. تعلم جيداً أن الوحدة قد تكون خطراً على سلطانك، فالوحدة تخلق قوة، والقوة قد تتحول إلى تهديد. إذن، كيف تحتفظ بالسيطرة في ظل هذه الظروف؟ هنا، يأتي دور قانون التجزئة. قرر أن تقسم البلاد إلى مناطق نفوذ، كل منطقة لها قائدها، وكل قائد له طموحاته وصراعاته الخاصة. وهكذا، تصبح البلاد كلوحة من الفسيفساء، كل قطعة فيها تتنافس مع الأخرى، ولكنها لا تستطيع أن تشكل صورة كاملة دونك.

البداية تكون بتشجيع تلك الانقسامات الطبيعية التي تعاني منها البلاد. لا تقاومها، بل على العكس، قم بتغذيتها، اجعل كل منطقة تشعر بأنها كيان مستقل، وأن مصالحها تختلف عن مصالح جيرانها. كلما زادت الاختلافات، كلما تعمقت الشروخ، وكلما أصبح من السهل عليك أن تتحكم في تلك الفسيفساء المعقدة.

ثم تأتي الخطوة التالية: اجعل نفسك الوسيط الوحيد بين هذه المناطق. كن الشخص الذي يلجأ إليه الجميع لحل نزاعاتهم، فكلما ازدادت النزاعات، كلما تعززت حاجتهم إليك. تقول لقائد إحدى المناطق: "لست وحدك، أنا هنا لأساعدك". وتقول لقائد آخر: "أنت تعلم أن

استقرار منطقتك يعتمد على حكمتي". بهذه الطريقة، يصبحون جميعًا متشابكين في خيوط شبكتك، ويجدون أنفسهم مضطرين للاستماع إلى صوتك كأنه صوت العدل الأخير.

وفي الوقت نفسه، لا تنسَ أن تزرع بذور الشكوك بين القادة المختلفين. اجعلهم يشكون في نوايا بعضهم البعض، اجعلهم يعتقدون أن كل خطوة يخطوها أحدهم هي خطوة نحو السيطرة على البقية. بهذه الطريقة، يصبحون منشغلين بصراعاتهم الداخلية، غير قادرين على التركيز على الهدف الأكبر الذي قد يهدد سلطتك. أنت، بالطبع، تبقى فوق كل هذه النزاعات، تراقبها من برجك العاجي، وتتحكم فيها كأنك إله يحرك قطعًا على رقعة معقدة.

ومع مرور الوقت، تجد أن البلاد قد تحولت إلى فسيفساء من المصالح المتضاربة، كل جزء فيها يحتاج إلى دعمك وحكمتك للبقاء. كل قائد محلي يحاول إثبات ولائه لك، ليس لأنهم يحبونك، بل لأنهم يعلمون أن بقائهم مرتبط ببقائك. وهكذا، تصبح البلاد تحت سيطرتك الكاملة، دون أن تحتاج إلى فرض سطوة مباشرة.

لكن حاذر، فهذه اللعبة معقدة بقدر ما هي فعالة. اليوم تتحكم في كل شيء، لكن غدًا قد تجد أن هذه الفسيفساء قد بدأت تتفكك بشكل لا يمكنك السيطرة عليه. إذا ما فقدت السيطرة على أحد الأجزاء، قد تنهار اللوحة بأكملها، وتجد نفسك في مواجهة قوى لا تستطيع التحكم فيها. فالتجزئة التي تعتمد عليها قد تكون سلاحًا ذا حدين، تبقيك في القمة اليوم، لكنها قد تجعلك تسقط غدًا إذا ما خرجت الأمور عن سيطرتك.

عندما تنظر إلى البلاد التي قسّمتها بذكاء، وتدرك أنك قد نجحت في الاحتفاظ بالسلطة في ظل هذا التشتت، تذكر أن هذا النجاح ليس إلا بداية لتحديات أكبر. ستظل دائمًا مطالبًا بالحفاظ على التوازن بين تلك الأجزاء المتصارعة، وستظل دائمًا تواجه خطر أن تتحول لعبة التجزئة إلى فوضى

عارمة. فلا تنسَ، أيها السياسي المحنك، أن من يصنع الفسيفساء قد يجد نفسه يومًا غير قادر على إعادة تجميع قطعها إذا ما تفككت أمام عينيه.

هكذا، يبقى قانون التجزئة أداة قوية في يدك، لكنه يتطلب مهارة وحذراً في الاستخدام. اليوم أنت الحاكم الوحيد، القادر على إبقاء الجميع تحت سيطرتك، لكن تذكر أن الفسيفساء التي صنعتها قد تكون أكثر هشاشة مما تبدو. فاحذر أن تتحول قوتك إلى ضعف، وأن تجد نفسك يومًا ما أمام لوحة مهشمة، لا يمكن إصلاحها.

٦٨- قانون الابتزاز السياسي: احكم قبضتك على رقابهم بخيوط الماضي المدفونة، ودع أسرارهم تتحول إلى قنابل موقوتة تحت رحمتك

في السياسة العراقية، حيث تُخاض المعارك في الظل وتُنسج العلاقات بخيوط دقيقة من المصالح المتبادلة، يظهر قانون لا يُكتب في الدساتير ولكنه حاضرٌ بقوة في كل زوايا اللعبة: قانون الابتزاز السياسي. إنه القانون الذي يجعل من الماضي سيفًا معلقًا فوق رؤوس خصومك، وأنت وحدك من يملك الحبل الذي يقرر متى يسقط هذا السيف.

تصور نفسك، أيها السياسي المتمرس، وأنت جالس في مكتبك، محاطًا بملفات سرية تحمل في طياتها أسراراً دُفنت منذ زمن، لكنها لم تُنسَ. ليست هذه الأسرار مجرد أوراق صفراء أو وثائق مهترئة، بل هي قنابل موقوتة، مدفونة في أعماق الأرض، تنتظر اللحظة المناسبة لتنفجر وتطيح بكل من يحاول الوقوف في طريقك. تعلم جيداً أن السياسة ليست فقط لعبة مصالح، بل هي أيضاً لعبة ذاكرة. الذاكرة التي تحتفظ بها، وتعيد استحضارها في اللحظات الحرجة، تجعل من أعدائك كائنات هشة، ترتنح كلما لوحت لهم بتلك الذكريات المزعجة.

تبدأ جمع تلك الأسرار في الوقت الذي يتسابق فيه الآخرون على السلطة. قد تكون قضية فساد مالي تورط فيها أحدهم في لحظة طمع، أو جريمة صغيرة تم التستر عليها، أو ربما مجرد همسات انتشرت حول سمعة أحدهم، تتسلل كالدخان في أروقة السياسة. كلما جمعت المزيد، زادت قوتك. الأسرار تتراكم في خزائنك كأحجار ثقيلة في بئر عميق، تنتظر اللحظة المناسبة لتُلقى في السطح، محولة الماء الراكد إلى دوامات لا يمكن السيطرة عليها.

لكن حنكتك تظهر عندما تبدأ في استخدام تلك الأسرار. لا تُهاجم مباشرة، بل تبدأ بالتلميحات الذكية. تمرر ملاحظات تبدو عفوية، ولكنها في الحقيقة موجهة بدقة. تقول في اجتماع رسمي: "أذكر أن أحدنا

كان في موقف مشابه منذ سنوات، أتمنى أن تكون التجارب قد علمته شيئًا." تُلقي بالكلمات وكأنها ريش خفيف، ولكن كل كلمة تُخلف وراءها أثراً ثقيلا في نفوس من يعرفون أنك تشير إليهم.

ومع مرور الوقت، تتحول هذه التلميحات إلى أدوات ضغط. تجعلهم يدركون أن كل خطوة خاطئة قد تُخرج تلك الأسرار من الظل إلى النور، وأن سمعتهم ومناصبهم كلها رهن إشارة منك. تقول لهم بابتسامة ماكرة: "أنا هنا لأضمن أن ماضيكم يظل في الماضي، ولكن بالطبع، هذا يتطلب تعاونًا مستمراً". تجعلهم يعيشون في رعب دائم، يخشون أن تتسرب أسرارهم في لحظة لا يمكنهم السيطرة عليها.

لكن الأمر لا يتوقف عند هذا الحد. تستخدم تلك الأسرار لتشكيل ولاءات جديدة، ولإجبارهم على تغيير مساراتهم. تجعلهم يتنازلون عن مواقفهم الصلبة، ويتحولون إلى أدوات طيعة في يدك. تهمس في آذانهم: "أنت تعلم جيداً ما يمكن أن يحدث إذا لم تتخذ القرار الصحيح." وهكذا، تُبقي قبضتك على رقابهم، تديرهم كيفما تشاء، وكأنهم بيادق صغيرة في لعبة أكبر منهم.

ومع كل هذا النفوذ الذي تجمعه، لا تنسى أن تراقب علامات الخطر. تبدأ بالشك في نوايا أولئك الذين يعرفون الكثير، وتتساءل بينك وبين نفسك: هل يخططون للانتقام؟ هل يتآمرون في الخفاء للإطاحة بي؟ تبدأ تشعر بثقل تلك الأسرار التي كنت تعتبرها قوتك. الآن، تتحول تلك الأسرار إلى عبء ثقيل، تحمله على أكتافك وأنت تتساءل: "ماذا لو انقلبت اللعبة؟"

وفي لحظات الصمت، حين تجلس وحيداً تتأمل في مسيرتك، تتساءل إذا ما كان الابتزاز هو السبيل الأمثل للحفاظ على السلطة. هل يمكن لتلك الأسرار أن تبقى مدفونة إلى الأبد؟ أم أن يوماً ما سيأتي عندما تنفجر تلك القنابل الموقوتة في وجهك، محولةً كل ما بنيته إلى رماد؟

وفي النهاية، عندما تنظر إلى كل من خضع لسلطانك، تتذكر أن اللعبة لم تنته بعد. الابتزاز قد يبقيك في القمة اليوم، لكنه قد يجعلك تسقط سقوطًا مدوِيًا إذا ما فقدت السيطرة غدًا. الأسرار التي تحتفظ بها قد تصبح يومًا ما سيفًا مسلطًا على عنقك إذا ما قررت الرياح أن تغير اتجاهها.

هكذا، يبقى قانون الابتزاز السياسي سلاحًا ذا حدين. اليوم تجعله يعمل لصالحك، تدير به دفة الأمور، لكن تذكر دائمًا أن من يلعب بهذه الأدوات قد يجد نفسه في نهاية المطاف محاصراً في شبكته الخاصة. فالسياسة ليست مجرد لعبة أسرار، بل هي لعبة بقاء، حيث النجاح الحقيقي يكمن في القدرة على إدارة تلك الأسرار دون أن تتحول إلى لعنة تطاردك في كل خطوة تخطوها.

٦٩- قانون التبرع بالمؤسسات: ازرع بذور الكرم في أرض المصلحة، واحصد ثمار النفوذ بكل خطوة تسيرها

في عالم السياسة العراقية، حيث القلوب تُشترى قبل العقول، وحيث تُبنى السمعة على أساس من الوعود البراقة والهبات العلنية، يظهر قانون قديم بحلة براقة: قانون التبرع بالمؤسسات. هذا القانون هو الفن الذي يتقنه الساسة، حيث يمزجون بين الكرم الظاهر والمصالح الخفية، ليحولوا كل تبرع إلى وسيلة لتلميع صورتهم وتوسيع نفوذهم في آنٍ واحد.

تخيل نفسك، أيها السياسي المخضرم، وقد قررت أن تشد الأنظار إليك، أن تُظهر نفسك كبطل الشعب، الرجل الذي لا يتردد في مد يد العون عند الحاجة. ولكنك تعلم جيداً أن الكرم الخالص قد يكون مجرد حماقة في هذا العالم المليء بالأطماع. إذن، كيف تُقدم نفسك كراعٍ للمؤسسات، بينما تضمن أن كل دينار تنفقه يعود إليك مضاعفًا في صورةً نفوذ وسلطة؟

البداية تكون باختيار المؤسسات بعناية. لا تُلقي بكرمك هنا وهناك دون تمييز، بل اختر تلك المؤسسات التي لها حضور قوي وتأثير واسع. تلك التي يمكن أن تضع اسمك على لوحات الشرف، وتجعلك تتصدر عناوين الصحف وتغلف صورتك بهالة من المجد. ربما تكون مستشفى كبيرة أو مدرسة مرموقة، أو حتى مؤسسة خيرية تديرها شخصيات مؤثرة. المهم هو أن يكون لتبرعك صدى يتردد في كل أرجاء البلاد.

ثم تبدأ في إعداد المسرحية الكبرى. تقيم حفلاً كبيراً، تدعو إليه وسائل الإعلام والشخصيات البارزة، وتجعل من كل تبرع حدثًا يستحق التغطية الحية. تسير بين الحشود بخطوات واثقة، تحمل شيكًا ضخمًا بأرقام كبيرة، تلمع أمام عدسات الكاميرات وكأنها شهادة على كرمك الذي لا حدود له. لكنك، في قرارة نفسك، تعلم أن هذا التبرع ليس سوى استثمار، استثمار في صورتك، وفي النفوذ الذي ستحصده لاحقًا.

وفي كل خطوة تخطوها، تحرص على أن تجعل الجميع يفهمون أنك لست مجرد رجل يعطي دون مقابل. بعد أن تقدم تبرعك، تبدأ في جني الثمار بهدوء. تحصل على ولاء القائمين على تلك المؤسسات، وتجعل منهم أصدقاء مقربين، مستعدين لتلبية طلباتك في أي وقت. تضمن أن يكون لهم دور في دعمك في المواقف الصعبة، وأنهم لن ينسوا أبداً من الذي أنقذهم في وقت الحاجة.

ولا تتوقف عند هذا الحد، بل تبدأ في استخدام هذا النفوذ لتوسيع رقعة سيطرتك. تستغل كل فرصة لتذكير الجميع بما قدمته، تجني الامتيازات والعقود والصفقات، تجعل من تبرعاتك بوابة لتحقيق مكاسب أكبر وأوسع. كل مرة تلوح فيها بيدك للناس، تُذكرهم بأنك الرجل الذي يهتم بمصالحهم، لكنك لا تفعل شيئًا دون أن تحصل على ما تستحقه من عوائد.

تجد أنك قد أصبحت نجم الساحة، الرجل الذي لا يتردد في مساعدة الآخرين، ولكنك في الوقت ذاته الشخص الذي لا يُستهان به في عالم المصالح المتشابكة. كلما ازداد سخاؤك الظاهر، كلما تعمقت مصالحك الحقيقية. كلما امتدت يدك بالعطاء، كلما ازداد إحكام قبضتك على مفاصل السلطة.

لكن احذر، فالجمهور ليس غافلاً كما قد تتصور. اليوم تلمع صورتك في أعينهم، لكن غداً قد تجدهم يتساءلون عن النوايا الخفية وراء تلك التبرعات السخية. إذا ما اكتشفوا أنك لم تكن تهدف سوى لتحقيق مكاسب شخصية، فقد تتحول الصورة البراقة إلى وجه قبيح، ويصبح ذلك السخاء الذي كنت تتفاخر به مجرد ورقة تين تغطي على طموحات لا علاقة لها بالخير.

عندما تجلس لتقييم نجاحاتك وتستعرض ما حققته من نفوذ، تذكر أن السياسة ليست مجرد لعبة مصالح، بل هي أيضاً لعبة قلوب. الكرم الذي

تزرعه اليوم قد يجني لك النفوذ والسلطة، لكن تذكر دائماً أن تلك البذور تحتاج إلى رعاية مستمرة، وإلا فإنها قد تنبت أشواكًا بدلاً من الثمار.

هكذا، يبقى قانون التبرع بالمؤسسات أداة فعالة في يدك، سلاحًا ذا حدين يمكنك من خلاله تحقيق أحلامك السياسية. اليوم تستغل هذا القانون لصالحك، تحصد الثمار اليانعة من كل تبرع تقدمه، لكن تذكر دائماً أن هذا الحقل الذي تزرعه قد يتحول إلى أرض قاحلة إذا ما أهملت رعايته، وإذا ما اكتشف الناس أن ما كان يبدو كرمًا خالصًا لم يكن سوى عملية حسابية بحتة في دفتر السياسة.

٧٠- قانون الزعامات الوراثية: اجعل العرش شجرة عائلية تمتد جذورها عبر الأجيال، لكن احذر من الرياح العاتية

في السياسة العراقية، حيث السلطة تسري في الدم كما يسري في العروق، وحيث يتم تداول الحكم كما تُورث المجوهرات العائلية، يظهر قانون قديم قدمَ الأزمان: قانون الزعامات الوراثية. هذا القانون لا يُكتب في الدساتير، بل يُحفر في قلوب العائلات، تلك التي ترى في السلطة حقًا شرعيًا يتنقل من جيل إلى جيل، كأنما هو قَدَر لا يمكن تغييره.

تصور نفسك، أيها السياسي الحذق، وقد جلست على عرش الزعامة، عرشٌ لم يكن ليصل إليك لولا تلك السلسلة الطويلة من الأجداد الذين سبقوك. تشعر بالفخر، لكنك تدرك أيضًا أن هذا العرش ليس لك وحدك، بل هو أمانة تنتظر الانتقال إلى الجيل القادم. هنا يبدأ التوتر الداخلي، بين رغبتك في الحفاظ على الإرث وبين خوفك من أن يكون وريثك غير قادر على حمل هذا العبء الثقيل.

وريثك، الذي نشأ في كنف السلطة، تعلّم منذ نعومة أظفاره أن الزعامة ليست مجرد منصب، بل مسؤولية تفرضها الدماء التي تسري في عروقه. كل خطوة تخطوها أنت، يتابعها هو بعينين تملأهما الترقب، يحاول فهم أسرار اللعبة، تلك اللعبة التي قد تبدو له أحيانًا أكثر تعقيداً مما تخيل. هنا، يبدأ التوتر في التسلل إلى نفسك: هل هو مستعد بالفعل؟ هل يمتلك الحكمة والحنكة اللازمتين للحفاظ على هذا الإرث؟ أم أن الزمن قد يُفاجئك ويُظهر أن ما اعتبرته أمراً مُسلمًا به قد يتحول إلى عبء لا يستطيع وريثك تحمله؟

تبدأ في تهيئة الناس لتقبل وريثك كزعيمهم المستقبلي. ليس بالأمر السهل أن تجعل الجميع يرون فيه ما تراه أنت. تتحدث في خطاباتك عن "الدماء التي لا تتغير"، وعن "استمرارية القيادة"، لكنك في داخلك تعلم أن الزمن قد لا يكون دائمًا في صالحك. تُشركه في الاجتماعات، تُعطيه أدواراً رمزية، وتحرص على أن يظهر بجانبك في كل مناسبة رسمية. تدريجيًا،

يبدأ الناس في رؤية وريثك كجزء لا يتجزأ من السلطة، كامتداد طبيعي لتاريخ العائلة.

ومع ذلك، تشعر أحيانًا أن هناك من يراقبك بعين الحذر، من يرى في هذا النظام الوراثي تهديداً لطموحاته. قد يكون هذا المراقب من داخل عائلتك نفسها، فرداً يعتقد أنه أحق بالزعامة، أو من خارج العائلة، طرفًا سياسيًا يتطلع لخلخلة هذا النظام الذي يبدو صلبًا في ظاهره، لكنه قد يكون هشًا إذا ما هبت الرياح بقوة.

في تلك اللحظات، تتساءل بينك وبين نفسك: هل يمكن لهذا النظام أن يستمر إلى الأبد؟ هل يمكن للدم وحده أن يضمن بقاء العرش؟ تشعر بالثقل على كاهلك، ليس فقط ثقل الحكم، بل ثقل الحفاظ على هذا الإرث في مواجهة العواصف التي قد تأتي من حيث لا تتوقع. تُدرك أن الزعامة الوراثية ليست مجرد مسألة نقل سلطة، بل هي معركة مستمرة للحفاظ على الهيبة، على السلطة، وعلى السلالة التي بُنيت عبر الأجيال.

وفي كل خطوة تخطوها لتأمين هذا الانتقال السلس للزعامة، تظل مراقبًا بعين الصقر، تراقب كل من قد يسعى لزعزعة هذا النظام. تفكر في التحديات التي قد تواجه وريثك، في الضغوط التي قد يتعرض لها، في القوى الخارجية التي قد تحاول التلاعب به أو استغلاله. تزداد هواجسك مع الوقت، وتدرك أن التحدي الحقيقي ليس في تسليم الزعامة، بل في ضمان أن من يتسلمها سيكون قادراً على حمايتها كما فعلت أنت.

عندما ترى وريثك جالسًا على العرش، يتلقى التحيات ويصدر الأوامر، تشعر بالفخر، لكن الفخر هذا مخلوط بالقلق. تدرك أن الزعامة الوراثية هي سيف ذو حدين، قد يمنحك القوة، لكنه أيضًا قد يُعرضك للخطر إذا ما أخفقت في إعداد من يخلفك. تتساءل: هل ستظل هذه الشجرة العائلية متماسكة، أم أن الرياح العاتية قد تُسقط بعض فروعها؟

تتأمل في هذا الإرث الذي يبدو كأنه شجرة عملاقة، جذورها عميقة وفروعها تمتد عبر الأجيال. لكنك تعلم أن الشجرة، مهما كانت قوية، تحتاج إلى رعاية مستمرة. تحتاج إلى أن تظل عينك مفتوحة على كل تحد جديد، وأن تكون مستعداً للتعامل معه بحنكة ودراية. تدرك أن السلطةً التي تنتقل عبر الدماء قد تكون قوة لا تقهر، لكنها قد تصبح أيضًا قيداً إذا لم تحافظ على توازنها الدقيق.

هكذا، يبقى قانون الزعامات الوراثية فنًا قديمًا يتطلب حنكة ودقة في التنفيذ. اليوم تسير الأمور كما خططت لها، لكن تذكر دائمًا أن الزمن قد يُغير كل شيء، وأن الشجرة العائلية التي تحميها قد تحتاج إلى تقليم وحماية مستمرة لتظل قوية في وجه العواصف القادمة.

٧١- قانون اللعب بالعواطف: أشعل عواصف الحماسة ودعها تهب حيثما تشاء، بينما تجني أنت الثمار

في السياسة العراقية، حيث الكلمات تحمل أوزانًا أثقل من الجبال، وحيث القلوب لا تُقاد إلا بالعواطف الجياشة، يظهر قانون لا يختلف عن السحر في قدرته على تحويل الجموع إلى جيوش من الولاء: قانون اللعب بالعواطف. إنه الفن الذي يتقنه الساسة، حيث تُستخدم المشاعر الدينية والوطنية كوقود يحرك الجماهير، فتلهب القلوب وتُسكت العقول، وتجعل الهتافات ترتفع باسمك دون أن تدرك تلك الجموع لماذا هتفت في المقام الأول.

تصور نفسك، أيها السياسي البارع، وأنت تقف على منبر السلطة، تُلقي بخطاب يتراقص على أوتار المشاعر. تعلم جيداً أن العقل قد يتردد، لكن القلب إذا تملكه الحماس، فلن يتوقف عن النبض باسمك. تبدأ باللعب على وتر الدين، لا كمسألة روحية، بل كأداة لجمع الناس حولك، فتجعلهم يرون فيك الحامي والراعي للعقيدة، واليد التي تقودهم إلى النجاة.

تقول في خطابك: "نحن أمة تواجه تحديات تفوق ما واجهته في أي وقت مضى. نحن حراس الإيمان، نحن من يقف في وجه الرياح العاتية." تجعل من نفسك الجسر الذي يربط بين الماضي المجيد والحاضر المضطرب، وتجعلهم يرون فيك القائد الذي لا غنى عنه في هذه المعركة المقدسة.

ثم تنتقل بسلاسة إلى الوطنية، فتتحدث عن الوطن كما يتحدث الشاعر عن حبيبته. تقول لهم: "الوطن هو الأرض التي نبتنا منها، هو الدم الذي يجري في عروقنا. كل خطوة نخطوها دفاعاً عنه هي خطوة نحو مجدنا." تحيي فيهم مشاعر الحب والانتماء، وتجعلهم يشعرون بأن الولاء لك هو الطريق الوحيد لحماية هذا الوطن الغالي.

في كل مرة تخاطبهم، تختار كلماتك بعناية فائقة. تتجنب المنطق البارد، وتلجأ إلى العبارات التي تلهب المشاعر. "نحن لسنا مجرد أمة، نحن رسالة، نحن القدر الذي اختاره التاريخ ليكتب عنه." تجعلهم يشعرون بأنهم يعيشون لحظة تاريخية، وأن دعمك هو الخيار الوحيد الذي يضمن لهم مكانًا في صفحات التاريخ.

ومع مرور الوقت، تلاحظ أن هذه اللعبة التي تلعبها أصبحت أكثر قوة وتأثيراً. لا يحتاج الأمر منك سوى كلمات قليلة لتشعل نار الحماسة في قلوب الجماهير. أصبحت سيد العواطف، تعرف كيف توجهها وتحولها إلى طاقة تدفع بك إلى قمة السلطة. كلما زاد ولاؤهم لك، كلما ازددت قوة، وكلما ازدادوا تعلقًا بك كرمز لا يمس.

لكن، في لحظات هدوء نادرة، حيث تختلي بنفسك بعيداً عن ضجيج الهتافات، تبدأ تشعر بظل الخوف يتسلل إلى قلبك. تسأل نفسك: إلى متى يمكن أن يستمر هذا؟ ماذا لو أن العواطف التي أشعلتها اليوم تتحول غداً إلى عاصفة لا يمكنك السيطرة عليها؟

العواطف، كما تعلم، هي بحر عميق يمكن أن يغرقك إذا لم تحسن الإبحار. اليوم تتحكم في دفته، لكن غداً قد تجد نفسك في قلب العاصفة، محاطًا بموجات غضب لم تكن تتوقعها. تدرك أن اللعب بالعواطف هو فن خطير، يتطلب حنكة ودقة، ويتطلب منك أن تكون مستعداً دائمًا لإطفاء تلك النيران إذا شعرت بأنها بدأت تخرج عن السيطرة.

وفي النهاية، عندما تقف أمام الجماهير التي صنعتها بكلماتك، تذكر أن هذه اللعبة لا تنتهي أبداً. اليوم تُسيطر على العواطف، تحرك الجماهير كما تشاء، لكن تذكر دائمًا أن البحر الذي تبحر فيه قد يتحول إلى عاصفة تُسقط كل ما بنيته إذا لم تكن حذراً بما فيه الكفاية.

هكذا، يبقى قانون اللعب بالعواطف سلاحًا قويًا في يدك، لكنه سلاح يتطلب حذراً شديداً في الاستخدام. اليوم تجني ثماره، تحصد الولاء

والسلطة، لكن تذكر دائمًا أن العواطف لا تُروض بسهولة، وأن اللعب بالنار قد يؤدي إلى احتراق كل ما بنيته إذا لم تكن حذراً بما فيه الكفاية.

٧١- قانون احتكار الموارد: اغرس جذورك في أعماق الاقتصاد، ودع الثمار تتساقط في حجرك وحدك

في السياسة العراقية، حيث لا تُكسب المعارك فقط في ساحات البرلمان بل تحسم في الأسواق والمناجم والحقول، يظهر قانونٌ غير مكتوب، لكنه حاضن لكل من يسعى للبقاء في القمة: قانون احتكار الموارد. إنه القانون الذي يجعلك تتربع على عرش السلطة، ليس بالتصويت أو التأييد الشعبي، بل بقبضتك الحديدية على شرايين الحياة الاقتصادية. فكلما ازددت تحكمًا بالموارد، كلما ازددت قوة، وكلما أصبح الآخرون أكثر ضعفًا، متوسلين إليك أن تمنحهم ولو فتاتًا من تلك الثروات التي تمتلكها.

تصور نفسك، أيها السياسي الذكي، وقد قررت أن تضمن بقاءك في السلطة لزمن طويل. تدرك أن الأصوات قد تتغير، وأن التحالفات قد تنهار، لكن ما لا يتغير هو الحاجة الدائمة للموارد. الناس قد ينسون وعودك، وقد يسأمون من خطابك، لكنهم لن يتوقفوا عن حاجتهم للنفط، للماء، للأراضي الزراعية، ولكل ما يجعل الحياة تستمر. هنا، تبدأ رحلتك نحو السيطرة الشاملة.

تبدأ بالاستحواذ على الموارد الأساسية، تجعل منها ملكية خاصة لك ولمن تثق في ولائهم. النفط، هذا الذهب الأسود الذي يُشعل حروبًا ويصنع ثروات، يصبح بين يديك كالعصا السحرية التي تحرك بها اللعبة. تمنح عقود الاستخراج والتصدير لأصدقائك، تتقاسم معهم الأرباح، بينما تترك الفتات لبقية الشعب. تجعل من النفط شريان حياتك السياسية، تتحكم في تدفقه كما تتحكم في دقات قلبك، وكل من يرغب في حصة منه، عليه أن يمر عبر بوابتك.

ولا تكتفي بالنفط وحده، بل تمتد قبضتك إلى المياه، هذا المورد الحيوي الذي يشكل الحياة في هذه الأرض. تسيطر على السدود والمجاري، تُقر قوانين تسمح لك بالتحكم في توزيع المياه، تُقرر من يزرع ومن يبقى

عطشانًا. تجعل المزارعين يعتمدون عليك بالكامل، تنتزع منهم ولاءهم مقابل كل قطرة ماء تسيل في قنواتهم.

وماذا عن الأراضي؟ تشتريها بصفقات مشبوهة، تجعل من كل شبر تحت سيطرتك. تمنح التراخيص لمن تشاء، تمنعها عمن تشاء. تصبح الأرض ليس فقط مصدر رزق، بل أداة في يديك لتشكيل الخريطة السياسية. كل من يملك قطعة أرض في ظل حكمك يدرك أنه مدين لك، وأنه بدونك سيصبح بلا مأوى ولا طعام.

وتستمر في توسيع دائرة سيطرتك. تضع يدك على المعادن، على الكهرباء، على كل ما يمكن أن يجعل الآخرين يتوسلون إليك. في كل مرة يحصلون فيها على شيء، يعلمون أن هناك ثمنًا يجب دفعه، ثمن ولاءهم لك. وكلما ازداد تحكمك في الموارد، كلما أصبح من الصعب على أي شخص أن يتحدى سلطتك. فأنت لم تعد مجرد زعيم سياسي، بل أصبحت عصب الحياة الاقتصادية، وأي حركة ضدك تصبح كالعبث في أساسات البيت الذي يعيشون فيه.

لكن، أيها السياسي المحنك، لا تنسَ أن احتكار الموارد هو سلاح ذو حدين. اليوم، تسيطر على كل شيء، وتضع يدك على رقاب الجميع، لكن غداً قد تجد نفسك في مواجهة غضب شعبي يتفجر من تحت الرماد. الناس قد يتحملون شح الموارد لفترة، لكنهم لن يصبروا إلى الأبد. قد يأتي يومٌ يشعرون فيه بأنهم مخنوقون، أن كل شيء يتحكم فيه رجل واحد، وحينها قد ينفجر الغضب كالبركان الذي لا يمكن إيقافه.

وفي لحظات التأمل التي تمر بها بين حساباتك الاقتصادية والسياسية، تتساءل: هل يمكن لهذه اللعبة أن تستمر إلى الأبد؟ هل يمكن للقبضة الحديدية التي تمسك بها الموارد أن تبقى قوية دون أن تصدأ؟ تدرك أن الحفاظ على هذا الاحتكار يتطلب منك المزيد من القوة، المزيد من الصرامة، والمزيد من التحكم. فأي ضعف أو تهاون قد يؤدي إلى سقوطك من عرش الاحتكار.

وفي النهاية، عندما تنظر إلى الثروات التي تحت يدك، تتذكر أن ما تملكه ليس فقط قوة، بل مسؤولية ثقيلة. فالاحتكار الذي يُعزز سلطتك قد يتحول إلى عبء يُضعفك إذا لم تحسن إدارته. الناس قد يهابونك اليوم، لكنهم قد يتمردون عليك غداً إذا ما شعروا بأنك أصبحت عبئًا على حياتهم، وليس ضمانًا لاستمرارها.

هكذا، يبقى قانون احتكار الموارد أداة فعالة في يدك، لكنه يتطلب حنكة وحذراً في الاستخدام. اليوم تجني ثماره، تحصد الولاء والخضوع، لكن تذكر دائمًا أن الاحتكار يحتاج إلى قوة مستمرة للحفاظ عليه، وأن اللعب بالموارد قد يؤدي إلى زعزعة الأرض التي تقف عليها إذا لم تكن حذراً بما فيه الكفاية.

٧٢- قانون التلاعب بالميزانية: اجعل الأرقام تُغني لحنًا مبهمًا، ودع كل من يقترب منها يغرق في دوامة من الغموض

في السياسة العراقية، حيث تُبنى القرارات على رمال متحركة، وحيث تتحول الميزانيات إلى كتب مغلقة لا يعرف محتواها إلا القلة، يظهر قانون غير مكتوب لكنه معروف: قانون التلاعب بالميزانية. إنه القانون الذي يمكّنك من أن تحكم بقبضة حديدية دون أن يجرؤ أحد على طرح الأسئلة. فالأرقام، تلك الرموز الباردة التي تُسير عجلة الاقتصاد، تتحول بين يديك إلى أحجية معُقدة، تترك كل من يحاول حلها غارقًا في بحر من الالتباس والتردد.

تخيل نفسك، أيها السياسي البارع، وقد جلست على عرش السلطة، وبدأت في صياغة ميزانية العام الجديد. تعلم أن هذه الميزانية ليست مجرد أرقام، بل هي خريطة طريق تحدد مسارات النفوذ والقوة. وهنا، تبدأ لعبتك الكبرى: تحويل الميزانية إلى لغز لا يستطيع أحد فك شفرته. تبدأ أولاً بتوزيع الأرقام بطريقة تجعل من المستحيل على أي شخص غيرك أن يفهم حقيقة ما يجري. تنقل الأموال بين البنود كما يُنقل الماء بين الأواني، وكلما حاول أحدهم تتبع تدفقها، وجد نفسه في متاهة بلا نهاية.

وفي كل مرة تُقدّم فيها تقارير الميزانية، تحرص على أن تكون الأرقام بعيدة عن الفهم. تضيف بنداً هنا، وتُخفي بنداً هناك، تجعل كل جزء من الميزانية يبدو وكأنه جملة مبتورة من نص طويل. تُبقي الأرقام غامضة، وتضع العناوين بأسماء تبدو بريئة ولكنها تخفي خلفها أسراراً لا يدركها إلا قلة من المخلصين لك. تقول لهم: "لقد زادت النفقات على التنمية الاجتماعية"، بينما تعلم أن هذه النفقات قد تفرقت بين جيوب الحلفاء والمشاريع الوهمية.

وتدرك أنك بحاجة إلى غطاء شرعي لهذه اللعبة. فتُنشئ لجانًا من الخبراء، تُثني على عملهم وتُشيد بدقتهم، بينما في الحقيقة، هذه اللجان لا ترى إلا ما تريد أنت أن تريه. تُبقيهم مشغولين بأمور سطحية، تجعلهم

يتناولون ملفات فرعية ويغرقون في التفاصيل، بينما تمر الأرقام الكبيرة والقرارات الحاسمة من تحت أنوفهم دون أن يلاحظوا.

وفي كل عام، تقدم الميزانية كإنجاز وطني. تتحدث عنها في خطاباتك كأنها انتصار في معركة، تروي للجمهور كيف أنك تمكنت من تلبية احتياجاتهم رغم التحديات، بينما في الحقيقة، لم تكن الميزانية سوى غطاء لنقل الأموال إلى حيث تريد، ولضمان بقاء قبضتك على الموارد. كلما ارتفع صوت يعترض أو يسأل عن التفاصيل، تغرقه في بحر من المصطلحات المعقدة والتقارير الطنانة، تجعله يشعر وكأنه تائه في غابة من الأرقام لا يعرف كيف يخرج منها.

لكن، أيها السياسي المحنك، لا تنسَ أن اللعب بالأرقام قد يكون مثل اللعب بالنار. اليوم تتحكم في كل شيء، لكن غداً قد تجد نفسك في مواجهة من بدأ يشكك في هذا الغموض. الناس قد يتحملون بعض الغموض لفترة، لكنهم في النهاية يريدون معرفة الحقيقة. قد يأتي يوم يسألك فيه أحدهم عن تلك الأموال التي اختفت فجأة، أو عن تلك المشاريع التي لم تُنفذ أبداً رغم وجودها في الميزانية. حينها، قد تجد نفسك محاصراً بأسئلة لا تملك لها إجابة.

وفي لحظات الصمت، حين تجلس وحيداً بين ملفاتك، تتساءل: هل يمكن لهذه اللعبة أن تستمر إلى الأبد؟ هل يمكن للأرقام أن تظل طيّعة بين يديك دون أن تنقلب عليك؟ تدرك أن الحفاظ على هذا الغموض يتطلب منك المزيد من الحذر، المزيد من التحايل، والمزيد من السيطرة. فأي خطأ، أي زلة، قد تكشف كل شيء، وتجعل من الميزانية التي كانت سلاحك، سيفاً موجهاً إلى عنقك.

وفي النهاية، عندما تُقدّم ميزانيتك الجديدة وتُشيد بإنجازاتك، تذكر أن كل رقم تخفيه هو خطوة نحو المستقبل المجهول. الميزانية التي تبدو وكأنها أداة للتحكم قد تتحول إلى قنبلة موقوتة إذا لم تحسن إدارتها. الناس قد يتغاضون عن الغموض لفترة، لكنهم لن يصبروا إلى الأبد. لذا، كن

حذرًا، ولا تنسَ أن الميزانية ليست مجرد أرقام تُكتب على ورق، بل هي حجر الزاوية في سلطتك، فإذا ما اهتزت، قد يتداعى كل ما بنيته فوقها.

هكذا، يبقى قانون التلاعب بالميزانية فنًا دقيقًا، يتطلب منك مهارة وحذراً في كل خطوة. اليوم تُبقي الجميع في ضباب الأرقام، تتحكم في الموارد كما تشاء، لكن تذكر دائمًا أن هذا الضباب قد يتبدد في أي لحظة، وأن الأرقام التي تخفيها قد تظهر يومًا لتكشف ما كنت تفضل بقاءه طي الكتمان.

٧٣- قانون التلاعب بالنتائج الانتخابية: اصنع فوزك بيديك ودع الديمقراطية تتراقص على أنغامك، لكن احذر أن يتجاوزك اللحن

في السياسة العراقية، حيث تُصنع الأقدار في ظلال الصفقات، وتُرسم ملامح النصر على لوحات الغموض، يظهر قانون لم يُدون في كتب السياسة، لكنه يتنفس في كل ركن من أركان السلطة: قانون التلاعب بالنتائج الانتخابية. إنه القانون الذي يمكّنك من تحويل الخسارة إلى نصر مزيف، والهزيمة إلى أسطورة تحكى على مر الأجيال. فالديمقراطية، تلك الكلمة التي يتغنى بها الجميع، تتحول بين يديك إلى وسيلة تُشكّل بها مصائر الشعوب كما تشاء، دون أن يجرؤ أحد على الطعن في مصداقيتها.

تخيل نفسك، أيها السياسي الذي تعلم أن الحظ قد لا يكون دائمًا إلى جانبك، وقد اقترب موعد الانتخابات، وتعلم في أعماقك أن الكراسي تتأرجح وأن قاعدتك الشعبية بدأت تتآكل. ماذا تفعل عندما تدرك أن الصناديق قد لا تحمل لك الأخبار التي ترغب في سماعها؟ هنا تبدأ خطتك المحبوكة بعناية، حيث تتحول الأرقام من أعداء إلى حلفاء، ومن حواجز إلى جسور تعبر بها إلى كرسي السلطة.

في البداية، تستدعي مجموعة من المتخصصين في "فن صناعة النتائج". هؤلاء هم الرجال الذين لا يظهرون في الصور الرسمية، لكنهم يمسكون بخيوط اللعبة. تجلس معهم في غرفة مغلقة، تخططون بعناية كيف ستبدو الأرقام النهائية. يُدرك الجميع أن المطلوب ليس فقط الفوز، بل الفوز الذي لا يثير الشكوك، النصر الذي يبدو وكأنه هبة من الديمقراطية نفسها.

الليلة الانتخابية تقترب، والمشهد يبدأ في التوتر. تراقب تدفق الأرقام من كل زاوية، ولكنك تعلم أن هذه الأرقام ليست سوى البداية. تبدأ في تنفيذ الخطة، تنقل الأرقام بين المحافظات كما يحرك قائد الأوركسترا أنغامه، كل حركة محسوبة، كل رقم موضوع بعناية في المكان المناسب. فريقك يعرف بالضبط ما عليه فعله، فقد تدربوا على هذا السيناريو مرات

عديدة. الهدف واضح: فوزٌ بفارق يضمن لك الشرعية، ولكنه ليس بالفارق الذي يثير تساؤلات.

وفي كل لحظة تمر، تزداد الإثارة. كلما اقتربت الأرقام من تلك النقطة الحرجة، يرتفع نبض قلبك، تشعر بالتوتر يتصاعد داخلك. لكنك تُبقي وجهك هادئًا، تبتسم بابتسامة واثقة بينما يتجمع من حولك المنتظرون لرؤية النتيجة. أنت تعرف أن هذه اللحظة هي التي ستُحدد كل شيء. لحظة النصر الزائف، الذي بنيته بحذر، لكنها أيضًا لحظة الخوف من الانكشاف، من أن تنقلب الطاولة في اللحظة الأخيرة.

وعندما تُعلن النتائج أخيرًا، تصعد على المنصة، ترفع يدك كأنك بطل انتصر في معركة عادلة. تُلقي خطابًا يُشيد بالديمقراطية العراقية، تلك التي "انتعشت" تحت قيادتك. تقول للجماهير: "لقد قال الشعب كلمته، وأنا هنا لأحقق إرادته." لكن في داخلك، تدرك أن ما حدث ليس سوى مسرحية أحكمت أنت سيناريوها.

لكن، بعد أن تنتهي الحفلة، وتختلي بنفسك في زاوية هادئة، تجد أن هناك سؤالا لا يتوقف عن مطاردتك: "إلى متى يمكن أن تستمر هذه اللعبة؟" تدرك أن الأرقام التي تلاعبت بها قد تكون اليوم في صالحك، لكنها قد تتحول غدًا إلى كابوس. هل تستطيع الحفاظ على هذه السيطرة إلى الأبد؟ ماذا سيحدث إذا بدأ الناس يشكون في الحقيقة؟

ومع كل انتصار زائف تحققه، يتنامى داخلك القلق من اللحظة التي قد يُكشف فيها كل شيء. تزداد الضغوط، وتصبح اللعبة أكثر تعقيدًا. تدرك أن الحفاظ على هذه الواجهة الديمقراطية الزائفة يتطلب منك المزيد من التلاعب، والمزيد من التحايل. فأي خطأ بسيط، أي تسريب أو خطأ في الحسابات، قد يفتح الباب أمام الطوفان.

وفي النهاية، عندما تستعرض "انتصاراتك" المزيفة وتجلس على كرسيك، تذكر أن كل رقم زائف أضفته إلى الصناديق هو قنبلة موقوتة قد تنفجر في

أي لحظة. الديمقراطية التي لعبت بها قد تعود لتطالب بالثأر، وقد تجد نفسك محاصراً بأرقام لا تستطيع السيطرة عليها.

هكذا، يبقى قانون التلاعب بالنتائج الانتخابية سلاحًا ذا حدين. اليوم، تحكم قبضتك على الأرقام، تتحكم في كل صوت وكأنه وُتر في معزوفة تُلحنها بنفسك، لكن تذكر دائمًا أن الديمقراطية، رغم كل شيء، قد تستعيد صوتها الحقيقي في لحظة لم تكن تتوقعها، وأن اللعبة التي أتقنتها قد تتحول إلى كارثة إذا ما انكشف الستار عن مسرحك الخفي.

٧٤- قانون الاستفادة من الأعداء: حينما تتقاطع المصالح، تصبح الأيدي التي كانت تحمل السيوف مستعدة للمصافحة

في السياسة العراقية، حيث المصالح تتشابك كما تتشابك جذور الأشجار في أرض صلبة، وحيث العداوات تُعلن بصوت عال بينما تُعقد الاتفاقات خلف الأبواب المغلقة، يظهر قانون لا يتقنه إلا القليلون: قانون الاستفادة من الأعداء. إنه القانون الذي يجعل من الأعداء حلفاء، ومن الصراعات فرصًا لتبادل المصالح. فحينما تضعف القوة على المواجهة المباشرة، تصبح الكلمات السرية والجلسات المغلقة سلاحك الأشد فتكًا.

تخيل نفسك، أيها السياسي الماكر، وقد وجدت نفسك في مواجهة عدو لدود، رجل أو جهة لا يمكن أن تتفق معه علنًا، بل ربما جعلتك السياسة تهاجمه مراراً وتكراراً أمام الملأ. لكنك تعلم جيداً أن القوة ليست في المواجهة العلنية، بل في القدرة على استخدام العدو لصالحك، في معرفة اللحظة المناسبة التي تتحول فيها العداوة إلى باب خلفي، يدخل منه كل طرف لتحقيق مكاسب لم يكن ليحصل عليها بمفرده.

البداية تكون بخطوة صغيرة، رسالة تُرسل بيد من تثق به، كلماتها محبوكة بدقة، تحمل عرضًا مغريًا ولكن حذراً. تتحدث فيها عن المصالح المشتركة، تلك التي تتجاوز الصراع الظاهري، المصالح التي تدرك جيداً أن عدوك لن يستطيع تحقيقها دونك، كما أنك تعلم أنك بحاجة إلى تعاونه لتحقيق أهدافك الخفية. تُشير فيها إلى نقاط التقاطع، إلى تلك المساحات الرمادية التي لا يعرفها إلا من مارس فن السياسة بذكاء.

ثم تأتي الخطوة التالية: اللقاء السري. تجتمعان في مكان بعيد عن الأعين، قد يكون غرفة في فندق بعيد، أو قصراً منعزلا لا يدخل إليه إلا من دُعي بحذر. هناك، تتبادل النظرات مع عدوك، تلك النظرات التي تحمل في طياتها إدراكًا مشتركًا بأنكما رغم كل شيء، تقفان على أرضية واحدة. تبدأ الحديث بلطف، تتبادل معه المجاملات وكأنكما أصدقاء قدامى، ثم

تدخل في صلب الموضوع، تُظهر له كيف أن تعاونكما سيُفضي إلى مكاسب للجميع.

تضع على الطاولة عرضك، لكنك تعلم أن كل كلمة محسوبة، كل جملة تحمل معنى مزدوجًا. تقول له: "إن قوتك لا تُنكر، وإنني أرى فيك خصمًا شريفًا، ولكن ألا تظن أن الوقت قد حان لنضع الخلافات جانبًا ونتحدث عن المستقبل؟" تشير إلى الفوائد التي سيجنيها، توضح له كيف أن الاتفاق سيعزز من موقفه أمام حلفائه وأعدائه على حد سواء. تجعله يشعر بأنك تقدم له فرصة نادرة، فرصة لا تأتي إلا مرة واحدة في العمر.

وفي تلك اللحظة، حيث يحوم الصمت حول الطاولة، تدرك أنك قد نجحت. عدوك بدأ يُفكر، بدأ يرى فيما تقوله منطقًا يصعب رفضه. تبدأ الجليد بينكما في الذوبان، وتتحول المفاوضات إلى اتفاق غير مكتوب، اتفاق تُقسم فيه المصالح بينكما كما تُقسم الغنائم بين القادة المنتصرين. أنت تعلم أن هذا الاتفاق لن يغير من حقيقة أنكما خصمان، ولكنه سيضمن لكما مصالح متبادلة، وسيؤمن لكما مكانًا أفضل في لعبة السلطة.

ولكن، أيها السياسي الذكي، لا تنسَ أن اللعب مع الأعداء هو لعبة خطيرة. اليوم، تتصافح الأيدي التي كانت تحمل السيوف، ولكن غدًا قد تجد تلك السيوف قد عادت إلى أغمادها، مستعدة للانطلاق مرة أخرى. العدو الذي تعقد معه الاتفاق اليوم قد يكون هو نفس العدو الذي يسعى غدًا لتحطيمك. قد تستفيد منه الآن، ولكن عليك أن تظل يقظًا، وأن تدرك أن هذا التعاون هو مجرد استراحة في معركة طويلة، وليس نهاية لها.

وفي لحظات الهدوء، حين تجلس وحدك بعد أن انتهت المفاوضات، تتساءل: هل يمكن أن يظل العدو عدوًا بعد أن تمددت بينكما جسور المصالح؟ أم أن الزمن سيغير من هذه العلاقة الهشة، ويعيدكما إلى ساحة الصراع من جديد؟ تدرك أن هذا الاتفاق الذي أبرمته ليس سوى خطوة

صغيرة في طريق طويل، وأن عليك أن تكون مستعداً دائمًا للعودة إلى اللعبة حينما تنتهي فترة الهدنة.

وفي النهاية، عندما ترى ثمار الاتفاق تتجسد في مكاسب جديدة، تذكر أن السياسة ليست سوى لعبة مصالح متبادلة، وأن العداوات يمكن أن تكون أحيانًا أكثر فائدة من الصداقات. اليوم، تستفيد من أعدائك، تحول الصراع إلى فرصة، ولكن تذكر دائمًا أن الأعداء قد يعودون إلى عداوتهم في أي لحظة. لذا، كن مستعداً، ولا تنسَ أن السياسة تتطلب منك أن تكون دائمًا على استعداد للتكيف مع تغير الظروف، وأن تبقى على استعداد للعودة إلى ساحة المعركة إذا ما لزم الأمر.

هكذا، يبقى قانون الاستفادة من الأعداء فنًا دقيقًا يتطلب حنكة وصبراً. اليوم، تعقد الاتفاقات السرية، تجني ثمارها، ولكن تذكر دائمًا أن الأعداء يبقون أعداء، وأن المصالح قد تتغير في أي لحظة. فالسياسة، كما تعلم، هي لعبة طويلة الأمد، حيث لا يوجد صديق دائم ولا عدو دائم، بل مصالح دائمة تتقاطع وتتداخل، لتُشكل الصورة النهائية للحياة السياسية.

٧٥- قانون التخفي وراء الشعب: عندما تشتعل النيران، اختبئ خلف الدخان وقل إن الشعب هو من أشعلها

في عالم السياسة العراقية، حيث تُصنع القرارات في اللحظات الأكثر غموضًا وتُدار الأمور خلف الكواليس، هناك قانون غير مدون ولكنه معروف لدى الجميع: قانون التخفي وراء الشعب. إنه القانون الذي يُتيح لك الهروب من المساءلة، ويمنحك القدرة على التلاعب بالواقع، لتُقنع الجميع بأن كل ما يحدث هو ببساطة "إرادة الشعب". كأنك مجرد وسيط، ليس لك من الأمر شيء سوى تنفيذ أوامرهم.

تصور نفسك، أيها السياسي المخضرم، وقد اتخذت قراراً كان من المفترض أن يحقق لك المجد، لكنه تحول بسرعة إلى كارثة. الشارع يغلي بالغضب، والأصوات تتعالى، والجميع يبحث عن الجاني. في تلك اللحظة، تدرك أن أفضل درع لك هو الشعب نفسه. فكيف يمكن لأي أحد أن يلومك إذا كانت هذه "رغبتهم" هم؟

تبدأ بلعبتك المعهودة، تقف أمام الحشود بخطاب مفعم بالثقة. تقول لهم بصوت ملؤه الحزم: "لقد كانت هذه رغبتكم أنتم، وأنا لم أفعل سوى تلبية النداء." تجعلهم يشعرون بأنهم هم الذين اختاروا هذا المصير، وأنك كنت فقط المنفذ الأمين. تبدأ في رسم صورة لنفسك كخادم مخلص لرغباتهم، وكأنك مجرد أداة تحركها أيديهم.

ولكنك تعلم في داخلك أن هذه ليست الحقيقة. فبينما تردد كلماتك عن إرادة الشعب، يتسرب إليك شعور بالقلق. هل سيظل الشعب يصدق هذه الحيلة إلى الأبد؟ هل يمكن أن يستمروا في تبني قراراتك حتى حين تكون نتائجها كارثية؟ في هذه اللحظات، تتساءل: إلى متى يمكن أن تبقى مختبئًا خلف هذا الجدار الهش؟ هل سيظل صامداً، أم أنه سيتداعى تحت وطأة الحقائق التي تتكشف ببطء؟

تستمر في تعزيز هذا الزعم، تُكرر أن كل خطوة اتخذتها كانت بدافع استجابة لنداءات الجماهير. تبدأ في إعادة صياغة التاريخ، تُعيد تشكيل الرواية حتى تصبح الحقيقة مشوهة وغير قابلة للتمييز. تقول للجميع: "لقد كنتم تطالبون بهذا، أنا فقط نفذت ما طلبتموه." وتجعل من نفسك البطل المتواضع، الذي لا يملك من الأمر شيئًا سوى خدمة رغبات الآخرين.

وفي كل مرة يزداد فيها الضغط، تجد نفسك تلجأ إلى هذا القانون مراراً وتكراراً. تجعل "إرادة الشعب" درعك الواقي، تلوح بها في وجه كل من يحاول أن يوجه لك أصابع الاتهام. ولكنك تعلم أن هذا القانون، رغم فعاليته، قد يكون سلاحًا ذا حدين. فاليوم قد يصدقك الناس، لكن غداً قد يدركون أن تلك الرغبات التي زعمتها لم تكن سوى صدى لأفكارك أنت، زرعتها في عقولهم لتعود إليك بأمان.

وفي لحظات التأمل الهادئة، حين تجلس وحدك وتراجع قراراتك، تبرز أمامك الحقيقة بوضوح: الشعب ليس مجرد أداة يمكنك التلاعب بها إلى الأبد. هناك حد لكل شيء، وكلما استخدمت هذا القانون، كلما زاد الخطر. تدرك أن الثقة التي منحها لك الناس قد تتحول إلى غضب عارم إذا ما اكتشفوا الحقيقة، وإذا ما شعروا بأنهم كانوا مجرد بيادق في لعبتك.

وفي النهاية، عندما تتأمل في النتائج التي حققتها باستخدام هذا القانون، تذكر أن السياسة ليست مجرد لعبة ذكية للتلاعب بالحقائق. الشعب قد يصدقك اليوم، لكن ذاكرته قد تكون أقوى مما تظن. وقد يأتي يوم يصرخ فيه هذا الشعب: "كفى! لم نطلب هذا، بل أنت من أراده".

هكذا، يبقى قانون التخفي وراء الشعب سلاحًا قويًا في يدك، لكنه يتطلب حذراً شديداً في الاستخدام. اليوم، تستخدمه لتجنب اللوم وتبرير الفشل، ولكن تذكر دائمًا أن هذا السلاح قد ينقلب عليك إذا ما انكشفت الحقيقة. فالسياسة، كما تعلم، ليست فقط فن التلاعب، بل هي أيضًا فن البقاء على قيد الحياة في مواجهة الحقائق حين تخرج إلى النور.

٧٦- قانون الانتقام السياسي: اجعل كل خطوة تتخذها سكينًا ينغرس في قلب خصومك، ولا تدع جراح الماضي تندمل أبدًا

في عالم السياسة العراقية، حيث الكلمات تُستخدم كسيوف تمزق الخصوم، وحيث تحاك المؤامرات في العلن قبل الخفاء، يبرز قانون غير مكتوب ولكنه حاضر في كل قلب يحمل طموح السلطة: قانون الانتقام السياسي. إنه القانون الذي يحول كل خلاف صغير إلى معركة، وكل هزيمة إلى درس لا يُنسى، درسٌ يُكتب بدم الخصوم على صفحات تاريخ لا يمحى.

تصور نفسك، أيها السياسي الحاذق، وقد وجدت نفسك في مواجهة خصم جريء، تجرأ على تحديك في ساحة السلطة، وظن لوهلة أنه قادر على النيل منك. لقد رفع رأسه فوق ما ينبغي، وحان الوقت لتذكيره بأن من يتجرأ على الوقوف في وجهك، يجب أن يكون مستعداً لدفع الثمن. لكنك تعلم أن الانتقام ليس مجرد رد فعل عابر، بل هو فنٌ يتطلب تخطيطًا دقيقًا وصبراً لا ينفد.

تبدأ خطتك بهدوء، دون أن تظهر أي علامة على الحقد الذي يشتعل في قلبك. تراقب خصمك من بعيد، تنتظر اللحظة المناسبة لتنقض عليه. تعلم أن أفضل انتقام هو ذلك الذي يأتي على حين غرة، في لحظة يظن فيها خصمك أنه قد نجا من قبضتك. تدرس حركاته، تراقب تحالفاته، تلتقط كل هفوة وكل ضعف، وتنتظر الفرصة التي تُثبت فيها أن من تجرأ على تحديك، لن ينسى تلك اللحظة أبداً.

ثم تأتي الضربة الأولى، ضربة محسوبة بدقة، تُصيب خصمك في أضعف نقطة لديه. قد تكون حملة إعلامية تُثير الشكوك حول نزاهته، أو تسريب وثيقة تُظهر تورطه في فضيحة تُدمر سمعته. المهم هو أن تجعل الجميع يرى

أن هذا الشخص الذي تجرأ على تحديك ليس سوى ضعيف، وأنه في النهاية، ليس له مكان في هذا العالم القاسي الذي تتحكم فيه أنت.

تتأكد أن ضرباتك تتوالى دون توقف، كالسهام التي تُصيب هدفها واحداً تلو الآخر. كل خطوة تخطوها هي جزء من لعبة أكبر، لعبة تحكمت في كل تفاصيلها، حيث لا تترك شيئًا للصدفة. تجرد خصمك من حلفائه، تُفكك شبكته، وتجعله يشعر بأنه محاصر من كل جانب. وفي كل مرة يُحاول فيها الدفاع عن نفسه، يجد أن الأرض تنسحب من تحت قدميه، وأنك قد أحكمت قبضتك عليه دون أن يملك حتى فرصة للرد.

ولكنك لا تكتفي بذلك، بل تجعل من انتقامك درسًا لكل من يجرؤ على التفكير في تحديك. تُظهر للجميع أن من يجرؤ على الوقوف ضدك، سيلقى نفس المصير. تجعلهم يرون فيك القوة التي لا تُقاوم، والزعيم الذي لا يُسامح. تزرع في قلوبهم الخوف من مجرد التفكير في معارضتك، وتُثبت أن الانتقام ليس مجرد فعل، بل هو رسالة تُكتب بدم الخصوم.

ولكن، أيها السياسي الذكي، لا تنسَ أن الانتقام، رغم قوته، يمكن أن يتحول إلى سلاح ذو حدين. اليوم، تحكم قبضتك على خصومك، وتثبت سيطرتك على اللعبة. لكن غداً، قد تجد أن هذا الحقد الذي تزرعه في قلوبهم قد يتحول إلى شعلة لا تنطفئ. قد يتحالفون ضدك، قد يتحدون على الرغم من خلافاتهم، وكل ذلك بهدف واحد: إسقاطك.

وفي لحظات السكون التي تمر بها، حين تجلس وحيداً لتفكر في نتائج أفعالك، تتساءل: هل كان هذا الانتقام هو الخيار الصحيح؟ هل يمكن أن تعيش في عالم تملؤه الأعداء الذين ينتظرون اللحظة المناسبة للانقضاض عليك؟ تدرك أن الانتقام، رغم لذته، قد يفتح الباب أمام دوامة لا تنتهي من الصراعات، دوامة قد تجرفك معها في نهاية المطاف.

وفي النهاية، عندما تستعرض إنجازاتك وتفكر في خصومك الذين سقطوا تحت قدميك، تذكر أن السياسة ليست مجرد ساحة للانتقام، بل هي أيضًا ميدان للبقاء. اليوم، تنتقم من خصومك وتثبت سيطرتك، لكن تذكر دائمًا أن الانتقام قد يولد المزيد من الأعداء، وأن اللعبة التي تلعبها قد تتحول إلى ساحة معركة لا مكان فيها لأحد إلا المنتصر الأخير.

هكذا، يبقى قانون الانتقام السياسي سلاحًا قويًا في يدك، لكنه يتطلب حنكة وحذرًا في كل خطوة. اليوم، تستخدمه لتحقيق أهدافك، لكن تذكر دائمًا أن كل ضربة تُسددها قد تكون بداية لمعركة جديدة، وأن الانتقام، رغم قوته، قد يكون الطريق الذي يُؤدي بك في النهاية إلى مواجهات لم تكن تتوقعها.

٧٧- قانون التضحية بالصغار : في حالة الأزمات ، ضحِّ بالمسؤولين الصغار للحفاظ على رأسك.

في السياسة العراقية، عندما يبدأ البساط في الانسحاب من تحت قدمي الزعيم، ويتحول الهمس إلى ضجيج، تُفتح أبواب القصر للبحث عن كبش الفداء الذي سيُلقى به في أتون الأزمة، ليُطفئ نار الغضب الشعبي. هنا يأتي "قانون التضحية بالصغار" كالأداة المفضلة في صندوق أدوات الزعيم السياسي. القانون بسيط ومضمون: حينما تشتد الأزمات، ضحِّ بالصغار لتبقى رأسك مرفوعة فوق كل عاصفة.

في السلطة، لا شيء يضاهي رائحة الأزمات المتصاعدة. إنها مثل رائحة الخبز المحترق في فرن مغلق، يتسلل دخانها إلى كل زاوية، ويتنبه لها كل من في المطبخ. عندها، يتحول القصر إلى خلية نحل، حيث يتراكض المسؤولون هنا وهناك، والعيون تراقب الزعيم منتظرةً إشارته. تلك الإشارة التي تعني أن أحدهم قد وقع عليه الاختيار ليكون قربانًا يُقدّم في محراب الحفاظ على العرش.

تخيل المشهد: الزعيم يجلس في مكتبه الفخم، محاطًا بأوراقه وملفاته، يداعب قلمه الذهبي بتفكير عميق، وقد اجتمعت حوله خيوط الأزمات من كل حدب وصوب. يرفع بصره بتأن، وينظر إلى أقرب مساعديه بعينين تعكسان خبثاً عتيقاً. ثم يأتي القرارُ الحاسم، وكأنه مرسوم ملكي لا رجعة فيه: "فليُضحَّ بأحدهم."

في هذه اللحظة، يبدأ البحث عن الضحية المثالية. يجب أن يكون صغيراً بما يكفي لئلا يثير تضحيته ضجة كبيرة، لكنه أيضًا يجب أن يكون ذا منصب يجعل من سقوطه حدثًا يُخفف من حدة الأزمة. يجري المسؤولون بحثهم بسرعة، ويقع الاختيار على أحدهم: مدير قسم، وكيل وزارة، أو حتى مسؤول في مكتب بعيد. يُستدعى على عجل، ويتم إبلاغه بالخبر كمن يُساق إلى المقصلة بابتسامة ساخرة.

العملية كلها تُدار بإتقان مذهل. يُعلن عن إقالة المسؤول الصغير في وسائل الإعلام، وتتوالى التصريحات الرسمية بأن القيادة العليا لا تتهاون مع الفساد أو التقصير. تُنشر صوره وهو يغادر مكتبه، تتبعه نظرات زملائه الذين يعلمون جيداً أن هذا المصير قد ينتظرهم في أي لحظة. هكذا، تُرضى الجماهير الغاضبة مؤقتًا، ويتنفس الزعيم الصعداء، بعدما نجح في تأجيل الحسابات الثقيلة إلى وقت لاحق.

لكن القانون لا يقتصر على الإقالة فقط. في بعض الأحيان، تُنظم مسرحيات كاملة من التحقيقات والمساءلات، ويُطلب من المسؤول الصغير أن يُدافع عن نفسه في محكمة تُدار خلف الستائر. يعرف الجميع أن الحكم قد صدر قبل بدء المحاكمة، وأن الكلمات ليست سوى حبر على ورق. المهم هو أن يظل الزعيم بمنأى عن الأزمات، وأن تُقدَّم هذه التضحية كدليل على نزاهته وحزمه في مواجهة الأخطاء.

الزمن كفيل بجعل الجماهير تنسى اسم المسؤول الصغير بعد فترة، ليعود القصر إلى هدوئه المؤقت. أما الزعيم، فيظل في مكانه، كالجبل الشامخ الذي لا تهزه الرياح. لكن الجميع في الداخل يعرفون أن التضحية بالصغار ليست سوى درع واق، يُستخدم مرة تلو الأخرى، كلما أُشعلت نيران الأزمات. وكلما سقطت قطعة على رقعة الشطرنج، بُذلت قطعة أخرى ليظل الملك في مأمن.

في النهاية، يُدرك الصغار جيداً أن هذا هو قدرهم. إنهم جنود في لعبة أكبر منهم، ووجودهم ليس إلا لخدمة غاية أسمى: بقاء الرأس الكبيرة على قيد الحياة، بعيدةً عن متناول الأزمات. هكذا يُكتب فصل جديد في مسرحية السياسة العراقية، حيث يبقى الزعيم، ويستمر العرض، وتدور عجلة التضحية دون توقف.

٧٨- قانون تقنين الفوضى: كن سيد الأعاصير، ودع الفوضى تهب متى شئت وكما شئت

في السياسة العراقية، حيث التوازن على حافة السكين هو القاعدة، وحيث تقلبات الزمن تحكم قبضتها على كل من يجلس على كرسي السلطة، يبرز قانون خفي، لكنه فاعل: قانون تقنين الفوضى. إنه القانون الذي يمكّنك من أن تصبح سيداً للفوضى، ليس بأن تسمح لها بالانتشار كيفما اتفق، بل بأن تجعلها تحت سيطرتك، تُديرها كأنها قوة لا تقاوم، لكن لا تُفلت زمامها من يدك أبداً.

تخيل نفسك، أيها السياسي البارع، وأنت تجلس في مركز القوة، تراقب الأوضاع عن كثب. العالم من حولك يتحرك كما تتحرك الرياح، لا يستقر على حال، وكل لحظة تحمل معها احتمالات لا نهاية لها. تدرك أن الفوضى قد تكون خصمك إذا تركتها دون رادع، لكنها يمكن أن تصبح حليفك إذا ما أحسنت استخدامها. فالفوضى، في يد من يعرف كيف يروضها، يمكن أن تكون سلاحًا أشد فتكًا من أي جيش.

تبدأ بالتحضير لفوضاك الخاصة. لا تسمح للأحداث أن تأخذ مجراها الطبيعي، بل تتدخل فيها، تُديرها من وراء الستار، تجعلها تنفجر في اللحظة التي تختارها. ربما تبدأ بشائعة تُطلقها في مكان ما، خبر يتسرب ليُشعل النيران في قلوب الناس. تجعلهم يصدقون أن هناك أزمة في الأفق، أن شيئًا خطيراً على وشك الحدوث، فتتسارع دقات القلوب، ويبدأ الناس في التحرك دون هدى.

ثم تأتي اللحظة التي تُظهر فيها قدرتك على التحكم. تراقب الفوضى وهي تتصاعد، لكنها لا تخرج عن نطاق سيطرتك. أنت تعرف متى يجب أن تتركها تستعر، ومتى يجب أن تهدئ من روعها. تُدرك أن الفوضى الكاملة ليست في مصلحتك، فهي قد تبتلعك أنت أيضًا، لكن الفوضى المدارة بعناية، تلك التي تُطلقها وتُوقفها وفقاً لرغبتك، هي التي

تُعزز من سلطتك وتجعل الآخرين يدركون أنك الوحيد القادر على التحكم في هذا الجنون الذي يحيط بهم.

وفي كل مرة تحتاج إلى إحكام قبضتك على الأوضاع، تُطلق العنان للفوضى قليلاً، تدعها تجتاح القلوب والعقول، تُشعر الجميع بأن العالم من حولهم قد خرج عن السيطرة. لكنك في نفس اللحظة، تُظهر لهم أنك الوحيد القادر على استعادة النظام. تجعلهم يرون فيك الشخص الذي يمسك بزمام الأمور، حتى وإن بدا أنهم يعيشون في عالم من الفوضى العارمة.

ومع مرور الوقت، تصبح الفوضى أحد أدواتك الأساسية. كلما شعرت بأن الأمور بدأت تسير في اتجاه لا يخدم مصالحك، تُطلق العنان لقليل من الفوضى. تجعل الناس يدركون أن استقرارهم يعتمد على قدرتك في التحكم بهذا الوحش الكامن في الظلام. وفي كل مرة، يُدركون أنك، رغم كل شيء، الحصن الذي يحميهم من السقوط في الهاوية.

لكن، أيها السياسي الذكي، لا تنسَ أن اللعب بالفوضى هو فن خطير. اليوم، تحكم قبضتك على كل شيء، وتُدير الفوضى كأنها طوفان تحت سيطرتك. لكن غداً، قد تجد أن هذا الطوفان قد بدأ في التمرد عليك. الفوضى، مثل النار، قد تحرق يد من يشعلها إذا لم يُحسن التعامل معها. الناس قد يصدقون أنك تسيطر على الأوضاع اليوم، لكنهم قد يسألون غداً: من الذي أطلق العنان لهذه الفوضى في المقام الأول؟

وفي لحظات التأمل، حين تجلس بمفردك بعد أن عادت الأمور إلى نصابها، تتساءل: هل يمكنني أن أستمر في اللعب بهذه الطريقة إلى الأبد؟ هل يمكنني أن أظل أتحكم في الفوضى دون أن تنقلب عليّ؟ تدرك أن الفوضى، رغم كل شيء، ليست سوى وحش يتغذى على الخوف، وأن هذا الخوف قد يتحول في لحظة إلى غضب عارم لا يمكنك السيطرة عليه.

وفي النهاية، عندما تستعرض ما حققته باستخدام هذا القانون، تذكر أن السياسة ليست مجرد لعبة تحكم، بل هي أيضًا لعبة بقاء. اليوم، تُدير

الفوضى وتُسيطر على كل خيوطها، لكن تذكر دائمًا أن هذا الوحش الذي أطلقته قد ينقلب عليك إذا ما فقدت السيطرة عليه، وأن الفوضى التي تظنها تحت سيطرتك قد تتحول إلى طوفان يجرف كل شيء في طريقه.

هكذا، يبقى قانون تقنين الفوضى سلاحًا قويًا في يدك، لكنه يتطلب حنكة ودقة في كل خطوة. اليوم، تستخدمه لتعزيز قوتك، لكن تذكر دائمًا أن هذا السلاح قد يتحول إلى كارثة إذا لم تحسن استخدامه. فالسياسة، كما تعلم، ليست مجرد لعبة قوى، بل هي أيضًا فن التوازن بين الفوضى والنظام، بين القوة والتحكم، وبين الخوف والطمأنينة.

٧٩- قانون السيطرة على النقابات : احرص على أن تكون النقابات العمالية والمهنية تحت سيطرتك.

في معترك السياسة العراقية، حيث تتشابك المصالح وتتصاعد المطامع، تنبثق النقابات كالسلاح ذي الحدين، إما أن تكون مصدر قوة للعمال والمهنين، أو تتحول إلى حصون منيعة بيد الزعيم الذي يعرف كيف يُسير دفّة الأمور لصالحه. هنا يظهر "قانون السيطرة على النقابات" كأحد أبرز أدوات الحاكم الذكي، الذي يدرك أن القوة الحقيقية لا تكمن فقط في الجيوش، بل أيضًا في تلك الجماعات المنظمة التي تحمل على عاتقها هموم العمال، والمهنين، ولكن من يدري ما الذي تخفيه وراء شعاراتها؟

النقابات، في ظاهرها، تبدو كالبحيرات الهادئة التي تعكس نور الشمس على سطحها، لكنها في عمقها تخبئ تيارات قوية قادرة على قلب الطاولة إذا ما أُحسن استخدامها. فالزعيم السياسي المتمرس يدرك تمامًا أن السيطرة على النقابات ليست مجرد رفاهية سياسية، بل هي ضرورة بقاء؛ لأن تلك النقابات إذا ما تُركت دون مراقبة، قد تتحول إلى بركان ثائر يقذف بحممه على كل من يعترض طريقه.

يبدأ السياسي بعملية الاختراق، وكأنه يُلقي بحجر صغير في تلك البحيرة الهادئة. لا يُلقي بنفسه في المعركة مباشرة، بل يرسل وكلاءه وأتباعه الذين يتسللون بين الصفوف بهدوء، يتحدثون لغة العمال، يشتركون في همومهم، ويشاركونهم طموحاتهم. وهكذا، يصبح هؤلاء الوكلاء هم الصوت المسموع، واليد الخفية التي تُدير الأمور من وراء الستار.

ولكن السيطرة على النقابات ليست مجرد عملية اختراق سطحي؛ بل هي عملية جراحية دقيقة تستهدف القلب النابض لتلك الجماعات. فالزعيم لا يكتفي بإرسال وكلائه، بل يُنشئ شبكات من الولاءات الشخصية، يزرع بين القادة والنشطاء من يرددون كلماته وينقلون أوامره دون تردد. في النهاية، تتحول النقابات إلى أبواق تصدح بما يُريد، وتُسكت كل من يُخالف أو يعترض.

وعندما تتحرك النقابات لتقديم مطالب أو تنظيم احتجاجات، تكون تلك التحركات مدروسة بعناية فائقة. فلا شيء يُترك للصدفة، ولا خطوة تُتخذ دون موافقة مسبقة من القيادات العليا. تلك القيادات التي تعرف جيداً أن اللعب بالنار قد يحرق أصابع الجميع، لذلك تُدار اللعبة بحذر شديد، وكأنها رقصة مع الموت، حيث يجب أن يظهر الزعيم بمظهر المستجيب لمطالب العمال والمهنين، وفي الوقت ذاته يحافظ على قبضته الحديدية التي لا تقبل الانفلات.

وفي خضم تلك المعارك الصغيرة التي تُدار بين العمال وإداراتهم، يقف السياسي من بعيد، يتابع الأحداث وكأنه ناظر مدرسة قديمة، يعرف متى يتدخل لفرض النظام ومتى يترك الفوضى تأخذ مجراها. إنه يعلم أن النقابات قد تبدو كأحصنة جامحة، لكنها في الحقيقة ليست سوى قطع خشبية في يده يحركها كيفما يشاء. يدفعها إلى الأمام عندما يحتاج إلى إظهار قوته أمام الخصوم، ويعيدها إلى الوراء عندما يُدرك أن الوقت قد حان لتهدئة الأوضاع.

وإذا ما جاء اليوم الذي تُظهر فيه إحدى النقابات نزعة للتمرد أو الاستقلال، يخرج السياسي من قوقعته، ويظهر بمظهر القائد الحكيم الذي يحذر من مغبة الفوضى. يبدأ بإلقاء خطبته الرنانة التي يتحدث فيها عن الوحدة الوطنية والمصالح العليا، وكل تلك الكلمات الكبيرة التي تبدو وكأنها خرجت من أفواه الأنبياء. وفي النهاية، ينجح في شق صفوف النقابة، وإعادة ترتيب أوراق اللعبة بما يضمن له البقاء على رأس الهرم.

في نهاية المطاف، تتحول النقابات، التي وُجدت أصلاً لتكون صوتًا للمظلومين والمضطهدين، إلى أدوات في يد الزعيم، يُستخدمون لتعزيز سلطته وتوسيع نفوذه. وتبقى الحقيقة الوحيدة الثابتة في هذا المشهد العبثي هي أن الزعيم، مهما كانت الأوضاع، سيظل دائمًا هو المسيطر، الذي يعرف كيف يُخرج أفضل ما في تلك النقابات لخدمة أجنداته الخاصة.

وهكذا، تستمر اللعبة، لا تُغيرها الأسماء ولا الوجوه. فالزعيم يبقى في موقعه، والنقابات تظل تدور في فلكه، تدافع عنه أحيانًا، وتهاجمه أحيانًا أخرى، لكنها في كل الأحوال لا تستطيع الانفصال عن قبضة الحديد التي تحكم بها. إنها رقصة أبدية بين الزعيم والنقابات، رقصة لا تنتهي إلا عندما يُقرر الزعيم أن الوقت قد حان لتغيير قواعد اللعبة مرة أخرى.

٨٠- قانون الضربات الإعلامية : استخدم الإعلام للهجوم المفاجئ على خصومك وتدمير سمعتهم.

في السياسة العراقية، يبرز "قانون الضربات الإعلامية" كسلاح لا يُشق له غبار. إنه قانون يُحكم قبضته على رقاب الخصوم، ويُلقي بهم في غياهب النسيان بعد أن يتم تدمير سمعتهم في لحظات حاسمة. ولكن لا تخطئ الظن؛ فالضربة الإعلامية ليست عشوائية، بل هي ضربة موجهة بدقة كالسهم الذي يصيب الهدف في قلبه.

يتحرك السياسي في هذا المشهد كمن ينسج سجادة فارسية بخيوط من حرير وكلمات من نار. يراقب خصومه عن كثب، يتابع خطواتهم، وينتظر اللحظة التي يرفعون فيها رؤوسهم قليلاً فوق السطح. تلك هي اللحظة التي يقرر فيها السياسي إطلاق سهامه المسمومة. الإعلام، في يده، ليس مجرد وسيلة لنقل الأخبار، بل هو سيفٌ مسلول يُشهر في وجه من يجرؤ على تحديه.

لا يبدأ الهجوم الإعلامي بشكل فوري، بل يُعد له كما تُعدّ ولائم الملوك في قصورهم الفاخرة. تُفتح الملفات القديمة، تُستخرج منها قصص ماضية قد أُنسيت أو تظن الناس أنها طُويت للأبد. لكن السياسي يعرف أن الماضي لا يموت، بل يظل حياً ينتظر اللحظة المناسبة ليعود إلى الحياة. يتم استدعاء كل شاردة وواردة من تلك القصص، وتُعاد صياغتها بطريقة تُظهر الخصم بمظهر الفاسد، المخادع، والعدو الأكبر للشعب.

تتوالى الضربات كما يتوالى هطول المطر في يوم شتاء عاصف. مقالات هنا، تقارير هناك، وفيديوهات تُنتج بعناية فائقة، تُنشر كلها دفعة واحدة. في تلك اللحظة، يجد الخصم نفسه محاطًا من كل جانب، كالغريق الذي يحاول التشبث بأي شيء لينجو، لكنه لا يجد سوى الهواء. الجمهور، بدوره، يتابع بشغف هذا العرض الدرامي، يتلذذ بكل تفصيلة تُكشف، ويصبح شاهداً على سقوط الخصم الذي كان يُعتقد أنه لا يُقهر.

لكن السياسي لا يكتفي بإطلاق الضربات فقط؛ إنه يُتقن فن التوجيه الإعلامي. يحرص على أن يظهر بمظهر القائد الحازم الذي لا يتهاون في مواجهة الفساد والخيانة. يُطل على الناس بخطاب متزن، يتحدث فيه عن المسؤولية والشرف، بينما في خلفية المشهد تتهاوى سمعة الخصوم كأوراق خريف جافة. إنه مشهد محكم الإعداد، حيث يُظن أن السياسي وحده هو من يحمل شعلة الحق، بينما يتوارى الجميع في الظل.

وفي خضم هذه العاصفة الإعلامية، تبدأ التحولات. الحلفاء يتخلون عن الخصم، والمناصرون ينقلبون عليه، ويتحول الحشد الذي كان يوماً ما يصفق له إلى جمهور غاضب يطالب برأسه. إنها اللحظة التي يُظهر فيها السياسي أنه ليس فقط قائداً بل قاضياً وجلاداً، يفرض عدالته بقوة لا تعرف الرحمة.

ومع نهاية الهجوم، ومع تدمير سمعة الخصم بالكامل، يتنفس السياسي الصعداء. لقد حقق هدفه، وأظهر للجميع أن من يجرؤ على تحديه سيُسحق تحت وطأة الإعلام الذي يملك زمامه. ولكن الزعيم لا ينسى أبداً أن هذه ليست النهاية، بل هي مجرد جولة في معركة طويلة لا تنتهي. فهو يدرك أن الخصوم سيعودون دائماً، وأن الإعلام سيظل هو السيف الذي يُحافظ به على عرشه.

هكذا يستمر السياسي في إدارة معاركه، يستغل كل فرصة ليُظهر قوته وليحكم قبضته على السلطة. الإعلام بالنسبة له ليس مجرد أداة، بل هو سلاح فتّاك يستخدمه ليُحافظ على مكانته، وليُثبت أن في عالم السياسة، البقاء للأقوى، وللأذكى، ولمن يعرف كيف يُوجه ضرباته بدقة لا تُخطئ.

٨١- قانون الاحتفاظ بالشعب في حالة انتباه : لا تدع الشعب يستقر أو يشعر بالأمان ، اجعلهم دائمًا في حالة ترقب .

في السياسة العراقية ، حيث يُفضل أن يبقى الناس كما النحل في خلاياهم ، دائمي الحركة والانشغال ، يأتي "قانون الاحتفاظ بالشعب في حالة انتباه" كأداة ذهبية لا غنى عنها للسياسي الذي يريد البقاء فوق عرشه كالأعمدة الأثرية في بابل . يعرف السياسي أن الشعب إذا ما شعر بالأمان ، فسيبدأ بالتفكير ، وإذا فكر ، سيبدأ بالسؤال ، وإذا سأل . . . حسناً ، هنا تبدأ المشاكل . ولهذا ، لا بد من إبقائهم في حالة من الترقب الدائم ، كقطط تنتظر القفز على فريسة غير مرئية .

الزعيم ، بمهارته المعهودة ، يتصرف كالراعي الذي لا يُريد لأغنامه أن تستكين تحت شجرة ظليلة . بدلاً من ذلك ، يقوم بين الحين والآخر بإلقاء حجر صغير في المياه الراكدة ، ليُحدث تموجات كافية لإثارة القلق . إنه يعلم أن الشعب إذا بدأ يشعر بالاستقرار ، فقد يبدأ في النظر حوله ، وربما حتى النظر إلى السياسي نفسه بتلك النظرة التي لا تُبشر بخير . ولتجنب هذه الكارثة ، يُبقي الشعب في حالة دائمة من الانشغال .

لكن لا تظن أن السياسي يفتعل الأزمات بشكل فوضوي . لا ، هو أكثر دهاءً من ذلك . يبدأ بإرسال شائعات صغيرة ، مثل من يرمي فتات الخبز للحمام ، ليرى كيف ستلتهمه . ربما يلمح إلى خطر خارجي يلوح في الأفق ، أو يتحدث عن "مؤامرات" تحاك في الغرف المظلمة . الشعب ، كعادته ، يلتقط هذه الإشارات كالأطفال الذين يصدقون كل قصة تحكى لهم قبل النوم . تتسارع نبضاتهم ، ويبدأون بالتحرك في دوائر ، يبحثون عن الأمان في عالم يبدو وكأنه يتداعى .

وهنا ، يطل السياسي بوجهه الحازم ، مُتقمصًا دور الأب الحنون الذي يعلم خبايا الأمور . يتحدث إليهم بصوته الرخيم عن التحديات التي تواجه البلاد ، وعن ضرورة التكاتف في هذه الأوقات العصيبة . وفي الخلفية ، تظل الأزمات المفتعلة تتوالى ، كل واحدة منها تُضفي مزيداً من اللون

الداكن على لوحة المشهد السياسي، لتزيد من حدة الترقب في قلوب الشعب.

والسياسي، بخبثه المعهود، لا يدعهم يرتاحون لحظة. فعندما تبدأ الأمور بالهدوء، يُفاجئ الجميع بقرار مفاجئ، كمن يُسحب البساط من تحت قدميك وأنت على وشك الجلوس. قد يعلن عن تغييرات جذرية في الحكومة، أو يُلمح إلى ضرورة اتخاذ تدابير تقشفية "لإنقاذ البلاد". الشعب، كالعادة، يهرع بحثًا عن تفسير، ويجد نفسه مرة أخرى في دوامة لا تنتهي من التساؤلات والخوف من المجهول.

لكن السياسي لا يعتمد على الأزمات فقط؛ إنه يعلم أن التوجيه الإعلامي هو الخيط السحري الذي يربط كل شيء معًا. فتحت سيطرته المطلقة، تتحول وسائل الإعلام إلى أدوات دقيقة، تثير الخوف تارة، وتنشر الطمأنينة تارة أخرى، وفقًا لما يتطلبه الموقف. الأخبار تُصاغ بعناية، كل جملة فيها تحمل رسالة خفية تقول للشعب: "ابقوا متيقظين، فالعاصفة قد تأتي في أي لحظة."

وعندما يجرؤ أحدٌ على السؤال أو الاعتراض، يظهر السياسي بوجهه الصارم، متحدثًا عن الواجب الوطني وعن المخاطر التي لا يراها العامة. فيصبح الجميع كالجنود في معسكر، يلتفون حول زعيمهم، متناسين كل شيء آخر، فلا أحد يريد أن يكون خارج دائرة الحماية التي يوفرها لهم هذا القائد الشجاع.

في النهاية، يتعلم الشعب درسًا قاسيًا: لا راحة في ظل هذا السياسي. فكلما ظنوا أن الأمور قد هدأت، اكتشفوا أنهم كانوا فقط في استراحة محارب. وفي الوقت الذي يحاولون فيه استيعاب ما يجري، يدركون أن الزعيم قد أبقاهم دائمًا في حالة ترقب، كأنهم في لعبة قديمة لا تعرف النهاية.

وهكذا، يستمر السياسي في فرض سيطرته، لا بالسيف أو القانون، بل بالترقب الدائم الذي يُبقي الجميع في حالة انتظار للخطوة التالية. إنها لعبة

لا يربح فيها أحد سوى السياسي، الذي يظل واقفًا على قمته، مطمئنًا إلى أن أحدًا لن يجرؤ على المساس بموقعه، طالما أن الشعب مشغول دائمًا بما يمكن أن يحدث غداً.

في هذه اللعبة الماكرة، يبقى الشعب رهينة للتوقعات والخوف، بينما يتلاعب الزعيم بأوتار قلوبهم وعقولهم، يوجههم كيفما يشاء، ويضمن بذلك أن لا شيء يتحرك في البلاد دون علمه. كل ذلك بينما يظل الشعب، كمن يسير في نومه، غافلاً عن أن الزعيم قد أحكم قبضته على كل ما يمكن أن يجلب لهم الأمان أو الاستقرار.

٨٢- قانون تسفيه المطالب : اجعل المطالب الشعبية تبدو تافهة وغير مهمة.

في السياسة العراقية، حيث يقود الزعيم دفة الأمور كما لو كان يوجه سفينة في بحر من الرمال المتحركة، يظهر "قانون تسفيه المطالب" كواحد من أهم أسلحته السحرية. الزعيم يعرف جيداً أن الشعب، بتاريخه الطويل المليء بالنضال، لن يتوقف عن المطالبة بحقوقه. لكنه أيضًا يعلم أن تلك المطالب، مهما كانت مشروعة، يمكن أن تتحول ببساطة إلى فقاعات صابون تتلاشى في الهواء. هنا، يمارس الزعيم فن "تسفيه المطالب" ببراعة تُضاهي أمهر الحواة.

كل شيء يبدأ عندما يرتفع صوتٌ ما بين الجماهير، يطالب بأبسط الحقوق: كهرباء لا تنقطع، رواتب تكفي لتغطية الاحتياجات الأساسية، أو حتى مجرد طريق معبدة تحترم كرامة السيارات المتداعية. الشعب، في ظنه، يرى أن هذه المطالب هي جزء من حقوقه البديهية، لكنها بالنسبة للزعيم ليست أكثر من حبات رمل لا تستحق أن تُنثر على ساحل مشاريعه العظمى.

ما أن تصل هذه المطالب إلى أسماع الزعيم، حتى يبدأ في ممارسة حيلته المفضلة: تحويل الجبال إلى تلال، والتلال إلى حبات غبار تتلاشى في الهواء. لا يُسارع بالرفض المباشر، فذلك قد يثير حفيظة الجماهير. بدلاً من ذلك، يلجأ إلى أسلوبه الماكر في التهكم الخفي. يبدأ بالحديث عن "الأولويات الأكبر" وعن "الظروف المعقدة" التي تحتم عليه التركيز على ما هو أهم. هكذا، يُشعر الشعب وكأن مطالبه ليست سوى زينة على طاولة القضايا الوطنية الكبرى، تلك التي لا تستحق حتى أن تُنطق.

ثم، كما هي عادته، يغمر المطالب في مستنقع البيروقراطية. لجان تُشكَّل، تقارير تُكتب، وخطط تُوضع على رفوف تنتظر غبار الزمن. كل هذا يحدث بينما الشعب يتابع بلهفة تلك الاجتماعات التي لا تنتهي، ظنًا منه

أن الحل آت. ولكن سرعان ما يكتشفون أن ما كانوا يظنونه حلاً لم يكن سوى دخانٍ في مرآة.

وفي قلب هذه الدوامة، يظهر الإعلام ليلعب دوره في هذه المسرحية العبثية. بينما تتحدث القنوات عن الإنجازات "العظيمة" التي تحققت بفضل جهود الزعيم، تحول المطالب الشعبية إلى مجرد تفاصيل هامشية. تُضخم قصص هامشية، ويُحتفى بنجاحات صغيرة لا تسمن ولا تغني من جوع. فتتحول مطالب الشعب من قضايا مصيرية إلى مجرد سطور صغيرة في أسفل الشاشة، تُقرأ ثم تُنسى في لمح البصر.

ولكن اللعبة لا تتوقف هنا. بمرور الوقت، يبدأ الشعب نفسه بالتساؤل: هل كنا نبالغ؟ هل كانت مطالبنا حقًا ضرورية؟ الشك يبدأ يتسرب إلى النفوس، ويتحول الإصرار إلى تردد، والمطالبة إلى صمت. هكذا، يُحقق الزعيم هدفه دون أن يضطر لرفع صوته أو حتى يده. لقد نجح في تحويل المطالب الجادة إلى ترف لا يحتاجه الناس.

ومع ذلك، يتذكر الشعب، بين الحين والآخر، تلك المطالب التي كانوا يتحدثون عنها بفخر. لكن الزعيم قد نجح في تحويلها إلى أحلام ضائعة، يحاول الناس تذكرها وكأنها كانت جزءاً من حكايات قبل النوم. لا ينسى الشعب أن الزعيم قد جعلهم ينسون لماذا طالبوا بتلك الأشياء في المقام الأول.

في النهاية، يبقى الزعيم واقفًا في مكانه، يراقب الجميع وهم يتلاعبون بأفكارهم الخاصة، يشككون في مطالبهم، ويتساءلون عما إذا كانت تستحق كل هذا الجهد. يبتسم الزعيم، فقد حقق ما كان يسعى إليه: شعبٌ مشغول بتفاهات الأمور، غير قادر على تمييز ما هو مهم حقًا. فالزعيم، بدهائه، لم يتجاهل مطالبهم فحسب، بل جعلهم ينسونها تمامًا.

وفي هذه اللعبة الماكرة، يستمر الشعب في مراقبة الزعيم، متسائلين عما إذا كان هناك شيء آخر يستحق المطالبة به، بينما يدركون في قرارة أنفسهم أن

السباق الوحيد الذي يمكن أن يفوزوا به هو سباق الحيرة والانتظار. وهكذا، يُصبح تسفيه المطالب فنًا من فنون الحكم، حيث تُدفن الآمال تحت ركام التهكم والبيروقراطية، ويظل الزعيم، كما كان دائمًا، سيد الموقف.

٨٣- قانون الاستفادة من الاضطرابات : استغل أي اضطرابات خارجية لتشديد قبضتك على السلطة .

في السياسة العراقية، حيث الأرض تهتز كما لو كانت تسير فوق بركان خامد، يُعد "قانون الاستفادة من الاضطرابات" هو العصا السحرية التي يعتمد عليها الزعيم لتحصين عرشه وسط رياح الفوضى التي تهب من كل حدب وصوب. هذا القانون ليس مجرد تكتيك مؤقت، بل هو بمثابة الجرعة السرية التي يحتفظ بها الزعيم في جيبه الخلفي، يستخدمها في اللحظات الحرجة لتحويل كل اضطراب خارجي إلى فرصة ذهبية لزيادة إحكام قبضته على السلطة.

الزعيم يراقب الأزمات الدولية كما يراقب صياد ماهر فريسته المتعبة.

انقلاب هنا، حرب أهلية هناك، أزمة اقتصادية تعصف بدولة مجاورة— كلها إشارات يلتقطها الزعيم بفرح داخلي مكتوم. يعرف أن هذه اللحظة التي كان ينتظرها، اللحظة التي يمكنه فيها تحويل المخاطر الخارجية إلى ذريعة لتوسيع سلطته وتثبيت جذوره أكثر في عمق السلطة.

يتقدم الزعيم إلى الشاشة، يُطل على شعبه بوجه هادئ تعلوه ملامح الحكمة المتجهمة. يتحدث عن "الأخطار التي تتهدد الوطن" وعن "ضرورة الاتحاد والتماسك" في مواجهة هذا العالم المضطرب. يسرد القصص عن دول انهارت لأنها لم تحسن التماسك، شعوب فقدت الأمان لأنها لم تثق في قادتها. وبصوته العميق الذي ينساب كالمخدر في عروق الناس، يزرع فيهم الخوف من المجهول، الخوف من أن يلقوا نفس المصير إن هم لم يتبعوا أوامره.

لكن الزعيم ليس مجرد خطيب ماهر؛ إنه مُخطط استراتيجي يتقن فن التلاعب بالخوف. يعلم أن الكلمات وحدها لا تكفي. ولذلك، يأمر قواته بالانتشار في الشوارع، تُفرض حواجز جديدة، وتُغلق أبواب لا تفتح إلا بإذن. يراقب الناس من نوافذ منازلهم تلك التغييرات المفاجئة،

ويشعرون بشيء من الأمان، ولكن هذا الأمان يخالطه طعم الخوف. "هل نحن حقًا في أمان؟" يتساءلون في أنفسهم. "أم أن هذا هو البداية فقط؟"

وفي تلك اللحظات، يبدأ الزعيم في تنفيذ خطته الكبرى. يستغل الاضطرابات ليعيد ترتيب بيته الداخلي. يصفي حساباته مع خصومه السياسيين تحت ستار "مصلحة البلاد"، ويصمت كل من تسول له نفسه الاعتراض. الإعلام، الذي بات أداة في يده، يُضخم كل حركة، ويُظهر الزعيم كأنه حامي الحمى، الرجل الوحيد الذي يقف بين الشعب وكارثة محققة. وكما أن الساحر لا يكشف عن أدواته أبداً، فإن الزعيم يحافظ على هالة الغموض حول نواياه الحقيقية.

لكن دعونا لا نخدع أنفسنا؛ الزعيم لا يلعب دور البطل النبيل. فبينما يتحدث عن حماية الوطن، يُحكم قبضته أكثر على الشعب. يُغلق منافذ الحوار، ويُبعد كل من يحاول أن يرفع صوته. وفي الوقت نفسه، يبقي النار مشتعلة تحت القدر؛ يستمر في التحدث عن تهديدات قادمة، عن أعداء يتربصون بالوطن، وعن مؤامرات تحاك في الظلام. فكلما ازداد الخوف، ازداد ولاء الناس له، وقلت الأسئلة التي يمكن أن تُزعجه.

تخيل أنك واحد من أفراد الشعب، تستمع إلى خطابات الزعيم وتتساءل في نفسك: "هل نحن حقًا محاصرون بالأعداء؟ أم أن هذه مجرد حيلة لإبقائنا خائفين؟" لكن الزعيم لا يمنحك الوقت الكافي للتفكير؛ فهو يُغرقك في بحر من الأخبار المتتالية، كل منها يعزز الشعور بالخطر ويقضي على أي رغبة في التمرد أو المعارضة. أنت الآن جزء من خطة الزعيم، سواء أدركت ذلك أم لا.

وعندما تهدأ الاضطرابات في الخارج أخيرًا، ويعود العالم إلى حالته الطبيعية، تجد نفسك قد تغيرت. لم تعد تسأل كما كنت من قبل، ولم تعد تطالب بما كنت تعتبره حقًا طبيعيًا. الزعيم نجح في إعادة تشكيل وعيك، في جعلك ترى أن السلطة المشددة هي الحل الوحيد للبقاء في أمان.

وفي هذا المشهد الختامي، يظهر الزعيم مرة أخرى، هذه المرة بابتسامة تعلو وجهه. لقد أثبت مرة أخرى أنه السيد المطلق للموقف، الذي يعرف كيف يحول الفوضى إلى نظام، والخوف إلى أداة لإحكام قبضته على الجميع. الشعب، بدوره، يبقى في حالة ترقب دائمة، يخشى من اضطرابات جديدة، ويؤمن بأن الزعيم هو الحصن الأخير أمام انهيار محتمل.

وهكذا، يكتب الزعيم فصلا جديداً في كتاب حكمه، فصلا عن كيفية تحويل الأزمات إلى فرص، وعن كيفية جعل الخوف أداة للاستقرار. إنه فن الحكم في عراق لا يعرف الهدوء، حيث يبقى الزعيم هو اللاعب الوحيد الذي يتقنً قواعد اللعبة، ويظل الشعب مجرد متفرج على مسرحية لا نهاية لها.

٨٤- قانون التضخيم الإعلامي : استخدم الإعلام لتضخيم إنجازاتك وتقليل من أهمية إخفاقاتك .

في السياسة العراقية، حيث لا ينقضي يوم دون أن يتقن الزعيم لعبة جديدة من ألعاب السلطة، يأتي "قانون التضخيم الإعلامي" كأحد الأسلحة السحرية التي يستخدمها ببراعة متناهية. هذا القانون ليس مجرد وسيلة، بل هو عمادٌ رئيسي في بناء صورة الزعيم الخارقة، الذي تتدفق منه الإنجازات كالشلال، بينما تُطمس إخفاقاته تحت سجادة البراعة الإعلامية المنمقة.

يبدأ الأمر عندما يقرر الزعيم أن الوقت قد حان لتذكير الشعب بإنجازاته "العظيمة". يجتمع بفريقه الإعلامي، ليس لإعطائهم تعليمات حول ما يجب فعله، بل لإعطائهم توجيهات دقيقة حول كيفية تصوير كل حركة، كل قرار، وحتى كل نظرة على أنها انتصار جديد يُضاف إلى رصيد لا ينضب من الإنجازات. يُستدعى المصورون والصحفيون، تُكتب العناوين البراقة، وتجهز التقارير المليئة بالعبارات الرنانة.

لكن الزعيم يعلم أن النجاح لا يكمن في الفعل نفسه، بل في كيفية عرضه. ولذلك، فإن تضخيم الإنجازات يتحول إلى فن معقد، حيث يُصوَّر افتتاح جسر صغير كأنه فتحٌ مبين، ويُروَّج لترميم مدرسة قديمة وكأنه بناء جامعة جديدة. تُلتقط الصور للزعيم وهو يُدشن هذه "المشاريع"، يُلقي كلمات مليئة بالحكمة المُدبرة، وتُعرض الصور في كل وسيلة إعلامية متاحة، مع إضفاء لمسات فنية تُبرز الزعيم بملامح القائد الذي لا يُضاهى.

أما الشعب، فما عليه إلا أن يفتح عينيه على هذا السيل الجارف من الأخبار التي تحكي عن "الإنجازات". يُشاهدون التلفاز، يقرأون الصحف، وحتى في وسائل التواصل الاجتماعي لا يكادون يرون شيئًا سوى إنجازات الزعيم. يُخيل لهم أنهم يعيشون في المدينة الفاضلة التي لم يشهد العالم لها مثيلاً من قبل، حيث تتحقق الأحلام بمجرد أن يوقع الزعيم على ورقة، وحيث تتحول المشاريع الصغيرة إلى معجزات كونية.

ولكن، ماذا عن الإخفاقات؟ الزعيم يدرك أن الإخفاقات جزء لا يتجزأ من الحياة السياسية، ولكنه يعرف أيضًا كيف يتعامل معها بحنكة لا تُضاهى. فالإخفاقات ليست سوى ظلال باهتة في صورة براقة، تُطمس بحرفية تحت وهج الإنجازات المتلألئة. عندما يتعثر مشروع ما، أو تحدث أزمة ما، لا يُقال إن الزعيم قد أخطأ، بل يُقال إنه "اختبار للصبر"، و"تحد سيجتازه الشعب بفضل حكمة الزعيم". يُطرح الموضوع بحذر، يمرر بينَ السطور، وكأنه أمر عابر لا يستحق التوقف عنده.

وفي هذه اللحظات، يُستخدم الإعلام كفرشاة الرسام الماهر، تُغطي تلك الشوائب التي قد تُفسد اللوحة. تُركز التقارير على الجانب "الإيجابي" من القصة، تُعيد تدوير الحقائق بحيث تظهر النتيجة النهائية وكأنها لم تكن خطأً أبدًا، بل خطوة نحو تحقيق إنجاز أكبر. الشعب، بدوره، لا يرى إلا ما يُعرض عليه؛ يقتنع بأن الإخفاقات ليست سوى أداة لتحقيق النجاحات، وأن كل سقوط هو في الواقع قفزة جديدة إلى الأمام.

ولأن الزعيم لا يعرف الحدود في فنون التضخيم، فإنه يُدرك أن استمرار هذه اللعبة يعتمد على التجدد المستمر. ولذلك، لا تتوقف عجلة الإعلام عن الدوران. يومًا بعد يوم، تُضخ التقارير المليئة بالتفاصيل الدقيقة، تُعرض الإنجازات الصغيرة بشكل مستمر، وكأنها جزء من نهر لا يتوقف عن الجريان. الشعب لا يجد الوقت ليتساءل أو يشكك؛ فهو محاصر بين صور الزعيم، وكلماته المقتبسة، وإنجازاته التي لا تنتهي.

وفي النهاية، يصبح التضخيم الإعلامي هو الحقيقة الوحيدة التي يعرفها الناس. يختفي الإخفاق في ظل هذه الظاهرة، ويتحول كل ما يفعله الزعيم إلى أسطورة تُروى للأجيال القادمة. الناس، في ظنهم، يعيشون في نعيم لا مثيل له، بينما الحقيقة تُدفن تحت أكوام من الدعاية المُتقنة. الزعيم يظل واقفًا، محاطًا بهالة من المجد الإعلامي، يعرف جيدًا أن سلطته ليست فقط في أفعاله، بل في كيفية سرد تلك الأفعال.

هكذا يُكتب فصل جديد في كتاب السياسة العراقية، حيث يُصبح الزعيم أسطورةً بفضل قانون التضخيم الإعلامي. الإخفاقات تمحى، والإنجازات تُضخَّم، والشعب يُترك في حالة من الدهشة المستمرة، يعيش في عالم من نسج الإعلام، حيث الزعيم هو البطل الأوحد، وكل ما عداه ليس إلا تفاصيل غير مهمة.

٨٥- قانون التصفيق الجماهيري : احرص على وجود جمهور مؤيد لك في كل مكان، جاهز للتصفيق في الوقت المناسب.

في السياسة العراقية، حيث يُدير الزعماء شؤون البلاد كما لو كان يعزف على آلة قديمة تُخرج نفس النغمات المكررة، يظهر "قانون التصفيق الجماهيري" كواحد من أبرع ابتكاراتهم. إنه القانون الذي يضمن للزعيم دائمًا هالة من التأييد، محاطًا بجمهور جاهز لرفع الأيدي والتصفيق بحماس بمجرد أن ينبس ببضع كلمات، حتى وإن كانت بلا معنى. التصفيق هنا ليس مجرد تفاعل عفوي، بل هو إيقاع مدروس، يحكم به الزعيم قبضته على النفوس.

منذ اللحظة التي يصعد فيها الزعيم إلى المنصة، يعرف أن الجمهور المنتظر يجب أن يكون أشبه بآلة مُبرمجة، جاهزة للانفجار في تصفيق حار في اللحظة التي يُعطي فيها إشارة البداية. لكن هذا التصفيق لم يأت من فراغ؛ إنه ثمرة تخطيط دقيق وإدارة ماهرة. لا شيء يُترك للصدَفة؛ فالجمهور يعرف متى يبدأ بالتصفيق، ومتى يُخففه، ومتى يرفعه إلى درجة الهتاف.

لا يقتصر الأمر على المناسبات الرسمية فقط، بل يمتد ليشمل كل زاوية من زوايا حياة الزعيم. في الاجتماعات الصغيرة، في الافتتاحات الكبرى، وحتى في الزيارات المفاجئة للأسواق التي يُفترض أن تكون عفوية. التصفيق هنا ليس رد فعل طبيعي، بل جزء من المشهد العام الذي يُظهر الزعيم كالقائد المحبوب بلا منازع. تلك اللحظات التي تُسطر فيها ابتسامات الحضور، ويتحول التصفيق إلى عاصفة تُغرق أي محاولة للتفكير أو التحليل.

لكن التصفيق ليس مجرد وسيلة لإظهار التأييد؛ إنه أداة فعالة لتحطيم أي معارضة محتملة. كلما نطق الزعيم بكلمة أو اتخذ قرارًا، يعم التصفيق القاعة وكأنه جدار منيع يحول دون تسلل أي شك أو اعتراض. إنه التصفيق الذي يُخنق أي صوت آخر، فلا أحد يريد أن يبدو خارج

السياق، فالتصفيق الجماعي يصبح مثل نشيد وطني لا يمكن التوقف عن ترديده.

ولكي يكتمل هذا العرض الباهر، يعرف الزعيم كيف يختار جمهوره بعناية فائقة. هؤلاء ليسوا مجرد حضور عابرين، بل هم نخبة من المتحمسين المخلصين، الذين يتقنون فن التصفيق في اللحظات المناسبة، ويعرفون كيف يرفعون الحرارة في القاعة لتصل إلى درجة الغليان. إنهم يجعلون الزعيم يبدو وكأنه بطل أسطوري، تحيط به هالة من المجد، حتى لو كانت تلك الهالة من صنع أيديهم المتشابكة.

الزعيم، بذكائه المتقد، لا يترك شيئًا للصدفة. يُوزع المكافآت على من يُتقنون فن التصفيق، ويُبقي مراقبين خفيين بين الحضور، يتأكدون أن الجميع يؤدي دوره كما ينبغي. إنه مثل قائد أوركسترا يتحكم في كل نغمة، يضمن أن التصفيق يبدأ في اللحظة المناسبة، ويصل إلى ذروته في الوقت المثالي.

أما الجمهور؟ فهو يتكيف مع هذا الدور كمن تعوّد على عادة يومية. يعرف متى يُضخم صوته، ومتى يخفت، ومتى يُطلق الهتافات المدوية. من الخارج، يبدو وكأن الشعب بأسره يقف وراء الزعيم، يرفعون الرايات، ويهتفون باسمه. ولكن في الواقع، كل شيء محسوب بدقة، وكأن الجميع يلعبون دوراً في مسرحية كبيرة، يتكرر عرضها كل يوم.

مع مرور الوقت، يتحول التصفيق إلى طقس لا غنى عنه. يصبح جزءاً من الحياة العامة، جزءاً من الروتين اليومي، حتى أن البعض قد يصفقون تلقائيًا عند سماع أي شيء يُشبه خطابات الزعيم، حتى وإن كان ذلك في غير محله. التصفيق يصبح وسيلة لتفادي التفكير، لتجنب التساؤلات المحرجة، وللتأكيد على أن الزعيم هو القائد الوحيد الذي يستحق هذا الكم الهائل من التأييد.

لكن الزعيم، بعبقريته، يعرف كيف يُبقي الأمور مشتعلة. يُدير المشهد كما يُدير لعبة حظ، يُبقي التصفيق في أوج حماسه، يُوزع الهتافات كمن

يُوزع الحلوى، ويضمن أن الجميع يشعرون بأنهم جزء من شيء أكبر، حتى لو كان ذلك الشيء مجرد وهم جماعي.

وفي النهاية، يبقى الزعيم محاطًا بجمهور لا يعرف سوى التصفيق، جمهور يرفع الأيدي ويهتف، وكأن كل حركة من حركات الزعيم هي معجزة تستحق الاحتفاء. الناس يرون في ذلك القوة والوحدة، يرون فيه الزعيم الذي لا يُهزم. ولكن الحقيقة تُغمر تحت أمواج التصفيق، ويتحول الجميع إلى دمى تلتزم بتلك العادة الميكانيكية، في مشهد يتكرر بلا نهاية، حيث التصفيق يستمر حتى تتلاشى الحقيقة تحت ضجيج الأيدي المتشابكة.

٨٦- قانون الاستغلال العاطفي : استخدم الأحداث العاطفية مثل استشهاد الجنود أو الكوارث الطبيعية لتعزيز مكانتك.

في السياسة العراقية، حيث تُدار الحيل بمهارة أشبه بالسحر الأسود، يظهر "قانون الاستغلال العاطفي" كأحد أكثر الأدوات فتكًا، تُستخدم حينما تستشيط سماء الوطن بغيوم الأحزان. هنا، لا تُهدر الكوارث ولا تُترك الشهادات تذهب سدى؛ بل تُصقل لتصبح أسلحةً في يد الزعيم، تُعزز من بريقه، وتؤكد مكانته كمنقذ لا يُضاهى.

عندما تسقط مأساة على البلاد، كاستشهاد الجنود أو وقوع كارثة طبيعية، لا يرى السياسي في هذه اللحظات الحزينة سوى فرصة ذهبية. يجتمع مع فريقه الإعلامي، ليس لرثاء الضحايا، بل لرسم لوحة فنية حيث يكون هو البطل الأوحد. تُلتقط الصور بعناية: السياسي يضع أكاليل الزهور على قبور الشهداء، الزعيم يمسك بأيدي الأمهات الثكلى، يُلقي كلمات مليئة بالعاطفة كمن يهمس بأسرار الكون في آذان شعبه.

وفي هذه اللحظات، يُترك الشعب أمام شاشات التلفاز، يراقب هذا العرض الذي يُبث كأنه جزء من برنامج وثائقي عن التضحية والوطنية. عيونهم تلمع بالدموع، لكن تلك الدموع سرعان ما تتحول إلى تصفيق حار عندما يرون السياسي يتحدث عن "الصبر العظيم" و"التضحيات التي لا تُقدر بثمن". هنا، يتحول الحزن الجماعي إلى مهرجان من التأييد، وكأن الزعيم هو البلسم الذي يشفي جراح الأمة.

لكن السياسي لا يكتفي بدور المنقذ فقط؛ فهو يدرك أن كل دمعة يجب أن تحول إلى حجر يُضاف إلى أساسات حكمه. فيُصدر الأوامر بتشييد نصب تذكارية، ويُطلق أسماء الشهداء على الشوارع والمدارس، لكنه لا يفعل ذلك بدافع الوفاء، بل لأن هذه الرموز تُعزز من صورته كبطل يجسد الوطن بأسره. إنه يعرف كيف يُحول المأساة إلى مهرجان وطني، كيف يجعل من الألم جسراً إلى قلوب الناس، وكيف يُقنعهم بأن مستقبلهم بين يديه وحده.

في الوقت الذي تغمر فيه الدموع الأعين، يُعلن السياسي عن "إجراءات حازمة" لضمان أمن البلاد. ترتفع الضرائب، تُفرض قوانين صارمة، والكل يوافق، فلا مجال للاعتراض في لحظات كهذه. الشعب يرى في تلك الإجراءات صلابة السياسي وحكمته، بينما في الواقع هي مجرد وسيلة أخرى لتضييق الخناق، وزيادة السيطرة.

والناس؟ الناس يقفون مشدوهين، يرقبون هذا العرض العاطفي ويشعرون بأن السياسي هو النور في نفق حياتهم المظلم. ينسون للحظات كل ما كان يؤرقهم، ينسون الفقر، ينسون الأزمات، ولا يتذكرون سوى أن السياسي هو القائد الذي يُحول حتى المآسي إلى انتصارات وطنية. إنه يعلم جيداً أن الشعب في لحظات كهذه يحتاج إلى من يواسيه، ويحتاج إلى رمز يتشبث به، وهو يُقدم لهم ذلك الرمز على طبق من ذهب، مغلفاً بدموعهم هم أنفسهم.

ولكن في النهاية، حينما تهدأ العاصفة ويعود السياسي إلى قصره، يكون قد جمع ما يكفي من الشرعية الجديدة، من الدعم اللامشروط، ومن الطاعة العمياء. يبقى الشعب في حالة غفوة عاطفية، غارقًا في بحر من مشاعر لا يدري كيف يتحكم فيها، ولا يدرك أن الزعيم قد استغل كل دمعة ليبني بها قصره من جديد.

وهكذا، يُصبح الألم وقوداً للزعيم، تحول فيه كل لحظة ضعف إلى لبنة جديدة في بناء سلطته. الشعب يستمر في التصفيق، يحيي السياسي، يشكره على ما فعله، متناسين أن كل تلك المشاعر التي غمرت قلوبهم كانت مجرد أدوات في يد من لا يعرف سوى كيف يُبقيهم تحت سيطرته. ومع مرور الوقت، يبدأ الناس يتوقعون تلك الكوارث، لأنهم يعرفون أن الزعيم سيظهر، وسيُعيد تأكيد مكانته. إنه سيناريو يتكرر بلا نهاية، حيث تُستغل كل مأساة، ويُعاد صياغة التاريخ ليجعل من السياسي البطل الأوحد، بينما يظل الشعب عالقًا بين الألم والأمل.

٨٧- قانون التلاعب بالتاريخ: اكتب التاريخ بالطريقة التي تناسبك، واحذف ما لا يتوافق مع روايتك.

في عالم السياسة العراقية، حيث تُنسج الحكايات كحبل غسيل طويل يُعلق عليه الزعيم قصاصات ماضيه المزين، يظهر "قانون التلاعب بالتاريخ" كأداة سحرية في يده، يُحول بها الهزائم إلى انتصارات والأخطاء إلى حكايات مجد. الزعيم لا يكتفي بالسيطرة على الحاضر، بل يمد يده إلى الماضي، يُعيد تشكيله كما يحلو له، ليصبح مجرد لوحة يرسمها بألوان تناسب ذوقه ومصلحته.

في غرف مظلمة مضاءة فقط بنور شاشات الحواسيب، يجلس الزعيم مع مستشاريه، يقررون ما يجب أن يبقى وما يجب أن يمحى. الأوراق تتناثر هنا وهناك، تمحى جملة هنا، وتُضاف فقرة هناك. "هذه المعركة، هل نتجاهلها؟" يسأل أحد المستشارين. "لا، بل نقلبها رأسًا على عقب. نُظهرها كجزء من خطة أذكى بكثير، كتكتيك كان لا بد منه للفوز بالمعركة الكبرى"، يرد الزعيم بثقة رجل يعرف أن كل كلمة تُكتب هنا ستُصدَّق بلا نقاش.

المؤرخون يجلسون على مقاعدهم، يملون عليهم الأحداث كأنهم طلاب في صف دراسي. لا يُسمح لهم بالتفكير أو النقد، فالتاريخ هنا ليس سوى قصة تُروى بالطريقة التي تخدم الزعيم. تلك المظاهرات التي اجتاحت الشوارع؟ "نعم، لكننا سنتحدث عنها باعتبارها دعمًا شعبيًا لقرارات الزعيم الصائبة." والأزمات الاقتصادية التي خنقت الناس؟ "كانت ضرورية لإعادة بناء الاقتصاد من جديد على أسس متينة".

وبينما تُكتب هذه الحكايات الجديدة، يجلس الزعيم مرتاحًا، يعلم أن كل شيء يسير وفقًا لخطة محكمة. في كل ذكرى وطنية، تُعرض هذه الروايات المعدلة، ويتعلم الجيل الجديد أن الزعيم كان دائمًا في الجانب الصحيح من التاريخ. الصور التي تظهر على شاشات التلفاز تجسد

الزعيم وهو يقف على قمة جبل من الإنجازات، بينما الحقيقة تُدفن عميقًا تحت أطنان من الأكاذيب المزينة.

لكن هنا تأتي السخرية: في هذا العالم المزيف، يصبح الشعب مجرد شاهد على حكايات تُروى له بلا توقف. يتذكر الناس تلك الحكايات، يرددونها وكأنها حقائق غير قابلة للنقاش. ووسط هذا الصخب، يتلاشى كل صوت يحاول تذكيرهم بما حدث فعلاً، يُخنق تحت وطأة التكرار المستمر لرواية الزعيم.

حينما تُهدأ أصوات التصفيق، يُدرك الزعيم أنه قد نجح في تحويل التاريخ إلى أداة في يده. يعرف أن الناس قد يتساءلون يومًا عن الحقيقة، لكنهم سيكونون قد ابتلعوا الكذبة الكبيرة. ومع مرور الزمن، تُصبح هذه الروايات المزيفة جزءًا من الذاكرة الجماعية، تترسخ في عقول الناس وكأنها الحقيقة المطلقة.

لكن الزعيم، بدهائه، يعرف أن كل شيء قابل للتغيير. ربما غدًا، حينما تتغير المصالح، سيُعيد كتابة تلك الحكايات مرة أخرى، يُضيف إليها تفاصيل جديدة، أو يمحو منها أحداثًا قد أصبحت غير ملائمة. المهم أن يبقى هو البطل الوحيد، الذي يُعيد تشكيل الزمن ليصبح جزءًا من حكايته الخاصة.

يبقى الشعب محتاراً بين ما قيل له وما يراه بأم عينيه، غير مدرك أن تاريخه قد سُرق منه، وحُوِّل إلى أسطورة تُروى على ألسنة الجيل الجديد. بينما الزعيم، مرتاحًا على عرشه، يعلم أنه طالما كان هو الكاتب الوحيد للتاريخ، فإن الحقيقة ستظل دائمًا في يده، يعبث بها كما يشاء، ويقدمها للشعب كما يحلو له.

وهكذا، يُضاف فصل جديد في كتاب السياسة العراقية، فصل يُكتب بحبر الزعيم، تحت إشرافه الدقيق، بينما يتابع الشعب الرواية التي تتغير كل يوم، وكل ما عليهم هو التصفيق، والتصديق، والترديد: "هذا هو تاريخنا المجيد، الذي لا يُخطئ أبداً".

٨٨- قانون العيش على الأساطير: انشر أساطير حول بطولاتك وإنجازاتك لتعزيز صورتك.

في السياسة العراقية، حيث تُدير الأساطير دفة الأمور كما تُدار السفن في عاصفة هوجاء، يتقن الزعيم فن "قانون العيش على الأساطير" ببراعة لا تُضاهى. فالزعيم هنا لا يكتفي بأن يكون حاكمًا، بل يطمح لأن يصبح أسطورةً تحكى، حكاية تتردد على ألسنة الجميع، تُضاف إليها تفاصيل كلما رُويت، حتى تصبح جزءاً من الذاكرة الجماعية التي يصعب محوها.

منذ اللحظة التي يعتلي فيها الزعيم سدة الحكم، يدرك أن صنع الأساطير ليس خياراً، بل ضرورة للبقاء. يبدأ بتدوير حكايات بعناية، يمسك كل خيط فيها بيد، ويترك الطرف الآخر عالقًا في عقول الناس. يروي أحدهم همسًا في بداية الأمر عن يوم أنقذ فيه الزعيم البلاد من أزمة لا مثيل لها بفضل "رؤية ثاقبة" أو "عبارة عبقرية" ألقاها في اجتماع مغلق. تتردد الحكاية بين الناس، وتتحول تدريجيًا إلى حقيقة لا تقبل النقاش.

لكن الزعيم لا يترك شيئًا للصدفة؛ فهو يعرف أن كل أسطورة تحتاج إلى قاعدة صلبة تُبنى عليها. يُجند وسائل الإعلام لتكون بوقًا ينقل هذه الحكايات ويضخمها. تُبث تقارير تلفزيونية تتحدث عن "اليوم الذي أنقذ فيه الزعيم الأمة"، ويظهر هو على الشاشة، يتحدث بحكمة وهدوء، وكأنه يملك مفاتيح الحل لكل الأزمات. الإعلام يتفنن في تصوير الأحداث، يُضيف الموسيقى الدرامية، وربما يُشغل مشاهد تمثيلية تُعيد تمثيل البطولات كما حدثت أو كما يُزعم أنها حدثت.

ومع مرور الوقت، تُصبح الأساطير جزءاً لا يتجزأ من الصورة العامة للزعيم. كل يوم يحمل معه قصة جديدة، وإنجازاً جديداً يُضاف إلى قائمة طويلة من البطولات. في أحد الأيام، يقرر الزعيم القيام بجولة تفقدية في حي شعبي، فيحدث أن تُشرق الشمس في اللحظة التي يطأ فيها قدميه الشارع. تُصبح هذه اللحظة حديث الناس، ويرددون: "حتى الشمس لا تشرق إلا بأمر الزعيم." تتحول هذه القصة البسيطة إلى

أسطورة تُروى عبر الأجيال، تُضاف إليها بعض اللمسات الخيالية كلما انتقلت من شخص لآخر.

لكن الزعيم لا يكتفي بأن يكون هو الراوي الوحيد لأساطيره؛ فهو يشجع الجميع على الإسهام في صنعها. يُكتب الشعراء قصائد تمدح بطولاته، ويُرسم الفنانون لوحات تُظهره وكأنه رجل خارق يحمل الوطن على كتفيه. حتى الأطفال في المدارس يُلقنون دروسًا تُخبرهم بأن الزعيم هو البطل الذي لا يُقهر. كل هذه الجهود تخلق هالة من العظمة حوله، هالة تجعل من الصعب على الناس التمييز بين الواقع والخيال.

وفي غمرة هذه الأساطير، يظل هناك من يتساءل: "هل حدثت هذه الأمور فعلاً؟ أم أنها مجرد حكايات تحاك لتعزيز صورة الزعيم؟" لكن هذه الأسئلة سرعان ما تُطمر تحت وطأة الحكايات المتزايدة. فالزعيم يعلم جيداً أن الحقيقة ليست في ما حدث، بل في ما يُروى. والأساطير، كما يعلم الجميع، هي الوقود الذي يُبقي محرك السلطة مشتعلاً.

ومع مرور الزمن، يصبح الزعيم أسطورةً حيةً، حكاية تحكى وكأنها جزء من التاريخ الذي يُعلم في المدارس. الناس يرددون حكاياته وكأنها حقائق مطلقة، يعتقدون أن الزعيم هو الذي كتب التاريخ بيده، وأنه الوحيد الذي يمكنه كتابة المستقبل. وبينما يستمر في بناء المزيد من الأساطير، يظل الشعب عالقًا في دوامة من الحكايات، غير قادر على التمييز بين الواقع والخيال.

وفي نهاية المطاف، ربما سيُكتب في التاريخ أن الزعيم هو الذي أعاد الشمس من غروبها، وأن النجوم لا تتلألأ إلا بإشارة منه. وبينما يستمر الناس في تصديق هذه الحكايات، يبقى الزعيم متربعًا على عرش من الأساطير، عرش صنعه بيديه، ورفعه على أكتاف أمة تؤمن بأن التأريخ ليس سوى حكاية يرويها من يملك السلطة.

٨٩- قانون القائد الضرورة : اجعل نفسك "القائد الضروري" الذي لا يمكن الاستغناء عنه.

في السياسة العراقية، يعرف الزعيم كيف يُحكم قبضته على العقل الجمعي لأمة بأكملها. إنه ليس مجرد قائد يتخذ قرارات؛ إنه الركيزة الثابتة التي لا تُهتز، النجم الذي يظل لامعًا في سماء مضطربة. وهنا يأتي "قانون القائد الضرورة"، حيث يصبح الزعيم ليس خياراً من بين خيارات، بل النجم القطبي الذي لا يمكن الاستغناء عنه، مهما بدا الأفق مظلمًا.

منذ أن اعتلى عرش السلطة، فهم الزعيم أن مجرد القيادة لا تكفي. عليه أن يصبح أسطورة، أن يتجاوز حدود الزمان والمكان ليُصبح الحاضر الدائم، الذي لا يمكن لأحد أن يتخيل غيابه. وهكذا، بدأت أسطورة القائد الضروري تتشكل. ليس على الفور، بل بتأن، كمن يرسم لوحة بفرشاة دقيقة، يُضيف لمسات خفية هنا وهناك، حتى تُصبح الصورة مكتملة.

لا يترك شيئًا للصدفة؛ فهو يعرف أن سر البقاء يكمن في خلق شعور عميق بأن البلاد لا يمكن أن تستمر بدونه. في كل اجتماع، يختار كلماته بعناية، ليترك وراءه أثرًا لا يمحى في نفوس مستمعيه. ينظر إليهم بعينين تشعان بالثقة ويقول، وكأنه يهمس بسر: "لا أحد يستطيع أن يقود هذه الأمة في هذا البحر المتلاطم سواي." وفي تلك اللحظة، يُدرك الجميع أن البديل الوحيد له هو الفوضى.

لكن الكلمات وحدها لا تكفي لبناء هذه الصورة. الزعيم يفهم أن الأفعال هي التي تُرسخ الأساطير. فيبدأ في استعراض بطولاته السابقة، يُعيد تدوير قصص قديمة عن كيف أنقذ البلاد من السقوط في الهاوية. تُعرض على شاشات التلفاز مشاهد أرشيفية، تُبرز الزعيم وهو يواجه الأزمات بابتسامة واثقة. وكلما مرت الأيام، تزداد هذه القصص تجذراً في الذاكرة الجماعية، حتى تتحول إلى جزء من الوعي الوطني.

وفي الوقت نفسه، يستغل الزعيم كل أزمة جديدة كفرصة لتعزيز مكانته. يطلق مشاريع ضخمة ويعد بمستقبل مشرق، ولكن الحقيقة التي يعرفها الجميع في قرارة أنفسهم هي أنهم لا يستطيعون تخيل تحقيق هذه الوعود دون وجوده. يُقدم نفسه كالعصا السحرية التي تحول الأحلام إلى واقع، وكأن الزمن يتوقف في غيابه.

ومع مرور الوقت، يصبح الزعيم ضرورة لا غنى عنها في نظر الشعب. ليس لأنه الأفضل، بل لأنه الوحيد الذي يعرفون. الخوف من المجهول، من التغيير، يدفعهم إلى التمسك به أكثر، حتى ولو كان بقاؤه يعني استمرار الأمور على حالها. وفي لحظة من اللحظات، يُدرك الشعب أنه قد أصبح أسيراً لهذا الشعور، غير قادر على تخيل غدٍ بلا الزعيم.

لكن القصة لا تنتهي هنا. ففي داخل هذا العالم الذي بناه الزعيم، تتوارى الحقيقة خلف الأسطورة. قد يبدأ البعض بالتساؤل: "ماذا لو لم يكن الزعيم هنا؟" ولكن هذه الأسئلة تُغرق تحت سيل من الحكايات البطولية التي تُروى بلا توقف. الزعيم يصبح أشبه بالشمس، التي لا يمكن للحياة أن تستمر بدونها، حتى لو كان كل ما تفعله هو التكرار.

وفي النهاية، يبقى الزعيم متربعًا على عرش من المجد المصطنع، حيث تتلاشى الأصوات المعارضة في ضجيج الاحتفالات الدائمة بوجوده. هو ليس مجرد قائد؛ هو الضرورة التي لا يمكن الاستغناء عنها. والشعب، رغم كل شيء، يظل متشبثًا بهذا الوهم، غير مدرك أنه قد أصبح جزءًا من قصة كتبها الزعيم بنفسه، قصة تحكى للأجيال القادمة، لتذكرهم بأنه كان دائمًا هو، وسيظل دائمًا، القائد الضروري.

٩٠- قانون التلاعب بالأرقام : إذا لم تكن الأرقام في صالحك، قم بتعديلها أو نشر أخرى غير موثوقة .

في عالم السياسة العراقية، حيث لا شيء ثابت إلا رغبة الزعيم في البقاء على القمة، تظهر الأرقام كأنها عجينة لينة بين يديه، يُشكلها كيفما يشاء . ليست الأرقام هنا مجرد أدوات قياس للواقع؛ بل هي شخصيات في لعبة معقدة، يتحكم بها الزعيم بمهارة لاعب شطرنج ماهر، يحركها بحذر ليضمن أنها تقول ما يريد أن يسمعه الناس. "قانون التلاعب بالأرقام" ليس مجرد حيلة؛ بل هو سلاح يُستخدم لتزيين الواقع، لإقناع الجميع أن كل شيء تحت السيطرة، حتى عندما يكون الواقع أشبه بكارثة .

منذ أن اعتلى الزعيم كرسي الحكم، أدرك أن الأرقام تحمل سحراً خاصًا؛ فهي تُصدق بلا نقاش إذا قُدمت بطريقة مناسبة. ولأنه يعرف أن الأرقام التي لا تخدمه هي مجرد حبر على ورق، قرر أن يُعيد تشكيلها وفقًا لأهوائه. فمثلاً، إذا كان النمو الاقتصادي يتباطأ، ما المشكلة في إضافة بضعة أصفار هنا وهناك؟ وإذا كانت نسبة البطالة تتصاعد، يمكن دائمًا تقديم "فرص عمل مستقبلية" على أنها وظائف حقيقية .

لكن الزعيم لا يترك الأمور للصدفة؛ فهو يعلم أن كل رقم يُنشر يجب أن يحمل رسالة إيجابية. يجتمع بمستشاريه في قبو سري، مضاء بمصابيح خافتة تضيء فقط الأرقام والجداول الممتدة على شاشات الحواسيب. تُناقش الأرقام كما تُناقش الخطط العسكرية في أوقات الحرب، وكل خبير يجلس على طاولة المستديرة يحمل في جعبته اقتراحات لتغيير مسار الأرقام لصالح الزعيم. "نحتاج إلى جعل نسبة الفقر تبدو أقل مما هي عليه"، يقول أحد المستشارين. يبتسم الزعيم بمكر، "لا بأس، لنعرف الفقر بطريقة جديدة تجعل الأغنياء أكثر، ولو نظريًا" .

وفي هذا العالم الموازي، تتحول الأرقام إلى حكايات ساحرة تُروى للشعب كما تُروى الأساطير القديمة . في المؤتمرات الصحفية، يظهر الزعيم بتلك الثقة التي لا تهتز، يلقي خطاباته المحفوظة، ويستعرض الأرقام

المعدلة التي تُبهر العقول. "لقد حققنا نمواً مذهلا"، يقول بثقة، بينما الجمهور يصفق بحماس، غير مدرك أن هذا النمو ليس أكثر من قفزة وهمية أضيفت إليها بعض الزخارف الرقمية لتبدو وكأنها إنجاز حقيقي.

الصحف تتلقف هذه الأرقام وتنشرها في عناوينها العريضة، والقنوات التلفزيونية تتغنى بـ"الازدهار" الذي تعيشه البلاد. حتى تلك الأرقام التي كانت يومًا ما تحمل معاني الخسارة والفشل، تجد نفسها وقد تحولت بفضل الحيلة الرقمية إلى شهادات نجاح تُعلق في قلوب الناس. وإذا تجرأ أحدهم على الشك أو الاعتراض، يُغمر في بحر من البيانات الأخرى التي تُؤكد على صحة الرواية الرسمية، وكأن الحقيقة ذاتها أصبحت جزءًا من لعبة الاحتمالات.

الشعب؟ الشعب يتلقى هذه الأرقام كما يتلقى الطفل قصة خيالية قبل النوم. يُصدقها، ويجد فيها ملاذًا من قسوة الواقع. فما دامت الأرقام تقول إن الأمور بخير، فلا داعي للقلق. وإذا ما ظهرت فجوة بين الواقع والأرقام، يُقال لهم إن هذه مجرد "مرحلة انتقالية"، وإن الأرقام ستعود لتبتسم من جديد في الغد القريب.

وفي نهاية المطاف، يصبح التلاعب بالأرقام هو القاعدة، وليس الاستثناء. الأرقام التي كانت في يوم من الأيام شواهد على الحقيقة، تتحول إلى خيوط تحاك بها صورة براقة للزعيم. يبقى الزعيم ممسكًا بخيوط اللعبة، يعلم أن الأرقام المصنوعة بإتقان تُضفي بريقًا على سلطته، وتجعلها تبدو وكأنها حقيقة لا غبار عليها.

وهكذا، يستمر الزعيم في إعادة تشكيل الحقيقة رقمًا بعد رقم، فيظل الناس أسرى لهذه الأرقام، يعيشون في عالم من الأحلام الرقمية، غير مدركين أنهم أصبحوا جزءًا من لعبة محكمة، صممها الزعيم بنفسه، ليبقى دائمًا هو البطل الذي تُروى عنه الحكايات، بينما تبقى الأرقام مجرد أدوات تُستخدم لصنع أسطورة لا يمكن الطعن فيها

٩١- قانون توزيع الوعود : وزع وعوداً في كل مكان، ولا تهتم بتنفيذها.

في السياسة العراقية، حيث تتحول الكلمات إلى وعود والوعود إلى سلاسل تُقيّد العقول، يتقن الزعيم فن "قانون توزيع الوعود" كما يتقن لاعب ماهر توزيع أوراقه في لعبة لا تنتهي. هنا، الوعد ليس مجرد كلمة تُلقى في الهواء، بل هو سلاح يُستخدم لإبقاء الناس في حالة انتظار دائم، انتظار يطول ويطول حتى يتحول إلى جزء من حياتهم اليومية، كما يتنفسون الهواء دون أن يسألوا متى سيتحقق.

منذ أن بدأ الزعيم رحلته في الحكم، أدرك أن الوعود هي أسهل الطرق لبناء الولاء. كل خطاب، كل تجمع، كل لقاء يتحول إلى مسرحٍ لتوزيع وعود جديدة، كمن يوزع الحلوى على الأطفال في العيد. الناس يُصغون بإمعان، وجوههم تتلألأ بالأمل، وهم يرون في الزعيم ذلك الساحر الذي يملك العصا السحرية التي ستغير حياتهم. "سنبدأ مشروعًا عملاقًا هنا"، يقول الزعيم وهو يشير إلى أرض خالية، وما أن تمر الأيام حتى يكتشف الناس أن هذه الأرض قد ظلت كمًا هي، مجرد وعد آخر انضم إلى قائمة الوعود الطويلة.

والزعيم لا يكتفي بوعد واحد، بل يغدق الناس بوابل من الوعود في كل مناسبة. وكأن الزمنٍ متوقف عند هذه اللحظة، لا يتغير فيها شيء إلا الوعد الجديد الذي يُضاف إلى السجل. "نحن نعمل على خطة شاملة لتحسين التعليم"، يعلِن الزعيم في أحد خطاباته، ويشعر الشعب للحظة أن أبواب المستقبل قد فُتحت أمامهم. ولكن الزمن يمضي، والمدارس تظل كما هي، والشعب يستمر في الانتظار.

في إحدى القرى، يقف عجوز يتذكر وعوداً سمعها في شبابه، وها هو اليوم يسمع نفس الوعود تُلقى على مسامع أبنائه وأحفاده. "لقد وُعدنا بهذا منذ سنوات"، يهمس العجوز، ولكن صوته يضيع في ضجيج التصفيق والحماس الذي يملأ المكان. الشاب بجواره لا يرى سوى الأمل

في كلمات الزعيم، غير مدرك أن هذا الأمل قد يكون مجرد وهم يعيشه ليبقى في دائرة الانتظار.

ومع مرور الوقت، يصبح توزيع الوعود هو الهدف بحد ذاته. الزعيم يُلقي بوعد هنا وآخر هناك، كالزهور التي تُنثر على طريق طويل، يعلم جيداً أن هذه الزهور لن تُثمر أبداً. ومع ذلك، يستمر في إلقاء المزيد، لأن الناس باتوا يعتمدون على هذه الوعود كأنها الهواء الذي يتنفسونه. الوعد الجديد يُنسي الناس أن الوعود القديمة لم تُنفذ، وكأنهم يتطلعون دائمًا إلى غد أفضل، حتى وإن كان هذا الغد لا يأتي أبداً.

في لحظة من اللحظات، يتساءل الناس: "ماذا لو لم يتحقق هذا الوعد؟" ولكن السؤال لا يجد إجابة، لأن الوعد الجديد يكون قد أُطلق بالفعل، ليملأ الفراغ الذي تركه الوعد السابق. الزعيم يظل مستمراً في توزيع وعوده، والشعب يظل مستمراً في تصديقها، وكأنهما متفقان على هذه اللعبة التي لا تنتهي.

وفي النهاية، عندما يأتي اليوم الذي يدرك فيه الجميع أن الوعود لم تكن سوى دخان في الريح، يكون الزعيم قد ألقى وعداً جديداً، يجدد الحلم في قلوب الناس، ليبدأوا من جديد رحلة الانتظار. وهكذا، يظل الزعيم في موقعه، مطمئنًا إلى أن الوعود التي يُلقيها كالشباك، تمسك بعقول الناس وتُبقيهم دائمًا على أمل يتحول يومًا بعد يوم إلى سراب بعيد.

٩٢- قانون توزيع الوعود: وزع وعوداً في كل مكان، ولا تهتم بتنفيذها .

في السياسة العراقية، يتربع قانون توزيع الوعود على عرش التكتيكات كأنه هو الملك المتوّج الذي لا يجرؤ أحد على تحدي سطوته . الوعود هنا ليست مجرد كلمات تُلقى في الهواء، بل هي أحلامٌ ملونة تُساق إلى الناس ، فتملأ آذانهم بنغمات العسل وتتركهم ينتظرون قطاف الثمار التي لن تنضج أبداً . السياسي الحاذق يعرف جيداً أن الوعد ليس للعطاء ، بل هو للإبهار ، فتجده في كل محفل يوزع وعوده وكأنه تاجر ماهر يعرض بضاعته البراقة على جمهور مغفلين .

السياسي هنا يشبه صانع الحلوى الذي يضع على كل طبق قطعةً من الحلوى الشهية دون أن يسمح لأحد بتذوقها . وعود براقة تُعلّق في الهواء كأنها نجومٌ في سماء صافية ، تبهر الناس وتُنسيهم ظلمة الليل الذي يلفهم . فمن منا لا يريد أن يَصدق تلك الحكايات المذهلة عن مشاريع خيالية ستغير وجه المدينة ، أو عن فرص عمل ستجعل من البطالة ذكرى قديمة يُحكى عنها في الأحاديث المملة؟

لكن الفارق هنا ، بين الوعد والتنفيذ ، هو كالفارق بين سحابة عابرة تُلطف الجو للحظة ، وشتاء قارس لا يتوقف عن قرع النوافذ ببروده . فالسياسي يوحي للناس بأن الأبواب مفتوحة على مصاريعها لتحقيق الأحلام ، لكنه يعرف تماماً أن تلك الأبواب لا تؤدي إلى شيء سوى فراغ مطلق . إنه مثل البائع المتجول الذي يطرق الأبواب ، يعرض منتجاته بأبهى حلة ، وحينما يدفع الزبون المال ، يكتشف أن ما اشتراه ليس إلا صندوقاً فارغاً .

هذا القانون ليس مجرد تكتيك ، بل هو فنٌ يتقنه السياسي بمهارة فائقة . فهو يعرف كيف ينسج من الكلمات قصوراً في الهواء ، يزينها بزخارف من الأمل ، ثم يختفي قبل أن يدرك الناس أنهم خدعوا . يقول لهم : "سنبني مستشفيات تُضاهي تلك الموجودة في أرقى مدن العالم" ، "سننشئ مدارس

تخرج العباقرة"، "سنحل مشكلة الإسكان إلى الأبد". وكل وعد من هذه الوعود يُلقى كأنه حجرٌ في بحيرة من الركود، يثير موجة من ًالتصفيق والآمال، لكن الموجة لا تلبث أن تخبو دون أن يصل الحجر إلى القاع.

الوعود، في هذا السياق، هي أشبه بالبذور التي تُلقى في صحراء قاحلة، تعلم أنها لن تنبت أبداً، ولكنك تلقيها على أي حال، لأن فعل الإلقاء هو كل ما يهم. الناس يرونك وأنت تبذر، فيعتقدون أن الحصاد قادم، لكنك تعرف، وهم يعرفون في قرارة أنفسهم، أن لا شيء سيأتي من هذا الزرع. إنها لعبة الثقة المزيفة، حيث يكفي أن تضع البذور في الأرض لتقنع الناس بأنك فعلت ما يجب فعله، حتى لو كانت الأرض عقيمة والسماء لا تحمل أي وعد بالمطر.

ثم تأتي اللحظة التي يسألك فيها الناس: "أين الحصاد؟ أين تلك المستشفيات والمدارس والمساكن التي وعدتنا بها؟" فتبتسم بوجه مليء بالرضا وتقول: "الصبر، الصبر يا أعزائي، فالمشاريع الكبيرة تحتاج إلى وقت". وتتركهم يتخبطون في بحر من التوقعات المحبطة، بينما تواصل أنت توزيع وعودك الجديدة في أماكن أخرى، متأكداً من أن الناس سيواصلون الركض خلف السراب، لأنهم ببساطة لا يملكون خياراً آخر.

السياسي في هذا الفن يشبه منسق الزهور الذي يزين كل زاوية بزهرة صناعية، لا تذبل أبداً، لكنها أيضاً لا تمنح العطر. الناس ينظرون إلى الزهور ويشعرون بالسعادة لوهلة، لكنهم حين يقتربون ليشموا عطرها، يكتشفون أنها ليست أكثر من زينة بلاستيكية بلا روح. ومع ذلك، يظل السياسي يضع الزهرة تلو الأخرى، لأنه يعرف أن الناس يحبون الجمال حتى لو كان زائفاً.

وفي النهاية، تظل الوعود معلقة في الهواء، تزين سماء الواقع كما تزين الفوانيس الورقية احتفالا صيفياً، تتراقص مع الريح لكنها لا تضيء الطريق. والناس؟ يواصلون العيش في ظل تلك الوعود، يحلمون باليوم الذي تتحول فيه إلى حقيقة، غير مدركين أن تلك الوعود لم تكن أبداً

مصممة للتحقق، بل لتظل وعوداً فقط، جسراً يعبر عليه السياسيون إلى جولاتهم الانتخابية القادمة، تاركين خلفهم شعباً محاصراً في دائرة لا تنتهي من الأوهام.

٩٣- قانون تخدير العقول : استغل الترفيه والتسلية لإبقاء الشعب مشغولا وغير واعٍ لما يحدث.

في السياسة العراقية، تُعتبر العقول سلعةً نادرة، لذا ابتُكرت أفضل الوسائل لتخديرها وتحييدها، حتى تظل مغموسة في بحر من اللهو والملذات دون أن تُلقي بالاً لما يجري خلف الستار. قانون تخدير العقول هو الماكينة السحرية التي تشتغل بلا كلل، تزيّن الحياة ببهارج الترفيه والتسلية، حتى يجد المواطن نفسه سجينًا في عالم من الأحلام اليقظة، يلهو دون أن يدري أنه يُدار كدمية في أيدي ماهرة.

السياسي هنا ليس مجرد حاكم، بل هو فنان بارع، يعرف كيف يُدير القنوات الفضائية وصفحات التواصل الاجتماعي وكأنها سيوف مسلطة على عقول الناس. يُبث فيهم شغفًا لا ينتهي بالمسلسلات التي لا تنتهي، وبرامج المواهب التي تستدر الدموع والضحكات، وحفلات النجوم الذين يتلألأون كأنهم أقمار في سماء لا نهاية لها. إنها استراتيجية محكمة، تُبقي الناس في دائرة لا متناهية من اللهو، فلا يجدون وقتًا للتفكير فيما يُحاك لهم في غرف السياسة المعتمة.

إذا تساءلت يومًا لماذا يستمر الناس في الانغماس في هذه التسلية السطحية، فالإجابة بسيطة: العقول المخدرة لا تسأل، ولا تعترض، ولا تتحدّى. إنها عقول تبحث عن الهروب، عن لحظات من السعادة الزائفة، التي توفرها برامج الترفيه كالمخدرات التي تُباع في السوق السوداء، تُسكت الألم للحظة، لكنها لا تُعالج الجرح.

السياسيون أدركوا منذ زمن بعيد أن الناس بحاجة إلى ما يُشغلهم، وأن أذكى طريقة لإبقائهم في حالة سبات هو تقديم كل ما يُسليهم عن واقعهم. فيصبح التلفزيون، والإنترنت، وحتى الإعلانات المضيئة في الشوارع، أدوات لتخدير العقول، مثل عازف ناي يسحر الأفاعي في رقصة لا نهاية لها. تلك الأفاعي التي كانت ستلدغ في لحظة غضب، تجد نفسها مترنحة على أنغام التسلية المدوية.

ومن المدهش كيف تتحول القضايا الكبرى إلى تفاصيل باهتة في خلفية المشهد، مثل زخات المطر في يوم غائم، لا يلتفت إليها أحد. في الوقت الذي تتصاعد فيه الأصوات المطالبة بالإصلاح والعدالة، يكون الناس غارقين في مشاهدة المباراة النهائية أو الحلقة الأخيرة من مسلسلهم المفضل. وما إن ينتهي العرض، حتى ينصرفون إلى نوم عميق، دون أن يتساءلوا عن تلك الشعارات التي كانت تصدح في الأفق، لأنها ببساطة لم تعد تهم.

السياسي الذكي يعرف كيف يزرع الابتسامات على الوجوه دون أن يمنحهم سببًا حقيقيًا للفرح. إنه يقدم لهم وجبات جاهزة من التسلية السريعة، يلهثون خلفها كما يلهث الكلب خلف عظمة، بينما تُدار الأمور في الخفاء، دون أن يدركوا أن حياتهم الحقيقية تُسلب منهم ببطء. حتى إذا فكر أحدهم في الثورة أو التغيير، يجد نفسه محاطًا بجدار من الصمت، لأنه ببساطة لم يعد يعرف كيف يتحدث بلغة الواقع.

وفي هذا العالم السحري الذي يُنشئه السياسيون، يتحول الناس إلى كائنات هلامية، تتراقص على إيقاع الموسيقى الصاخبة دون أن تشعر بتعب أو ألم. فالمسابقات التافهة، والأغاني الهابطة، والحفلات التي لا تنتهي، هي السلاسل التي تقيدهم، تجعلهم يعيشون في سجن من الذهب، لا يرون قضبانه لأنهم مشغولون بتلميعها.

لكن الأعظم من ذلك كله هو أن هذه التسلية لا تُبقيهم مشغولين فحسب، بل تجعلهم يشعرون بالسعادة الوهمية، تلك السعادة التي تأتي من الضحك على النكات السخيفة، والابتسام أمام الوجوه المزيفة. إنها عملية تزيين للعبودية، حيث يقبل الناس بواقعهم البائس لأنهم مُسَكَّنين بأفلام الحب المستحيلة وقصص النجاح الخيالية، التي تجعلهم يؤمنون بأن غداً سيكون أفضل، بينما يعرف السياسيون جيداً أن الغد ليس إلا نسخة مكررة من اليوم.

وفي النهاية، يصبح الشعب مثل عجين طري في يد الخباز الماهر، يُشكّلهم كما يشاء، يدحرجهم بين يديه، وفي كل مرة ينتهي بهم الأمر بنفس الشكل، لأن العقول المخدرة لا تعترض. يظلون عالقين في دوامة لا تنتهي من التسلية، مثل سمك في حوض زجاجي، يسبحون دون هدف، ويعيشون دون وعي. والسياسيون؟ يجلسون في مكاتبهم الوثيرة، يراقبون بابتسامة ماكرة، يضعون المزيد من برامج الترفيه على الشاشات، ويعلمون أن الأمور ستبقى على حالها، لأن العقول المخدرة لا تستيقظ أبداً.

٩٤- قانون النفاق العلني : كن مؤيداً للقيم العليا في العلن، وامتهن النفاق في الخفاء لتحقيق أهدافك.

في السياسة العراقية، يبرز قانون النفاق العلني كالجبل الراسخ الذي لا يهتز، تتهاوى أمامه المبادئ وتُباع فيه القيم في سوق المزايدات العلنية. إنه فنٌ متقنٌ يمارسه الساسة كما يمارس الصائغ فن النقش على الذهب؛ بحرفية تجعل من النفاق بضاعة تُباع بسعر الفضة وتُشترى بقيمة الضمير. السياسي المحنك يعرف أن اللعب على أوتار القيم العليا هو الطريق الأسرع لاختراق القلوب، بينما يُخبئ تحت عباءته أسرار النفاق التي يستخدمها لتحقيق أهدافه دون أن يرف له جفن.

في الصباح الباكر، يظهر السياسي أمام الجمهور بوجه ملائكي، يرفع شعارات العدالة والمساواة، يتحدث بحماس عن حقوق الإنسان، ويلقي خطباً رنانة عن النزاهة والإخلاص. يتخذ من القيم العليا راية يلوح بها في الهواء، ويقسم أغلظ الأيمان بأنه لن يحيد عنها قيد أنملة. تراه يردد أمام الجميع: "الحق حقٌ وإن زيفوه، والباطل باطلٌ وإن زينوه"، بينما هو في قرارة نفسه يجهز حيلا جديدة ليزين الباطل ويحرف الحق بما يتماشى مع مصلحته الشخصية.

وعندما يحل المساء وتبدأ العتمة في بسط جناحيها، يتحول السياسي ذاته إلى كائن آخر، يخلع قناع البراءة ويكشف عن وجهه الحقيقي. يبدأ في نسج حبال النفاق بعناية، يتصل بأصحاب المصالح، يعقد صفقات سرية، ويتفق على كل ما يناقض قيم الصباح. فلا بأس من التنازل عن مبادئ العدالة إذا كانت ستُدخل إلى جيبه بعض الأموال الإضافية، ولا حرج من بيع الشعارات الوطنية إذا كان سيحصل على دعم خارجي يضمن له البقاء على كرسيه لأطول فترة ممكنة.

السياسي هنا كالبائع المتجول الذي يجوب الأسواق ليلاً، يبيع لكل مشتر بضاعة مختلفة، كلٌ بحسب ما يطلب، بينما يعود في الصباح ليتحدثَ عن النزاهة كأنه من أنصارها. يدعو الجميع للوضوء من نهر الطهارة،

لكنه يلوث مياهه في الخفاء دون أن يشعر به أحد. يتبنى قيم العفة في العلن، لكنه في السر يتقن الرقص على إيقاع الرذيلة دون أن يتعثر. يتحدث عن محاربة الفساد، بينما يجلس مع الفاسدين في غرف مغلقة، يتبادلون الضحكات وكؤوس الخداع. إنه النفاق الذي يتحول إلى ممارسة يومية، كاحتساء القهوة صباحًا، يعتاد عليه حتى يصبح جزءًا من هويته.

وإذا سألته عن السر وراء هذا التناقض الصارخ، سيبتسم ابتسامة العالم ببواطن الأمور، ويقول لك: "يا عزيزي، السياسة تحتاج إلى فنون خاصة، النقاء فيها ضربٌ من الخيال". سيخبرك بأن الشعارات ليست إلا أجنحة تحلق في سماء الخطابات، لكنها تسقط على أرض الواقع لتُطوى في أدراج النسيان. سيعلمك أن القيم العليا مجرد سلعة للتجارة بها في سوق الناخبين، يُرفع ثمنها كلما دعت الحاجة، ويُلقى بها في المزابل عندما تنتهي صلاحيتها.

وما يزيد الأمر إبداعًا، هو كيف يحافظ السياسي على صورته النقية أمام العامة، بينما يتفنن في خبثه في السر. هو كالعطار الذي يبيع الزهور، لكنها بلا عطر، يُقنع الناس بجمالها الظاهري بينما يخفي بين أوراقها شوكًا قاتلا. إنه يُدير ألعابه بدهاء، يوهم الجميع بأنه البطل المنقذ، بينما هو في الحقيقة صانع الأزمة وبائع الوهم.

وفي هذا العالم العجيب، يتحول النفاق إلى مهارة تدرّس، إلى حرفة تتطلب براعة فائقة. فالتناقض بين القول والفعل يصبح مثل هواء نتنفسه دون أن ندرك، نمط حياة يعيش فيه الساسة وكأنهم في مسابقة مستمرة لإثبات من هو الأبرع في الكذب والتضليل. الجمهور يصفق لهؤلاء المنافقين، لأنهم لا يرون إلا الوجه المزيف الذي يُعرض عليهم، ولا يعلمون شيئًا عن الأفاعي التي تندس تحت أقدامهم.

وفي النهاية، يظل النفاق العلني هو الزرع الذي ينمو في تربة السياسة الفاسدة، يسقيه السياسيون بماء الكذب والخداع، ويجني ثماره الفاسدة أولئك الذين آمنوا بهؤلاء الكذابين. إنه قانون لا يعترف بالحقائق، ولا

يحترم المبادئ، بل يحتفي بالنفاق كأنه فضيلة، ويكرس الرياء كأنه وسيلة لا بد منها للبقاء في عالم لا يعترف إلا بالقوة والخداع.

وهكذا، يظل النفاق هو السائد، والقيم الحقيقية مجرد كلمات جوفاء تُردد في المهرجانات الانتخابية، لتخدر العقول وتبقى الأوضاع على حالها، حيث يكون النفاق هو سيد الموقف، والقيم العليا مجرد ستار يخفي تحته كل ما هو دنيء وقبيح.

٩٥- قانون التلاعب بالتحقيقات : في حالة التحقيقات ، كن مستعداً لتغيير النتائج حسب رغبتك .

في عالم السياسة العراقية ، التحقيقات ليست سوى خيوط دخان تُنسج في الهواء ، تُطوى وتُفرد حسبما تقتضي الرغبة . قانون التلاعب بالتحقيقات هو العصا السحرية التي تحوّل الحقيقة إلى وهم ، وتحول الأكاذيب إلى وقائع تُسطر في السجلات الرسمية . السياسي هنا لا يُشبه الساحر الذي يخدع الجمهور بحركات يديه ، بل هو منسق أوهام ماهر ، يغزل الخيال بخيوط من الدخان ، ويقنع الجميع بأن ما يرونه هو الحقيقة الوحيدة .

عندما يتعالى الصراخ من أجل تحقيق العدالة في قضية ما ، وحينما ترتفع الأصوات المطالبة بالتحقيق ، يظهر السياسي كأنه المنقذ ، يعلن بكل ثقة عن تشكيل لجنة "محايدة" للتحقيق ، يختار أعضاؤها بحذر وكأنهم يشكلون لجنة محكمة إلهية ، بينما في الحقيقة ، النتيجة قد نُقشت في الحجر من قبل أن تُباشر اللجنة أعمالها . إنه السيناريو الذي أُعد بعناية فائقة ، حيث تُكتب التقارير بلغة تزخرف الأكاذيب وتلون الحقائق كما يحلو للسياسي .

السياسي هنا أشبه بذلك الرسام الذي يعرف كيف يختار ألوانه بعناية ، يمزج الأسود بالأبيض ليخلق ظلالا رمادية ، تخدع العين وتربك الفؤاد . يُظهر للناس أنه يسعى للكشف عن الحقيقة بكل نزاهة ، يرسل المحققين كأنهم طيور تبحث عن حبّات القمح بين الحقول ، بينما هو من يغرس الأشواك في طريقهم ، ليعودوا إليه بحصاد مُر يُناسب أذواقه السياسية . التقرير الذي سيصدر ليس إلا لوحة مشوهة للحقيقة ، تتلاءم مع مقاساته السياسية وكأنها فصل من رواية كتبها بنفسه .

ومن هنا تبدأ المهزلة : السياسي لا يكتفي بأن يكون الحكم ، بل يلعب دور القاضي والجلاد في آن واحد . يقرر من يجب أن يُدان ، ومن يجب أن يُبرأ ، ومن يستحق العقاب ، ومن يجب أن يُشاد به . وإذا لم ترق له النتائج ، فلا مشكلة ؛ فبلمسة من قلمه ، تُعاد صياغة الوقائع ، تُضاف

تفاصيل جديدة، وتحذف أخرى، حتى تصبح القصة كما أرادها. وحين يُعرض التقرير على الملأ، يكون قد أصبح نصًا مقدسًا، لا يُرد ولا يُناقش، لأنه ببساطة يخدم الأغراض العليا.

السياسيون في هذا العالم يعرفون أن التحقيقات ليست أكثر من أوراق يمكن طيها وإعادة تشكيلها كيفما يشاؤون. فإذا جاءت النتائج موافقة لأهوائهم، أُعلن عنها في كل مكان وكأنها فتح مبين، وإذا كانت تحمل ما قد يهدد مصالحهم، فإنها تُدفن في أدراج مغلقة، لا تخرج للنور أبداً. وهكذا، تتحول التحقيقات إلى طقوس شكلية، يمارسها الجميع بلا إيمان حقيقي، كأنها لعبة قديمة مملة، يعرف الجميع نهايتها قبل أن تبدأ.

والعجيب في الأمر، أن هذا التلاعب لا يمارس في الخفاء، بل يتم علنًا، دون خجل أو وجل. فالسياسي يعرف جيداً أنه يمتلك من النفوذ والقوة ما يجعله فوق كل مساءلة، والجمهور، رغم علمه بما يحدث، لا يملك سوى الصمت أو التذمر في الخفاء. فيظل هذا القانون أداة فعالة لإسكات الأصوات الناقدة، وتحويلها إلى همسات ضائعة، لا تُسمع إلا بين الجدران.

وفي هذه اللعبة العجيبة، يتحول التحقيق إلى معركة من الذكاء، حيث لا تُسمح الحقيقة بالخروج إلا إذا كانت محاطة بأكاذيب تخفي معالمها الحقيقية. وإذا ما حاولت الحقيقة أن تشق طريقها، فإن السياسي يكون لها بالمرصاد، يقص أجنحتها، ويعيدها إلى أقفاص الكذب والخداع. وفي النهاية، يُعلن بكل فخر عن نتائج التحقيقات، وكأنها انتصارٌ للعدالة، بينما يعلم الجميع أنها ليست إلا تزييفًا متقنًا للواقع.

وهكذا، يتحول التلاعب بالتحقيقات إلى فن قائم بذاته، يتقنه الساسة بمهارة لا مثيل لها. إنهم يُديرون الأحداث كماً يشاءون، يُعيدون تشكيل الحقائق كما يرونها مناسبة، ويُسكتون كل من يجرؤ على المطالبة بالشفافية. فلا عجب إذن أن تظل الحقيقة أسيرة، تنتظر عفواً لن يأتي،

وأن تصبح التحقيقات مجرد أوراق تتطاير في مهب الريح، تنتظر من يجمعها ليعيد ترتيبها من جديد، وفقًا لهواه.

وفي هذا العالم العبثي، يبقى قانون التلاعب بالتحقيقات الدرع الذي يحتمي به السياسيون من ضربات الحق، والسيف الذي يشهرونه في وجه كل

من يحاول الاقتراب من مناطق نفوذهم. إنه القانون الذي يُبقي الأمور تحت السيطرة، ويُحوّل التحقيقات إلى قصص تروى للأطفال قبل النوم، قصص لا يصدقها إلا من يعيش في عالم الخيال، حيث تُكتب الحقيقة بمداد من الكذب، وتلون بألوان الخداع، بينما تظل العقول الحائرة تبحث عن شمس الحقيقة في ليل طويل بلا فجر.

٩٦- قانون التكسب من الفوضى : استغل الفوضى في البلاد لزيادة ثروتك الشخصية وتحقيق مكاسب سياسية.

في السياسة العراقية، حيث الفوضى هي القانون غير المكتوب، يبرز قانون التكسب من الفوضى كأحد أسرار البقاء والازدهار في هذا العالم المضطرب. الفوضى ليست مجرد حالة عابرة، بل هي تربة خصبة تنبت فيها الأموال والمكاسب السياسية كما تنبت الزهور البرية في أرض مهجورة. السياسي الذي يتقن هذا الفن يعرف جيداً أن الفوضى هي منجم ذهب، كلما زادت اضطراباً، زادت ثروته وانتفخت جيوبه.

عندما تشتعل النيران في البلاد وتغرق المدن في الفوضى، يتألق السياسي كالنجم اللامع في سماء ملبدة بالدخان. لا يكتفي بالمراقبة، بل يحول كل أزمة إلى فرصة، وكل كارثة إلى مشروع استثماري. الفوضى بالنسبة له ليست مشكلة تحتاج إلى حل، بل هي فرصة نادرة يجب استغلالها حتى آخر قطرة. إنه كمن يغرس جذور النار في قلب الغابة، ثم يبيع رمادها كذهب، يسير بين الأنقاض لا يبحث عن الناجين، بل ينقب عن الكنوز المدفونة تحت الركام.

السياسي هنا لا يتأثر بالمآسي التي تصيب الشعب، بل على العكس، يعتبرها موسم حصاده. حينما يتهاوى الاقتصاد وتنهار المؤسسات، يراها كفرصة لبناء إمبراطوريته الخاصة على أنقاض الوطن. يتقن فن إدارة الأزمات، ليس لحلها، بل لتعميقها، لأن كل يوم إضافي في الفوضى يعني مكسباً جديداً يدخل في جيبه. هو كالذي يرقص تحت المطر، بينما الآخرون يركضون بحثاً عن ملجأ، يعلم أن كل قطرة تمثل فرصة جديدة له. الفوضى هي كنزه، يحرسها بعين لا تغمض. لا يرتاح حتى تشتعل المدينة بأسرها.

والعجيب في الأمر، أن هذا السياسي لا يكتفي بالتكسب من الفوضى، بل يغذيها، يزرع بذورها في كل زاوية وركن، يتأكد من أنها ستستمر لأطول فترة ممكنة. هو كالذي يشعل النار في الحطب، ثم يبيع للناس الماء لإطفائها، لكنه يبيع الماء بقطرات، حتى تظل النار مشتعلة، ويظل هو

المستفيد الوحيد. يدير الأمور بمهارة الجزار الذي يسلخ الجلد دون أن يشعر الضحية، يتقن فنون التلاعب بالعواطف والخوف، يجيد لعبة الإشاعات والأخبار الكاذبة، يخلق حالة من الذعر، ثم يطل على الناس بوجه المخلص، وكأنه هو الوحيد الذي يملك الحل.

الفوضى هي الملاذ الآمن لهذا السياسي، هي الكنز الذي يحرسه بعيون مفتوحة. يعرف كيف يستفيد من كل لحظة، وكيف يجني الأرباح من كل مأساة. وعندما يبدأ الناس في فقدان الثقة، يظهر هو كالبطل المنقذ، يقدم حلولا مؤقتة، ويزيد من عمق المشكلة في الخفاء. يتقن فن الوعود البراقة، يعرف كيف يبيع الأمل، لكنه لا يقدم إلا المزيد من الفوضى، لأن الفوضى هي مصدر قوته.

وفي عالم يتقاذفه الجنون، يظل هذا السياسي كالقائد الذي يقود سفينة الفوضى ًعبر أمواج العدم، يحرص على ألا تصل السفينة إلى بر الأمان، لأن الميناء الهادئ يعني نهاية مكاسبه. إنه القبطان الذي يتعمد ضرب الصخور، يعلم أن الأزمات تصنع الأبطال، لكنه يصنع نفسه بطلا في كل أزمة، يخرج منها محملا بالغنائم، بينما يترك الركاب يتخبطون في البحر.

والسخرية الكبرى، أن هذا السياسي لا يشعر بأي ذنب، بل يعتبر نفسه عبقريًا، يرى في الفوضى لوحة فنية رسمها هو بنفسه، ويعرضها على الناس كإنجاز عظيم. ينظر إلى كل جثة تُسحب من تحت الأنقاض، ليس كفاجعة، بل كرقم يُضاف إلى رصيده السياسي. الفوضى بالنسبة له ليست مأساة، بل هي مشروع استثماري، يجني منه المال والسلطة. يجمع المكاسب من كل ركن مهجور، حتى من الدموع التي تُذرف على الأطلال، يصنع منها تاجًا يزين به رأسه.

وفي لحظة صدق نادرة، ربما يتساءل: هل كنت أنا الفوضى أم أنها كانت قدري المحتوم؟ لكنه يطرد السؤال سريعًا، فالجواب لا يهم ما دام الربح مضمونًا.

وفي النهاية، عندما تهدأ العواصف وتنجلي الغيوم، يخرج هذا السياسي من تحت الرماد كأنه شبح نجا من موته، يبتسم ابتسامة الناجي الوحيد في مأساة كتبها بنفسه. لكنه لا ينهض ليُعيد البناء، بل ليبدأ فوضى جديدة، ليجمعَ مزيداً من المكاسب. إنه السياسي الذي لا يزدهر إلا في الخراب، الذي لا ينمو إلا في الظلام. الفوضى هي أكسجينه، هواءه الذي يتنفسه، وإذا ما انقشعت، يشعر بالاختناق، يبحث عن أزمة جديدة ليعود للحياة، ليظل في قمة المشهد، حيث يبقى دائماً المنتصر، ولو على جثث الآخرين.

وهكذا، يظل هو المايسترو الذي يعزف لحن الفوضى، بينما يرقص الجميع على نغماته، غافلين عن حقيقة أن هذا اللحن لا ينتهي أبداً.

٩٧- قانون الابتسامة المزيفة : اجعل الابتسامة دائمًا حاضرة على وجهك، حتى في أحلك الأوقات، لتبدو واثقًا ومسيطرًا.

في خفايا السياسة العراقية، حيث القلوب مغلفة بالسراب والأرواح مغموسة في الخداع، يبرز قانون الابتسامة المزيفة كأحد أعظم الفنون التي يتقنها السياسيون. هذه الابتسامة ليست مجرد تعبير عابر على الوجه، بل هي قناع مُحكم الصنع، يُلبس كل صباح، ويظلّ لاصقًا على الوجوه حتى بعد غروب الشمس. إنها الابتسامة التي تتحدى قوانين الطبيعة، تظل ثابتة حتى في أحلك الأوقات، وكأنها نقشٌ محفور على صخرٍ أملس.

السياسي الذي يتقن هذا القانون يعرف جيدًا أن الابتسامة هي سلاحه السري، سلاحٌ لا يصدأ ولا يُكسر، سلاحٌ يخفي وراءه نوايا قد تكون أكثر قتامة من ليل بلا نجوم. في الاجتماعات المغلقة، عندما تدور المناقشات حول مصائر الناس، تجد السياسي يبتسم كمن وجد كنزًا في وسط حريق، تلك الابتسامة التي توحي بأن كل شيء تحت السيطرة، حتى عندما تكون السفينة على وشك الغرق. فهو يعرف أن الابتسامة، في مثل هذه المواقف، هي وسيلته للإيحاء بأنه ليس هناك ما يدعو للقلق، بينما في داخله قد يشتعل ألف حريق.

السياسي هنا يشبه تمثالا من الشمع، وجهه مُضيء كالشمس في يوم غائم، لا يعترف بالعواصف التي تحيط به. تلك الابتسامة المزيفة ليست مجرد تعبير عن الرضا، بل هي حصن منيع، تُستخدم لإسكات الانتقادات، وتهدئة الخواطر، وإقناع الآخرين بأن الأمور تسير وفق الخطة، حتى وإن كانت الخطة قد ضاعت بين أوراق اللعب. إنها ابتسامة تُستخدم ككمين للثقة العمياء، تخفي وراءها كل العواصف المحتملة، وكل الزوابع التي قد تقتلع أركان مملكته الزائفة.

وعندما تعصف الأزمات وتتلبد السماء بغيوم سوداء، تجد السياسي يرفع رأسه بابتسامة ثابتة، يتحدث بنبرة هادئة عن حلول قادمة، وعن غدٍ

أفضل، بينما الواقع يكاد يلتهمه من كل جانب. هو يعرف أن الابتسامة في هذه اللحظات ليست مجرد ضرورة، بل هي أداة للبقاء. إنها كالدرع الذي يرتديه الفارس، يحميه من سهام النقد، ويعطيه مظهر القوة التي يحتاجها لقيادة الجموع، حتى وإن كان يقودهم إلى هاوية لا نهاية لها.

في المفاوضات الصعبة، حيث تُدار الحوارات على حد السيف، وحيث قد تعني كلمة واحدة الفرق بين النجاح والفشل، تجد السياسي يبتسم. ليس لأنه واثق من الانتصار، بل لأنه يعرف أن الابتسامة هي أفضل طريقة لإخفاء ارتباكه. هي تلك الورقة الأخيرة التي يلعبها عندما تنفد كل الخيارات. إنها الطريقة المثلى لإبقاء خصومه في حالة من الحيرة، لأنهم لا يعرفون أبداً ما الذي يخبئه خلف تلك الابتسامة الثابتة.

وإذا حدث وأن انهار كل شيء من حوله، إذا تكشفت الأوراق وسقطت الوجوه المستعارة، ستجد السياسي ما زال يبتسم. ستجده يقف أمام الكاميرات، يتحدث عن "الظروف المؤقتة"، عن "الصعوبات التي سنجتازها معاً"، وعن "الأمل الذي لا يموت". هو يعرف أن الناس، رغم كل شيء، يحبون أن يروا زعيمهم مبتسماً، يحبون أن يصدقوا أن كل شيء على ما يرام، حتى وإن كانوا يعلمون في قرارة أنفسهم أن الوضع قد وصل إلى نقطة اللاعودة. فالابتسامة المزيفة هي تلك الشعرة التي تفصل بين اليأس والأمل، بين الحقيقة والخيال.

والأكثر إثارة في هذا القانون هو أن الابتسامة المزيفة لا تقتصر على السياسي وحده، بل تصبح عدوى تنتقل إلى من حوله. تجد الجميع يبتسمون، يبتسمون في وجه الفقر، في وجه الجوع، في وجه الفوضى. يبتسمون وكأنهم يقولون: "لا شيء يمكن أن يكسرنا، طالما أن زعيمنا يبتسم". وهكذا، يتحول الشعب بأسره إلى لوحة من الوجوه الضاحكة، بينما الحقيقة تتوارى خلف هذه الابتسامات الزائفة.

وفي نهاية اليوم، عندما يعود السياسي إلى منزله، ويغلق الأبواب خلفه، قد تتلاشى تلك الابتسامة لبضع لحظات. لكنه يعلم أن الغد سيأتي

بتحديات جديدة، وسيحتاج إلى تلك الابتسامة أكثر من أي وقت مضى. سيعيد تثبيتها على وجهه، سيجعلها أكثر ثباتًا وقوة، لأنه يعرف أن الابتسامة المزيفة هي جواز مروره إلى اليوم التالي، هي العلامة التي تُبقيه في موقعه، هي الوجه الحقيقي للعالم الذي صنعه.

وفي النهاية، تلك الابتسامة التي بدت واهنة لوهلة، تظل مشتعلة، لأنها ليست مجرد قناع، بل هي الحقيقة الوحيدة التي يملكها. وهكذا، يظل السياسي أسيراً لابتسامته، تلك الابتسامة التي تحولت من أداة للسيطرة إلى قيد لا يمكنه الفكاك منه. هو يعرف أنه طالما ظل يبتسم، سيظل الجميع يصدقه، سيظل الجميع يصفق له، سيظل الجميع يتبعه، حتى وإن كانوا يسيرون جميعًا نحو الهاوية بابتسامة عريضة على وجوههم.

٩٨- قانون التورط الخارجي أشرك دولا أخرى في مشكلاتك الداخلية لضمان الحصول على الدعم الدولي.

في السياسة العراقية، حيث تُدار الأزمات كما تُدار مباريات كرة القدم، بتوجيهات من خلف الستار وبصفارات لا يسمعها إلا أهل الحل والعقد، يبرز قانونَ التورط الخارجي كأحد أذكىً الحيلِ التي يبرع بها الساسة. هذا القانون ليس مجرد مناورة سياسية، بل هو فنٌ راق يتطلب مهارة فائقة في استخدام العلاقات الدولية كأوراق رابحة تُلقى علىً طاولة اللعب، ليس لتحقيق الاستقرار، بل لضمان استمرار الفوضى بطرق تحافظ على المنافع الشخصية.

السياسي الذي يتقن هذا القانون يعرف أن مشكلاته الداخلية ليست مجرد شؤون عابرة تحل بالحوار والتفاهم، بل هي كنوزٌ تُستخرج منها الفوائد عندما تُثار على الساحة الدولية. فعندما تتأزم الأوضاع في الداخل، وتبدأ الصراعات تشتعل كحريق في غابة جافة، ترى السياسي المحنك يلتفت سريعًا إلى الخارج، يبحث عن شركاء في هذه المتاهة. يعلم جيداً أن إشراك دول أخرى في هذه الفوضى ليس فقط وسيلة لتخفيف الضغط الداخلي، بل هو أيضاً طريقة مضمونة لجذب الدعم والاهتمام، وربما حتى بعض التمويل الإضافي.

في أول خطوة من هذه الاستراتيجية، يبدأ السياسي بإرسال رسائل مبطنة إلى العواصم الكبرى، يشير فيها إلى أن الوضع في بلاده قد خرج عن السيطرة، وأن التدخل الدولي أصبح ضرورة ملحة. لكن الرسائل لا تأتي بشكل صريح، بل تُغلف بعناية وتُرسل كما تُرسل الدعوات إلى حفلة ساهرة، مع تلميحات بأن عدم الحضور قد يضر بالمصالح المشتركة. هنا، يظهر السياسي كأنه عازف ماهر يعزف على أوتار الحذر والطمع في نفس الوقت، يعلم أن كل طرف دولي يملك مصلحة في الانخراط، سواء بدافع الاستفادة أو بدافع الخوف من أن تخسر اللعبة.

ومع مرور الوقت، تتحول الأزمة الداخلية إلى شأن دولي. تجد أن وسائل الإعلام العالمية بدأت تتناول الوضع بتفاصيله، وتبدأ المؤتمرات والاجتماعات في العواصم الكبرى. كل طرف دولي يقدم نفسه كمنقذ للوضع، بينما السياسي العراقي ينظر إلى هذه التطورات بعين الرضا، يعلم أن ما يحدث في الخارج ليس إلا امتداداً لما خطط له في الداخل. هنا يظهر حنكته، فهو الذي جعل من مشكلاته المحلية قضايا دولية، وجعل من أزماته جواز سفرٍ إلى المؤتمرات العالمية.

السياسي هنا لا يكتفي فقط بجذب الاهتمام الدولي، بل يبدأ في عقد الصفقات والاتفاقيات. يعرف كيف يوازن بين القوى العالمية، كيف يُرضي طرفًا ويهدد طرفًا آخر، وكيف يجعل الجميع يشعرون بأنهم جزء من الحل، بينما هم في الحقيقة أصبحوا جزءاً من المشكلة. إنه يُدير اللعبة ببراعة جراح ماهر، يفتح الجروح بدقة، ويتركها تنزف حتى تأتي قوى خارجية لوقف النزيف، لكن على طريقته الخاصة.

وفي هذه اللعبة الشائكة، لا يغفل السياسي عن توزيع الأدوار الداخلية والخارجية بعناية. فهو يعرف متى يدعو القوى الكبرى للتدخل، ومتى يُبقيها على مسافة آمنة، متى يلوح بورقة الضغط، ومتى يُظهر الليونة. هو كالذي يمسك بطرفي حبل مشدود، يعرف أن التوازن هو كل شيء، وأن أي اهتزاز قد يُفقده السيطرة. لكنه واثق بخبرته، فهو الذي جعل من التورط الخارجي فنًا يُدرّس في أروقة الدبلوماسية.

وكلما ازدادت الفوضى، كلما زاد تمسكه بهذا النهج. فالسياسي يعلم أن تدخل الآخرين في شؤونه ليس ضعفًا، بل هو قوة مستمدة من قدرته على إشراكهم في لعبته. فهو الذي يقف بين نارين، يُدير الأزمة بحيث تبقى مشتعلة بما يكفي لتضمن تدفق الدعم والمساعدات، لكن دون أن تحرق أيديه. كل تصريح دولي، كل بيان صادر عن عاصمة كبرى، كل لقاء على هامش مؤتمر دَولي، هو بالنسبةً له ورقة تُضاف إلى رصيده، يزيد بهاً من نفوذه، ويضمن بها استمراره.

وفي النهاية، عندما تهدأ العاصفة، ويبدأ الجميع في إعادة ترتيب الأوراق، يجد السياسي العراقي نفسه في موقف أكثر قوة. فقد حصل على الدعم الذي أراده، وحقق المكاسب التي خطط لها، وكل ذلك من خلال إشراك الآخرين في مشكلاته. فهو يعرف أن تورط الدول الأخرى في شؤونه هو الضمانة الوحيدة لاستمراره في اللعبة، لأنه حينما يصبح الجميع جزءاً من المشكلة، فإنه وحده يبقى ممسكًا بخيوط الحل، حتى وإن كان الحل في حقيقته مجرد تأجيل للأزمة إلى جولة أخرى.

وهكذا، يظل السياسي العراقي يُتقن لعبة التورط الخارجي، يُدير دفة الأمور بين الداخل والخارج، ويجعل من مشكلاته المحلية قضايا عالمية. هو يعرف أن في هذا العالم المتشابك، البقاء للأذكى، ولمن يعرف كيف يُدير الفوضى لصالحه، حتى لو كان الثمن هو إبقاء الجميع في دوامة لا تنتهي من الأزمات.

٩٩- قانون التسلط بالترهيب : استخدم الترهيب والتهديد لكسب الولاء والخضوع.

في أعماق السياسة العراقية، حيث تُدار الأمور كحكايات قديمة تُروى على ضوء شمعة في ليلة عاصفة، يبرز قانون التسلط بالترهيب كأداة لا غنى عنها في صندوق أدوات السياسي المحنك. هذا القانون ليس مجرد وسيلة عابرة، بل هو السلاح الذي يُشهره السياسي في وجه كل من يجرؤ على التفكير، حتى في الحلم، بمقاومته. إنه القانون الذي يضع الحبل على عنق الحقيقة، ويترك الجميع في حالة من الخوف والتوجس، كأنهم يسيرون على أرض مليئة بالأشواك.

السياسي الذي يتقن هذا القانون يعرف أن الخوف هو أسرع الطرق إلى قلوب الناس، وليس بالضرورة من أجل كسب محبتهم، بل لضمان خضوعهم التام. إنه يتصرف كملك الغابة، حيث يكفيه زئير واحد ليهرب الجميع إلى جحورهم، وينحنون أمامه، ليس حبًا، بل خوفًا من مخالبه التي تترك آثاراً عميقة في ذاكرة كل من حاول التمرد. يدرك السياسي أن الولاء المستند إلى الخوف يدوم أطول، لأنه مبني على الحاجة إلى النجاة وليس على رغبة في التضحية.

في بداية القصة، لا يبدأ السياسي بالترهيب الفجّ، بل ينسج خيوط الخوف ببراعة، كما ينسج العنكبوت شبكته في الزوايا المظلمة. يبدأ بتلميحات خافتة، رسائل غير مباشرة، ينقلها عبر الوسطاء والهمسات. الجميع يعرف ما تعنيه تلك الرسائل، حتى لو لم يُصرّح بها علانية. إنها أشبه بإشارات تحذير تُضاء على طريق مليء بالكمائن، لا يحتاج المارّة إلى لمس الألغام ليعرفوا أنهم قد يمحون من الوجود في لحظة.

ومع مرور الوقت، يبدأ السياسي في رفع مستوى الترهيب، يتخلى عن الغموض ويبدأ في استعراض قوته بشكل مباشر. يستدعي البعض إلى مكتبه، يبتسم في وجوههم، لكنه يترك في كل جملة تهديداً مبطنًا، كمن يضع خنجراً مسموماً بين أطباق العسل، يعرف أن الرعب سيتسلل إلى

قلوبهم مع كل لقمة. الرسالة واضحة: "أنا قادر على كل شيء، وأنت عاجز عن أي شيء." هنا، يتحول الخوف إلى سيف مسلط على رقاب الجميع، يلوح به السياسي كلما شعر بأن ولاءهم قد يبدأ في التراخي.

السياسي هنا لا يكتفي بالكلمات، بل يُتقن فنون العرض والإبهار. يعرف كيف يستغل الحوادث، كيف يصنع من كل مأساة درسًا لمن تسول له نفسه الخروج عن الطاعة. يحرص على أن يشهد الجميع عواقب التمرد، حتى يظلوا في حالة من الرعب المستمر. إنه لا يؤمن بالفرص الثانية، بل يجعل من كل خطأ كارثة، ومن كل مخالفة جريمة لا تُغتفر. هو كالعاصفة الرملية، كلمّا حاولوا الهروب منها، غمّرتهم وأخفت معالم الطريق.

ومع ازدياد قوته، يصبح السياسي أكثر جرأة في استخدام التهديد. يُصعّد من أساليبه، يضع قائمة طويلة من "المخالفين"، يعلنها على الملأ، ويترك الناس يتخبطون في بحر من الشكوك والخوف. لا أحد يعرف من سيكون التالي، الجميع في حالة انتظار مرير، كالذي ينتظر قدوم العاصفة ولا يعرف إن كان منزله سيصمد أمامها أم سيتحطم. هنا، يتحول الترهيب إلى ريح تعصف بكل شيء، تجتث من الجذور أي أمل في المقاومة أو العصيان.

السياسي هنا يُدرك أن هذا الخوف، وإن كان يبدو قاسيًا، هو ما يضمن له البقاء في قمة الهرم. يعلم أن الحكم لا يُحفظ بالحب، بل بالقوة والسيطرة، وأن ولاء الناس المستند إلى الخوف أكثر صلابة من ولائهم المبني على العاطفة. فالخائف لا يملك رفاهية التفكير في التمرد، لأنه مشغول بالبقاء على قيد الحياة. وفي عالم السياسة، الحياة هي أغلى ما يملكه المرء، والسياسي هو الحارس الذي يملك مفتاح هذه الحياة.

لكن السياسي المحنك لا يترك الأمر عند هذا الحد. فهو يعرف أن الخوف وحده قد يولد الحقد والرغبة في الانتقام. لذا، يُضيف لمسة من الحيلة إلى مزيجه السام، يعرض بين الحين والآخر الجزرة بجانب العصا. يترك باب النجاة مفتوحًا على مصراعيه، لكنه يضع حراسًا على بابه، يعلم الجميع

أن عبورهم قد يعني النجاة أو السقوط في هاوية أعمق. إنه يوازن بين الترهيب والترغيب، يجعلهما وجهين لعملة واحدة، عملة لا تُستخدم إلا في معاملاته الشخصية.

وفي النهاية، عندما ينظر السياسي إلى مملكته، يرى جيشًا من الموالين، لا لأنهم يؤمنون به، بل لأنهم يخشون غضبه. يراهم ينحنون أمامه، ليس حبًا، بل خوفًا من مصير يعرفونه جيداً. هو يعلم أنهم لا يحترمونه، لكنه لا يهتم؛ فالحقيقة أن الخوف كان دائمًا أعظم معلم، والسياسي الذي يفهم هذا يظل دائمًا في القمة، حيث يُسيطر على الجميع بقبضة من حديد، ويُبقيهم في حالة من الرعب المستمر.

وفي نهاية المطاف، يعلم الجميع أن الابتسامة التي يرتديها السياسي ليست سوى انعكاس لصدى صرخاتهم المكتومة. ومع كل خطوة يخطوها في ممرات القصر، تلاحقه ظلال الخوف كأنها أشباح لا يمكن الفرار منها. هو يراقبهم. يبتسم. يعرف أنهم في قبضته. وهكذا، يظل قانون التسلط بالترهيب هو السلاح الذي لا يتقادم، سلاحٌ يُبقي الجميع في مكانهم، لأنهم يعرفون جيداً أن الخطوة التالية قد تكون الأخيرة.

١٠٠- قانون الترويج لنظرية المؤامرة : شجع نظرية المؤامرة لجعل الناس يعتقدون أنك الضحية الوحيدة.

في السياسة العراقية، حيث تُبنى الحكايات كما تُنسج السجاد الفاخر في ورش الخداع، يبرز قانون الترويج لنظرية المؤامرة كأحد أكثر الأساليب فعالية في فنون البقاء. السياسي الذي يتقن هذا القانون يعرف أن الحقيقة غالبًا ما تكون مرهقة وباهتة، بينما الأسطورة حية ومثيرة. لذا، عندما تتكدس الأزمات وتتساقط أوراق اللعب واحدة تلو الأخرى، يلجأ السياسي إلى حيلته الذهبية: الترويج لنظرية المؤامرة.

السياسي هنا لا يظهر كالمتهم في قفص الاتهام، بل يرتدي عباءة الضحية، ويبدأ في نسج قصة معقدة من المؤامرات والدسائس، كالعنكبوت الذي يبني شبكته بخيوط من الوهم، يصطاد فيها العقول الساذجة. قصة تجعل كل من يسمعها يتعاطف معه، بل ويُصدقها كأنها حقيقة مطلقة. يعرف جيداً أن الناس يميلون إلى تصديق ما يُفسر لهم تعقيدات العالم ببساطة. لذلك، يعمد إلى تصوير نفسه كضحية بريئة وسط عالم مليء بالمكائد، يُحاربه الجميع لأنه يمثل رمزاً للحق، لأنه الوحيد الذي يجرؤ على مواجهة الأعداء.

في بداية القصة، يبدأ السياسي بتقديم دلائل واهية على وجود مؤامرة كبرى تحاك ضده. لكنه لا يُفصح عن التفاصيل بشكل كامل، بل يتركها غامضة وغير مكتملة، كلوحة رسمها فنان عبثي. هنا تتجلى عبقريته؛ فهو يعلم أن الغموض هو ما يغذي نظرية المؤامرة، ويجعل الناس يملأون الفراغات بأنفسهم، مما يضفي على القصة مصداقية غير متوقعة. يتحدث عن "أياد خفية" تعبث بالبلاد، عن "قوى خارجية" تعمل ليل نهار لتدمير كل ما بنّاه، لكنه لا يسمي تلك القوى، لأن التسمية تعني النهاية، بينما الغموض يعني الاستمرار.

ومع مرور الوقت، تصبح نظرية المؤامرة هذه جزءاً من النقاش اليومي. تجدها على ألسنة الناس في الأسواق والمقاهي، في الحافلات وفي البيوت.

يتناقلها الجميع كأنها حقيقة لا تقبل الجدل، بل ويضيفون إليها تفاصيل لم تكن في الأصل موجودة، كأنهم يشاركون في كتابة رواية جماعية. السياسي هنا يكتفي بالابتسام، يعلم أن خطته تعمل بكفاءة، فهو لا يدافع عن نفسه، بل يدع الناس يتصارعون في بحر من الشكوك، بينما يجلس هو على الشاطئ مستمتعاً بمشاهدة الفوضى التي صنعها.

ومع تضخم القصة، يبدأ السياسي في تعزيز موقعه كضحية. يُلقي بخطابات مليئة بالعواطف، يتحدث عن كيف أنه مستهدف لأن نجاحه يمثل خطراً على الآخرين، وكيف أن كل الإنجازات التي حققها باتت تُهدد قوى الشر. يلعب على وتر الوطنية، يصور نفسه كالحصن الأخير الذي يقف في وجه الطوفان، وأن أي هجوم عليه هو هجوم على الوطن بأسره. وهكذا، يتحول من مجرد سياسي إلى بطل قومي، يناضل ضد قوى لا تُرى، قوى تجتمع في الظلام وتخطط للإطاحة به.

السياسي هنا يحرك الأحداث كما يحرك الساحر عصاه، يجعل الجميع يصدقون أن الغراب تحول إلى حمامة بيضاء. يعرف أن نظرية المؤامرة ليست مجرد حكاية يُلقيها في الهواء، بل هي شبكة يُصطاد بها العقول. لذلك، يتأكد من أن قصته تصل إلى كل زاوية وكل بيت. يستغل وسائل الإعلام، ويُسرب المعلومات "السرية" إلى الصحف، ويترك المحللين يتحدثون لساعات عن تلك المؤامرة. يُطلق تصريحات غامضة تثير الشكوك وتغذي الخيال الشعبي، ويترك الناس في حالة من الترقب المستمر، وكأنهم يعيشون في رواية بوليسية لا تنتهي.

والأكثر دهاءً هو أن السياسي لا يسمح أبداً بظهور أي دليل يُفند نظريته. فإذا حدث وظهر ما قد يُشكك في روايته، يُسارع إلى قلب الطاولة، يتهم من يشكك بأنه جزء من المؤامرة، وبأنهم يسعون لتشويه صورته لأنه اقترب من كشف الحقيقة. هكذا، يتحول كل من يعارضه إلى عدو محتمل، وكل من يسانده إلى بطل يُدافع عن الحق ضد الشر. وبهذه الطريقة، يُحكم قبضته على الواقع، يُعيد تشكيله كما يشاء، ويجعل من

نفسه محوراً تدور حوله الأحداث، ولو كانت تلك الأحداث مجرد خيال.

وفي النهاية، عندما تُصبح المؤامرة جزءًا من النسيج اليومي للحياة السياسية، يجد السياسي نفسه في موقف أقوى من أي وقت مضى. فالجميع يخاف من تلك القوى المجهولة، والجميع يرى فيه الأمل الوحيد للنجاة. وهكذا، يستمر في لعبته، يُطيل أمد المؤامرة لأنها أصبحت وسيلته للبقاء، ولأنها خلقت حوله هالة لا يستطيع أحد اختراقها.

والطريف في الأمر، أن الناس قد ينسون في نهاية المطاف تفاصيل المؤامرة، قد ينسون حتى كيف بدأت، لكنهم لن ينسوا أبدًا أن السياسي كان "الضحية"، وأنه نجا من مكائد الأعداء، ليس بفضل الحظ أو الصدفة، بل بفضل "حنكته" و"حكمته". وهكذا، يظل السياسي يروي قصة المؤامرة لجيل بعد جيل، يمررها كإرث سياسي خالد، يجعل من نفسه شخصية أسطورية، ليس لأنه حارب أعداءً حقيقيين، بل لأنه جعل الناس يؤمنون بوجودهم، ويخافون من ظلالهم. وفي نهاية المطاف، يصبح السياسي ليس فقط الناجي من المؤامرة، بل صانعها، يحيا بين صفحات التاريخ كالبطل الذي حارب الأعداء الوهميين وانتصر.

١٠٢- قانون إطالة الأزمات :بدلاً من حل الأزمات، اجعلها تستمر لأطول فترة ممكنة حتى تظل في موقف القوة.

في عالم السياسة العراقية، حيث تتشابك المصالح كجذور شجرة عجوز في أرض قاحلة، يُعد قانون إطالة الأزمات من أكثر القوانين المحنكة التي يتقنها الساسة ببراعة مدهشة. فبدلاً من البحث عن حلول للأزمات، يتعلم السياسي المحنك أن الأزمات هي نهر الذهب الذي لا ينضب، وكلما زادت الأزمة عمقًا وتعقيداً، كلما تضاعفت الفرص لزيادة نفوذه وثرواته. إنه قانون يحول السياسة إلى لعبة طويلة الأمد، حيث البقاء للأدهى والأكثر قدرة على إطالة المعاناة دون أن يُغرق سفينته.

السياسي الذي يتقن هذا الفن لا يرى في الأزمة مجرد مشكلة تحتاج إلى حل، بل يراها كالبئر العميقة التي تفيض عليه بالخيرات كلما انحدر فيها أكثر. إنه يعرف أن الناس، في خضم الأزمات، يتخلون عن الأمل ويبحثون فقط عن النجاة بأي ثمن. وهنا، يتحول السياسي إلى المنقذ المؤجل، الذي يُبقي الأمل على قيد الحياة، لكن في الزاوية البعيدة، يُلوّح به أمام أعين الجميع دون أن يُتيح لهم الوصول إليه.

في بداية الأزمة، يظهر السياسي كالمنقذ المخلص، يُلقي الخطابات الرنانة، يُعلن عن خطط طارئة، ويَعد بإصلاح الأمور سريعًا. لكنه في الحقيقة لا ينوي إنهاء الأزمة، بل يضَبط الأمور بدقة ليتأكد أن الأوضاع ستظل متأرجحة بين الانفراج والانفجار. إنه مثل الطبيب الذي يُبقي المريض في حالة حرجة، يمده بالعلاج الذي يمنعه من الموت، لكنه لا يشفيه تماماً، حتى يظل الجميع في حالة انتظار مشدود، يترقبون الخطوة التالية.

ومع مرور الوقت، تتعقد الأزمة أكثر، تتشابك الخيوط، ويصبح الحل الحقيقي أشبه بسراب يراه الجميع لكن لا يقتربون منه. السياسي هنا يعلم جيداً كيف يُدير هذه اللعبة. يطلق مبادرات جديدة، يعقد اجتماعات ومؤتمرات، ينشر تقارير، ويُعلن عن لجان تحقيق، لكن كل هذه التحركات ليست إلا دخانًا يُبقي الناس في حالة ضبابية، لا يرون الحقيقة

ولا يلمسون الواقع. إنه يُتقن فن المماطلة، يجعل من كل خطوة إلى الأمام قفزة إلى الوراء، حتى يصبح الجميع في دوامة لا تنتهي، تدور بهم حول محور الأزمة الذي لا يُريد له أن يزول.

السياسي هنا يشبه راعي الغنم الذي يُبقي قطيعه في منطقة متوترة، حيث الذئاب تحيط بهم من كل جانب. يعرف أن الخوف يجعل القطيع أكثر ولاءً له، وأكثر اعتماداً عليه. لا يدعهم يرون طريق الخلاص، بل يبقيهم في حالة من الرعب المستمر، يترقبون قدومه ليقودهم إلى الأمان الذي لا يأتي أبداً. إنه يزودهم بالأمل الكاذب، ويفرض عليهم الانتظار الذي لا ينتهي.

وفي هذه اللعبة الطويلة، يتحول السياسي إلى اللاعب الرئيسي، الذي يُدير كل تفاصيل الأزمة بمهارة الجراح، يعرف متى يزيد من حدة الصراع، ومتى يُلقي ببعض الفتات لتهدئة النفوس. إنه لا يسعى إلى الحل، بل إلى تأجيج المشكلة، لأن وجود الأزمة يعني استمرار الحاجة إليه، يعني بقاءه في موقع القوة الذي يمكّنه من توجيه الجميع كما يشاء. وكلما طالت الأزمة، كلما زاد نفوذه، لأن الناس يُدركون أنه الوحيد القادر على قيادة السفينة في بحر الظلمات.

السياسي هنا يتفنن في إطالة الأزمات، يجيد إخفاء الحلول في جعبة الأكاذيب، ويعرف كيف يُبقي الجميع في حالة من التوتر والقلق. هو يعلم أن إنهاء الأزمة يعني فقدان السيطرة، لأن الحل يُعيد الجميع إلى نقطة الصفر، حيث لا حاجة إلى القائد المنقذ. لذلك، يُبقي الجميع على حافة الهاوية، لا يسقطون ولا ينجون، فقط يستمرون في العيش على حافة الخطر، وهم ينظرون إليه بأعين ممتلئة بالخوف والتبعية.

ومع مرور الوقت، يتحول السياسي إلى أسطورة، يُروى عنه أنه الرجل الذي لا يُهزم، لأنه يُتقن فن البقاء وسط العواصف. لكن الحقيقة التي يعرفها الجميع ولا يجرؤون على قولها، هي أن العواصف التي يعيشون فيها لم تكن لتدوم لولا أنه هو من يُبقيها مستمرة. إنه يزرع بذور الأزمات

في كل زاوية، يُرويها بخطاباته ويغذيها بقراراته، حتى تنمو وتزدهر، وتُبقيه في قمة المشهد، حيث الجميع ينظرون إليه، وينتظرون حركته التالية.

وفي النهاية، عندما ينظر السياسي إلى مشهده، يرى شعبًا يتخبط في مستنقع من الأزمات التي لا تنتهي. هو يعلم أنهم لا يحبونه، لكنه لا يهتم؛ فالخوف والاحتياج هما القوة الحقيقية، والسياسي الذي يُدرك ذلك يظل دائمًا في موقع القوة، يمد يده ليُظهر أنه المنقذ، بينما يُبقي الجميع في الظلام، حيث تُصبح الأزمات هي الواقع الوحيد الذي يعرفونه.

وهكذا، يظل قانون إطالة الأزمات هو السلاح الذي لا يفقد بريقه، سلاحٌ يُبقي الجميع في مكانهم، لأنهم يعرفون جيداً أن الأمل في حل الأزمة قد يكون مجرد وهم، بينما الحقيقة الوحيدة هي أن السياسي هو الوحيد الذي يستطيع أن يُبقي اللعبة مستمرة.

١٠٣- قانون الاستفادة من الأزمات العالمية: استغل الأزمات العالمية لتبرير إخفاقاتك المحلية .

في السياسة العراقية، يبرز قانون الاستفادة من الأزمات العالمية كواحد من أكثر الأسلحة فعالية في يد السياسي المحنك. إنه القانون الذي يُحوّل العواصف التي تهب على العالم إلى رياح مواتية تُدفع بها السفن المحلية المتهالكة إلى الأمام، أو على الأقل، تُبقيها طافية فوق سطح الماء.

السياسي الذي يتقن هذا الفن يعرف أن الأزمات العالمية ليست مجرد أحداث تمر مرور الكرام، بل هي فرص ذهبية يمكن أن تبرر كل ما يحدث في الداخل. إنه يراقب العالم كما يراقب فلكي حركات النجوم، ينتظر اللحظة المناسبة لينسب كل فشل وكل تعثر إلى تلك الكواكب البعيدة التي لا يمكن لأحد أن يتحكم فيها. هكذا، يتحول الكساد الاقتصادي في بلد بعيد إلى شماعة يُعلق عليها سوء الإدارة، وتصبح الصراعات في أقصىً الأرض سببًا لتبرير نقص الخدمات المحلية.

في كل مرة تشتعل أزمة عالمية، تجد السياسي يظهر على الشاشات بابتسامة واثقة، وكأنه كان ينتظر هذا اليوم بفارغ الصبر. يتحدث بنبرة الخبير الذي يعرف كل شيء، يشرح كيف أن الأحداث الجارية في العالم أثرت بشكل غير مباشر، ولكن حتمي، على الأوضاع المحلية. "لقد فعلنا كل ما بوسعنا"، يقول بنبرة رنانة، "لكن الظروف العالمية الخارجة عن إرادتنا هي التي حالت دون تحقيق النتائج المرجوة."

ومع مرور الوقت، يُتقن السياسي هذا الدور ببراعة. فكلما تعقدت الأمور في الداخل، ينظر إلى الخارطة العالمية، يبحث عن أزمة جديدة يمكن أن تكون الغطاء المثالي لفشل جديد. إذا ارتفعت الأسعار، فهو بسبب انهيار الأسواق في نصف الكرة الآخر. وإذا تفاقمت البطالة، فهي نتيجة للأزمات السياسية في الدول التي لا يعرف المواطن عنها سوى اسمها. وإذا تعطلت المشاريع، فهو بلا شك بسبب الاضطرابات التي تهز الدول التي كانت تقدم العون.

السياسي هنا يشبه الساحر الذي يخرج الأرنب من قبعته في اللحظة الحاسمة. يعلم أن الجمهور يحب الحكايات الكبيرة، تلك التي تتجاوز حدود الوطن. لذلك، يجيد صناعة الروايات التي تربط بين الأحداث المحلية والعالمية بخيوط غير مرئية. ويعرف أن هذه الخيوط، مهما كانت هشة، ستكون كافية لإقناع الناس بأن ما يحدث هنا ليس سوى انعكاس لما يحدث هناك.

وفي خطابه، لا يكتفي السياسي بإلقاء اللوم على الأزمات العالمية، بل يُظهر نفسه كضحية لهذه الأزمات. يتحدث عن كيف أن جهوده الرامية إلى الإصلاح والتنمية قد أُحبطت بسبب التحديات الدولية التي لا يملك السيطرة عليها. يصف نفسه كقائد سفينة يُبحر في بحر هائج، يُصارع الأمواج العاتية التي جاءت من بعيد، ويحاول بكل ما أُوتي من قوة أن يُبقي سفينته على مسارها.

لكن الأدهى من ذلك، أن السياسي لا يكتفي بتبرير إخفاقاته، بل يستغل هذه الأزمات لتعزيز مكانته. ففي كل مرة يُلقي باللوم على العالم الخارجي، يُذكّر الناس بأنهم بحاجة إليه أكثر من أي وقت مضى. يُظهر لهم أن وجوده هو الضمانة الوحيدة لاستمرار البلاد في وجه هذه العواصف العالمية. وبذلك، يتحول من مجرد زعيم يُحاسب على أفعاله، إلى بطل يُطلب منه النجاة في بحرٍ من المشاكل التي لم يكن هو من خلقها.

ومع مرور الوقت، تُصبح هذه الاستراتيجية جزءاً من الواقع السياسي. يعرف الناس أن أي أزمة عالمية جديدة ستعني تأجيلاً جديداً لحلول مشكلاتهم المحلية. لكنهم في نفس الوقت يُدركون أن هذه الحجة، مهما كانت مهترئة، ستظل وسيلة السياسي للبقاء في موقعه. فكلما ارتفعت موجة جديدة في العالم، يجد السياسي فيها فرصة ليغسل يديه من المسؤولية، ويترك الناس يتخبطون في بحرٍ من الأعذار التي لا تنتهي.

وفي النهاية، عندما ينظر السياسي إلى بلاده، يرى فيها انعكاساً لعالم مضطرب، حيث لا تحل الأزمات بل تتفاقم، وحيث لا يُحاسب الفاشلون بل يتجدد لهم الولاء. هو يعلم أنهم لا يؤمنون بحججه، لكنه لا يهتم؛ فالحقيقة أن استغلال الأزمات العالمية هو أعظم معلم، والسياسي الذي يفهم هذا يظل دائماً في موقع القوة، يرفع يديه في وجه العاصفة، ليس ليُغير اتجاهها، بل ليستخدمها في توجيه دفة سفينته المتعثرة.

وهكذا، يظل قانون الاستفادة من الأزمات العالمية هو السلاح الذي لا يفقد بريقه، سلاحٌ يُبقي الجميع في مكانهم، لأنهم يعرفون جيداً أن كل أزمة جديدة في العالم ستُضاف إلى قائمة الأعذار الطويلة التي يملكها السياسي، ليبرر بها كل إخفاق وكل فشل، بينما يظل هو في موقعه، كقائدٍ لا يتزعزع، يحتمي بأزمات العالم ليُخفي عيوبه.

١٠٤- قانون تقديم البدائل الفاشلة : عندما تُطالب بحل مشكلة، قدم بدائل تعلم أنها لن تنجح لتبقى المشكلة قائمة.

في السياسة العراقية، حيث تُدار الأمور كما تُدار السفن وسط العواصف، يظهر قانون تقديم البدائل الفاشلة كأحد أعمدة فنون الحكم، الذي يتقنه السياسيون بمهارة تُضاهي مهارة الصياد في نصب شراكه. هذا القانون ليس مجرد وسيلة للتأخير أو التأجيل، بل هو استراتيجية قائمة بذاتها تهدف إلى الحفاظ على الوضع القائم، مهما كانت الظروف. إنه القانون الذي يُحوّل المطالبة بالحلول إلى متاهة لا نهاية لها، حيث يكون لكل مشكلة عشرة حلول، وكل حل يقود إلى مشكلة جديدة.

السياسي الذي يُتقن هذا الفن يعرف أن الأزمات ليست شيئًا يُراد حله حقًا، بل هي شجرة مثمرة، كلما طالت جذورها زادت ثمارها. وعندما يشتد الضغط عليه ليجد حلاً لمشكلة ما، لا يسارع إلى البحث عن حل فعلي، بل يبدأ في تقديم بدائل تبدو وكأنها الحلول المثالية، لكنها في الحقيقة ليست إلا أوهامًا مكسوة بطلاء برّاق. إنه مثل بائع الأحلام الذي يُقدم للمشتري بيتًا من ورق، ويقسم أن أساساته أقوى من الحديد.

في كل مرة يطرح الناس مشكلة تُؤرقهم، تجد السياسي يُطل عليهم بحزمة من الحلول، لا ليحل المشكلة، بل ليخلق من كل حل أزمة جديدة. يطرح حلولاً تبدو للوهلة الأولى كطوق نجاة، لكنها في الحقيقة مثل الغرقى الذين يُعطون حجارة ثقيلة بدلا من العوامات. إنه يعرف أن تقديم حل حقيقي يعني إنهاء المشكلة، وإنهاء المشكلة يعني تقليص نفوذه، وهو أمر لا يقبله بأي حال من الأحوال.

عندما يتحدث الناس عن الفقر، يُعلن السياسي عن خطط للتنمية الاقتصادية، يطرح مشاريع تُرصد لها ميزانيات ضخمة، لكنها مشاريع مبنية على أسس هشة، كمن يبني قصوراً من الرمال على شاطئ متآكل. يتحدث عن مبادرات لتوفير فرص العمل، لكنه في الحقيقة يُغرق السوق

بمشاريع قصيرة الأمد، لا تكفي لإطعام جوعى ولا تُغني فقيراً. يعلم أن الناس سيظلون في حاجة إليه، ما دامت هذه البدائل فاشلة في جوهرها.

وعندما يُطالب بتحسين التعليم، يُعلن عن خطط لتطوير المناهج، لكنه يختار أسوأ المتخصصين لتطبيقها، أو ربما يُوكل المهمة إلى لجان تفتقر إلى الخبرة، فيصبح الإصلاح في النهاية عبئًا جديداً على النظام التعليمي. وهكذا، يظل التعليم يتدهور، وتظل الأصوات ترتفع مطالبة بالإصلاح، فيعيد الكرة مرة أخرى، ويطرح بدائل جديدة، لكنها ليست أفضل من سابقاتها. إنه يعرف أن كل محاولة إصلاح فاشلة تزيد من قوة قبضته على النظام، لأن الفشل يُبقيه في موقع الحاجة الدائمة.

في الصحة، يطرح السياسي خططًا لبناء مستشفيات جديدة، لكنه يضعها في أماكن بعيدة، حيث لا تصل إليها الخدمات الأساسية، أو يزودها بأجهزة قديمة لا تعمل. يتحدث عن توفير الأدوية، لكنه يستورد أسوأ الأنواع، أو يجعل الحصول عليها مستحيلاً بسبب البيروقراطية المعقدة. وهكذا، تظل المشاكل الصحية قائمة، وتظل الحاجة إلى تدخلاته المستمرة. إنه يعرف أن الحلول الفاشلة تضمن بقاءه كالبطل الذي يُنقذ الموقف كلما ساءت الأمور.

السياسي هنا يشبه قائداً عسكريًا يُرسل جنوده إلى معركة دون تدريب كاف، يعلم أنهم سيهزمون، لكنه يُبقيهم في الميدان ليظل هو في موقع القيادة. يقدم لهم أسلحة لا تعمل، أو خرائط مليئة بالأخطاء، ثم يجلس في مقره يحصي الخسائر ويُعيد الكرّة مرة أخرى. يعلم أن استمرار الأزمة يعني استمرار حكمه، لأن الناس، في نهاية المطاف، سيقبلون بأي حل يُقدمه، حتى لو كان حلاً فاشلاً، ما داموا قد تعبوا من الانتظار.

ومع مرور الوقت، يتحول هذا النهج إلى جزء من نسيج الحياة اليومية. يعرف الجميع أن الحلول التي يقدمها السياسي ليست إلا وعوداً فارغة، وأن البدائل التي يُعلن عنها ليست إلا خطوات في دوامة لا تنتهي. لكنهم، رغم كل ذلك، يستمرون في المطالبة، ويستمر هو في تقديم المزيد من

البدائل الفاشلة، كمن يُلقي الحجارة في بئر عميقة، لا يصل صداها إلى السطح أبداً.

وفي النهاية، عندما ينظر السياسي إلى حصاده، يرى أزمةً قائمة وحلاً معلقًا، يرى شعبًا يتخبط في بحر من البدائل التي لا تُغني ولا تسمن من جوع. هو يعلم أنهم لا يؤمنون بحلوله، لكنه لا يهتم؛ فالحقيقة أن المشكلة التي لا تحل هي القوة الحقيقية، والسياسي الذي يفهم هذا يظل دائمًا في موقع السيطرة، يمد يده ليُظهر أنه المنقذ، بينما يُبقي الجميع في حالة من الانتظار الذي لا ينتهي.

وفي النهاية، يصبح الجميع مجرد قطع في لعبة يُبقي السياسي قواعدها غامضة، لأنه في الظلام فقط، يستطيع من يجيد التلاعب أن يبقى الملك. وهكذا، يظل قانون تقديم البدائل الفاشلة هو السلاح الذي لا يفقد بريقه، سلاحٌ يُبقي الجميع في مكانهم، لأنهم يعرفون جيداً أن المشكلة التي لا تحل تظل المشكلة التي تُبقي السياسي في موقعه. وفي عالم السياسة، البقاء هو الهدف، حتى لو كان الثمن هو استمرار المعاناة بلا نهاية.

١٠٥- قانون الأضواء المسلطة :احرص دائمًا على أن تكون في الأضواء، حتى لو كان الحدث لا يستحق.

في السياسة العراقية، يبرز قانون الأضواء المسلطة كواحد من أعظم أدوات البقاء. إنه القانون الذي يضمن للسياسي موطئ قدم دائمًا في المشهد، حتى وإن كان الحدث لا يستحق أكثر من إشارة عابرة. ًالسياسي هنا يدرك أن الظهور تحت الأضواء ليس مجرد وسيلة، بل هو غاية بحد ذاته. في عالم لا يعترف إلا بالمرئي والمسموع، يصبح البقاء في الظل كأنك لم تكن موجوداً من الأساس.

السياسي الذي يتقن هذا الفن لا ينتظر الأزمات الكبرى لتسليط الضوء عليه. إنه مثل الفراشة التي لا تجد راحتها إلا بين بتلات الضوء، يتنقل بين كل شعاع، حتى لو كان خافتًا، فقط ليُبرز ألوانه الزاهية. يدرك جيداً أن كل لحظة يمكن أن تتحول إلى منصة للظهور، وكل موقف، مهما صغر، يمكن أن يُضخّم إذا ما وُجّهت الأضواء بشكل صحيح.

عندما يُفتتح جسر صغير على نهر محلي، يقف السياسي في المقدمة، يتحدث بنبرة المخلص، وكأن عبوره بين الضفتين لم يكن إلا بفضل توجيهاته. يحرص على أن تكون الكاميرات مركزة عليه، لتلتقط كل نظرة وكل حركة. وفي حفل توزيع جوائز في مدرسة ابتدائية، يظهر السياسي بجانب الأطفال، يتحدث عن التعليم وكأنه هو من خط أول حرف على ألواح التاريخ. لا يترك مناسبة تمر دون أن يكون جزءاً منها، لأن كل ظهور يضمن له مكانًا في ذاكرة الجماهير، حتى لو كان الحدث لا يستحق إلا لمحة عابرة.

السياسي هنا أشبه بنجم في سماء لا تعترف بالليل، يظل ساطعًا مهما حاولت الغيوم أن تخفيه. إنه يفهم أن الفراغ هو العدو الحقيقي، وأن تترك الساحة خالية يعني إفساح المجال للآخرين ليحتلوا مكانه. لذا يحرص على أن يملأ الفراغ بأي شيء: مبادرة جديدة، اجتماع طارئ، تصريح صحفي، المهم أن يكون حاضراً، حتى لو لم يكن هناك شيء يُقال.

السياسي المحنك يعلم أن الأضواء ليست مجرد شعاع يسطع عليه، بل هي أداة للتحكم في الرواية. ففي كل مرة يظهر فيها، يُعيد صياغة القصة على طريقته، يُبرز ما يريد ويُخفي ما لا يريد للناس أن يعرفوه. يتحرك بين الحشود كراقص بارع، ينسج ابتسامته في كل اتجاه، يضع عينيه في كل كاميرا، وكأنه يتحدى الزمن أن يُغفل عنه لحظة. يدرك أن الناس سيتذكرون ما يُعرض أمامهم في الأضواء، وليس ما يحدث في الظلال.

ومع مرور الوقت، يتحول السياسي إلى جزء لا يتجزأ من المشهد العام، يصبح حضوره متوقعًا في كل مناسبة، مهما كانت بسيطة. يصبح غيابه عن أي حدث أمرًا لافتًا للنظر، يُثير التساؤلات والشكوك. لقد نجح في خلق علاقة تبعية بينه وبين الأضواء، علاقة تجعل منه عنصرًا أساسيًا في كل قصة تُروى، حتى في الأوقات التي يفضل فيها الآخرون الابتعاد. إذا تعرض لانتقادات أو فضيحة، لا يختبئ، بل يُسارع إلى الظهور، يُبرر ويفسر ويظل ثابتًا في مواجهة العاصفة. فهو يعرف أن التراجع يعني الهزيمة، بينما المواجهة، حتى في أصعب الظروف، تضمن له البقاء.

وفي النهاية، لا يبقى في الذاكرة سوى ذلك الوجه الذي لم يترك شعاعًا إلا والتقطه، كأن الأضواء خُلقت لتلعب معه. ومعها يبقى، في القمة، حيث لا أحد يجرؤ على إنزاله إلى الظل. وهكذا، يظل قانون الأضواء المسلطة هو السلاح الذي لا يفقد بريقه، سلاحٌ يُبقي السياسي في دائرة الضوء، لأنهم يعرفون جيدًا أن الحضور الدائم في الأضواء يعني البقاء في القمة، وأن التراجع إلى الظل يعني الاختفاء، وفي السياسة، من يختفي يُنسى، ومن يُنسى، لا يعود.

١٠٦- قانون الاحتفاظ بالنسخ الاحتياطية: دائمًا احتفظ بنسخ احتياطية من الوثائق والملفات المهمة للضغط على خصومك إذا لزم الأمر.

في أعماق السياسة العراقية، حيث تُدار الحروب بصمت وتحاك المؤامرات في ظلال الغرف المغلقة، يظهر قانون الاحتفاظ بالنسخ الاحتياطية كأحد أكثر الأدوات فعالية في ترسانة السياسي المحنك. السياسي هنا لا يرى في الوثائق مجرد أوراق تُكدس في الأرشيف، بل يراها كنوزًا لا تقدر بثمن، كل حرف فيها هو خنجر مسموم ينتظر اللحظة المناسبة ليُغمد في الظلام، كل جملة تُخفي خلفها سلاحًا يمكن أن يُغير مجرى الأحداث.

السياسي الذي يفهم هذا القانون لا يكتفي بجمع الوثائق المهمة، بل يحرص على الاحتفاظ بنسخ احتياطية منها، مخبأة في أماكن سرية، كمن يُخفي ألغامًا تحت الأرض. يعرف أن كل نسخة هي شيفرة قد تُفتح بها أبواب، أو تُغلق بها مصائر. إنه لا ينتظر الحرب لاستخدام سيوفه، بل يتأهب لكل ليلة تفاوض، كل لقاء يحمل معه احتمالات غير متوقعة. فالاحتفاظ بالنسخ الاحتياطية ليس مجرد إجراء احترازي، بل هو تأمين على السلطة، على النفوذ، وعلى السيطرة.

وعندما تأتي اللحظة المناسبة، يُخرج السياسي إحدى تلك النسخ بحذر ودقة، كمن يختار سهمًا من جعبة لا تنضب. إذا شعر أن أحد خصومه قد اقترب أكثر مما يجب، يُبرز وثيقة قديمة، كجرح لم يندمل في ذاكرة من يريد تهديده. الوثيقة هنا لا تُستخدم كدليل مادي فحسب، بل كأداة لتذكير الخصم بالماضي، وكأنه يقول: "لا تنسَ، أنا أعرف، ولدي الدليل". السياسي هنا لا يحتاج إلى تهديد صريح؛ يكفيه أن يعلم خصومه بوجود النسخ ليعيشوا في خوف دائم مما قد يكشفه الزمن.

السياسي المحنك يُدرك أن كل خطوة محسوبة، كل وثيقة مخبأة تُعتبر ورقة ضغط، تُخرج في الوقت الذي يُناسبه. لا يُظهر كل أوراقه دفعة واحدة، بل يُبقي ما يكفي من النسخ الأخرى طي الكتمان، يعلم أن بقاءها مخفية

يزيد من رعب خصومه. إنه يعرف أن الوثيقة التي لا تُستخدم اليوم يمكن أن تُصبح غداً سيفاً مُسلطاً على رقابهم، يُبقي الجميع على حافة الهاوية، يترقبون اللحظة التي قد تُفجر فيها تلك النسخ المحفوظة.

ومع مرور الوقت، يتحول السياسي إلى ما يشبه نحاتاً، يُشكل الأحداث بأدواته، يزيل ما يشاء ويُبرز ما يريد. يعرف أن القوة الحقيقية تكمن في الغموض، في أن يعرف الآخرون أنه يحتفظ بشيء ما، لكنهم لا يعرفون ماذا ولا متى سيستخدمه. الوثائق في يده كالألغام المزروعة، يتركها حتى يأتي اليوم الذي تُفجر فيه خصومه دون أن يُدركوا أنهم كانوا يمشون فوقها طوال الوقت.

السياسي لا يتوقف عند جمع الوثائق فقط، بل يتابع كل حركة وكل تطور، يُحدث نسخاً جديدة، يُضيف إليها ما يُبقيها حية وفاعلة. إنه يعلم أن القوة لا تأتي من امتلاك الأسرار فقط، بل من القدرة على استخدامها في اللحظة المناسبة. وكما يُقال، من يملك الوثائق، يملك المستقبل، والسياسي الذي يفهم هذا القانون يعرف كيف يُدير اللعبة بمهارة تُبقيه دائماً في القمة.

وفي النهاية، عندما ينظر السياسي إلى أرشيفه السري، يرى فيه حصناً منيعاً، جدرانه مكونة من أوراق، وأسواره مبنية من حروف قد تتحول في أي لحظة إلى شفرات تقطع طريق خصومه. يعلم أن هذه النسخ الاحتياطية هي التي ضمنت له البقاء، وهي التي ستضمن له السيطرة في المستقبل. إنه يعرف أن اللعبة لم تنته، وأنها ستستمر طالما بقيت هذه النسخ في يده، جاهزة للاستخدام فيَ اللحظة التي تُكتب فيها نهايات الآخرين.

وهكذا، يظل قانون الاحتفاظ بالنسخ الاحتياطية هو السلاح الذي لا يصدأ، سلاحٌ يُبقي السياسي في موقع القوة، لأنه يعلم جيداً أن الوثيقة التي لم تُستخدم اليوم قد تكون هي السيف الذي سيُغلق كل الأبواب أمام

خصومه غداً. وفي عالم السياسة، من يمتلك الوثائق يمتلك السيطرة، والسيطرة هي الهدف النهائي في لعبة لا تنتهي أبداً.

١٠٧- قانون الشكر الأبدي : اجعل من يُعين في منصب من قِبلك يشعر بواجب الشكر والولاء الأبدي لك .

في عالم السياسة العراقية، يظهر قانون الشكر الأبدي كواحد من أكثر الأدوات فعالية في ترسيخ النفوذ وإدامة السيطرة. السياسي المحنك يعرف أن تعيين شخص في منصب ليس مجرد إجراء روتيني، بل هو بمثابة استثمار طويل الأمد، غايته خلق ولاء أبدي، لا يُفسخ بمرور الوقت ولا يمحى بالنسيان.

السياسي هنا لا يمنح المناصب كمن يلقي بقطع الحلوى على الأطفال، بل يوزعها بدقة متناهية، كما يوزع الجواهر على الملوك. يعلم أن كل منصب يُعطى لشخص هو بمثابة عقد غير مكتوب، يُوقع عليه الولاء والامتنان بحبر الخوف والرهبة. ومنذ اللحظة التي يتقلد فيها الشخص ذلك المنصب، يتوجب عليه أن يحمل في قلبه شعوراً بالشكر لا ينتهي، شكرٌ يصبح كالشبح الذي يرافقه في كل خطوة، ويجعله يتذكر دائماً من هو صاحب الفضل عليه.

السياسي الذي يُتقن هذا القانون يعرف كيف يُحول من عينهم إلى حراس لعرشه، ليس فقط بإغداقهم بالمناصب، بل بجعلهم يشعرون بأن كل لحظة من حياتهم الوظيفية هي هبة منه، وأن أي تقدم في مسيرتهم ما هو إلا نتيجة لرضاه. إنه كالساحر الذي يمنح تلاميذه العصا السحرية، لكنه يتركهم يعلمون جيداً أن هذه العصا تعمل فقط طالما كان هو راضياً عنهم. فلا مكان للتمرد، ولا مجال للتفكير في الاستقلال، لأن المنصب ذاته مشروط بالشكر الأبدي.

عندما يُعين شخص في منصب بفضل السياسي، يبدأ الأخير في غرس بذور الولاء بمهارة، يحرص على أن يذكّره من حين لآخر بمن كان السبب في رفعه إلى تلك المكانة. يفعل ذلك بطرق غير مباشرة، كمن يضع المرايا في كل زاوية ليتأكد من أن الشخص يرى انعكاسه دائماً مربوطاً بحبل

الولاء. قد يكون هذا التذكير على شكل مكافآت صغيرة، أو ربما كلمات عابرة، لكنها تحمل في طياتها ثقل العهد الذي لا يُفك.

السياسي المحنك يدرك أن الشكر يجب أن يكون دائمًا، مستمراً كالنهر الذي لا ينضب. ولذلك، يحرص على إبقاء من عينهم في حالة من الترقب، لا يعرفون متى سيحتاجون لإظهار الولاء مرة أخرى، لكنهم يعلمون أنه متوقع في أي لحظة. إنه كالقائد الذي يطلب من جنوده الانتباه في كل حين، لا لأن المعركة قادمة، بل لأن احتمالاتها تظل قائمة دائماً. وهكذا، يتحول الشكر إلى واجب يومي، جزء من الطقوس التي يجب أن تمارس بانتظام، كي لا يتجرأ أحد على نسيان من رفعه من القاع إلى القمة.

ومع مرور الوقت، يتحول هذا الشكر إلى عبء لا يمكن التخلص منه. يصبح المنصب قيداً ذهبياً، يمنح صاحبه المكانة والسلطة، لكنه في الوقت ذاته يثقل كاهله بالولاء الذي لا ينقطع. يعرف الشخص المعين أن أي تقصير في هذا الشكر قد يُكلفه كل شيء، وأن النسيان ليس خياراً متاحًا. فهو كمن يسير في متاهة، يعرف الطريق، لكنه لا يستطيع التقدم دون أن ينحني عند كل منعطف ليشكر السياسي الذي منحه هذه الفرصة.

السياسي المحنك لا يكتفي بإبقاء الشخص المعين تحت تأثير هذا الولاء، بل يُحكم قبضته على الآخرين أيضاً. يجعل الجميع يشهدون على هذه العلاقة غير المتكافئة، ليعلموا أن كل من يقبل منصباً منه، يجب أن يظل شاكراً، متذكراً، وملتزمًا. إنه يخلق شبكة من العلاقات المبنية على الامتنان المستمر، يجعل الجميع يشعرون بأن أي خطوة للأمام تعني خطوة أخرى نحو مزيد من الولاء.

وفي النهاية، عندما ينظر السياسي إلى شبكة الموالين التي صنعها بمهارة، يرى فيها جداراً حصيناً من الولاء الذي لا يتزعزع. يعرف أن من عينهم لن يجرؤوا على التمرد، لأنهم يشعرون بأن حياتهم السياسية مرهونة بالشكر الذي لا ينقطع. وهكذا، يظل قانون الشكر الأبدي هو السلاح

الذي لا يفقد قوته، سلاحٌ يُبقي السياسي في موقع السيطرة، لأنه يعرف جيداً أن الولاء المبني على الشكر هو ولاء لا ينكسر، ولأن من يُدين بمكانته لغيره، سيظل دائماً في حالة من الخضوع، حتى لو جلس على عرش الذهب.

١٠٨ – قانون استخدام الشعب كدرع : عندما تتعرض للانتقاد ، ادّعِ أنك تدافع عن مصالح الشعب وتختبئ وراءه .

في الساحة السياسية العراقية ، يظهر قانون استخدام الشعب كدرع كواحد من أكثر الأدوات فعالية في ترسانة السياسي المحنك. هذا القانون ليس مجرد حيلة للتملص من المسؤولية ، بل هو فنٌ متقنٌ يتقنه الساسة ، يخلطون فيه بين المصالح الشخصية والوطنية ، ليُخرجوا للناس مشهداً يُخيل إليهم أن القائد ليس سوى درعًا واقيًا يحميهم من رماح الفساد والتآمر .

السياسي الذي يفهم هذا القانون لا ينتظر الانتقادات كي تبدأ ، بل يترقبها كما يترقب الجندي شروق الشمس في ميدان المعركة. وحين تنطلق السهام ، لا يتراجع ، بل يتقدم بخطوات واثقة ، رافعًا شعار "الشعب" ، وكأنما يحمل في يديه راية مقدسة لا تُدنس. في كل مرة يُوجه فيها إليه سؤال محرج ، يُغير مسار الحوار ببراعة ، يضع الشعب في مقدمة الصفوف ، ويجعل من نفسه الحامي الذي لا غنى عنه .

السياسي هنا لا يرتدي عباءة الشعب فحسب ، بل ينسجها من أنين الناس وصرخاتهم المكتومة ، ويلفها حول جسده كلما اشتدت عليه السهام ، لتصبح درعًا فولاذيًا لا يُخترق. يعرف أن الشعب ، بمشاكله وأحلامه وآماله ، هو الحصن الذي لا يمكن لأي ناقد أن يخترقه دون أن يلقى اللوم على نفسه. في كل مرة يرتفع صوت بالاعتراض ، يُسارع السياسي إلى القول بأن الهجوم عليه هو هجوم على الشعب بأسره ، وأنه يقف في وجه العاصفة ليس من أجل نفسه ، بل من أجل الملايين الذين يمثلهم .

السياسي يتقن فن تحويل كل نقد إلى محاولة للإساءة للشعب. ينظر إلى خصومه بابتسامة خبيثة ، وكأنه يقول : "كيف تهاجمونني وأنا الحامي ، وأنا الراعي ؟" إنه يدرك أن كل هجوم عليه يمكن أن يُحول إلى هجوم على الأمة بأكملها ، ما يجعل منتقديه يظهرون وكأنهم أعداء للشعب وليسوا مجرد معارضين للسياسة. هذه القدرة على الالتفاف حول الانتقادات

وتحويلها إلى مصدر قوة تُظهر السياسي في صورة البطل الذي يقف وحيداً في مواجهة العواصف.

السياسي المحنك لا يكتفي باستخدام الشعب كدرع، بل يُحول هذا الدرع إلى سلاح هجومي. يجعل من نفسه والشعب كتلة واحدة لا يمكن فصلها، ليجعل أي هجوم عليه هجومًا على الشعب بأسره. يعرف أن خصومه لن يستطيعوا مجابهة هذا التكتيك دون أن يدفعوا ثمنًا باهظًا في نظر الجماهير. يضع نفسه في موقف يضطر فيه كل من يعارضه إلى مواجهة الشعب أيضًا، مما يجعله يبدو وكأنه يقود الأمة ضد كل من يحاول أن يُلحق الضرر بمصالحها.

ومع مرور الوقت، يتحول هذا القانون إلى جدار لا يُخترق، يتلألأ في كل مرة تتعرض فيها مكانته للخطر. السياسي هنا يعرف كيف يجعله جزءاً من هويته، كيف يُظهر نفسه وكأنه يجسد آمال الناس وطموحاتهم، حتى عندما تكون أفعاله بعيدة كل البعد عن مصالحهم. إنه كمن يبني حصنًا من الشعارات والتصريحات، ويجعل من الشعب جدرانًا لهذا الحصن، ليبقى آمنًا خلفها مهما كانت قوة الهجوم.

السياسي لا يترك فرصة تمر دون أن يُثبت ولاءه للشعب، مستخدمًا إياه كالسيف المسلط، يلوح به في وجه كل من يجرؤ على الانتقاد. لكنه يعرف أن هذا السيف ذو حدين، يستخدمه بحذر وذكاء، فهو ليس مجرد درع يحتمي خلفه، بل أداة للسيطرة على المشهد، لإظهار خصومه وكأنهم أعداء للأمة، متآمرون ضد إرادة الشعب.

وفي النهاية، يبقى السياسي محاطًا بدرع الشعب الذي صنعه بيديه، درعٌ يحميه من كل هجوم، ويُبقيه في القمة، حيث لا يستطيع أحد أن يُسقطه. يدرك أن الشعب ليس درعًا حقيقيًا، بل قناع يتخفى خلفه، قناع يجعله يبدو وكأنه المخلص، بينما هو يعرف أنه المستفيد الأول من هذه اللعبة. لأنه ببساطة، من يختبئ خلف الشعب لا يُهزم، ومن يمسك بخيوط إرادة الجماهير، يظل دائمًا فوق الجميع.

وهكذا، يظل قانون استخدام الشعب كدرع هو السلاح الذي لا يُبلى، سلاحٌ يُبقي السياسي في موقع القوة، لأنه يعرف جيداً أن من يتقن استخدام هذا الدرع لا يهزم، ومن يختبئ خلف الشعب لا يمس، ومن يمسك بزمام إرادة الجماهير يظل دائماً في القمة، حيث لا يستطيع أحد أن يزحزحه عن مكانه، مهما بلغت حدة الانتقادات أو قوة الهجوم.

١٠٩ – قانون تبرير الصفقات المشبوهة : اخترع تبريرات معقدة وغير مفهومة للصفقات المشبوهة لضمان قبولها.

في ممرات السياسة العراقية الملتوية، حيث تُختبئ الحقائق كما تُخبأ الكنوز في سراديب مظلمة، يتقن السياسي المحنك فن تبرير الصفقات المشبوهة، ليُبقي خصومه والمتابعين في حالة من الحيرة المستمرة. إن تبرير الصفقة الفاسدة لا يتطلب أكثر من نسج قصة متقنة، تُغرق الجميع في تفاصيلها المعقدة، كأنما يُقدم لهم طلاسم رياضية يستحيل فك شفرتها. السياسي هنا يُظهر براعة في تحويل أي سؤال بسيط إلى متاهة من المصطلحات الفنية والاستراتيجيات الغامضة التي تجعل من يتجرأ على الفهم، يخرج بأكثر مما دخل.

السياسي يعرف جيداً أن الجمهور، عند مواجهة أمر معقد، يميل إلى الاستسلام للظاهر، تماماً كما يحدق الغراب في انعكاسه فوق الماء الهادئ، يظن أنه يرى الحقيقة بينما هو في الواقع غارق في وهم السراب. وهكذا، عندما يُثار الشك حول صفقة مشبوهة، يبدأ السياسي في نسج سيناريوهات تتدفق كالألغاز المعقدة، يختلط فيها المنطق بالخيال. يتحدث عن "ضرورات المرحلة" وعن "تعقيدات العلاقات الدولية"، ليخلق أمامك لوحة تبدو كأنها من إبداع فنان هائم، لا تتضح معالمها إلا إذا نظرت إليها من زاوية لا يستطيع أحد الوصول إليها.

السياسي لا يتوقف عند هذا الحد؛ بل يُتقن فن الإرباك. يُقدم تبريراته كما يُقدم الطاهي المحترف طبقاً من النكهات المتضاربة، كل لقمة تفتح الباب لنكهة جديدة، وكلما أكلت أكثر، ازددت حيرة. فهو لا يُفسر الأمور بشكل مباشر، بل يُغرقك في بحر من الاصطلاحات، يجعلك تتساءل: هل المشكلة في فهمي، أم أن المعنى قد دُفن عمداً تحت طبقات من الغموض؟

وعندما يُحاصر بأسئلة مباشرة، يُغير السياسي أسلوبه، يتحول من مُفسر إلى راوي قصص، يروي لك حكايات عن "مفاوضات طويلة ومعقدة"،

وعن "حسابات دقيقة للمستقبل"، وكأن الصفقة المشبوهة ليست إلا جزءاً من لعبة شطرنج كونية، لا يفهمها إلا قلة من العارفين. يُشعرك بأنك أمام معادلة لا تُفهم إلا إذا كنت من العارفين بمكنونات الأمور. هنا، يشعر الجمهور بالارتباك، يظن أن المشكلة في قلة معرفته، فيُسلم بما قيل له، ويرضى بالصفقة كما هي، وكأنها قدر لا يُرد.

السياسي يُتقن فن التلاعب بالزمن أيضًا؛ فهو لا يكشف كل أوراقه دفعة واحدة. يسرب المعلومات كما يسرب المرء الرماد من بين أصابعه، ببطء وتأن، حتى يجد خصومه أنفسهم مُحاطين بسحابة كثيفة من الدخان، يرونَ ولا يرون، يسمعون ولا يسمعون. كل محاولة لفهم تفاصيل الصفقة تصبح كالركض في دوامة، كلما اجتهدت أكثر، شعرت بأنك تبتعد عن الحقيقة أكثر.

ومع مرور الوقت، يصبح تبرير الصفقات المشبوهة بمثابة لوحة سريالية، لا يفهمها إلا من رسمها. السياسي يعرف أن تعقيد الأمور يُبقي الجميع مشدوهين، عاجزين عن التفنيد، كمن يحاول الإمساك بالزئبق بين أصابعه. وبمرور الوقت، يتحول هذا التعقيد إلى سلاح يُستخدم ضد خصومه، الذين يجدون أنفسهم مُحاطين بأسئلة بلا إجابات، وبأسرار بلا مفاتيح.

وفي النهاية، عندما تنتهي العاصفة ويهدأ الغبار، يبقى السياسي متربعًا على عرشه، محاطًا بتبريراته كجدران قلعة لا تُخترق. يبتسم لأنه يعلم أن الصفقات المشبوهة ليست إلا بضاعة مُعلّبة تُباع في أسواق السياسة، والزبائن؟ يختارون التصديق لأن الحقيقة، ببساطة، معقدة للغاية.

هكذا، يظل قانون تبرير الصفقات المشبوهة هو السلاح الذي لا يفقد قوته. سلاحٌ يضمن للسياسي السيطرة، لأنه يعرف جيداً أن من يُتقن فن الإرباك لا يحتاج إلى تبرير، بل يكفيه أن يجعل خصومه يغرقون في محاولة الفهم، ليظل هو دائماً في القمة، بعيداً عن متناول النقد والاتهام.

١١٠- قانون الالتفاف على العقوبات : عند مواجهة عقوبات، ابحث عن طرق مبتكرة للالتفاف عليها دون تغيير سلوكك.

في عالم السياسة العراقية، حيث إن الكبار لا يخضعون إلا للقوانين التي يضعونها بأنفسهم، يُعد قانون الالتفاف على العقوبات من أكثر الأدوات فعالية في صندوق أدوات السياسي العراقي المراوغ. هنا، في هذه اللعبة المعقدة، لا يكون التحدي في مواجهة العقوبات فحسب، بل في التملص منها ببراعة، مع الاحتفاظ بالابتسامة الوديعة التي توحي بأن كل شيء يسير على ما يرام.

السياسي المتمرس لا يرى في العقوبات سوى عقبة صغيرة على طريق طويل مليء بالمنعطفات، فبدلا من التوقف أو التراجع، ينظر إليها كفرصة جديدة لإظهار براعة الالتفاف، وكأنه لاعب سيرك ماهر يوازن بين العصي بينما يُبهج الجمهور بحركاته. يعرف أن العقوبات ليست سوى لعبة في يد من يفهم قواعدها، وأن الهدف ليس تغيير السلوك كما يتوهم واضعو العقوبات، بل تغيير الطريقة التي يُرى بها السلوك.

السياسي يتلوى حول العقوبات كالثعبان الذي يعرف كيف يختبئ في الظلال، يترك الجميع يظنونه مختفيًا، بينما هو يتحرك بخفة خلف أعينهم. لا يغير مساره، بل ينحني قليلاً، يتكيف، لكنه لا ينكسر. يبتسم في وجه الجميع، بينما في الداخل، يظل كل شيء على حاله.

عندما تُفرض عليه العقوبات، لا يهرع إلى الالتزام بها؛ بل يجلس في مكتبه الهادئ، يُقلب الأوراق، ويفكر في الطرق التي يمكن بها تحويل العقوبة إلى مجرد عائق بسيط. فهو لا يقاوم العقوبات بشكل مباشر، بل يُسرب معلومات هنا وهناك، يغير أسماء المشروعات، يعيد ترتيب الأوراق، يضيف توقيعًا هنا، ويزيل جملة هناك. النتيجة؟ عقوبات بلا أنياب، وصفقات تبقى كما هي.

ومن ثم يبدأ السياسي في تقديم رواياته المبتكرة. "نحن لا نتجاهل العقوبات"، يقول بابتسامة ودودة، "بل نُعيد النظر في سياساتنا بما يتماشى مع الظروف الجديدة." لكنه يعرف أن العقوبات بالنسبة له هي كالأبواب الدوارة، يدخل من باب ويخرج من آخر، دون أن يضطر لتغيير وجهته. يخلق روايات معقدة عن "ضرورات المرحلة" و"تحديات العلاقات الدولية"، يحول العقوبات إلى أوراق تفاوض جديدة، وفي كل مرة ينجح في الالتفاف، تزداد ثقته بنفسه، ويزداد ارتباك خصومه.

السياسي يعرف أن العقوبات ليست سوى تحد آخر في لعبة شطرنج طويلة الأمد. فهو لا يرى فيها تهديداً، بل مجرد خطوة جديدة في رقعة واسعة. يدرك أن الخوف الحقيقي هو الذي يسكن في قلوب خصومه، الذين ينتظرون سقوطه في كل منعطف. لكن السياسي لا يسقط. هو يراقب، يتحين الفرصة، وعندما تحين، يرفع راية التحدي ويواصل المسير.

وعندما يبدأ العالم بالتساؤل عن مدى التزامه، يُخرج السياسي من جعبته بعض البراهين الشكلية. يقوم بتعديلات طفيفة هنا وهناك، يُعلن عن إجراءات جديدة تبدو على السطح كأنها تنازل، لكنها في الواقع مجرد غطاء رقيق يُبقي على الوضع كما هو. كمن يُغير طلاء بيته من الخارج، بينما يبقى الداخل على حاله، فيقول للجميع: "انظروا، لقد تغيرنا!"، في الوقت الذي يعرف فيه الجميع أن الداخل لم يمس.

السياسي الماكر يعرف أيضًا كيف يستغل العقوبات لصالحه. يستخدمها كورقة لعب في مواجهة خصومه، يُظهر نفسه كضحية لقرارات خارجية جائرة، ويلعب على وتر الوطنية. "نحن نتعرض للعقوبات لأننا نداقع عن سيادتنا"، يقول، ويجعل من نفسه بطلا يقف في وجه الطغيان. وفي نفس الوقت، يُواصل التفافه حول العقوبات بكل ذكاء، مستفيداً من التعاطف الشعبي الذي يولده خطابه البطولي.

العقوبات؟ ليست سوى عاصفة في كوب شاي. يمكنني أن أرتشفها على مهل، بينما يستمر كل شيء كالمعتاد. بهذه العقلية، السياسي لا يُغير. بل يلتف. يبتسم في وجه خصومه، ويُبقي اللعبة مستمرة.

وفي النهاية، لا يبقي سوى رجل يعرف كيف يلتف حول كل عقبة، يبتسم في وجه الجميع، ويُبقي اللعبة مستمرة. لأن السياسة، في النهاية، ليست سوى رقصة على أنغام لا يسمعها إلا من يفهم أن الفوز لا يتحقق بالالتزام بالقواعد، بل بكسرها دون أن يشعر أحد.

وهكذا، يظل قانون الالتفاف على العقوبات هو السلاح الذي لا يفقد بريقه. سلاح يُبقي السياسي في موقعه، محميًا من التأثيرات الخارجية، قادراً على التحايل على القوانين دون أن يتأثر. لأنه في النهاية، السياسة ليست سوى لعبة ذكاء، ومن يتقنها يعرف جيداً كيف يستغل كل عقبة لصالحه، وكيف يحول كل تحدٍ إلى فرصة جديدة للالتفاف والانتصار.

١١١- قانون السيطرة على الذاكرة : اعمل على طمس أحداث الماضي غير المريحة واستبدالها بأحداث تخدم مصلحتك.

في السياسة العراقية، حيث تُصاغ الحقائق كما تُصاغ الأحلام، يظهر قانون السيطرة على الذاكرة كأداة فريدة في يد السياسي المراوغ. هنا، لا يكون الماضي مجرد ما حدث، بل هو ما يُعاد كتابته بحرفية، كمن يستخدم الحبر السري، يختفي النص الأصلي ويُكشف عن نص جديد عندما يحين الوقت المناسب.

السياسي لا يتعامل مع الذاكرة الجماعية كحقيقة ثابتة؛ بل كلوحة زيتية غير مكتملة، يضيف إليها ما يشاء ويمحو منها ما يضر بمصلحته. يمحو الأحداث غير المريحة كما يمحى الغبار عن نافذة قديمة، ثم يُعيد رسم الماضي بحرفية تُضفي بريقًا على اللحظات التي يريد أن يتذكرها الجميع. الماضي بالنسبة له ليس سوى نص متحرك، يُكتب ويُعاد كتابته حتى يتناسب مع الحاضر الذي يريده.

حين يتحدث السياسي عن الماضي، يتلاعب بالأحداث كما يتلاعب الساحر بورقة تخفي سر اللعبة. يحذف الفصول المزعجة ويضيف أخرى بطولية، يجعل من الصغائر ملاحم عظيمة، ويحوّل الانكسارات إلى نقاط تحول تاريخية. ليس هدفه طمس الحقيقة فقط، بل إعادة خلقها لتخدم روايته الجديدة. يقول للجماهير: "لقد كنا دائمًا في صفكم"، لكن في الحقيقة، تلك الصفوف قد تبدلت مرات ومرات، لكنه يعرف جيداً أن الذاكرة الجماعية ليست سوى مجموعة من الصور المتقلبة، يمكن تشكيلها وتوجيهها حسب الحاجة.

السياسي يتقن فن صناعة الذكريات البديلة. كل حدث غير مريح يُدفن تحت ركام من الأحداث المصطنعة التي يروج لها كأنها الحقيقة الوحيدة. عندما يُسأل عن أخطاء الماضي، يُعيد تشكيل القصة بأسلوب يجعلك تتساءل: "هل حدث ذلك فعلا؟ أم أن ما أذكره ليس إلا وهمًا؟". إنه يعرف أن الناس يفضلون الحكايات البسيطة على الحقائق المعقدة، ولذلك

يقدم لهم نسخته من الماضي مغلفة بدراما مُتقنة، تُرضي مشاعرهم وتجعلهم ينسون ما لا يخدم مصالحه.

التحريف هنا ليس مجرد إعادة صياغة للتاريخ؛ بل هو بناء جديد بالكامل، كمن يعيد ترتيب أوراق كتاب، يحذف الفصول التي لا تناسبه ويضيف أخرى تتماشى مع أهدافه. الماضي في يد السياسي يصبح مثل صلصال مرن، يُشكله حسبما تقتضي الحاجة، ويجعل من كل انكسار درسًا، ومن كل هزيمة خطوة نحو الانتصار. يترك في ذاكرة الناس تلك الأحداث التي تُكرس صورته كقائد لا يُخطئ، ويطمس كل ما يمكن أن يُضعف هذه الصورة.

السياسي لا يمحو الذكريات السيئة فقط، بل يزرع في مكانها ذكريات جديدة، أكثر ملاءمة. كمن يُضيف ملاحظات هامشية إلى كتاب التاريخ، يضيف لمسات من المجد حيث لا يوجد، ويُزيل الشكوك حيث تكمن. كل مرة يعيد فيها صياغة الماضي، يخلق واقعًا جديدًا، واقعًا لا يتيح للحقائق القديمة مكانًا للظهور.

وفي كل مرة يعيد رواية قصة ما، يضيف إليها شيئًا جديدًا، يجعل منها أكثر درامية، أكثر إشراقًا. يُعيد تصوير الأحداث بحيث لا يتبقى من الماضي سوى نسخة محسنة، تتناسب مع الحاضر الذي يرسمه لنفسه. فلا عجب أن ينظر الناس إلى الماضي ويتذكرون ما يريدهم السياسي أن يتذكروه، بينما يبقى كل شيء آخر طي النسيان.

في النهاية، يعرف السياسي أن الذاكرة هي مفتاح المستقبل. فالشعب الذي لا يتذكر الحقيقة لا يطالب بها، والسياسي الذي يمسك بزمام الماضي يملك زمام الحاضر والمستقبل. هكذا، يُعيد كتابة التاريخ، يُحكم قبضته على الحاضر، ويظل مسيطرًا على كل ما سيأتي. لأن من يملك القدرة على تشكيل الذاكرة الجماعية، يملك القدرة على تشكيل العالم بأسره.

١١٢ - قانون تبديل الأدوار : احرص على تبديل دورك بين المصلح والمفسد وفقًا للظروف والمتطلبات .

في عالم السياسة العراقية ، حيث يتغير كل شيء كما تتغير الفصول ، يتقن السياسي المراوغ فن التحرك بين موجات الإصلاح ودوامات الفساد ، كطائر بارع يتنقل بين التيارات الهوائية ، يعرف كيف يستفيد من كل تيار ليظل محلقًا في سماء السلطة . هنا ، البقاء لا يعني الثبات ، بل يعني القدرة على التكيف والتلون وفقًا للظروف .

السياسي يدرك أن الجمهور يميل إلى تصديق ما يُعرض أمامه ، ولذلك ينفث سحر الإصلاح كالعطار الذي يُغطي رائحة العطب بعبق الزهور . يُبهر الناس بوعوده ، ويجعلهم يشعرون بأن التغيير قاب قوسين أو أدنى . لكن ما إن تتحول الرياح ، ويصبح دور المصلح عبئًا عليه ، ينقلب على عقبيه كالناسك الذي ترك صومعته ليتاجر في السوق . يُقلب المصالح كما يُقلب التاجر بضائعه ، يبيع الوهم لمن يشتري ، ويُبقي الجميع في حيرة دائمة .

السياسي لا يُغير موقفه اعتباطًا ؛ بل يتحرك بحذر ، يتجول في متاهات الضمير كمن يختار بين دروب ملتوية ، كل منها يقوده إلى مكسب . كل منعطف يضيف طبقة جديدة من الحيرة لدى من يحاولون تتبع خطاه . إنه يعرف أن في كل لحظة ، يمكنه استغلال الغموض لصالحه ، فيخرج من عباءة النقاء كالأفعى التي تُبدل جلدها ، يُعيد تشكيل ذاته مع كل دورة من دورات الزمن ، بينما يترك وراءه أثوابًا منسية لم تُرتدَ إلا في زمن الحاجة .

عندما ينجح في خلق حالة من الفوضى ، يعود ليُجدد دوره كالمصلح ، يُطفئ النيران التي أشعلها بنفسه ، ويحصد الثناء من الجميع . يُظهر نفسه كبطل ، يرفع راية السلام والاستقرار ، بينما كان هو من زرع بذور الفتنة في الخفاء . يمضي قُدمًا كما يمضي النساج الذي يحرك نول الأحداث ، يُبدل الخيوط بألوان تناسب كل موسم ، ويغزل مستقبلا يتبدل فيه القماش ليُخفي كل عيب .

وفي لحظات الانتصار الزائف، يقف السياسي مبتسمًا، وكأن دوره كالمصلح لم يكن سوى فصل آخر من فصول رواية لا تنتهي. يدرك أن الجماهير لا تطلب الحقيقة، بل تبحث عن بطل يُعلق عليه آمالها، سواء كان هذا البطل هو المنقذ الذي يظهر في الأزمات، أو ذلك الذي يختبئ خلف ستار الدهاء السياسي. الأهم أن يُبقي الجميع في حالة من الترقب، ينتظرون خطوته التالية، سواء كانت خطوة نحو الإصلاح أو نحو مزيد من الفوضى.

وفي النهاية، يظل السياسي مثل الزئبق، لا يترك أثرًا عند لمسه، ولا يتوقف عند حد. يدرك أن البقاء ليس لمن يقف صامدًا أمام العواصف، بل لمن يعرف كيف يذوب فيها ويُعيد تشكيل نفسه مع كل هبة ريح. هكذا، يظل قانون تبديل الأدوار هو السلاح الذي لا يفقد بريقه، سلاح يُبقي السياسي في موقعه، محميًا من كل تقلبات الزمن، قادرًا على التكيف مع كل موجة جديدة، سواء جاءت تحمل معها رياح التغيير أو عواصف الفوضى.

١١٣- قانون التأجيل الأبدي : قم بتأجيل كل قرار صعب حتى ينساه الجميع أو يصبح غير مهم.

في أروقة السياسة العراقية، حيث يُلعب الزمن كأداة في يد السياسيين الماكرين، يظهر قانون التأجيل الأبدي كفن لا يُتقنه إلا من يفهم أن القرارات الصعبة ليست لمواجهتها، بل لتجميدها. السياسي هنا لا يتخذ قرارات تحت الضغط، بل يضعها في صندوق زجاجي على رف الزمن، منتظراً أن يتراكم عليها الغبار وتبهت ألوانها، لتصبح مجرد لوحة قديمة في متحف مهجور لا يزوره أحد.

السياسي يدرك جيداً أن القرار الصعب يشبه جرحًا مفتوحًا؛ كلما تأخر العلاج، كلما نسيه الناس، أو أصبح جزءاً من روتينهم اليومي، حتى لا يعود أحد يهتم بإغلاقه. فهو لا يواجه المشاكل، بل يتركها تتخمر في برميل الزمن، يعلم أن في النهاية، سيتحول الصعب إلى أمر عابر، يُروى كحكاية قديمة لا تثير سوى التثاؤب.

لكن السياسي لا يتوقف عند هذا الحد؛ بل يتقن فن تعطيل عقارب الساعة. يترك الزمن يمر بينما يبقي الأمور كما هي، يتظاهر بأنه يتأمل الصورة الكبيرة بينما يدع التفاصيل الصغيرة تذوب في غياهب الانتظار. إنه يعلم أن بعض القرارات تصبح مثل ظلال المساء، تمتد لتغطي كل شيء، ثم تتلاشى تدريجيًا في ظلام النسيان.

السياسي ليس متردداً، بل يعرف أن في التأجيل حكمة خفية. فهو يدرك أن الزمن كفيل بتحويل الصعاب إلى مجرد حطام ماض، إلى رماد يُنسى تحت طبقات من الأيام المنقضية. كلما حانت لحظة اتخاذ القرار، يخرج مفكرة صغيرة، يكتب فيها بعض الملاحظات التي لا يقرأها أحد، ثم يضعها في درج مغلق بإحكام، يتركها هناك، يعرف أنها ستذبل مع الوقت، مثل زهرة مهملة لا تُسقى.

وفي كل مرة يلتف فيها حول القرار، يتظاهر بانتظار اللحظة المناسبة. لكن في الحقيقة، يترك عقارب الساعة تتآكل في صمت، يعلم أن الزمن يعمل لصالحه، وأن القضايا التي تبدو اليوم ملحة ستصبح غداً مجرد تفاصيل في الهامش. السياسي يفهم أن الزمن ليس عدواً، بل حليفًا خفيًا، يتحرك ببطء لكن بثبات نحو تحويل القرارات الصعبة إلى ذكريات باهتة.

وفي النهاية، يدرك الجميع أن القرار لم يكن بحاجة للتأجيل، بل كان بحاجة للنسيان. لكن السياسي يعرف أن في لعبة الزمن، من يؤجل هو من يربح، ومن ينتظر هو من يحكم. وهكذا، يبقى السياسي في موقعه، محمياً من كل تقلبات الزمن، قادراً على التكيف مع كل موجة جديدة، بينما تبقى القرارات الصعبة حبيسة الدرج، تنتظر لحظة لم تأتِ أبدًا.

١١٤- قانون الاستعانة بالماضي : اذكر دائمًا ما حققته في الماضي لتبرير فشلك الحالي.

في السياسة العراقية، يظهر قانون الاستعانة بالماضي كأداة سحرية في يد السياسي الماكر. هنا، لا يُستخدم الماضي كذكريات بل كمنجم من ذهب قديم، يُستخرج منه كلما ضاق الحاضر بالأزمات. فالسياسي يعرف جيداً أن الحاضر قد يكون غارقًا في الأزمات، لكنه يغرق الجماهير في بحر من الحنين، حيث يتلاشى الحاضر في ضباب الذكريات.

السياسي ينفخ في رماد إنجازاته القديمة ليشعل ناراً جديدة تضيء طريقه في حاضر مظلم. كلما اشتدت عليه الضغوط، يستحضر تلك اللحظات المجيدة، يشير إليها بفخر وكأنها حدثت بالأمس. يقول للناس: "تذكروا كيف كنّا، تذكروا تلك الأيام التي صنعنا فيها المجد!"، ويجعل من تلك الذكريات درعًا يصد به الانتقادات، وكأن الماضي هو الضمانة الوحيدة للبقاء في الحاضر.

لكن السياسي لا يكتفي بمجرد التذكير؛ بل يُعيد تشكيل الماضي بما يتناسب مع حاجاته الحالية. يحوّل إنجازات الأمس إلى أساطير يتغنى بها، يضخم من حجمها، ويجعل منها محطات مفصلية في تاريخ البلاد، كأنها كانت الأساس لكل ما أتى بعدها. وهكذا، يصبح الماضي شبحًا يُلاحق الحاضر، يُخيم على كل نقاش، ويُبعد الأعين عن فشل اليوم.

الجماهير تستمع إلى حكايات الماضي وكأنها تجرعة من الشراب المسكر، تُنسيهم مرارة اليوم، ولو للحظة عابرة. السياسي يعلم أن الناس يفضلون الخيال على الحقيقة، لذا يعيد سرد الماضي وكأنه يروي قصة أسطورية، يعرف أنها تحمل جزءاً من الحقيقة وكثيراً من الخيال، لكنه يدرك أن الخيال هو ما يسحر العقول ويصنع الأبطال.

وفي كل مرة يواجه فيها السياسي سؤالا عن فشله الحالي، يتراجع إلى الوراء قليلاً، ويبدأ في استحضار الماضي. "نعم، قد نواجه صعوبات

اليوم"، يقول مبتسمًا، "لكن تذكروا ما فعلناه في الماضي!"، وكأن الماضي هو الضوء الذي يُخفي ظلال الحاضر الثقيلة. يُعيد تدوير نفس الرواية مرارًا وتكرارًا، ليخلق جدارًا من الحنين حول إخفاقاته الحالية، جدارًا يصعب على الجميع اختراقه.

السياسي لا يذكر الماضي فقط، بل يعيد تشكيله، يضيف له بهارات جديدة، يجعل منه وجبة تُقدم على مائدة الحاضر الجائعة لأي بريق منَ الأمل. يُظهر نفسه وكأنه الرجل الذي لا يُقهر، من أنجز في الماضي ما يعجز الجميع عن إنجازه اليوم. يترك للجماهير خيارين: إما أن تعيش في الحاضر المليء بالشكوك، أو أن تعود إلى الماضي حيث كان كل شيء ممكنًا. وبطبيعة الحال، يميل الناس إلى الخيار الثاني، لأن الماضي يحمل في طياته الأمان والذكريات السعيدة التي لا تحتاج إلى مواجهة الحقائق الصعبة.

وفي النهاية، يبقى السياسي كمُنقب ماهر في منجم ذكريات، يعرف أن الذهب الحقيقي ليس في الحاضر، بل في تلك القطع اللامعة من الماضي التي يُعيد صياغتها لتناسب أهواءه. لأنه في لعبة السياسة، من يتحكم في السرد يتحكم في الزمن، ومن يمسك بزمام الماضي يمسك بمفاتيح المستقبل. وهكذا، يُعيد تشكيل واقع اليوم على نسيج من الذكريات المصطنعة، يلوح بها كراية لا تُهزم في وجه كل عاصفة.

السياسي، وهو يروي أمجاد الماضي، يدرك في سره أن تلك الإنجازات كانت محض صدفة، لكنه يعرف جيدًا كيف يحول الصدف إلى مقدرات تكتبها الأقدار. فلا شيء يضاهي قوة الذاكرة حين تُستخدم بذكاء، ولا شيء يُعادل براعة السياسي في تحويل تلك الذاكرة إلى سلاح يبرر به كل شيء، حتى فشله في مواجهة تحديات اليوم.

١١٥- قانون الإنكار الكامل : أنكر كل شيء مهما كانت الأدلة واضحة، فالتكرار يولد الإقناع.

في السياسة العراقية، حيث لا يُعترف بالخطأ ولا تحترم الحقيقة إلا بقدر ما تخدم المصالح، يبرز قانون الإنكار الكامل كواحد من أذكى الأساليب في ترسانة السياسي الماكر. هذا القانون ليس مجرد تكتيك دفاعي، بل هو فنٌّ بحد ذاته، فنٌ يُعيد تشكيل الواقع وفق إرادة صاحبه، ويحول الحقائق المزعجة إلى مجرد سراب يتلاشى كلما اقترب منه أحد.

السياسي المحنك يعرف أن العالم ليس مكانًا للحقائق الثابتة، بل هو مساحة للحقائق المرنة التي يمكن ليِّها وتشويهها حتى تتناسب مع الصورة التي يريد رسمها. هنا، لا يعني الإنكار رفضًا عابرًا أو مجرد تقليل من شأن الأدلة؛ بل هو عملية إعادة تعريف للواقع. السياسي ينكر بصلابة الجبال، لا يتزعزع حتى وإن كانت الأدلة تملأ الأفق كالجبال العالية، يعلم أن التكرار يولد الإقناع، وأن الحقيقة ليست إلا ما يُقال باستمرار حتى يُصدقها الجميع.

السياسي يبدأ بإنكار صغير، يُلقي به كحجر في بحيرة هادئة، فينتشر حوله دوائر من الشك. لا يهم أن تكون الأدلة واضحة كالشمس في كبد السماء؛ فهو يبتسم ويقول بكل ثقة: "لا، لم يحدث شيء من هذا القبيل." يتبع ذلك بتكرار مملوء بالثقة، وكأنه يُردد صلاة يومية، يعلم أن الجمهور، مثل قطيع يقادُ، سيتعود على النغمة المألوفة حتى تصبح جزءاً من واقعه. فما يُقال باستمرار يصبح بديهياً، وما يُنفى بلا هوادة يتلاشى من الذاكرة.

عندما يواجه الأدلة، لا يتراجع ولا يختبئ. بدلاً من ذلك، يُخرج أقوى أسلحته: الإنكار المطلق. يُشبه الأمر بالسحر الأسود، حيث يُخفي الساحر الحقيقة خلف حجاب من الكلمات الملتوية، يبتسم في وجه الجميع ويقول: "ما ترونه ليس حقيقة، بل مجرد وهم." وفي كل مرة يُكرر فيها

هذه الكلمات، يُرسخ في أذهان الناس فكرة أن ما يرونه قد يكون مجرد خدعة بصرية، وأن الحقيقة قد تكون شيئًا آخر تمامًا.

السياسي يُدرك أن الإنكار الكامل ليس فقط رفضًا للواقع، بل هو أيضًا هجوم على المنطق نفسه. يُهاجم المنطق بأسئلة مُصممة بعناية، يجعل كل دليل يبدو كأنه يحتاج إلى تفسير إضافي. "من أين جاءت هذه الأدلة؟ من وضعها هنا؟ لماذا تظهر الآن؟" يطرح هذه الأسئلة بمهارة، وكأنما يكشف عن مؤامرة خفية لا يراها إلا هو. إنه يعرف أن الناس، أمام هذه الأسئلة، سيبدأون في الشك في كل شيء، حتى في تلك الأدلة التي كانت تبدو غير قابلة للجدل.

ومع مرور الوقت، يصبح الإنكار ليس مجرد تكتيك، بل عقيدة ثابتة. السياسي يكرر أقواله بلا ملل، يعرف أن الزمن يعمل لصالحه، وأن الناس يميلون إلى نسيان ما لا يُكرر عليهم. كلما سمعوا نفيًا جديداً، تلاشت جزءٌ من الذاكرة الأصلية، وانقلبت الحقائق رأسًا على عقب. في النهاية، ما يبقى في الأذهان ليس الأدلة، بل صوت الإنكار القوي الذي يصم الآذان.

السياسي المحنك لا يترك شيئًا للصدفة. عندما يتحدث، لا يُلقي الكلمات عبثًا؛ بل يُلقيها كالبذور في تربة خصبة، يعلم أنها ستنمو مع الوقت. يزرع الإنكار في كل خطاب، في كل تصريح، وفي كل لقاء. يعرف أن تكرار الإنكار كاف لجعل الناس يشككون في ذاكرتهم، يتساءلون: "هل كان هناك شيء فعلاً؟ أم أن الأمر كله كان مجرد وهم؟"

وفي نهاية المطاف، يظل السياسي في موقعه، غير مُبال بما يقال عنه، لأنه يعرف أن الحقيقة ليست سوى ورقة شجر تهتز في مهب الريح، بينما إنكاره يقف كالشجرة العتيقة، تتجذر في الأرض، ثابتة لا تهتز. يدرك أن الإنكار الكامل، إذا ما استُخدم بحنكة، يمكن أن يُعيد تشكيل الواقع، يمكن أن يُحوّل الأبيض إلى أسود، والأسود إلى رمادي، حتى لا يبقى من الحقيقة سوى ظلال باهتة تذوب في ضباب النسيان.

وفي لعبة السياسة، من يملك القدرة على الإنكار الكامل، يملك القدرة على كتابة التاريخ من جديد. يعرف أن من ينكر بثقة يستطيع أن يقلب الطاولة على خصومه، ويُبقي الأمور كما يريدها أن تكون، مهما كانت الحقيقة تسير في اتجاه آخر. لأن السياسة، في نهاية المطاف، ليست إلا فن التحكم في الواقع، ومن يُتقن هذا الفن لا يحتاج إلى الحقائق، بل إلى القدرة على إعادة تعريفها كما يشاء.

١١٦- قانون التسلل عبر التناقضات: استفد من تناقضات القوانين والدستور لتمرير قراراتك المشبوهة.

في السياسة العراقية، يظهر قانون التسلل عبر التناقضات كأحد أكثر الأدوات براعة في يد السياسي الماكر. هنا، القوانين ليست قواعد صارمة بقدر ما هي شبكة متداخلة من الفرص، كل تناقض فيها هو ممر خفي، وكل ثغرة هي بوابة تُفتح لمن يعرف كيف يلج عبرها دون أن يُلحظ.

السياسي ينظر إلى القوانين كمتاهة معقدة، يعرف مداخلها ومخارجها، وكل زاوية مظلمة فيها تحمل له فرصة ذهبية للتلاعب. لا يرى فيها عوائق، بل كنوزاً مخبأة بين السطور، ينتظر اللحظة المناسبة ليكشف عنها ويحولها لصالحه. إنه لا يمر بين التناقضات فحسب، بل يعيد ترتيبها كما يعيد الساحر ترتيب أوراقه ليخرج منها بما يناسب حيله.

بابتسامة خفية يخطو السياسي نحو كل تناقض جديد، يشعر وكأنه اكتشف نبعًا خفيًا من الذهب، يظل ينقّب فيه حتى يستخرج منه ما يكفي لتمويل مشاريعه المشبوهة. كل تناقض في القانون هو بالنسبة له كالشيفرة السرية التي يفتح بها أبوابًا كانت مغلقة في وجه غيره، يجيد قراءة النصوص بشكل يجعلها تنحني لإرادته، كطاهي ماهر يُخفي السم في طبق فاخر لا يُثير الشكوك.

السياسي يعلم أن الجمهور لا يملك الصبر ولا المعرفة لتفكيك هذه التناقضات المعقدة، فيستغل ذلك كما يستغل الماكر غفلة الحشود. يُقدم قراراته وكأنها مستمدة من عمق النصوص، بينما هي في الواقع ليست سوى نتيجة لعملية دقيقة من ليِّ الحقائق وإعادة تشكيلها. في كل مرة يواجه نصًا متعارضًا، يبتسم ابتسامة يعرفها جيداً من اعتاد على الفوز، ثم يبدأ في نسج تفسيراته الدقيقة، تاركًا وراءه أثراً غير مرئي في صفحات التاريخ.

السياسي يدرك أن التناقضات هي أكثر من مجرد ثغرات؛ إنها أدوات بيد من يعرف كيف يحركها لصالحه. يُفسر الفقرة بما يخدم مصالحه، يُضيف تفسيراً جديداً هنا، ويتغاضى عن تفسير آخر هناك. يعلم أن قوانين اللعبة هي ما يضعها، وأن الحبل الذي يلتف حول رقاب خصومه قد يكون نفس الحبل الذي يربطهم به في النهاية.

ومع مرور الوقت، يُصبح السياسي كالمتسلق الماهر الذي يلتف حول العقبات الصعبة، يجد في كل تناقض الدرب السري الذي يقوده نحو هدفه. يعلم أن التناقضات القانونية ليست عقبات تعترض طريقه، بل هي الأحجار التي يبني بها صرحه، يصقلها ويشكلها لتناسب رؤيته. يمضي قدمًا، يمزج بين النصوص كما يمزج الكيميائي عناصره، ليخرج في النهاية بمركب جديد يلمع في عيون الجميع، بينما هو وحده يعلم أنه لم يكن إلا مجرد خليط من التناقضات المحبوكة بإتقان.

وفي كل مرة يتمكن فيها من تمرير قرار مشبوه، يشعر وكأنه قام بخدعة سحرية أبهرت الجميع، دون أن يدرك أحد كيف تم تنفيذها. يستخدم السياسي التناقضات لخلق ضباب كثيف يغطي الحقيقة، يجعل من الصعب على أي شخص تتبع مسار الأحداث، أو فهم الكيفية التي تم بها تمرير هذا القرار أو ذاك. يعرف أن الزمن كفيل بجعل الناس ينسون التفاصيل، وأن الأهم هو النتيجة النهائية: قراراته تم تمريرها، والسلطة أصبحت أكثر تركيزاً في يديه.

السياسي، وهو يتنقل بين ثغرات القوانين، يدرك أنه في يوم من الأيام قد يتعرض للخيانة من نفس التناقضات التي استغلها، لكن حتى ذلك الحين، يواصل لعبة الشطرنج المعقدة التي لا يفهم قواعدها إلا هو. إنه يعرف أن التسلل عبر التناقضات ليس مجرد وسيلة، بل هو الطريق الأمثل لفرض السيطرة دون إثارة الشكوك. يبقى واقفًا وسط غابة القوانين المتشابكة، يعلم أنه الوحيد الذي يحمل خارطة هذا المكان المعقد.

وفي النهاية، يظل السياسي مثل نحات ماهر، يشكّل القوانين على هواه، يعلم أن التناقضات هي الطين الذي يصنع منه تماثيله الخاصة، التي تتألق في عيون الجمهور بينما تخفي وراءها وجوهًا أخرى لا يراها أحد. إنه يعلم أن في لعبة السياسة، من يعرف كيف يتلاعب بالتناقضات، يعرف كيف يُسيطر على كل شيء دون أن يُثير غبارًا، ودون أن يترك أثرًا يمكن تتبعه.

١١٧ – قانون تقديم الشكوى : عندما تُهاجَم، كن أنت أول من يقدم شكوى ضد المهاجم لتبدو كأنك الضحية.

في السياسة العراقية، حيث تُصاغ المكائد ببراعة، يُعتبر "قانون تقديم الشكوى" أحد أذكى الأسلحة التي يتقن استخدامها السياسيون المحنكون. هذا القانون ليس مجرد استراتيجية بسيطة، بل هو أشبه برقصة معقدة تحتاج إلى خفة حركة ودهاء فطري لإتقانها. عندما تجد نفسك محاصراً بالاتهامات، وعندما تبدأ السهام تُوجه نحوك من كل حدب وصوب، فإن أفضل دفاع هو الهجوم. ولكن ليس أي هجوم، بل هجوم يجعل من خصمك نفسه يتساءل: "هل أنا الجاني أم الضحية؟".

تخيل نفسك في ساحة معركة، والخصم يهمّ بالهجوم عليك، بينما تُشهر أنت سيفك، ولكن ليس لقتاله، بل لتجهيز وثيقة شكوى رسمية ضده. نعم، بدلا من التورط في مشاحنة لفظية أو معركة قاسية، تسبق خصمك بخطوة، وتوجه له ضربة استباقية تُظهره وكأنه الوحش الذي هاجمك وأنت المسكين الذي لم يكن يبحث سوى عن السلام. هنا، الفكرة ليست في كسب المعركة، بل في تغيير قواعد اللعبة بأكملها لصالحك.

السياسي الماهر لا يكتفي بتقديم الشكوى، بل يجيد أيضًا فن إلباسها رداء الضحية البريئة. يبدأ بالتلويح بقصة حزينة تُثير الشفقة، وكأنه يقول: "لقد هاجمني هذا الخصم الغاشم، وأنا الذي لم أسعَ إلا للخير". وفي حين ينهمك الناس في مواساة "المظلوم"، يكون قد نجح في قلب الطاولة، وجعل الخصم يركض في أروقة المحاكم دفاعًا عن نفسه، بدلاً من التركيز على الهجوم.

الشكوى هنا ليست مجرد وسيلة للدفاع، بل هي قنبلة دخانية تُخفي بها كل الأدلة التي قد تدينك، وتُبقي الأنظار بعيداً عن ممارساتك التي قد تكون السبب الحقيقي للهجوم. إنها كالشبكة التي تُلقى على فريستك،

تُقيد حركته وتُربكه، وتمنحك الوقت الكافي لترتيب صفوفك، وإعداد الرد المناسب في اللحظة الحاسمة.

وفي وسط كل هذا الزخم، لا تنسَ أن تضيف لمسة من التباكي المهذب، لتجعل من نفسك مثالًا حيًا للبراءة المُغتصبة. تُنكر بشدة، ترفع صوتك، وتُلوح بيديك كما لو كنت ترفض بعنف كل تلك التهم الباطلة، بينما في أعماقك تُدرك أنك أوقعت خصمك في الفخ. هو الآن مشغول بالدفاع عن نفسه، بينما تكتسب أنت تعاطف الجمهور، وربما حتى تحصد بعض النقاط الإضافية من أولئك الذين يرونك كضحية لنظام جائر.

العبقرية في هذا القانون تكمن في أنك تُخفي الحقيقة تحت أكوام من الأكاذيب المقنعة. تُصبح أنت الراوي للقصة، وتضع خصمك في موقف يُجبره على التبرير والدفاع، بينما تتظاهر أنت بالبراءة والعفة. وهكذا، يُصبح خصمك عالقًا في دوامة من الاتهامات، لا يعرف كيف يخرج منها، بينما تظل أنت مرفوع الرأس، وقد نجحت في تحويل الهجوم إلى فرصة لعرض مظلوميتك المُفبركة.

وفي ختام هذا المشهد الدرامي، لا يسعك إلا أن تُطلق ضحكة صغيرة في سرك، فأنت تعلم جيدًا أن الخصم، مهما حاول، لن يستطيع أن يبرئ نفسه بسهولة من هذه الفخاخ المحكمة. لقد قلبت الطاولة، وأثبتت مرة أخرى أن البقاء في عالم السياسة ليس لمن يمتلك الحقيقة، بل لمن يُجيد فنون التلاعب بالوقائع وتقديم الشكاوى في الوقت المناسب.

فهنيئًا لك، أيها السياسي الداهية، على هذه المناورة الذكية، ولتستمر في السير على هذا الطريق، فأنت تعلم أن في السياسة، كما في الحياة، ليس المهم أن تكون على حق، بل أن تجعل الآخرين يصدقون أنك كذلك، حتى لو كان الثمن هو تحويل نفسك إلى ضحية في مشهد أنت من أخرجه وأنت من كتب نصه.

١١٨- قانون استغلال المناسبات : استغل كل مناسبة وطنية أو دينية لتعزيز صورتك وتثبيت سلطتك.

في عالم السياسة العراقية، يظهر قانون "استغلال المناسبات" كأداة خفية بيد السياسي المحنك، الذي يعرف كيف يحول كل لحظة من التاريخ إلى صفحة في كتاب مآثره. هذا القانون ليس مجرد تكتيك عابر، بل هو فنٌّ يتطلب براعةً وحذقًا، حيث تُستثمر المناسبات الوطنية والدينية لا لتكريم ذكرى أو تعزيز الوحدة، بل لتعزيز صورة الزعيم، ذلك القائد الذي يختبئ وراء الأقنعة، ويمسك بزمام الأمور، لا لكي يقود، بل لكي يبقى في القمة مهما تغيرت الرياح.

تخيل نفسك، أيها القائد، في ساحة تعج بالجماهير، عيونهم تتطلع إليك كما تتطلع العصافير إلى السماء في انتظار هطول المطر. اليوم هو يوم ذكرى وطني أو ديني، والجميع منتظر لسماع كلمتك. ولكنك، بفطنتك، تعلم أن هذه المناسبة ليست مجرد محطة للتذكر والتأمل، بل هي فرصة ذهبية لتوطيد حكمك. كيف لا، وأنت تستطيع أن تستحضر الرموز التاريخية، تلك التي ترقد في ذاكرة الشعب، وتربط نفسك بها بخيوط دقيقة من الخطابة البليغة.

هنا، لا تكتفي بالسير على خطى من سبقوك. بل تحوّل المناسبة إلى منصة للتألق الشخصي. فبينما يرتدي الآخرون عباءة الخطباء، تُبدع أنت في نسج خطاب يُحاكي السماء في بلاغته، ولكن ليس لأي سبب سوى لتلميع صورتك كزعيم أوحد، وكأنك الجسر الذي يمتد بين الماضي المجيد والحاضر المرتبك. وأنت تعلم، أيها الماكر، أن الجماهير، التي تتوق إلى البطل، ستجد في كلماتك بلسماً لجراحها، حتى وإن كانت جراحًا أنت من تسبب بها في المقام الأول.

لكن لا تقف عند حدود الكلمات، فالفعل الصامت أحيانًا أكثر تأثيراً. تذكر كيف كانت الجموع تحتشد حول كربلاء، باحثةً عن العزاء في ذكرى الحسين. هنا، يمكنك أن تظهر نفسك كما لو كنت حسينًا جديداً، متسلحًا

بالعدالة الإلهية ضد قوى الظلم التي تتربص بك. لكنك تعلم، في أعماقك، أن هذا الظلم ما هو إلا ظلٌ صنعته بيديك، ليظل الشعب يتعاطف معك، يخشى عليك كما يخشى على رمزه المقدس.

في هذا اليوم المشهود، تتحول من مجرد سياسي إلى أسطورة حيّة، تتنقل بين عبارات القرآن الكريم وحكايات الأئمة، لتُكسب نفسك شرعية إلهية لا يمكن لأي معارض أن يجادلها. لكن، هل توقفت هنا؟ بالطبع لا. فأنت تُدرك أن المناسبة ليست سوى ساحة معركة صغيرة في حربك المستمرة على السلطة. وما المناسبة إلا سلاح في يدك، توجهه بحنكة لتوجيه الضربات إلى خصومك، حتى في غيابهم.

وفيما يتأمل الشعب قُدسية الموقف، وأنت تذرف الدموع على الشهداء، تُدير عيناك بحذر نحو الأفق، متيقنًا أن لا شيء يجب أن يفلت من قبضتك. قد يكون خصمك جالسًا في منزله، ولكنه يستشعر تلك الطعنة الغادرة التي أرسلتها إليه، مغلفة في عبارات الرثاء والتعاطف. هكذا، تدير اللعبة، وتجعل من المناسبة الوطنية ساحةً لتصفية الحسابات، دون أن تشعر أحدًا بذلك.

ولكن، لا تنسى دور الإعلام في هذا العرض الكبير. فكيف سيعرف الشعب بطولتك إذا لم تُنقل الصورة على الهواء مباشرة؟ الكاميرات تدور، والمراسلون يهللون، والصور تُبث في كل بيت. أنت الواقف هناك، وسط الجموع، تهتف باسم الحق والعدالة، بينما يتدفق عليك سيل من التعليقات المؤيدة، التي نظمتها بعناية خلف الكواليس.

ولكي تكتمل الحيلة، لا بد أن تُضيف لمسة من الكرم الحاتمي. ربما تُعلن عن مشروع خيري، أو تدعو الناس إلى التآخي والتسامح، وتظهر نفسك كالقائد الذي لا ينام إلا وقد حُلت كل مشاكل رعيته. ولكن، هل هذا حقًا ما يهمك؟ بالطبع لا. فأنت تعلم أن هذه المبادرات ستضيع في بحر من البيروقراطية، ولكن المهم أن الصورة قد رُسمت، وقد حفرت في ذاكرة الناس.

وفي لحظات كهذه، تبرز عبقرية استخدام الدين في تثبيت سلطتك. لم تكن الخطبة مجرد كلمات فارغة، بل كانت جسراً تصل به إلى قلوب الناس، وتجعلهم يشعرون أن وجودك على رأس السلطة ليس خياراً، بل ضرورة. تُذَكرهم بأن غيابك يعني عودة الفوضى، وأنك الحارس الأمين على إرثهم ومعتقداتهم. وهكذا، حتى في أكثر اللحظات تديناً، تظل أهدافك دنيوية بامتياز.

لكن ما الذي يجعل هذا التكتيك ناجحًا بهذا الشكل؟ إنه التكرار الذكي. فكلما حلت مناسبة جديدة، تعود لتؤكد على نفس الرسائل، لكن بطرق مختلفة. وكأنك تُعيد تشكيل القصة القديمة بأسلوب حديث، فيُقنع الناس أن حكايتهم لم تنته بعد، وأنك أنت من سيكملها. وكلما ازدادت المناسبات، زادت فرصكَ لتعزيز هذه الصورة، حتى تُصبح جزءًا لا يتجزأ من هوية الأمة.

وفي الختام، عندما يسدل الليل ستاره، وتُطوى صفحات اليوم الحافل، تعود إلى مقرك، لتبتسم لنفسك وأنت تُفكر في كم من المناسبات القادمة ستتيح لك المزيد من الفرص لتثبيت سلطتك. تعرف جيداً أن استغلال المناسبات ليس مجرد وسيلة للتواصل مع الناس، بل هو حجر الزاوية في استراتيجيتك للبقاء على القمة. ففي عالم السياسة العراقية، حيث يتشابك الدين مع السلطة، تكون المناسبات الوطنية والدينية هي السيف الذي ترفعه لتحمي به عرشك، وتُبعد عنك شبح المعارضة.

هكذا، تسير الأيام، وتظل أنت القائد الذي لا يُهزم، ليس بقوة الحق، بل بحنكته في تحويل كل فرصة إلى دعامة جديدة في قصر سلطته الشاهق. والجماهير، تلك التي تتبعك في كل خطوة، تظل تعيش في وهم أن قائدها يسير بها نحو النور، بينما تعلم أنت جيداً أن كل ما تفعله هو الإبقاء على شعلة السلطة مشتعلة، لتظل أنت وحدك في مركز الضوء، محاطًا بهالة من القداسة الزائفة، بينما تبقى الحقيقة مطمورة تحت ركام الخطاباتً والمظاهر البراقة.

١١٩ - قانون السيطرة على الفضاء الرقمي : اعمل على التحكم في وسائل التواصل الاجتماعي لضمان انتشار روايتك.

في عصر باتت فيه "اللايكات" هي العملة الرائجة، والتغريدات أشبه بما كانت عليه المنشورات الثورية في الأزمنة الغابرة، يتعين على السياسي المحنك أن يكون سيداً في فن السيطرة على الفضاء الرقمي. لم تعد الساحات العامة ولا الميادين التقليدية هي ميادين المعركة الحقيقية، بل تحولت هذه المعارك إلى ساحات رقمية حيث يجلس الناس على أرائكهم الوثيرة، يتصفحون الأخبار والأفكار بلمسة من إصبع. وهنا، في هذا العالم الافتراضي، تبرز الحاجة إلى "قانون السيطرة على الفضاء الرقمي"، الذي يُعنى بتحويل تلك المنصات الحديثة إلى ميدان يتحكم فيه الزعيم بأدق تفاصيل الرواية.

تخيل نفسك، أيها السياسي البارع، جالسًا في مكتبك الواسع، محاطًا بشاشات تضيء باللون الأزرق الفاتن لشبكات التواصل الاجتماعي. أنت لا تحتاج إلى جيوش جرارة ولا لأسلحة دمار شامل؛ كل ما تحتاجه هو جيش من "البوتات" والخبراء في فنون التلاعب بالرأي العام. هؤلاء الجنود الرقميون هم سلاحك السري، ينطلقون في هدوء ليفتحوا لك أبواب السيطرة على العقل الجمعي، لا بالسيوف والرماح، بل بالتغريدات والميمات.

لا تتعجل، فهذه المعركة تتطلب صبراً ومهارة. في البداية، تدرك أن كل منصة اجتماعية هي بمثابة مدينة مفتوحة. لكل مدينة أسوارها وحراسها، لكنك تعرف جيداً كيف تتسلل عبر تلك الأسوار، تزرع جواسيسك بين الصفوف، حتى يصبح صوتك هو الصوت الوحيد الذي يسمعه الجميع، سواء أرادوا ذلك أم لا. وأنت تدرك، أيها الخبير في فنون السياسة الرقمية، أن هذه المنصات تحبذ النكات الخفيفة والميمات المرحة، فتبدأ بإغراق الفضاء الرقمي بتلك الصور الطريفة التي تُخفي خلفها أجنداتك.

لكن، ما أجمل هذه اللعبة حينما تبدأ بإطلاق الإشاعات، تلك الأخبار المزيفة التي تُغرس في عقول الناس كما تُغرس الأشجار في الحدائق. بيدك، تكتب تغريدة هنا وتعليقًا هناك، وفي لمح البصر تجد أن "الترند" قد أصبح ملك يديك. حتى ألد أعدائك يجدون أنفسهم غارقين في دوامة من الاتهامات والافتراءات التي نسجتها بمهارة، بينما تظل أنت خلف الستار، مبتسمًا، تتأمل كيف تتصاعد ألسنة النيران التي أشعلتها بلمسة من أصابعك.

وفي هذا الفضاء الرقمي، لا تغفل عن استخدام الأسلحة الفتاكة الأخرى: الفلاتر الرقمية. تُظهر نفسك بوجه مُشرق وابتسامة واثقة، تتحدث بلغة الشباب، تستخدم الرموز التعبيرية التي تجذبهم إليك كما تجذب الأضواء الفراشات. كل صورة تنشرها، كل كلمة تكتبها، تُصمم بعناية لتبدو وكأنها خارجة من قلبك، بينما تعلم جيدًا أنها ليست سوى جزء من حملة ضخمة تهدف إلى تثبيت صورتك كقائد لا يُنافس.

وإن حدث وظهر معارض يهدد هذه السيطرة، فلا تقلق؛ فوسائل التواصل الاجتماعي تحت سيطرتك. توجه جيشك الرقمي للرد عليه، ليس بالحجج المنطقية، بل بتقارير وهمية، تعليقات لاذعة، وصور مفبركة تُنشر على أوسع نطاق. في ساعات قليلة، تجد أن صوته قد ضاع وسط الضجيج، وأنه لم يعد يمثل تهديدًا لك. بل الأكثر من ذلك، تجد أن الناس قد بدأوا يتساءلون: من هو هذا الذي تجرأ على معارضة القائد المحبوب؟

لكن، أيها السياسي الداهية، لا تكتفي بالهجوم فقط؛ عليك أن تبني حصونك الرقمية. تُنشئ صفحات ومجموعات، تحيط نفسك بجدار من المتابعين المخلصين، الذين يرددون كالببغاوات كل كلمة تكتبها. هؤلاء هم حرسك الرقمي، الذين سيقفون دائمًا بجانبك، يدافعون عنك بكل شراسة، وكأنهم هم أنفسهم من يواجه الخطر. وكلما زاد عددهم، زادت قوتك، حتى تصبح روايتك هي الحقيقة الوحيدة التي يؤمن بها الجميع.

وما أجمل لحظة النصر، عندما تُطلق تغريدة بسيطة، فتجدها تنتشر كالنار في الهشيم، تُعاد تغريدها آلاف المرات، وتصبح حديث الجميع. هنا، تعرف أنك قد نجحت في السيطرة على الفضاء الرقمي، وأنك قد أحكمت قبضتك على عقول الناس وقلوبهم. فحتى وإن كانت الحقيقة في مكان آخر، فإن الناس لا يرون سوى ما تريدهم أن يروا، ويسمعون فقط ما ترغب في أن يسمعوه.

وفي نهاية المطاف، حينما تجلس في نهاية اليوم، تُراجع كل تلك الإنجازات التي حققتها عبر شاشاتك، تدرك أنك لم تعد بحاجة إلى خوض المعارك التقليدية. لقد أصبحت السيطرة على الفضاء الرقمي هي مفتاحك الذهبي للبقاء في السلطة، وعلمت الآخرين درساً مهماً: في عصر الإنترنت، تكون القوة لمن يعرف كيف يحرك القلوب والعقول بلمسة من أصابعه.

فهنيئًا لك، أيها السياسي الماكر، على هذا النصر الرقمي الذي حققته دون أن تترك أثراً. فقد أضحت وسائل التواصل الاجتماعي ساحة لعبك المفضلة، حيث تتحكم في كل شيء، من دون أن يجرؤ أحد على مجابهتك. لقد أصبحت سيد العالم الرقمي، الزعيم الذي لا يُهزم، ليس بالسيف والرمح، بل بالحروف والصور والميمات.

١٢٠- قانون المساومة المستمرة : لا تقبل بأي اتفاق دون أن تترك مساحة للمساومة في المستقبل.

في السياسة العراقية، ينمو "قانون المساومة المستمرة" ككائن حي يتغذى على عدم اليقين ويعيش في ثنايا الشكوك. هنا، في هذا العالم الذي يبدو فيه الثبات نقيصةً، يدرك السياسي المحنك أن كل اتفاق يُعقد يجب أن يظل عُرضة للتفاوض، وأن الأبواب التي تُغلق بإحكام هي تلك التي تتركه عالقًا في نهاية المطاف. فالذكاء ليس في تحقيق التوافق، بل في ترك هامش دائم للتحرك، لليد الخفية التي تدفع نحو تغيير المواقف في اللحظة المناسِبة.

تخيل، أيها السياسي الداهية، أنك جالس في غرفة اجتماعات، محاطًا بأوراق الاتفاقات التي تبدو للناظرين من الخارج كعقود أبدية. أمامك يجلس خصومك، ينتظرون منك التوقيع الحاسم. أنت تبتسم، تتأمل في أعينهم تلك النظرة التي تعكس الثقة بأنهم قد حاصروك في زاوية. لكنك، ببرودة الجليد الذي يخفي تحته تيارات ساخنة، تعلم أن كل توقيع منك هو مجرد بداية لجولة جديدة من المساومات، ليس نهاية.

وأنت تتحدث، تتحرك الكلمات من فمك كنسيم هادئ، لكن في داخلك تشتعل نيران الطموح. تترك في بنود الاتفاق ثغراتٍ صغيرة، أشبه بفتحات في قارب، تُبقي القارب طافيًا لفترة، ولكنها تضمن أنه سيحتاج إلى الصيانة في وقت لاحق. تقول بهدوء: "هذا الاتفاق خاضع لإعادة التقييم بناءً على المتغيرات"، وهي جملة تبدو بريئة ولكنك تعلم، كما يعلم الحائك البارع في خياطة ثيابه، أنها تترك مساحةً لتفكيك هذا النسيج وقتما تشاء.

ولأنك سيد فنون المساومة، لا تترك مجالا للطرف الآخر للشعور بالراحة التامة. بينما يظن خصومك أنهم قبضوا على الاتفاق بيد من حديد، تكون قد وضعت نفسك في موقف المتأهب، تنتظر الفرصة المناسبة لتوجيه ضربة جديدة تُعيد خلط الأوراق. كل كلمة تنطق بها تحسب بميزان دقيق،

ليس فقط لتُرضي الحاضرين، بل لتضمن أن هذا الرضا مؤقت، وأنه سيحتاج إلى تجديد في المستقبل.

في داخل هذه اللعبة المتواصلة، هناك بعدٌ نفسيٌ عميق؛ فيكمن سرك في قدرتك على إشعار الآخرين بالأمان بينما تحكم قبضتك على نواياك الحقيقية. تدرك أن التحكم في المفاوضات ليس فقط في السيطرة على الحاضر، بل في جعل الآخرين يعتقدون أنهم يملكون المستقبل. تُوهمهم بأنك قد تنازلت، بينما الحقيقة أنك قد وضعت الأساس لجولة جديدة من المساومات. هنا تظهر عبقريتك: تجعلهم يطمعون في إتمام الاتفاق، بينما تحتفظ أنت بحقك في تغيير قواعد اللعبة عندما يحين الوقت.

واللعبة لا تقتصر فقط على المساومة داخل غرف الاجتماعات، بل تمتد لتشمل كل ما يتعلق بحياتك السياسية. تدرك أن هذا القانون ليس مجرد وسيلة لتحقيق مكاسب على المدى القصير، بل هو أسلوب حياة، استراتيجية تمكنك من السيطرة على الزمن. فلا تترك أي اتفاق يصل إلى نهايته المطلقة، بل تجعل من كل نهاية بداية لمساومة جديدة، وكأنك تحرك الرمال في ساعة رملية، تُبقي الزمن تحت سيطرتك.

وفي أثناء ذلك، لا تنسَ إظهار صورة القائد الذي يُضحي من أجل مصلحة الوطن، الذي يترك مجالا للتفاوض من أجل "الاستجابة للمتغيرات". هذه الصورة هي التي تجعلك تتسلل إلى عقول الآخرين كقائد مرن، لكنه حازم. بينما في أعماقك، تعلم أن هذه المرونة ليست إلا سلاحًا خفيًا، يمكن استخدامه للانقلاب على كل شيء عندما تتطلب الحاجة.

لكن ما يميزك حقًا، أيها السياسي، هو قدرتك على التلاعب بالزمن والتوقعات. تدرك أن التحكم في الوقت هو سلاح آخر لا يقل أهمية عن التحكم في المضمون. تماطل حينًا، تُسرع أحيانًا أخرى، حسبما تقتضي مصلحتك، دون أن يدرك خصومك أن كل لحظة تمر هي جزء من خطتك الكبرى. تجعلهم يشعرون وكأنهم يقتربون من الهدف، لكنهم دائمًا ما يجدون أنفسهم بعيدين خطوة عن الحقيقة، خطوة عن ما تطمح إليه حقًا.

وحتى في اللحظات التي يظهر فيها الاتفاق على أنه قد أُغلق، تظل أنت تحتفظ بتلك الابتسامة الغامضة التي تترك الآخرين في حالة من الترقب. يعرفون أن شيئًا ما قد فاتهم، لكنهم لا يعرفون ماذا. إنك تجيد فنون المساومة حتى في الانتصار، تجعل من كل نجاح مقدمة لنجاح آخر، وكأنك تنسج خيوطًا غير مرئية تربط بها كل ما يحدث الآن بما سيحدث لاحقًا.

وبعد أن تُغلق أبواب الاجتماعات وتذهب إلى عرينك لتراجع ما حدث، تعرف أنك قد أبرمت اتفاقًا ليس لمرة واحدة، بل للعديد من المرات القادمة. اتفاقًا يُبقي اللعبة مستمرة، يُبقيك في مركز القوة، ويترك الآخرين في حالة من اللهفة لما سيحدث بعد ذلك. في عالم السياسة، لا يكون الفوز لمن يُنهي اللعبة، بل لمن يُبقيها مستمرة، ومن يعرف كيف يجعل كل اتفاق خطوة في طريق طويل لا ينتهي أبدًا.

فهنيئًا لك، أيها السياسي المحنك، على هذا الفن الذي أتقنته. لقد حولت المساومة المستمرة إلى سلاح لا يُقاوم، وإلى أسلوب لا يُضاهى في البقاء على القمة. وفي حين يعتقد الآخرون أنهم قد حسموا الأمور، تظل أنت الوحيد الذي يعرف أن القصة لم تبدأ بعد، وأن كل نهاية ليست إلا بداية جديدة، وكل اتفاق ليس إلا فصلا في كتابٍ لا يُكتب إلا بيديك.

١٢١- قانون إعادة التدوير السياسي : استخدم نفس الأفكار والسياسات الفاشلة مراراً وتكراراً مع تغييرات بسيطة في الاسم.

في السياسة العراقية، حيث تلتقي الحنكة بالمكر، وتتعانق الوعود بالخيبة، ينبثق قانون "إعادة التدوير السياسي" كسر دفين بين سطور الدساتير غير المكتوبة. هنا، في هذا العالم الذي تبدو فيه التجديدات كأشباح لا تكاد تظهر إلا لتختفي، يعرف السياسي المحنك أن النجاح ليس في تقديم الجديد، بل في إعادة تغليف القديم وإلباسه ثوباً من الحداثة البالية. فعندما تفتقر إلى الأفكار الجديدة، وحينما تعجز عن الخروج من دائرة الفشل، فما عليك إلا أن تتقن فن إعادة التدوير، حيث تتحول السياسات المهترئة إلى ابتكارات ساحرة، ليس لأن لها قيمة، بل لأن الناس قد نسوا أنها هي نفسها التي خيبت آمالهم بالأمس.

تصور نفسك، أيها السياسي الخبير، واقفاً أمام جمهورك، وتعلم أن وعودك السابقة قد تلاشت كما يتلاشى الدخان في الهواء. قد يعتقد البعض أن وقتك قد انتهى، وأنك بحاجة إلى أفكار جديدة لتحافظ على مكانتك. لكنك تعلم في قرارة نفسك أن الجديد هو عبء لا طاقة لك به. فلماذا تتعب نفسك في التفكير، بينما يمكنك ببساطة أن تُعيد تدوير نفس السياسات، وتعرضها في عبوة جديدة، لتبدو وكأنها الحل الذي طالما انتظره الشعب؟

ابدأ بخطوة بسيطة: غيّر الاسم. ما كان يُعرف ببرنامج "النهضة" الفاشل يمكن أن يتحول إلى "الانطلاقة الجديدة"، وما خاب في خطة "الإصلاح" يمكن أن يُبعث مجدداً تحت اسم "التغيير الجذري". الأمر لا يحتاج سوى إلى تغيير بسيط في المصطلحات، وستجد أن الجماهير، التي اعتادت على النسيان، ستستقبلها كأنها ولدت للتو. تلك الوعود التي لم يتحقق منها شيء، تُبعث من جديد، لكن بمساحيق تجميل حديثة تجعلها تبدو وكأنها معجزات في طور التكوين.

وفي خضم هذا التدوير، لا تنسى أن تضيف بعض الرتوش الصغيرة التي تمنح تلك السياسات طابعًا جديداً. قد تغير رقمًا هنا أو تضيف بنداً هناك، فقط لتحافظ على مظهر التغيير، بينما الجوهر يبقى ثابتًا، كالتمثال الذي لا يتزحزح من مكانه. إنك لا تُقدم جديداً، بل تُعيد بيع الوهم نفسه، لكن في زجاجة مزينة برباط ملون.

والجماهير، تلك التي تتغنى دائمًا بالتغيير، ستجد نفسها مُحتارة بين مشاعر متناقضة: هل هذا ما كانوا يطالبون به؟ أم أن الزمان قد دارت عجلته لتُعيد لهم نفس البضاعة؟ لكنك تعلم أن الإجابة لا تهم. فكل ما يهم هو أن تجد طريقك لإقناعهم بأن ما تُقدمه لهم اليوم هو بالضبط ما يحتاجون إليه، حتى لو كان هو نفسه ما رموه بالأمس في سلة الإهمال.

وفي سبيل الحفاظ على هذه اللعبة، عليك أن تُتقن فن الترويج. استخدم كلمات مثل "التطوير"، "التحديث"، و"الإصلاح"، وتأكد من تكرارها بشكل يكفي لطمس الذاكرة الجمعية للشعب. دع تلك المصطلحات تدور في فلك لا ينتهي، تُغرق بها كل صوت معارض يتجرأ على الإشارة إلى التشابه بين القديم والجديد. فالجديد ليس سوى وهم، وهم يتنكر بلباس التغيير، بينما هو في جوهره، نفس الفكرة التي عاشت وماتت مرات عديدة.

لكن، أيها السياسي البارع، لا تكتفي بإعادة تدوير السياسات، بل أعد تدوير نفسك أيضًا. كن ذلك الرجل الذي يظهر في كل أزمة، وفي كل مرحلة، كأنه جاء من عالم آخر حاملاً الحلول السحرية. غير مظهرك الخارجي إن لزم الأمر، تحدث بلغة جديدة، لكن حافظ على نفس الروح التي جعلتك تتمسك بالسلطة طيلة هذه السنوات. فالناس قد يحبون التغيير، لكنهم يخشونه في أعماقهم، وهنا تكمن قوتك. إنهم يرون فيك الأمل الجديد، لكنهم لا يدركون أنك نفس الرجل القديم، وأنك لا تحمل سوى نفس الأفكار التي ضيعت أحلامهم من قبل.

وفي هذا التدوير المستمر، لا تنسَ أن تضيف بعض اللمسات الكوميدية، تلك التي تجعل من كل فشل فرصةً للضحك والتندر. فإذا فشل برنامجك الاقتصادي السابق، عد بتدوير جديد يحمل اسمًا جذابًا، وقل إنك تعلمت من الأخطاء السابقة، وكأنك قد اكتشفت العجلة من جديد. سيضحكون معك، وسينسون أن هذه العجلة هي نفسها التي سقطت بهم في الهاوية من قبل.

وفي النهاية، عندما ينقضي اليوم وتعود إلى مكتبك، تنظر إلى تلك الوثائق القديمة التي غطتها بالغبار، تدرك أنك قد أعدت تدويرها مرة أخرى بنجاح. تدرك أنك قد أجدت لعبة الزمن، وأنك قد أحكمت قبضتك على لعبة التكرار. فالسياسات، كما الأشخاص، يمكن أن تُبعث من جديد، ما دام هناك من يملك القدرة على التلاعب بالذاكرة الجماعية.

وهكذا، أيها السياسي المحنك، تظل تدير عجلة التدوير السياسي، تُعيد تغليف الفشل وتبيعه كنجاح، تحكم قبضتك على الحاضر والمستقبل، وتظل الجماهير تصفق لك، غير مدركة أنها تعيش في حلقة مفرغة، وأنك سيد هذا التدوير الذي لا نهاية له. في النهاية، قد لا يأتي النجاح من جديد، لكنك تعلم أن السيطرة هي الهدف الحقيقي، وأنك قد حققته بفضل فن إعادة التدوير، الذي لا يقدر عليه سوى السياسي الذي يعرف كيف يحول الفشل إلى فرصة جديدة للسلطة.

١٢٢- قانون التحالف مع غير المتوقع: اعقد تحالفات مع شخصيات أو جهات غير متوقعة لتربك خصومك.

في غياهب السياسة العراقية، حيث يُعتبر النجاح في البقاء على القمة فنًا يمارسه القليلون، يظهر "قانون التحالف مع غير المتوقع" كتحفة نادرة تزين تاج السياسي المحنك. هذا القانون ليس مجرد أداة، بل هو بمثابة ريشة في يد رسام بارع يعرف كيف يُبدع في تشكيل لوحة تُبهر العيون وتُربك العقول. حينما يُصبح أعداؤك متيقظين لكل حركة، وكل كلمة، يأتي وقت الاستعانة بالمفاجآت، تلك التي تفتح عيونهم على مصراعيها، وتجعلهم يتساءلون: "كيف حدث هذا؟."

تصور نفسك، أيها الداهية، وقد جلست في قصر منيف، تحيط بك جدران من الصمت والترقب. أمامك ملفات عديدة، تحمل أسماءً لأشخاص وجماعات لم تكن في يوم من الأيام ضمن حساباتك. هؤلاء ليسوا من المقربين ولا الحلفاء الطبيعيين، بل ربما كانوا يومًا ما من ألد أعدائك. لكنك، بذكائك الفذ، ترى فيهم سلاحًا لم يُستخدم بعد، وسلاحًا من نوع خاص يمكنه أن يُغير قواعد اللعبة.

التحالف مع غير المتوقع ليس مجرد خطوة جريئة؛ إنه ضربٌ من ضروب الإبداع السياسي. وأنت تعلم أن خصومك لا يتوقعون منك أن تمد يدك إلى من كان بالأمس يُطلق السهام نحو صدرك. لكن، ما لا يدركونه هو أنك قد أمسكت تلك السهام، وصهرتها في نار حكمتك، وأعدت تشكيلها لتصبح جسوراً بينك وبين أعداء الأمس. جسوراً قد تبدو واهية، لكنها قادرة على نقل جيشك إلى أراضٍ جديدة من الانتصارات.

وتبدأ خطتك البارعة بتقييم ما حولك. من هو ذلك الشخص الذي لطالما كان شوكة في حلقك؟ ذلك الخصم الذي لا يتوقف عن إثارة المتاعب، والذي قد يكون من الحماقة تجاهله؟ بدلاً من محاربته، تخطط لتكون معه. نعم، إنك تدرك أن قلب المعركة يبدأ بتغيير اتجاه الريح. فتُرسل

رسائلك المُغلّفة بالسلام والتودد، تُثير فضوله، وتجعله يتساءل عما وراء هذه المبادرة غير المتوقعة.

وفي اللحظة التي يُفكر فيها الجميع أنك قد فقدت عقلك، تكون قد قطعت نصف الطريق نحو الفوز. فالتحالف مع عدو قديم، أو مع جهة لم تكن في حسبان أحد، ليس سوى خطوة أولى نحو إرباك خصومك. يعتقدون أنك قد ضعفت، أو أنك قد بدأت تفقد السيطرة، لكنهم لا يعلمون أنك قد أحكمت قبضتك على زمام المبادرة.

والأجمل في هذا التحالف الجديد هو أنه يُشبه الزواج المدبر بين عائلتين طالما تنازعتا. لكنك، أيها السياسي البارع، تعرف أن هذا الزواج هو لعبة مصالح لا أكثر، وأن من تتحد معه اليوم سيكون العتبة التي تتسلق بها نحو أهدافك. تراقبهم جميعًا وهم يتهامسون في زوايا الغرف المظلمة، يحاولون فهم ما يجري، بينما تظل أنت الواقف بينهم كالعملاق، تُدير المشهد بهدوء وثقة.

ثم تأتي لحظة الإعلان عن التحالف، وهي اللحظة التي تُخرج فيها خصومك من جحورهم. ترى الدهشة على وجوههم، يرونك تصافح من لم يكن في يوم يُتخيل أن يقف إلى جانبك. لكن تلك المصافحة ليست سوى قفاز من حرير يخفي وراءه يدًا من حديد. خصومك الآن في حالة من الفوضى العقلية؛ كل خططهم المبنية على التوقعات القديمة قد انهارت، وكل الرهانات التي وضعوها على فشل التحالفات التقليدية قد تبخرت.

لكن، لا تنسَ أن التحالف مع غير المتوقع ليس مجرد تحالف تكتيكي، بل هو فرصة لك لتحريك المياه الراكدة. أنت الآن قد جمعت حولك قوة جديدة، قوة لا تلتزم بالقواعد المعتادة، قوة تأتي من الهامش، من الأطراف التي ظلت دائمًا خارج اللعبة. هذا هو سر نجاحك، في إحداث تغيير نوعي لا يُدركه سوى من يفكر خارج الصندوق.

وتستمر اللعبة، وأنت تُراقبهم وهم يحاولون جاهدين إعادة ترتيب أوراقهم. يحاولون تكوين تحالفات مضادة، لكنهم يعلمون أنهم قد خسروا المبادرة. لقد جعلتهم أنت، بسحر دهائك، يتعثرون في خطواتهم، يتساءلون عما سيحدث بعد ذلك. وأنت تعلم جيداً أن هذه التساؤلات هي ما يبقيك متقدمًا بخطوة، خطوة قد تكون صغيرة لكنها مليئة بالحسم.

وفي نهاية الأمر، عندما تحقق أهدافك، تُدرك أنك لم تتحالف فقط مع شخصيات أو جهات غير متوقعة، بل إنك قد تحالفت مع الفكرة ذاتها. الفكرة التي تقول إن السياسة ليست ساحة للمتوقعات، بل هي ميدان للإبداع والمفاجأة. ولأنك قد أتقنت فن هذا القانون، تظل أنت المسيطر، بينما يظل خصومك يتخبطون في ظلال الشك والحيرة، يبحثون عن الحقيقة التي لا يعرفون أنها كانت أمامهم طوال الوقت، في ابتسامتك الغامضة، وفي مصافحتك التي أربكت العالم.

وهكذا، يا عزيز السياسة، تظل على القمة، ليس لأنك الأقوى فقط، بل لأنك الأكثر قدرة على تحويل المستحيل إلى ممكن، وعلى جعل العدو صديقًا، والصديق سلاحًا، والتحالف مع غير المتوقع هو سرك الأعظم، الذي لن يعرفه خصومك إلا بعد فوات الأوان.

١٢٣- قانون التظاهر بالاستقلالية : أظهر نفسك كزعيم مستقل حتى لو كنت تعتمد على قوى خارجية.

في عالم السياسة العراقية، حيث تتراقص الشخصيات على أوتار المصالح، يتقن السياسي المحنك فن التظاهر بالاستقلالية، ذلك الفن الذي يُبرزك كفارس حر، متحرر من كل القيود، بينما في الواقع، أنت مربوط بحبال خفية تمتد إلى قوى خارجية تحركك كيفما تشاء. هذا التظاهر ليس مجرد خدعة بسيطة، بل هو عرضٌ بهلواني يتطلب مزيجًا من الجرأة والحيلة، كأنك تمشي على حبل مشدود بين ناطحات سحاب، والجمهور في الأسفل يُصفق إعجابًا دون أن يُدرك أن هناك شبكة أمان غير مرئية تحتك، تحملها أياد خفية.

تخيل نفسك، أيها السياسي الداهية، وأنت تُلقي خطابك الحماسي أمام الجماهير. تقول لهم: "أنا هنا من أجلكم، لا من أجل أحد آخر. قراراتي مستقلة، ولا أسمح لأحد أن يملي عليّ ما أفعل". وفي الوقت ذاته، تُرسل إشارات خفية لتلك القوى التي تمسك بتلابيبك من خلف الستار، تؤكد لهم أنك ما زلت مخلصًا وملتزمًا بالصفقة السرية التي جمعتك بهم. تلك الصفقة التي يجهلها الجميع، بينما تظل أنت تتقن فن التظاهر وكأنك القائد الأوحد، الذي لا ينحني إلا لمصلحة الوطن.

والجمهور، بكل براءته، يُصدق ما تقول، يرون فيك الزعيم الذي لا يتبع أحدًا، ويرون في استقلاليتك رمزًا للكرامة والسيادة. إنهم لا يعلمون أن كل خطوة تخطوها محسوبة، وأن كل قرار تتخذه قد تمت مراجعته في دهاليز موحشة، حيث تجلس أنت مع أولئك الذين يملون عليك شروط اللعبة. لكنك تعلم كيف تُظهر نفسك بمظهر الواثق منَ نفسه، الذي يملك زمام الأمور، بينما الحقيقة أن الزمام يمسكه غيرك.

ولأن التظاهر بالاستقلالية يحتاج إلى براعة في الإخراج، فأنت تتقن استخدام الأحداث الجارية لصالحك. عندما يُطلب منك اتخاذ قرار ما، تبتعد قليلاً، تُظهر أنك تفكر مليًا، بينما في الواقع، تنتظر الإشارة منً تلك

القوى التي تعتمد عليها. وبعد أن تأتيك التعليمات، تعود إلى الساحة كمن أضاءت له السماء طريقه. تُعلن قرارك بكل ثقة، وكأنك قد اتخذته دون أي تأثير خارجي. ومن يُراقبك لا يرى إلا ذلك القائد الحكيم، الذي لا يحتاج إلى توجيه.

لكن، ما يزيد من حلاوة اللعبة هو قدرتك على قلب الطاولة على خصومك. عندما يتجرأ أحدهم على اتهامك بالتبعية أو الاعتماد على قوى خارجية، ترفع رأسك بفخر، وتقول: "أنا مستقل، ولا أخضع لأحد". ثم تُشير إلى إنجازاتك الصغيرة، تلك التي صنعتها بيديك، أو بالأحرى، التي تم السماح لك بصنعها لتبدو وكأنها انتصارات شخصية. إنهم لا يدركون أن هذه الإنجازات ليست سوى فتات يُلقى إليك، لتتمكن من تغذية الوهم بالاستقلالية.

وفي لحظات أخرى، عندما تشتد الضغوط عليك، تُظهر نفسك كالبطل الذي يقف وحيداً ضد كل القوى، حتى تلك التي تعتمد عليها. تُطلق تصريحات نارية ضد التدخلات الخارجية، تُهاجم "الأيدي الخفية" التي تحاول التأثير على مسار الوطن، وتُظهر أنك الوحيد الذي يقف حارساً على بوابة السيادة. كل هذا بينما ترسل رسائلك السرية إلى نفس تلك الأيدي، لتؤكد لهم أن كل شيء يسير حسب الخطة، وأن التظاهر بالاستقلالية ليس إلا جزءاً من اللعبة.

والأدهى من ذلك، أنك تعرف متى تلعب دور الضحية. في بعض الأحيان، تترك المجال للخصوم ليهاجموك، يُلقون عليك التهم بالتبعية والضعف، وأنت تستقبل تلك الاتهامات بابتسامة خفيفة. لماذا؟ لأنك تعلم أن دور الضحية يمنحك تعاطفًا واسعًا، ويُظهر خصومك كالأشرار الذين يُحاولون تشويه صورة الرجل المستقل. وفي النهاية، يعود الجميع ليحتضنك كرمز للنزاهة، ذلك البطل الذي لا يتبع سوى ضميره.

وبهذه الطريقة، تظل تمارس اللعبة ببراعة، تجعل الجميع يصدقون أنك مستقل، بينما الحقيقة أن الاستقلالية ليست إلا قناعًا تتبدل ملامحه

حسب الحاجة. إنك تُظهر القوة حيث يُطلب منك الضعف، وتُظهر الضعف حينما تريد أن تجمع حولك الأتباع. كل حركة محسوبة، وكل خطوة مخططة، وأنت تدير هذه اللعبة كما يُدير عازف ماهر سيمفونية معقدة، لا يُخطئ فيها أي نغمة.

وفي نهاية اليوم، عندما تجلس في مكتبك المزين بالأوسمة والنياشين، تُراجع مواقفك، تعرف أنك قد أتقنت فن التظاهر بالاستقلالية. تلك اللعبة التي لا يفهمها سوى القليلون، والتي تجعل منك قائداً في عيون الناس، بينما تظل أنت المحرك الخفي لكل الأحداث. إنها الاستقلالية التي لا توجد إلا في الخيال، ولكنها الخيال الذي يبقيك على القمة، حيث لا يصل إلا من يعرف كيف يُخفي الحقيقة خلف ستار من الكلمات الرنانة والشعارات الجوفاء.

وهكذا، يا سيد اللعبة، تظل تُطوّع الواقع وفقًا لمصالحك، تحافظ على تلك الصورة التي رسمتها بعناية، بينما يبقى السر دفينًا في أعماقك، سر أن الاستقلالية ليست سوى وهم، وأن القائد الحقيقي هو من يُجيد التحرك في ظلال القوى الخارجية دون أن يراه أحد.

١٢٤- قانون التكسب من اللجان: أنشئ لجانًا لتحقيق في أي قضية، واجعلها تستمر لأطول فترة ممكنة دون نتائج فعلية، فقط لشراء الوقت .

في السياسة العراقية، حيث تُصاغ المؤامرات بحرفية النحات البارع، يظهر "قانون التكسب من اللجان" كأحد أكثر الأدوات فعالية في يد السياسي المحنك. في هذا العالم، الوقت ليس عدواً يجب التغلب عليه، بل حليف خفي يمكن توظيفه بذكاء لإطالة أمد السيطرة والتأثير. عندما تلوح في الأفق أزمة تستدعي اتخاذ قرارات سريعة، لا يحتاج السياسي الفطن إلى الحلول الفورية، بل إلى تكتيك يُبقي الأمور عالقة، ليتمكن من ترتيب أوراقه بهدوء. هنا يتجلى دور اللجان، تلك التي تُشكل على عجل وتستمر لسنوات، دون أن تقترب من تقديم أي نتيجة حاسمة.

تصور نفسك، أيها السياسي الذكي، جالسًا في مكتبك الأنيق، تتوالى إليك التقارير عن قضية ملحة بدأت تثير القلق في أوساط الشعب. يعلم الجميع أنك في موقف لا يسمح لك بالتجاهل، ولكنك في الوقت نفسه، لست على استعداد لحل المشكلة الآن. هنا تظهر براعتك في استغلال الوقت: تُقرر تشكيل لجنة تحقيق. قد تبدو الفكرة بريئة وضرورية، لكنها في يدك تتحول إلى أداة لتجميد الزمن، حيث يظل كل شيء معلقًا في انتظار المجهول.

تُعلن عن تشكيل اللجنة في مؤتمر صحفي تتزين فيه بالكلمات الكبيرة مثل "الشفافية" و"النزاهة". الحاضرون يُصفقون، والإعلام يتناول الأمر بحماسة، كأن العدالة تقترب من التحقيق. لكنك، وأنت تبتسم في داخلك، تعلم أن هذه اللجنة ليست سوى قارب يطفو على بحر من الرمال المتحركة، لا يقترب من الشاطئ، بل يغرَّق ببطء في متاهات الزمن. إنها ليست هنا لتحقيق العدالة، بل لإطالة أمد الأمل الزائف في نفوس الشعب.

تبدأ اللجنة عملها، تجتمع بشكل دوري، تُراجع الأوراق، تحقق في التفاصيل التي تبدو معقدة بلا نهاية. أعضاء اللجنة، قد يكونون على دراية بأن عملهم لن يُفضي إلى شيء، لكنهم مستمتعون بالسلطة المؤقتة التي اكتسبوها، بينما الشعب ينتظر بصبر. ومع مرور الأشهر والسنوات، تتسرب بعض الأخبار عن خلافات داخل اللجنة، عن صعوبة في الوصول إلى نتائج بسبب التشابك الهائل في الموضوع. هذه التسريبات تخدمك بشكل مثالي، تُبقي الأمل حيًا في النفوس بأن هناك عملا جادًا يجري، بينما الحقيقة أن الهدف هو إبقاء الجميع مشغولين في متاهة لا تنتهي.

لكن مهارتك الحقيقية تتجلى عندما يبدأ الناس في التساؤل عن النتائج. حينها، تُخرج من جعبتك مهاراتك الخطابية وتعود لتؤكد لهم أن العمل جار، وأن التعقيد في القضية أكبر مما كان متوقعًا، وأن اللجنة تحتاج لمزيد من الوقت. وهكذا، تستمر في تأجيل النهايات، تُبقي الجميع في حالة من الترقب، بينما تُرتب أنت أوراقك بهدوء بعيدًا عن الأضواء.

والأجمل في هذا القانون هو أنك تجعل من هذه اللجان درعًا واقيًا، ليس فقط لتأجيل القرارات، بل أيضًا لتجنب المساءلة. فعندما تُثار تساؤلات حول فشل معين أو تجاوز واضح، يمكنك دائمًا أن تُشير إلى اللجنة وتقول: "إنها تحقق في الأمر، دعونا ننتظر النتائج". وهكذا، تبقى بعيداً عن المساءلة، بينما يظل الرأي العام مشغولاً بتلك اللجان التي لا تُفضي إلى شيء.

وفي النهاية، عندما تشعر أن القضية قد فقدت زخمها وأن الناس قد سئموا الانتظار، تُصدر توجيهاتك بإنهاء عمل اللجنة. يُعلن عن تقرير نهائي، قد يكون طويلاً ومليئًا بالتفاصيل الفنية التي لا تهم أحداً، وربما يُلقي باللوم على بعض الأفراد الهامشيين، أو يقترح توصيات غامضة لإصلاحات مستقبلية. كل هذا، وأنت تعلم أن الزمن قد عمل لصالحك، وأن القضية قد تم إخمادها بمهارة دون تقديم حلول فعلية.

لكن في هذه اللعبة الماكرة، لا يمكنك تجاهل دور الجمهور. الشعب، ذلك الذي يظل يترقب العدالة، يُعلق آماله على اللجان، ويصدق بأن الحل قادم. وهذا هو بيت القصيد: إطالة الأمل الزائف، وإبقاء الناس في انتظار مستمر لما لن يأتي. ومن هنا، تبرز سخريتك من المجتمع الذي يُعيد الثقةَ في النظام نفسه الذي يُضلله باستمرار.

ومع ذلك، لا تكتفي بهذا النجاح. بل تعرف متى تُظهر مظهر القائد الذي يواجه التحديات بشجاعة. تُعلن عن إصلاحات داخلية، وتعد بأن المرحلة القادمة ستشهد تغييرات جذرية. في الواقع، أنت تعرف جيداً أن هذه التغييرات لن تكون سوى تشكيل لجان جديدة، تحمل نفس السمات القديمة، وتواصل نفس اللعبة. إنها دورة لا تنتهي، حيث يُعاد تدوير الوقت، وتُباع الأحلام مرة تلو الأخرى، دون أن يشعر الناس أنهم في متاهة لا مخرج منها.

وهكذا، تجلس في مكتبك، تستعرض نتائج عملك بارتياح. تعلم أن الزمن قد وقف إلى جانبك مرة أخرى، وأنك استطعت من خلال "قانون التكسب من اللجان" أن تظل على القمة، مُحافظًا على صورتك كقائد يعمل بجدية، بينما تظل الحقيقة غارقة في بحر من التأجيلات والتسويفات. هذا هو الفن الذي يُحسن ممارسته القليلون، فن تحويل اللجان إلى آلات لإنتاج الوقت الضائع، وشراء المستقبل على حساب الحاضر، دون أن يُدرك أحد أن اللعبة بأكملها كانت مجرد وهم في وهم.

١٢٥ – قانون الاستفادة من الكوارث : استغل الكوارث الطبيعية أو الأزمات الإنسانية لتعزيز سلطتك أو تمرير قوانين غير شعبية.

في عمق السياسة العراقية، حيث تختلط المؤامرات بحنكة لا يعرفها سوى القليلون، يُطل "قانون الاستفادة من الكوارث" كرسم بارع في لوحة سياسية لا تكتمل إلا بلمسات الدهاء. في عالم حيثً تكون الأزمات الإنسانية والكوارث الطبيعية جزءاً من النسيج اليومي، يعرف السياسي المحنك أن كل كارثة هي فرصة ذهبية، ليست فقط لتعزيز سلطته، بل لتمرير القوانين التي لا يمكن أن تُقبل في أوقات الرخاء. هنا، في هذا الظلام المتشابك، تبرز قدرتك على تحويل كل دمار إلى لبنة في بناء إمبراطوريتك.

تخيل نفسك، أيها السياسي الفطن، جالساً في مكتبك المزخرف، تتوالى إليك الأخبار عن كارثة ضربت البلاد: زلزال مدمر، فيضان هائل، أو وباء يفتك بالناس دون رحمة. الجميع في حالة هلع، العيون تتجه نحوك بحثاً عن منقذ. ولكنك، ببرود أعصابك، تبتسم ابتسامة خفيفة وأنت تفكر في الفرص التي تتيحها هذه الكارثة. ترى نفسك كطائر جارح يرفرف بجناحيه فوق أرضٍ محروقة، يبحث عن الفرص بين الركام.

تبدأ خطتك بإظهار نفسك كمخلص، تُلقي خطاباً مؤثراً تُعد فيه الشعب بأنك ستبذل كل ما في وسعك لحمايتهم وإعادة بناء ما دمرته الكارثة. لكنك في داخلك تعلم أن كل كلمة تقال ليست سوى غطاء يُخفي وراءه أجندتك السرية. تتحدث عن تشكيل لجان طوارئ وتخصيص ميزانيات ضخمة، لكن الهدف الحقيقي هو توجيه كل هذه الجهود نحو تعزيز قبضتك على السلطة. تُعيد هيكلة اللجان بحيث تكون كل خيوط القرار بين يديك، فلا يُتخذ أي قرار دون موافقتك.

ومع انشغال الشعب بالكوارث، تبدأ في تمرير القوانين التي طالما حلمت بفرضها، تلك القوانين التي تعرف أنها غير شعبية ولن تُقبل في الأوقات العادية. الآن، تحت ستار الطوارئ، تُصبح هذه القوانين ضرورة

قصوى. تتحدث عن "إصلاحات" و"تعديلات" ضرورية لمواجهة الأزمة، لكن الحقيقة أنها جزء من خطتك لبناء قاعدة صلبة تحكم بها قبضتك على البلاد لسنوات قادمة. تُضيف بنوداً صغيرة هنا وهناك، لا يلتفت إليها أحد في خضم الفوضى، لكنها ستكون الأساس الذي تُبنى عليه سلطتك المستقبلية.

لكن دهائك لا يتوقف عند هذا الحد. تدرك أن الكارثة فرصة لشراء الولاءات أيضًا. تبدأ بتوزيع المساعدات، ولكنها ليست مساعدات الدولة، بل مساعدات تحمل توقيعك الشخصي. تُرسل المواد الغذائية والأدوية مع شعارك واسمهك، لتصبح في أعين الناس ليس فقط قائدهم، بل منقذهم الشخصي. وفي المناطق التي تعرف بأنها معاقل خصومك، تُقلل من المساعدات، أو تؤخرها، لتضعف موقفهم وتُظهرهم كمن لا يستطيع حماية شعبهم في وقت الشدة.

وما يزيد من تعقيد هذه اللعبة هو قدرتك على إدارة الإعلام. تُطلق حملة إعلامية ضخمة، تُظهر فيها أنك القائد الذي يواجه الأقدار بحزم وشجاعة. كل حركة، كل لقاء، كل زيارة لموقع الكارثة، يتم تضخيمها وإبرازها كعمل بطولي. وسائل الإعلام تتغنى باسمك، وتُغطي كل خطوة تقوم بها، وكأنك أنت الوحيد الذي يُنقذ البلاد. وهنا، يلعب الإعلام دوره كحليف خفي، يُضلل الناس ويُبقيهم في حالة من الترقب لكل ما ستفعله لاحقًا.

لكن أين يكمن الجزء الأكثر إبداعًا في خطتك؟ إنه في التحالفات السرية التي تُعقد خلف الأبواب المغلقة. تعرف أن هناك قوى اقتصادية ودولية تستفيد من هذه الكوارث بقدر ما تستفيد أنت. تجري اتصالاتك، تُبرم صفقات تحت الطاولة، تجعل من هذه القوى شركاء في اللعبة. ربما تفتح لهم الباب للاستثمار في إعادة الإعمار، مقابل دعمهم لك في تمرير قوانين تمنحك مزيداً من السلطة. هذه التحالفات غير المرئية تضيف طبقة جديدة من التعقيد إلى خطتك، وتجعل من الكارثة مجرد واجهة تخفي وراءها شبكة من المصالح المتشابكة التي تُبقيك على القمة.

وعندما تبدأ الكارثة بالانحسار ويعود الناس لمحاولة إعادة بناء حياتهم، تكون أنت قد أكملت مهمتك. لقد مررت القوانين التي كنت تخشاها، عززت سلطتك، ووضعت نفسك في قلب الحدث كبطل شعبي لا يُنافس. وكل ذلك تم تحت غطاء من الوطنية والمسؤولية الإنسانية، بينما الحقيقة أنك كنت تستغل الفوضى لتعزيز قبضتك على السلطة. الشعب قد يشعر بالارتياح لأنك كنت هناك في وقت الحاجة، ولكنك تعلم جيداً أن الكارثة لم تكن سوى حلبة أخرى في مسرح السياسة، تمارس فيها فنونك الخفية.

لكن السؤال الذي يُطاردك في لحظات الوحدة: إلى متى ستستمر هذه اللعبة؟ هل سيظل الشعب يُصدق أنك المنقذ؟ أم أن هناك نقطة ما في المستقبل حيث سينقلب السحر على الساحر؟ في أعماقك، تعرف أن هذه اللحظة قد تأتي يومًا، لكنك أيضًا تعرف أنك قد بنيت من القوة ما يكفي لتجاوزها. فتستمر في لعبتك، تُعيد الكرة مع كل كارثة جديدة، تُعيد صياغة نفس السيناريو، مع بعض التعديلات الطفيفة، لتظل دائمًا على القمة.

وفي الختام، تعرف أن فن الاستفادة من الكوارث ليس مجرد استغلال لحظات الضعف، بل هو تحويل الفوضى إلى نظام يخدمك، واستخدام الأزمات كجسر تعبر من خلاله إلى ضفاف النفوذ والسيطرة. إنها ليست مجرد استراتيجية، بل هي فلسفة حياة. في هذا العالم، حيث يتحول الحزن إلى فرص، والدمار إلى بناء جديد، تظل أنت السيد، تُدير اللعبة من خلف الستار، بينما يظل الآخرون منشغلين بإعادة ترتيب قطعهم في لعبة لا يدركون أنها مبرمجة لتفوز بها دائمًا.

١٢٦- قانون نقل الأزمات : إذا فشلت في حل أزمة ما، انقلها إلى مستوى آخر أو جهة أخرى لتبدو كأنك تعمل على حلها.

في السياسة العراقية، حيث يتجلى الفن السياسي في أبهى صوره، يُبرز "قانون نقل الأزمات" نفسه كأحد أعظم إبداعات السياسي الماكر. هذا القانون ليس مجرد خدعة بسيطة، بل هو أشبه بلعبة بينغ بونغ ماهرة، حيث تُلقى الأزمة ككرة ملتهبة، وتمرر من يد إلى يد حتى لا يبقى لها أثر سوى الحروق التي تتركها على من يحاول الإمساك بها. هنا، يتحول الفشل إلى أداء متقن، حيث يُظهر السياسي نفسه وكأنه يعمل بجد على حل الأزمة، بينما هو في الواقع يُبدع في فن نقلها إلى مستوى آخرً، أو يُلقي بها في حضن جهة أخرى، لتظل اللعبة مستمرة دون أن تصل إلى نهاية.

تخيل، أيها السياسي البارع، أنك في مكتبك الواسع، تشاهد على الشاشات أزمة جديدة تلوح في الأفق. قد تكون أزمة اقتصادية خانقة، أو فضيحة سياسية تهدد بسحب البساط من تحت قدميك. تُدرك أن هذه الأزمة، إذا تُركت دون معالجة، قد تتحول إلى نار تلتهم كل ما بنيته. ولكنك، بذكائك الفطري، تعلم أن الحل ليس في القضاء على الأزمة، بل في تحريكها بخفة اليد التي تُضلل الأنظار. فبدلاً من مواجهتها مباشرة، تُقرر أن تنقلها إلى مستوى آخر، تُعيد تشكيلها، لتبدو وكأنها مشكلة أكبر تتجاوز قدراتك الفردية.

تبدأ خطتك بإصدار بيان رسمي، تُظهر فيه "التزامك الكامل" بحل الأزمة. تُعلن عن تشكيل لجنة مختصة، أو ربما تحيل القضية إلى مجلس أعلى، تشدد على أهمية التشاور والمراجعة الشاملة. لكن في الحقيقة، كل ما تفعله هو إلقاء الجمرة إلى يد أخرى. تحول الأزمة من ساحة الضوء إلى دهاليز البيروقراطية، حيث تضيع في متاهات الاجتماعات والتقارير، بينما يتنفس الجميع الصعداء معتقدين أنك قد أخذت بزمام الأمور.

ومع مرور الوقت، تُدرك أن الأزمة لم تحل، لكنها أيضًا لم تعد في الواجهة. الآن حان وقت نقلها إلى جهة أخرى. ربما تُقرر أن تحيلها إلى منظمة دولية، أو تحولها إلى قضية إقليمية تتطلب "تنسيق الجهود" بين الدول. هنا، تتحول الأزمة من مشكلة محلية إلى تحد دولي، يُدير رؤوس الجميع ويُبعد الأنظار عنك. تُبرر ذلك بأن الحلولَ لم تعد بيدك وحدك، بل هي في أيدي خبراء دوليين أو هيئات عالمية، تُظهر أنك فعلت ما بوسعك، والآن الكرة في ملعب الآخرين.

وفي هذه الأثناء، تستغل الوقت الذي اشتريته لنفسك. تُعيد ترتيب أوراقك، تمرر قوانين جديدة، أو تعزز من قبضتك على مفاصل السلطة. بينما يظل الجميع منشغلين بالأزمة التي تُنقل من جهة إلى أخرى كقطعة شطرنج لا تحرك إلا بإرادتك. تُدرك أنك لست بحاجة لحل المشكلة، بل فقط لإبقائها متحركة، تتنقل في متاهات لا نهاية لها، بينما تظل أنت بعيداً عن النقد أو المساءلة.

لكن الجزء الأكثر إبداعًا في هذه اللعبة، هو أنك تعرف متى تستغل التناقضات في مواقف الآخرين. تُظهر إخلاصك في العلن، تتحدث عن التعاون والتضامن، بينما تحتفل في الخفاء بنجاحك في تفادي الفشل. ربما تضحك بينك وبين نفسك، على تلك اللحظة التي تُنقل فيها الأزمة إلى يد أخرى، وترى خصومك يلهثون خلفها كما يلهث الصياد خلف ظله. لقد حولت الأزمة إلى لعبة كرسي موسيقية، حيث لا يجلس أحد على الكرسي إلا بعد أن يتوقف الجميع عن العزف.

وفي بعض الأحيان، قد تُقرر أن تنقل الأزمة إلى مكان بعيد تمامًا، إلى قضية أخرى لا علاقة لها بها، لكنك تجيد الربط بينهما. تُعيد صياغة الخطاب، تحول الأنظار إلى مشكلة جديدة تُلقي باللوم عليها في تأجيل حل الأزمة الأولى. وهكذا، تخلق دوامة لا تنتهي من الأزمات المترابطة، حيث تُصبح كل مشكلة جزءاً من شبكة معقدة لا يمكن حلها إلا بفك جميع العقد في آن واحد، وهو ما تعرف أنه مستحيل.

لكن السؤال الذي يراودك أحيانًا، في لحظات التأمل القليلة التي تسمح لنفسك بها: إلى متى يمكنك الاستمرار في هذه اللعبة؟ هل ستأتي لحظة تفقد فيها السيطرة على الأزمة التي كنت تحركها بخفة اليد؟ في أعماقك، تعرف أن كل لعبة لها نهاية، ولكنك أيضًا تعرف أنك قد بنيت شبكة من التعقيدات والتشابكات التي تجعل من الصعب على أي شخص غيرك أن يفهم كيف بدأت الأزمة، أو كيف يمكن حلها. لقد أصبحت الأزمة جزءًا من النظام نفسه، جزءًا من اللعبة التي تتحكم أنت في قواعدها.

وفي النهاية، عندما تُغلق أبواب مكتبك وتجلس في هدوء الليل، تدرك أنك قد أديت دورك ببراعة. لقد نجحت في نقل الأزمة من مستوى إلى آخر، ومن جهة إلى جهة، حتى تلاشت في غياهب البيروقراطية أو تشابكت في مسارات لا نهاية لها. وبهذا، تظل أنت القائد الذي لا يمكن لأحد أن يلومه، الرجل الذي يبدو أنه يعمل بلا كلل لحل المشاكل، بينما في الواقع، كل ما فعلته هو تحريك القطع على رقعة الشطرنج التي رسمتها بنفسك.

في هذه اللعبة التي تتقنها، الأزمات ليست عدوًا، بل هي أدوات بيدك، تُعيد تشكيلها وتوجيهها حسبما تشاء، لتظل دائمًا على القمة. فالسؤال ليس كيف تحل الأزمة، بل كيف تجعل منها فرصة لتعزيز سلطتك، وكيف تنقلها من مكان لآخر، كعاصفة تحركها الرياح، تارة هنا وتارة هناك، حتى تُصبح أنت وحدك القادر على التنبؤ بمسارها، بينما يبقى الآخرون يتسابقون لاحتواء ما لا يُحتوى. وفي النهاية، أنت تعرف أن اللعبة مستمرة، وأنك وحدك من يعرف قواعدها، بينما يظل الجميع يحاولون اللحاق بك في لعبة لا نهاية لها.

١٢٧- قانون التفويض الوهمي : أعلن عن تفويض صلاحياتك لبعض المسؤولين، بينما تحتفظ فعليًا بكامل السيطرة.

في عوالم السياسة العراقية، حيث تلتقي المكر بالدهاء، وحيث تُصنع القرارات كما تُنحت التماثيل الحجرية، يظهر "قانون التفويض الوهمي" كواحدة من أرقى الحيل التي يتقنها السياسي المحنك. ليس هذا القانون مجرد أداة تكتيكية عابرة، بل هو فنٌ يمارَس بدقة الخيميائي، حيث يُحوِّل المعادن الرخيصة إلى ذهب خالص في أعين الناظرين، بينما يحتفظ هو بالحقيقة في مكان سري، بعيداً عن الأضواء.

تخيل نفسك، أيها السياسي الداهية، وقد قررت أن تستعرض أمام الجميع قوتك الظاهرة بلمسة من التواضع الزائف. تقف في قاعة مليئة بالصحفيين، تلمع أضواء الكاميرات، وأنت تتحدث بنبرة الواثق الذي يُشعر الآخرين بالراحة. تُعلن عن قرارك "الشجاع" بتفويض بعض صلاحياتك لمسؤولين مختارين، معلنًا أن الوقت قد حان لتوزيع الأعباء وتوسيع دائرة القرار. الجمهور يُصفِّق، والصحافة تلهث وراء الخبر، والعناوين تتسابق لتُشيد بحكمتك وبُعد نظرك.

لكن ما لا يعرفه أحد، هو أن ما يجري ليس إلا عرضًا مسرحيًا، حيث القائد الحقيقي لا يزال يمسك بزمام الأمور من خلف الستار. أنت لم تتخلَّ عن أي جزء من سلطتك الفعلية؛ بل كل ما فعلته هو توزيع بعض الأدوار الثانوية، كمن يُسلم مفاتيح لأبواب وهمية لا تؤدي إلا إلى غرف فارغة. تُدرك أن هؤلاء المسؤولين الذين يظنون أنهم قد نالوا الثقة، ليسوا سوى بيادق في لعبة أكثر تعقيداً، لعبة تتحكم أنت في جميع تفاصيلها.

في عقلك، تتأمل ببرود كيف أن هذه اللعبة ليست فقط عن الحفاظ على السلطة، بل عن صنع وهم كبير. تُسلم لهم سيوفًا تبدو حادة، لكن في حقيقتها، هي مجرد أدوات خشبية لا تُؤذي ولا تجرح. تجعلهم يتحدثون، يُناقشون، يتخذون القرارات، بينما أنت تُعيد صياغة تلك القرارات كما يحلو لك، تضع عليها لمستك الأخيرة قبل أن تُعرض

للجمهور. وفي الوقت ذاته، تراقب المشهد من بعيد، تبتسم ابتسامة تُخفي وراءها سخرية دفينة، لأنك تعرف أن كل ما يحدث ليس إلا جزءاً من اللعبة التي صممتها بيديك.

في لحظات التأمل، حينما تهدأ الأضواء ويختفي الصخب، تُفكر في كيف أن هؤلاء المسؤولين قد أصبحوا أسرى للوهم الذي صنعته لهم. يعيشون في قناعة زائفة بأنهم قد تحرروا من قيود السلطة المركزية، بينما في الواقع، قد جعلتهم تلك الحرية الموهومة أكثر تبعية لك. وكأنك أعطيتهم مساحة للعب، لكن على رقعة شطرنج رسمتها أنت، حيث كل حركة محسوبة، وكل خطوة مرسومة، ولا شيء يخرج عن سيطرتك المطلقة.

وفيما يظن الجمهور أن المسؤولين الجدد قد أصبحوا أصحاب القرار، تستغل أنت هذا الوقت الثمين للتركيز على الخطط الأهم، تلك التي لا يُسمح لأحد بالاقتراب منها. تمرر قوانين وتُنفذ سياسات بعيدة عن الأنظار، بينما تظل العيون مشدوهة بتلك الشخصيات الجديدة التي تحركها كدمى خشبية. تُبعد نفسك عن الأضواء المزعجة، لتعمل في هدوء، تُعيد رسم المشهد السياسي كما تشاء، بينما يظل الجميع مقتنعين بأنك قد تخلَّيت عن بعض من سلطتك.

لكن مع كل هذه التفاصيل المدروسة، تُدرك أنك قد خلقت نظامًا يعتمد على استمرار الوهم. تعرف أن اللعبة قد لا تدوم إلى الأبد، وأن هناك لحظات قد تتطلب منك التدخل لإعادة الأمور إلى نصابها. وعندما يحدث ذلك، تُخرج من جيبك أوراق اللعبة الجديدة: تُعلن، بملامح الجاد والمسؤول، أنك ستستعيد الصلاحيات بشكل مؤقت لتصحيح المسار. تعود الأضواء لتُسلط عليك، ويعود الناس ليصفقوا للقائد الذي لا يمكن الاستغناء عنه، بينما في الحقيقة، لم تغادر مقعدك الحاكم يومًا.

وفي هذه اللحظات، تدرك أن التفويض الوهمي لم يكن سوى وسيلة لإعادة ترتيب الأوراق، لإبقاء الجميع في حالة من الترقب والانتظار، بينما تظل أنت الوحيد الذي يعرف نهاية اللعبة. وبدلاً من أن تكون هذه

النهاية واضحة للجميع، تُبقيها في طي الغموض، لأنك تعلم أن السلطة الحقيقية ليست في اتخاذ القرارات، بل في القدرة على جعل الآخرين يعتقدون أنهم يتخذونها. أنت الفنان الذي يُخفي الحبال في يديه، بينما يجعل الجميع يعتقدون أنهم هم من يُحرك المشهد.

ومع مرور الوقت، تُصبح هذه اللعبة جزءًا من هويتك، تتقنها كما يتقن الساحر فنونه. تُصبح القائد الذي يُوهم الجميع بأنه قد وزع سلطته، بينما في الواقع، لم تفعل شيئًا سوى تعزيز قبضتك على كل خيط من خيوط اللعبة. تستمر في رسم الابتسامات الهادئة على وجهك، وتترك الآخرين يصدقون الوهم الذي صنعتَه لهم، لأنك تعرف أن التفويض الحقيقي لم يكن يومًا على الطاولة، بل كان دائمًا في جيبك، محفوظًا بإحكام.

وهكذا، وأنت جالس في مكتبك تحت ضوء المصابيح الخافتة، تتأمل في نجاحك في إدارة هذه اللعبة المعقدة. تُدرك أن السلطة ليست مجرد قوة أو قرار، بل هي فن في التحكم بالتصورات، في رسم الوهم والإقناع به. لقد أتقنت فن التفويض الوهمي، ذلك الفن الذي يُبقيك على القمة، دون أن يشعر أحد بأنك لم تُغادرها يومًا. وهكذا تستمر في قيادة الجميع، تُدير المشهد كما تشاء، بينما يظل الآخرون محصورين في أدوار رسمتها لهم على خشبة مسرح لا يعرفون حقيقته، ولا يدركون أنك الوحيد الذي يُحرك الستائر خلف الكواليس.

١٢٨- قانون التخوين الجماعي : إذا تعرضت لانتقاد واسع، اتهم جميع منتقديك بالخيانة أو العمالة للخارج.

في السياسة العراقية، حيث تتحول الكلمة إلى سيف، والنقد إلى معركة، يظهر "قانون التخوين الجماعي" كأداة فتاكة بيد السياسي المحنك الذي يتقن فنون التلاعب بالوعي الجمعي. إنه القانون الذي يحوّل الانتقاد إلى جريمة، والمعارضة إلى تهمة تستحق العقاب. فإذا وجدت نفسك، أيها القائد الداهية، محاصراً بانتقادات لاذعة، وبدأ خصومك يتزايدون كالفطر بعد المطر، فما عليك سوى أن تلجأ إلى هذا القانون السحري: اتهمهم جميعًا بالخيانة، وصفهم بأنهم عملاء للخارج، وستجد نفسك فجأة في موقف المنتصر، بينما يُترك منتقدوك يتخبطون في وحل الشكوك.

تخيل نفسك، وأنت تتابع الأخبار، وترى النقاد يتسابقون على مهاجمتك في كل وسيلة إعلامية، تتحدث الصحف عن إخفاقاتك، وينتقد المحللون سياساتك. هنا، يعرف السياسي الماكر أن الوقت قد حان لرفع سلاح التخوين الجماعي. تقف أمام الكاميرات، بنبرة واثقة، وملامح مشدودة، تُعلن بكل جرأة أن ما يحدث ليس انتقاداً بريئًا، بل مؤامرة كبرى، تحاك في غرف مظلمة، تقف وراءها قوى خارجية تسعى للنيل من هيبة الوطن.

تجيد استخدام اللغة الملتبسة، تلك اللغة التي تجعل من كل كلمة سيفًا مسلطًا على رقاب منتقديك. "من ينتقدني، لا ينتقدني وحدي، بل ينتقد الوطن"، تقولها بصوت مرتفع، فتشعل نار الشك في كل قلب. تُضيف بحنكة: "لا أتهم أحداً مباشرة، ولكن، أليس من الغريب أن تأتي هذه الهجمات في وقت حساس كهذا؟". بهذه الكلمات، تزرع بذور الشك في كل مكان، وتجعل من كل معارض محتمل خائنًا في نظر العامة.

ولا تتوقف هنا، بل تستدعي كل أدوات السلطة لتُعزز من موقفك. تبدأ حملات إعلامية منسقة، تُظهر فيها أن كل نقد هو جزء من خطة خارجية لزعزعة الاستقرار. تُنتج برامج تلفزيونية تحلل "الدوافع الخفية" وراء

الانتقادات، تُسلط الأضواء على علاقات وهمية بين منتقديك وقوى أجنبية مشبوهة. تُعيد صياغة القصص لتبدو وكأنك القائد الذي يقف وحيداً في وجه طوفان من العملاء والخونة.

ومع مرور الوقت، تتحول السخرية إلى عقيدة، ويُصبح كل من يتجرأ على انتقادك هدفًا مشروعًا للهجوم. يُصبح الخوف هو السمة الغالبة، ويخشى الجميع من أن يتم اتهامهم بالخيانة، لمجرد أنهم عبروا عن رأي مخالف. تُنقل الأزمة من ساحة النقد إلى ساحة الاتهام، وتجد نفسك مرة أخرى في موقع القوة، تحكم قبضتك على كل شيء، بينما يظل منتقدوك يتخبطون في دائرة من التبريرات والاعتذارات، يحاولون الهروب من تهمة الخيانة التي ألصقتها بهم.

لكن، أيها السياسي الماهر، تدرك جيداً أن لعبة التخوين ليست مجرد سلاح يُستخدم مرة واحدة. إنها أداة تُصقل باستمرار، تُعيد توجيهها كلما احتجت لذلك. ربما تواجه موجة جديدة من الانتقادات، فتلجأ مرة أخرى إلى نفس الأسلوب، تتهم كل من يعارضك بأن له أجندة خفية، وبأن مصالحه مرتبطة بالخارج. تُشوه السمعة، وتُلطخ الأسماء، حتى يصبح الجميع مترددين في معارضتك، خوفًا من أن يصبحوا هم أيضًا ضحايا لهذه اللعبة القاسية.

وبينما تتوالى الأيام، تُصبح تهمة الخيانة سيفًا لا يُغمد، تُشهره كلما شعرت بالخطر. تحيط نفسك بهالة من الوطنية المزيفة، تجعل من كل خطوة تخطوها وكأنها دفاع عن الوطن ضد الأعداء الداخليين والخارجيين. تُقسم الناس إلى قسمين: مؤيدين أو خونة، وتجبر الجميع على اختيار جانب. وفي هذه اللعبة، تعرف أنك الفائز دائمًا، لأنك تملك القدرة على تحديد من هو الخائن، ومن هو الوطني.

لكن، في لحظات السكون، عندما يخفت الضجيج وتختفي الأضواء، تُدرك أن هذا السيف قد يقطع في يوم من الأيام اليد التي تحمله. فكلما زاد عدد من تتهمهم بالخيانة، كلما اقتربت من لحظة الحقيقة، لحظة قد تجد

فيها نفسك وحيداً، في مواجهة شعب قد بدأ يفتح عينيه على اللعبة. ولكنك، بذكائك المعهود، تعلم أن تلك اللحظة بعيدة، وأنك ما زلت تملك الوقت لتستمر في هذه اللعبة المعقدة، لتُبقي الجميع تحت سيطرتك، ولو كان الثمن هو تشويه سمعة كل من يعارضك.

وفي النهاية، تقف منتصراً، تحيط بك هالة من الوطنية التي صنعتها بيديك، بينما يظل الآخرون يحاولون فهم ما جرى. تعرف أنك قد أديت دورك ببراعة، وأنك استخدمت "قانون التخوين الجماعي" ليس فقط لحماية نفسك، بل لتعزيز سلطتك وجعلها منيعة ضد كل من يتجرأ على تحديك. وهكذا، تظل على قمة اللعبة، تُديرها كما تشاء، بينما يظل الجميع يراقبونك بخوف، يتساءلون من سيكون التالي في قائمة "الخونة" التي لا نهاية لها.

١٢٩- قانون تكرار النجاحات : إذا نجحت في خداع الناس مرة، كرر نفس الخدعة بشكل دوري حتى تفقد فعاليتها.

في السياسة العراقية، حيث تتداخل الحيل والخدع كما تتداخل الخيوط في نسيج معقد، يظهر "قانون تكرار النجاحات" كأحد أذكى الأساليب التي يتقنها السياسي الماكر. إنه القانون الذي يتفنن في تحويل الخدعة الواحدة إلى سلسلة لا تنتهي من الانتصارات الوهمية، حيث يتكرر السحر مراراً وتكراراً، مثل نغمة موسيقية تُعزف باستمرار حتى تُصبح جزءاً من اللحن اليومي الذي لا ينقطع. ومع مرور الوقت، يصبح النجاح المكرر أشبه بطبق قديم يُعاد تقديمه للضيوف بنفس التوابل، لكن مع لمسة من البهارات الجديدة، لإخفاء حقيقة أنه لم يعد جديداً.

تخيل نفسك، أيها السياسي الداهية، جالساً في مكتبك المزخرف، محاطًا بجدران تزينها شهادات الإنجازات وصور من لحظات الانتصار الماضية. لقد خدعت الجمهور مرة بنجاح، ولقد أحببت ذلك الشعور. شعرت وكأنك قد سحرتهم، جعلتهم يؤمنون بما تريده أنت. لكنك تدرك، كما يدرك رسام بارع يكرر نفس اللوحة بألوان مختلفة، أن الناس سرعان ما ينسون بريق تلك اللحظة. وهنا تبدأ في التفكير: لماذا لا تُعيد استخدام نفس الخدعة، لكن بحلة جديدة؟

تبدأ بتحريك الأفكار في عقلك مثل العازف الذي يعيد ترتيب الأوتار ليعزف نفس اللحن، ولكن بإيقاع مختلف. تضع الخطة؛ تُعيد صياغة خطابك القديم، تضيف بعض التفاصيل الجديدة، تُغيّر قليلاً في الشكل، ولكن الجوهر يبقى ثابتًا. أنت تعرف أن الجمهور، حتى وإن ظنوا أنهم ذوو ذاكرة قوية، يحبون أن يُخدعوا إذا كان الخداع جذابًا. فهم مثل الأطفال الذين يستمتعون بسماع نفس القصة مرة تلو الأخرى، طالما أن هناك تغييرات طفيفة تجعلها تبدو وكأنها قصة جديدة.

تخرج إلى العلن بخطتك، تُعيد تقديم الخدعة، تُغلفها بورق لامع وتقدمها كأنها ابتكار جديد. ترى البريق في عيون الناس، تشاهدهم

يُصفقون لك بنفس الحماس الذي استقبلوا به خدعتك الأولى. وكأنك طباخ ماهر، يُعيد تقديم نفس الطبق، مع تغيير طفيف في التوابل، ليظل الجمهور يعتقد أنهم يتذوقون شيئًا جديداً. وتستمر اللعبة.

ولكنك، أيها السياسي الحاذق، تدرك أن تكرار النجاح ليس أمراً بسيطًا. إنه فن معقد، يتطلب منك أن تكون حساساً لإشارات الإرهاق التي قد تظهر على وجوه الناس. تعلم أن هناك لحظة تأتي، بعد تكرار الخدعة مرات عديدة، حيث يبدأ الجمهور في الشعور بالملل. يبدأون في التساؤل: "أليس هذا ما حدث من قبل؟". وفي تلك اللحظة، يبدأ بريق الخدعة في التلاشي، وكأنها شمعة تحترق ببطء حتى تنطفئ.

تُدرك أن التحدي الحقيقي ليس في مجرد تكرار الخدعة، بل في جعلها تبدو وكأنها جديدة في كل مرة. فتبدأ بإضافة طبقات جديدة من الزخرفة، تُضفي المزيد من التفاصيل، تُدخل عناصر جديدة تُلهي الجمهور عن حقيقة أنهم قد رأوا هذه اللعبة من قبل. وربما، في لحظة إلهام عبقرية، تتظاهر بالتخلي عن الخدعة تمامًا، فقط لتعود بها لاحقًا بشكل مفاجئ، فتُدهش الجميع من جديد، وكأنك تخرج أرنبًا جديداً من قبعتك القديمة.

ولكن، في تلك اللحظات الهادئة من الليل، حينما تجلس في مكتبك المضاء بضياء القمر الخافت، تبدأ في التأمل في لعبة الخداع التي أتقنتها. تتساءل: إلى متى يمكنك الاستمرار في هذا التكرار قبل أن ينكشف كل شيء؟ هل سيأتي اليوم الذي يفقد فيه الناس ثقتهم بك تمامًا، ويُدركون أن كل ما فعلته هو إعادة تدوير نفس الأكاذيب في غلاف جديد؟ تشعر بالقلق من تلك اللحظة، ولكنك تعلم أن لديك الوقت قبل أن تصل إليها. تُدرك أن النجاح في تكرار الخدعة يعتمد على القدرة على الإبداع في التفاصيل، على إدخال التحسينات الصغيرة التي تجعل القديم يبدو جديداً مرة أخرى.

وفي النهاية، تعلم أن تكرار النجاح قد يصبح يومًا عبئًا على كاهلك، حيث تجد نفسك مضطراً لإعادة نفس الحيل بشكل متزايد حتى يفقد

الجمهور القدرة على التمييز بين الحقيقة والوهم. وربما، في لحظة ما، تجد أن تكرار الخدعة قد أصبح هو الخدعة الأكبر، وأنك قد أصبحت أسيراً للعبة التي صنعتها بيديك.

ولكن حتى ذلك الحين، تظل مستمتعًا باللعبة، مستمراً في تكرار النجاحات، وكأنك تُعيد عزف نفس السيمفونية التي تأسر القلوب، ولكن بتوزيع جديد في كل مرة. تعلم أن لكل شيء نهاية، ولكنك تعرف أيضًا أن النهاية لم تأت بعد، وأنه لا يزال هناك وقت لتكرار الخدعة مرة أخرى، وربما للمرة الأخيرة، قبل أن يتلاشى السحر تمامًا.

تُدرك أنك قد أبدعت في تطبيق "قانون تكرار النجاحات". لقد استخدمت نفس الأدوات، نفس الحيل، لكنك أضفت إليها لمساتك الخاصة، مما جعلها تبدو جديدة في كل مرة. وهكذا، تظل على قمة اللعبة، تُديرها ببراعة، تُبهر الجمهور بنفس السحر الذي جربوه من قبل، لكن في ثوب جديد يجعلهم ينسون أنهم قد شاهدوه مرات عديدة.

١٣٠- قانون إضعاف المؤسسات :أضعف المؤسسات الرقابية والقضائية لتصبح قراراتك فوق المساءلة.

في زوايا السياسة العراقية الملتوية، يظهر "قانون إضعاف المؤسسات" كأحد أعظم الأساليب التي يتقنها السياسي الماكر. إنه ليس مجرد حيلة، بل هو فنٌ رفيع، كمن يتقن النحت على الصخر، يحفر بعناية حتى تبرز ملامح وجهه على جسد السلطة. هنا، حيث تُخلق القرارات وتُساق الأقوال، تُصبح المؤسسات الرقابية والقضائية، التي من المفترض أن تكون صخرة الاستقامة، مجرد تماثيل من رمل، تنهار أمام أول نسمة هواء تأتي من مكتب القائد.

تخيل نفسك، أيها السياسي البارع، جالسًا في مكتبك الواسع، تتأمل بهدوء خطتك المقبلة. تعلم أن السلطة الحقيقية لا تُكتسب فقط من خلال الصلاحيات، بل من خلال السيطرة المطلقة، تلك السيطرة التي لا يمكن أن تحقق إلا بإضعاف كل ما يقف في طريقك. المؤسسات الرقابية؟ تلك التي تُراقب وتحاسب؟ هي ليست إلا حواجز يجب أن تُزال أو تحول إلى واجهات خاوية، مجرد أقنعة زائفة تُبقيك بعيداً عن مرمى النقد والمسائلة.

تبدأ خطتك بخطوات صغيرة، كمن يمسك بريشة دقيقة ويرسم ضربات على قماش السلطة. تُعين القضاة والمفتشين بناءً على ولائهم لك، لا لكفاءتهم. تُضعف استقلالية القضاء، تجعل من المؤسسات الرقابية مجرد أوراق في مهب الريح، تُصدر القوانين التي تُفرغها من مضمونها، تحولها إلى أدوات تلميع لصورتك لا أكثر. تجعل كل من يجلس على كرسي المساءلة يعرف أن وجوده هناك هو بفضل دعمك، وأن أي خطوة خاطئة قد تُكلفه هذا الكرسي وربما أكثر.

ثم تُتابع تنفيذ خطتك بتفنن. تُصدر قراراتك بكل ثقة، تعلم أن لا أحد سيجرؤ على مراجعتها. تُشاهد وأنت تُعلي صوتك في الاجتماعات، تُصدر الأوامر التي لا تقبل النقاش، بينما الجميع من حولك يُومئون برؤوسهم موافقين، يعرفون أن مصيرهم معلق بكلمة واحدة منك.

وتستمر في تحريك اللعبة، تتحكم بالخيوط، تُبدع في تزييف الديمقراطية، وتُظهر للعالم أن كل شيء يسير كما يجب، بينما في الحقيقة، قد حولت المؤسسات إلى كراسي خاوية، يجلس عليها من لا حول لهم ولا قوة، ينفذون ما يملى عليهم دون تفكير.

لكن، أيها السياسي الماكر، تدرك أن إضعاف المؤسسات ليس مجرد عملية تقليص، بل هو فنٌ يتطلب الكثير من الذكاء والحذر. عليك أن تبقي تلك المؤسسات قائمة، ظاهريًا على الأقل، لتكون واجهة أمام العالم، لكن بدون أن تكون لها أي قوة فعلية. تخلق لها قوانين معقدة، تجعلها مشغولة بالأمور البيروقراطية التي لا تسمن ولا تغني من جوع. تُصدر تعليماتك بحيث تُقيّد كل تحرك لها، تجعل من القضاة والمفتشين مجرد أدوات في يدك، تحركهم كيفما تشاء، دون أن يدركوا أنهم لم يعودوا سوى أدوات تُزين بها صورتك أمام الرأي العام.

وفي كل مرة تشعر فيها بأن أحداً قد بدأ يدرك ما يحدث، تبدأ لعبة جديدة. تُطلق شعارات الإصلاح، تتحدث عن "تعزيز" دور المؤسسات، بينما في الحقيقة، تُزيد من تقييدها أكثر فأكثر. تُعيد ترتيب الأوراق، تُصدر قوانين تبدو بريئة، لكنها تحمل في طياتها قيوداً تجعل من تلك المؤسسات مجرد ظلال باهتة لما كانت عليه. وتستمر اللعبة، وأنت تُديرها بمهارة العازف الذي يعرف كيف يُخرج من آلته النغمات التي يريدها، لا تلك التي قد تتولد بفعل الصدفة.

لكن، في أعماقك، تعلم أن هذه اللعبة قد تصبح سيفًا ذا حدين. تعرف أن إضعاف المؤسسات بشكل مفرط قد يؤدي إلى فقدان السيطرة، فماذا سيحدث إذا انهار كل شيء؟ إذا لم يعد هناك من يحميك من غضب الشعب أو من تقلبات السياسة؟ لذلك تبقي على شعرة معاوية، لا تقطعها تمامًا، بل تجعلها رقيقة بما يكفي لتبقيك آمنًا، وقوية بما يكفي لتظهر أنك لا تزال في السيطرة.

وهكذا، تتأمل في الإنجازات التي حققتها، تدرك أنك قد أبدعت في استخدام "قانون إضعاف المؤسسات". لقد حولت الصخر إلى رمل، والأقوياء إلى مجرد ظلال، وكل ذلك دون أن يشعر أحد، أو على الأقل، دون أن يجرؤ أحد على الاعتراض. وهكذا تستمر في قيادة اللعبة، تُبقي الجميع تحت سيطرتك، بينما تتلاشى المؤسسات التي من المفترض أن تراقبك وتحاسبك، لتصبح مجرد أدوات أخرى في يدك، تحركها كما تشاء، وتبقيها تحت قبضتك المحكمة، بينما يظل الباقون يتساءلون: أين ذهبت القوة؟ وأين اختفى القانون؟

وفي النهاية، تبتسم لنفسك، تعرف أنك قد نجحت في تطبيق "قانون إضعاف المؤسسات"، حيث لم تعد هناك قوة توازي قوتك، ولم يعد هناك من يجرؤ على المساءلة. كل شيء أصبح تحت سيطرتك المطلقة، وكل مؤسسة أصبحت مجرد صدى لصوتك، يردد ما تقول، ولا شيء غير ذلك.

١٣١ - قانون الترويج للعزلة: عزلةٌ ذهبيةٌ تقيك شرور الدنيا وخبثها

في دنيا السياسة العراقية، حيث تُزرع المكائد كالحنظل، وتُصبغ الأحاديث بالكلمات الجوفاء التي تطفو فوق سطح الواقع كزبد البحر، يظهر قانون الترويج للعزلة كأحد أعظم الاستراتيجيات التي يمكن للسياسي الحكيم اتباعها. دعونا نكن صرحاء: العزلة ليست انسحاباً، بل هي فنٌ سام يمارسه القادة بمهارة العرافين الذين يعرفون كيف يتعدون عن العالمً ليصيغوا مصائرهم بأنفسهم بعيداً عن الأعين.

تصور نفسك ربّان سفينة، تبحر في بحر من الزوابع السياسية والعواصف الدبلوماسية. أول ما يخطر ببالك هو تجنب تلك العواصف، لكنك تعرف أن الانسحاب ليس خياراً مناسباً لرجل مثلك. الحل؟ بسيط: غُص في عزلة متعمدة. ألق مرساتك بعيداً عن كل ميناء، واترك سفينتك تتأرجح في البحر دون أن يزَعجك أحد.

العزلة ليست مجرد اختيار، بل هي درع فولاذي يحميك من رماح النقاد وسهام الحساد. لماذا تفتح أبوابك للعالم بينما تستطيع أن تغلقها بإحكام وتعيش في مملكتك الخاصة، حيث تصدح الموسيقى التي تلائم ذوقك فقط؟ بينما ينهمك الآخرون في التعرض لانتقادات أعداء الداخل وتوجيهات الحلفاء الخارجيين، تظل أنت في برجك العاجي، ترقبهم من بعيد كالنسر المحلق في السماء، متأهبًا للإغارة عندما تسنح الفرصة، ولكنك تعلم متى يجب أن تنسحب إلى الأعالي.

من قال إن السياسة تحتاج إلى الانفتاح؟ العزلة هي المفتاح الذي يمكنك من قفل أبواب التأثيرات الخارجية، وحجب كل الأفكار الغريبة التي لا تتوافق مع رؤيتك. فكلما زاد عدد الحضور على طاولتك، زادت الألسنة التي تحاول انتقاد أفعالك، وكثرت الأيدي التي تريد أن تطال أسلوبك. لذلك، كلما اقترب منك أحدهم، ادفعه برفق نحو الخارج، وابتسم له ابتسامة دبلوماسية تعلم أنها لا تُفضي إلى شيء. في نهاية الأمر، عزلك لنفسك يمنحك سيطرةً كاملة على مقود الأمور دون أن يشعر بك أحد.

في تلك العزلة الخلابة، لن تحتاج إلى الاعتذار أو التبرير أو حتى الرد. لن تحتاج إلى مخاطبة الجماهير ولا إلى مقابلة الوفود. كل تلك المسؤوليات الثقيلة تذوب في بحر الهدوء الذي تحيط نفسك به. تخيل كم هي رائعة تلك اللحظات التي تقضيها وحيداً، مع أفكارك فقط، لا أحد يناقش قراراتك ولا أحد يعارض خططك.

أما إذا حاول أحدهم انتقادك، فاجعله يشعر وكأنه ينبح في الفراغ. أين أنت؟ لست هنا لتسمعه. قد تتساءل الآن: كيف أتجنب الضجيج الإعلامي؟ الجواب بسيط: عندما تسيطر على كل الأبواب والنوافذ، من سيعلم بما يجري في الداخل؟ لا حاجة إلى شجب أو تنديد أو حتى تأكيد أو نفي. العزلة تصنع منك أسطورة سياسية، وجودك ملموس ولكن لا يمكن الوصول إليه. تبقى بعيداً عن مرمى النيران، فلا يستطيع أحدٌ أن يصيبك بسهم، لأنك ببساطة خارج دائرة المعركة.

العزلة أيضًا لها سحرها الخاص، فهي تمنحك هالة من الغموض والتوجس. الناس يخشون ما لا يعرفونه، ويحترمون من لا يستطيعون الوصول إليه. كلما زاد غموضك، ازداد تقديرهم لك، وكأنك الحكيم الذي يختفي في قمم الجبال ليعود بمفاتيح الحكمة. وفي النهاية، تصبح أنت ذلك الكنز المدفون الذي يحلم الجميع بالعثور عليه، ولكنهم لا يعرفون الطريق إليه.

وفي ذروة العزلة، تتربع على عرش قراراتك، حيث لا أحد يستطيع أن يجادلك أو يثنيك عن مسارك. فأنت تعلم أن العزلة ليست انقطاعًا، بل هي تفرغ، وهي انسحاب لتجمع القوى، وهي راحة المحارب قبل أن يخوض المعركة الكبرى. وعندما يحين الوقت، تخرج من عزلتك كالعنقاء التي تبعث من رمادها، قويةً، صافية الذهن، جاهزةً لإملاء شروطك على العالم من جديد.

وفي الختام، تذكر دائمًا: العزلة ليست ضعفًا، بل هي درعٌ زاهي اللمعان. في السياسة، العزلة تحميك من نيران العالم وتمنحك الوقت لتعيد ترتيب

صفوفك، بعيداً عن ضوضاء الحياة. هي ملاذك الآمن، حيث تبني قوتك وتستعد للعودة عندما يكون العالم قد نسيَّ أن يُفسد عليك خططك. نعم، العزلة هي فنٌ لا يُتقنه إلا القلة، وهيَ أعظم وسيلة للبقاء على قيد الحياة السياسية، بعيداً عن ألسنة الناس ومؤامرات الأعداء.

١٣٢- قانون التحالف مع المعارضة الظاهرة: فن ترويض النمر الورقي

في غياهب السياسة، حيث تعج الأروقة بأصوات الضجيج، ويزدان القصر بألوان لا تعكس سوى بريق كاذب، ينبثق قانون التحالف مع المعارضة الظاهرة كإحدى أهم حيل السياسيين المخضرمين. إنه قانون يستحق أن يُكتب بماء الذهب، لا لشيء، إلا لأنه يتيح لك أن تكون البطل المطلق في مسرحية الديمقراطية المضللة، حيث لا أحد سواك يعلم الحقيقة المرة خلف الستار.

لنتحدث بوضوح: ما فائدة معارضة قوية تهدد استقرار عرشك وتزعزع أركان سلطتك؟ في عالم كهذا، من الحكمة أن تتبنى المعارضة الضعيفة كما تتبنى الأم طفلها الرضّيع. نعم، المعارضة هنا ليست سوى زينة تتزين بها طاولة السلطة، أشبه بزهور اصطناعية جميلة لا تفوح منها رائحة سوى تلك التي تخلقها الأوهام.

تخيل نفسك قائداً يراقب طيوراً صغيرة في قفص مذهّب. تلك الطيور تغرد وتتنقل بين الأغصان، لكنك تعلم علم اليقين أنها لا تستطيع الطيران بعيداً. لماذا؟ لأنك أنت من صنع القفص وأنت من قرر أن يبقيه مفتوحاً بما يكفي ليبدو وكأنه نافذة على الحرية، ولكنه في الحقيقة مغلق بإحكام. هكذا تماماً تكون المعارضة الظاهرة: طيوراً مغردة في قفصك الذهبي، تسرّ الناس بألحانها، ولكنها لا تشكل خطراً على العرش.

أنت بحاجة إلى تلك الأصوات المعارضة كي تلمع صورتك أمام الجمهور، وتبقى على مسرح السياسة وكأنك مدافع عن الحرية والمساواة. لكن دعنا لا نخدع أنفسنا؛ تلك الأصوات ليست سوى صدى لأفكارك. تغذيها بما تحتاجه لتبقى هادئة، تمنحها بعض الفتات لتشعر بالاستقلالية، بينما في الواقع، أنت من يملأ الحبوب في المعلف كل صباح.

هذه المعارضة الظاهرة تقوم بوظيفتها على أكمل وجه، فهي تصرخ وتندد، تعقد الاجتماعات وتصدر البيانات، ولكنها دائمًا تبقى في الحيز المسموح به. كأنها نحلة فقدت لسعتها، لا تستطيع سوى الطنين حولك دون أن تجرؤ على الاقتراب. إنها المعارضة المثالية التي تحافظ على التوازن وتضفي طابعًا ديمقراطيًا على حكمك، دون أن تخيفك بأنيابٍ حقيقية.

وهنا تكمن عبقرية القانون: هذه المعارضة، التي تبدو شديدة الصخب في ظاهرها، ما هي إلا حليف خفي لك، تضمن من خلاله أن تبقى الصورة مشوشة، حيث لا يستطيع أحد تمييز الحدود بين السلطة والمعارضة. تترك لهم الحرية في مهاجمتك ظاهريًا، ولكنك تعلم أن كل كلمة يقولونها محسوبة بدقة، وكأنها شيفرة متفق عليها سلفًا.

كلما زاد صخب هذه المعارضة، كلما اطمأن قلبك. فهي العاصفة التي تثير غبارًا يخفي الحقيقة عن أعين العامة. تهتف، تتظاهر، وتصدر البيانات النارية، لكنها في نهاية المطاف تعلم أن الصندوق مفتوح أمامها، لكنها عاجزة عن الوصول إلى مكنوناته. لماذا؟ لأنك أنت من يملك المفتاح، بل أنت من يقرر متى يمكنها الاقتراب منه.

حين تأتي اللحظة الحاسمة، وتزداد الضغوط الدولية أو الشعبية، تُخرج من جعبتك هذه المعارضة لتُظهر للعالم أنك قائد يؤمن بالتعددية والديمقراطية. تجعلها تتحدث وتتفاوض، ولكنها لا تحقق شيئًا يذكر. وكأنها دخان يتلاشى في الهواء. وهكذا، يبقى لك الفوز بكل شيء: استقرار السلطة والقدرة على إسكات النقد دون الحاجة إلى مواجهة حقيقية.

في نهاية المطاف، يصبح الجميع مقتنعًا أنك الزعيم الذي يحتمل النقد، وأن المعارضة شريك في اللعبة، بينما في الحقيقة، هي ليست سوى جزء من أوركسترا سياسية، تعزف على أنغامك دون أن تدرك أنها مجرد آلة في يديك. هذه هي براعة القانون: أن تصنع معارضة لا تهددك، بل تدعمك

من حيث لا تدري، وتبقيك على قمة الهرم، بينما هي تستمتع بدورها الثانوي في مسرحية لا تملك فيها دور البطولة.

وبذلك، تصبح أنت الحاكم الذي لا يمس، والمعارضة التي لا تحترم، والجمهور الذي يُخدع، في دائرة لا تنتهي من الوهم الجميل، حيث الجميع يلعب دوره ببراعة، ولكنك أنت من يمسك بخيوط الجميع، دون أن يظهر اسمك على لوحة الشرف.

١٣٣ - قانون اللعب على الوتر العاطفي: موسيقى الحزن والدموع لشرعنة السطوة

في السياسة العراقية، حيث تسير الأمور على إيقاع لا يضبطه سوى من يعرف كيف يلمس القلوب، يُعتبر اللعب على الوتر العاطفي فنًا لا يُتقنه إلا القليل من الساسة الذين يفهمون أن الدموع يمكن أن تكون أقوى من السيوف، وأن الحزن الجمعي قد يُسقط أقوى الحصون. هذا القانون هو عصب السياسة الذكي، حيث تحَوّل مشاعر الجماهير إلى سلاح فتّاك يمكّنك من قيادة القافلة حتى وإن كانت تنزف.

تخيل نفسك قائدًا يواجه شعبًا يعاني من الفقر والقهر، قلوبهم مثقلة بالأوجاع والأمل يوشك على أن يُسحق تحت أقدام الحقيقة القاسية. ماذا تفعل؟ هنا تأتي عبقرية القانون: ليس عليك سوى أن تنتظر تلك اللحظة المفصلية، عندما يهتز المجتمع بخبر مؤلم، كاستشهاد شخصية معروفة أو وقوع حادث جلل، ثم تبدأ في نسج القصة العاطفية حول هذا الحدث، لتجعل من الحزن جسراً تعبر به نحو قراراتك الجديدة.

تصوّر أنك تراقب هذه اللحظة من برجك العالي، حيث ترى الناس يتجمعون، يذرفون الدموع، يتبادلون العناق، ويتوحدون تحت لواء الألم. ها هنا، تجد الفرصة الذهبية. تبدأ بالتحدث عن الشهيد الذي ارتقى إلى السماء، وتسرد قصته بلهجة ملؤها الشجن والفخر. تجعل من حياته أسطورة، ومن مماته شعلة تضيء درب الوطن. لكن لا تخطئ: هذه ليست مجرد خطب جوفاء، إنها شعلة تضيء لك الطريق نحو كسب التأييد والتفاف الناس حولك.

في هذه اللحظات، يتحول الحزن إلى كيان مادي يمكنك أن تحركه كما تشاء. تصف القرارات التي ستتخذها بأنها استجابة طبيعية لتلك الفاجعة، وتستخدم مشاعر الناس كغطاء شرعي لتمرير ما تراه مناسبًا. فإذا كان هنالك قانون جديد يتطلب تمريره، أو قرار سيادي يحتاج إلى

دعم، فما عليك إلا أن تربطه بذلك الشهيد، لتصبح تلك القرارات وكأنها إرثٌ تركه خلفه من رحل.

وبينما تتحدث عن الأبطال والشهداء، تتلاشى الأصوات المعارضة، لأنها ستبدو وكأنها تقف في وجه الحزن الجماعي، وهذا آخر ما يريده أي شخص يود الحفاظ على مكانته بين الناس. وهكذا، يصبح النقد مستحيلا، وتتحول القرارات الصعبة إلى ضرورة لا غنى عنها، مغمورة بطبقة من العاطفة التي تجعل كل شيء يبدو أكثر قبولا، وأكثر شرعية.

لكن لا تتوقف هنا؛ العب على هذا الوتر العاطفي كما يعزف العازف على آلة مشحونة بالعواطف. اعقد الاحتفالات، واطلب من الشعب أن يكرم ذكرى الراحلين، وجعل من كل مناسبة فرصة لإعادة تأكيد قوتك وسيطرتك. كلما زاد الحزن، زادت حاجتهم إليك، وكلما ازداد تعلقهم بك، ازداد نفوذك واستقرارك.

في لحظات كهذه، تصبح أنت القائد الذي يحمل راية الحزن، وتتحول مشاعر الجماهير إلى سيف ذي حدين، يقاتل به من أجلك، وفي ذات الوقت، يحميك من كل انتقاد. تصبح الدموع التي يذرفها الناس بحراً تبحر فيه سفينتك نحو شواطئ السلطة المطلقة.

لكن تذكر: الحزن كالنار، إذا لم تتحكم فيها قد تحرقك. لذا، كن دائمًا على دراية بكيفية استغلاله دون أن تفقد السيطرة. لا تدع الأمور تخرج عن يدك؛ اجعل من كل دمعة خطوة جديدة نحو تثبيت أركان حكمك. فالناس، في نهاية المطاف، يبحثون عن قائد يشاطرهم الحزن، ولكنهم يريدون أيضًا قائدًا قويًا يقودهم إلى بر الأمان. وهنا تكمن براعتك: أن تكون ذلك القائد الذي يغمرهم بالعاطفة، ولكنه لا ينسى أن يحكم بيد من حديد.

وهكذا، يصبح اللعب على الوتر العاطفي ليس مجرد تكتيك عابر، بل هو استراتيجية مستدامة تضمن لك أن تبقى دائمًا في قلوب الناس، مهما كانت القرارات التي تتخذها. لأنهم، في النهاية، سيرون فيك المنقذ الذي

يحمل على كتفيه أثقالهم، ويبكي معهم على فقيدهم، بينما في قلبك، تعرف أنك صنعت من الحزن سلماً ترتقي به إلى قمة السطوة والهيمنة.

١٣٣ - قانون التدوير الوظيفي: رقصة السلطة في دوامة السراب

في عالم السياسة العراقي، حيث تُدار الأمور على إيقاع لا يتقنه سوى الحُذّاق، يظهر قانون التدوير الوظيفي كواحد من أعظم الحيل التي يمكن للقادة استخدامها لتثبيت أقدامهم في عرش السلطة دون أن يشعر أحدٌ أن شيئًا قد تغيّر. إنه فنٌ يتطلب براعة في إدارة الأوهام؛ حيث تُقدم للجماهير مشهداً مموّهاً من التحركات والتغييرات، بينما في العمق، يبقى كل شيء ثابتًا، وكأن الزمن توقف في مكانه.

تصوّر نفسك قائداً لديه فريق من الموالين، لا يتزحزحون عن ولائهم لك مهما كانت الظروف. هؤلاء هم القاعدة التي ترتكز عليها سلطتك، ولذا، يجب أن تظل حريصاً على إبقائهم في مواقعهم، حتى وإن بدا للجميع أنهم يتنقلون بين المناصب كالنحل بين الزهور. ولكن هنا تكمن عبقريتك: لن يشعر أحد أن هؤلاء الرجال مجرد قطع في لعبة محسوبة مسبقًا، لأنك ستجعلهم يبدون وكأنهم العمود الفقري للتغيير، بينما هم في الحقيقة لا يتحركون إلا بأمرك.

تخيل أنك تقود دولة يتعطش فيها الشعب للتغيير، يرغبون في وجوه جديدة، في سياسات مختلفة. فما الحل؟ ببساطة، قم بتحريك رجال ثقتك بين المناصب كما يحرك الفلاح المحنك الماء بين قنوات الري، دون أن يغير مصدره. هنا، يصبح وزير الدفاع وزيراً للصحة، ووزير الاقتصاد يتولى وزارة التعليم، ويستمر المشهد في التبدل. لكن التغيير الحقيقي؟ إنه كما سراب في الصحراء؛ يُرى ولا يمس.

في كل مرة تقوم فيها بإعلان تدوير جديد، ترى العيون تلمع، والألسنة تلهج بالشكر، وكأن الأمل قد عاد ليُضيء الطريق. ولكن ما لا يدركه أحد أن تلك الرقصة التي يؤدونها على أنغامك ما هي إلا دائرة مغلقة؛ يتنقلون فيها بين مواقعهم دون أن يتغير شيء. إنهم كراقصين في حفلة تنكرية، تتبدل أقنعتهم مع كلِ نغمة جديدة، ولكن الراقصون هم ذاتهم، لا يغادرون ساحة الرقص أبداً.

دعنا نرسم سيناريو ساخراً: عندما يطالب الناس بإصلاح القطاع الصحي، تقوم بنقل وزير الصحة ليصبح وزيراً للزراعة. تُبرر هذا القرار بأن لديه خبرة في "زراعة" الحلول، لكن الحقيقة أن الرجل ذاته، الذي فشل في إدارة الصحة، لن يكون سوى نسخة جديدة من فشله السابق، ولكن في حقل آخر. وهكذا، تشغل الناس بقصة التغيير بينما يستمر الفشل، وكأنك تعيد تشغيل نفس الفيلم الرديء في دور عرض مختلفة.

وفي كل مرة يطلب منك أحدهم تغييراً حقيقيًا، تستطيع ببساطة أن تبتسم وتقول: "لقد قمنا بالتغيير!"، وأنت تعرف في قرارة نفسك أن كل ما فعلته هو تبديل الوجوه في نفس المرايا. إنه فن تزيين الحقيقة بألوان زاهية، بينما تظل الحقيقة جاثمة هناك، في الظل، لا يراها أحد.

ولعل الأجمل في هذا القانون هو أنك لا تحتاج حتى إلى تغيير السياسات، فقط الأسماء والعناوين. من السهل إرضاء الحشود بشيء من الحراك الظاهري، فينشغلون بالتصفيق لهذا الوزير الذي أصبح مستشاراً، وذاك المستشار الذي أصبح وزيراً، بينما لا يدركون أن كل تلك الحركة ليست سوى دخان يتبدد في الهواء. الناس يريدون التغيير، فتمنحهم إياه على طبق من وهم.

أما حين تعصف بك العواصف، ويطالبك الجميع بتغيير حقيقي، فما عليك إلا أن تدير عجلة التدوير بسرعة أكبر. ولكن احرص على أن تبقي تلك الوجوه المألوفة في مناصبها، حتى وإن تغيرت أسماؤها. وهكذا، يصبح التدوير الوظيفي أشبه بدوامة تلتهم كل محاولة للتغيير، وتعيدها إلى نقطة البداية. إنه كالسحر الأسود، حيث يظن الجميع أنهم يشهدون تحولاً عظيماً، بينما في الواقع، هم يدورون في مكانهم.

وفي عمق هذه الاستراتيجية، تتجلى براعتك في التحكم بنفوس الجماهير، حيث تدفعهم لتصديق أن التغيير يحدث، بينما هو في الحقيقة مجرد وهم بصري. تراهم يتهامسون بأن الأمور بدأت تتحسن، وأن هناك وجوهًا جديدة ستصلح ما أفسده السابقون، ولكن ما لا يعرفونه أن

تلك الوجوه "الجديدة" هي مجرد انعكاسات قديمة، مصبوغة بألوان براقة، ولكنها تحمل نفس القلوب والنوايا.

وفي النهاية، يبقى قانون التدوير الوظيفي سلاحك السري للبقاء في السلطة دون أن تواجه أي تهديد حقيقي. أنت تلعب لعبة الأوهام، حيث التغيير يحدث فقط في الأذهان، أما على الأرض، فإن كل شيء يظل كما كان. تبقى في القمة، ممسكًا بزمام الأمور، بينما الشعب يظن أنه يمضي قدمًا نحو مستقبل أفضل. وفي كل مرة تدور فيها عجلة التدوير، تعود إلى نفس النقطة، حيث تظل السلطة في يدك، دون أن يجرؤ أحد على انتزاعها منك.

إنه فن السياسة في أبهى صوره، حيث لا تُقدم للناس سوى ما يرغبون في رؤيته، بينما تحتفظ بالحقيقة لنفسك. إنه السحر الذي يجعلك تظل على عرش السلطة، بينما يظن الجميع أن العرش يتغير.

١٣٤ – قانون تسريب المعلومات المتعمد: فن التضليل بإلقاء الطُعم على الرأي العام

في عوالم السياسة العراقية المعقدة، حيث لا ينجو إلا الأكثر مكراً وحيلة، يبرز قانون تسريب المعلومات المتعمد كأداة فائقة الفعالية لتوجيه بوصلة الرأي العام كيفما تشاء، دون أن تدفع في مقابل ذلك سوى فتات من المعلومات المغلوطة أو التافهة. إنه سلاح لا يخفق، يعرف كيف يصرف انتباه الصحافة والجماهير إلى الاتجاه الذي ترغب فيه، بينما تُخفي خلف الأكمة ما تُخفيه.

تصوّر نفسك قبطانًا يواجه عاصفة من الفضائح والأزمات التي تهدد بإغراق سفينتك في بحر السياسة الهائج. الصحافة تنتظر بفارغ الصبر فرصة لتنهش لحمك، والجماهير تمتلئ بالقلق والتوتر. ماذا تفعل؟ هنا يأتي قانون تسريب المعلومات المتعمد ليكون طوق نجاتك. تبدأ اللعبة بإطلاق إشاعة أو خبر، يبدو في ظاهره مهمًا، ولكنه في جوهره ليس سوى دخان في الهواء. وكأنك صياد بارع يلقي بشبكته في البحر، ليشتت الأسماك بعيداً عن المصيدة الحقيقية.

تخيل أنك تواجه اتهامًا خطيراً يتعلق بفساد في أعلى مستويات الحكم. بدلا من مواجهة العاصفة، تقوم بتسريب خبر عن اجتماع سري عُقد بينك وبين أحد خصومك، ويدور حول مسألة تافهة، لكنها مغرية بما يكفي لإشغال الصحافة. فجأة، يتحول التركيز من قضايا الفساد إلى تكهنات حول هذا الاجتماع المزعوم، وتبدأ الصحف في نشر تحليلات مطولة، متناولة كل زاوية ممكنة لهذا اللقاء، وكأنها تحلل لوحة "الموناليزا" لتكتشف سر ابتسامتها.

الصحفيون أشبه بقطط ضالة، تنجذب لأي حركة مفاجئة. وأنت تعرف جيداً كيف تلعب معهم. تسرب لهم شيئًا هنا، وتلمّح بشيء هناك، فتراهم يتسابقون للحصول على "السبق الصحفي"، فيلهثون وراء وهم المعلومة، بينما تكون الحقيقة التي يجب أن تُكشف قد دُفنت تحت طبقات

من الضجيج الإعلامي. إنه أشبه بمن يرمي العظمة للكلب، ليتلهى بها بينما يتسلل هو من خلف الباب المغلق.

ولنضف بعض التوابل على هذا الطبق، لنتخيل سيناريوهات متعددة تقوم بتسريبها، كل منها يشير إلى مسار مختلف. مثلا، تُسرب معلومة عن صفقة تجارية ضخمة تجري في الخفاء، ثم تُسرب بعدها بيومين خبراً عن مشروع قانون مثير للجدل قيد الدراسة. وهكذا، تدور الدوامة الإعلامية في حلقة مفرغة، تحاول الإمساك بخيوط القصة الحقيقية، ولكنها تجد نفسها عالقة في شبكة من الأكاذيب والافتراضات. وفي هذه الأثناء، تكون أنت قد حققت أهدافك دون أن يشعر أحد بما يدور خلف الستار.

ولأنك داهية، تدرك أن التسريب ليس دائمًا سيئًا. ففي بعض الأحيان، قد يكون وسيلة لتمرير القرارات أو لقياس رد فعل الشارع قبل اتخاذ خطوة حقيقية. فتقوم بتسريب خبر عن نية الحكومة فرض ضرائب جديدة، لتراقب كيف ستتفاعل الجماهير. إذا كان الرد سلبيًا، يمكنك ببساطة نفي الخبر والقول إنه كان مجرد سوء فهم. أما إذا كان الرد إيجابيًا أو مقبولا، يمكنك المضي قدمًا في خطتك وكأنك كنت تستمع إلى صوت الشعب. إنه سحر أبيض وأسود، تستخدمه بحذر لتبقى دائمًا في موقع القوة.

في كل مرة تتصاعد فيها الضغوط، وتصبح الأضواء مسلطة عليك، لا تسقط في فخ المواجهة المباشرة. بدلاً من ذلك، اخلق ضجيجًا من لا شيء، أرسم مشاهد جانبية تلهي الجميع. إنها مثل قاذف العصافير الذي يُطلق الطلقات الفارغة لتخيف الطيور بعيداً عن الحقل الذي يحرسه. الصحافة ستلتقط الطُعم، والرأي العام سيتشتت، وأنت تستمر في طريقك نحو الهدف بدون عوائق.

ولأنك تفهم اللعبة جيداً، لا تتوقف عند حد تسريب المعلومات فقط، بل تتحكم أيضًا في كيفية انتشارها. تختار الصحفيين بعناية، تُسرب لهم المعلومات "الحصرية"، وتراقب كيف ينشرونها بشغف. وهم يظنون أنهم

حققوا سبقًا صحفيًا ، بينما تكون أنت قد حرّكت البيادق على رقعتك كما تشاء. كلما زادت الضوضاء ، قلت قدرة الناس على تمييز الحقيقة من الزيف ، وهنا تكون قد حققت الانتصار.

في النهاية ، يصبح قانون تسريب المعلومات المتعمد هو سلاحك المفضل لإبقاء الجميع منشغلين بما تريدهم أن ينشغلوا به ، بعيدًا عن الحقيقة التي تخفيها في أعماق السياسة. الصحافة تتحول إلى مهرجان من الفرضيات ، والرأي العام يضيع في متاهة من المعلومات المتناقضة ، وأنت وحدك تعرف طريق الخروج. إنها رقصة على أطلال الحقيقة ، حيث تكون الموسيقى من تأليفك ، والراقصون لا يدركون أنهم مجرد أدوات في يديك.

تذكر دائمًا ، أن تسريب المعلومات المتعمد ليس مجرد أداة لإشغال الناس ، بل هو فنٌ يتطلب مهارة في اختيار الوقت والمعلومة والشخص المناسب. إنه كالسيف ذو الحدين ، إن استخدمته بحذر ، يمكنك أن تحافظ على سلطتك وتحمي نفسك من الهجمات ، أما إن أفرطت في استخدامه ، فقد تجد نفسك محاصراً بالضجيج الذي صنعته بيديك. لذا ، احرص على أن تظل دائمًا متحكمًا في اللعبة ، وأن تظل الحقيقة دائمًا بعيدًا عن متناول من يريدون كشفها.

١٤٤- قانون خلق الحاجة الدائمة: زراعة العوز كسورٍ يحمي العرش

في عالم السياسة العراقي، حيث لا شيء يُترك للصدفة، يبرز قانون خلق الحاجة الدائمة كأحد أكثر القوانين دهاءً وفاعلية في الحفاظ على السلطة. إنه ليس مجرد استراتيجية عابرة، بل هو نهج طويل الأمد يُبنى على فهم عميق لطبيعة البشر وكيفية تحويل احتياجاتهم الأساسية إلى أدوات لضمان ولائهم الأعمى. فالعوز، إذا أُحسن استخدامه، يصبح حبلا سريًا يربط عنق الجماهير، يمنعهم من رفع رؤوسهم والتفكير في تغيير الواقع المفروض عليهم.

تخيل نفسك ملكًا في قلعة منيفة، محاطًا بجدران من الذهب، ولكن خارج هذه الجدران، يعيش الشعب في أكواخ من طين، يعانون من نقص في الغذاء، والدواء، وكل ما يُبقي الإنسان على قيد الحياة. أنت تعلم أن سر بقائك في القمة يكمن في إبقاء هؤلاء الناس منشغلين بحاجاتهم اليومية، فلا يستطيعون الالتفات إلى القصر البعيد الذي تتحكم أنت فيه بمصائرهم.

في البداية، تقوم بزرع بذور الحاجة بعناية. تبدأ بتقليص الموارد شيئًا فشيئًا، تجعل الماء شحيحًا، والكهرباء تأتي وتذهب كضيف ثقيل. لا تُعطهم ما يكفي أبداً، بل فقط ما يحافظ على حياتهم بصعوبة، كمن يسقّي نبتة بالماء المالح، فتظل على قيد الحياة ولكنها لا تزدهر. إنهم يبقون مشغولين دائمًا، يلهثون خلف لقمة العيش، ويغرقون في دوامة لا تنتهي من البحث عن الأساسيات. وحينما يمتلئ ذهن الإنسان بالجوع والعطش والحاجة، فإنه لا يجد وقتًا ليفكر في الثورة أو المطالبة بالتغيير.

ثم تقوم بتقديم الحلول، لكنها حلول ناقصة، أشبه بمن يرمي كسرة خبز لجائع، فيأكلها بسرعة ويعود ليطلب المزيد. تجعل الشعب يتوسل لك للحصول على حقوقه البسيطة، فتمنحهم إياها بالتقسيط، قليلا هنا وقليلا هناك. في كل مرة تعطيهم شيئًا، تحرص على أن يشعروا بأنهم

مدينون لك، وأنه لولا كرمك لما حصلوا على هذه الفتات. إنهم يعيشون في دائرة من العوز المتجدد، كلما ظنوا أنهم اقتربوا من الاكتفاء، تدفعهم خطوة للخلف، لتبدأ اللعبة من جديد.

ولأنك تعلم أن الجوع كفيل بتحطيم أعتى الإرادات، تتركهم يلهثون خلف السراب. تُشغلهم بلقمة العيش عن التفكير في القضايا الكبرى، فلا يعود لديهم متسع من الوقت ليتساءلوا عن السبب الحقيقي وراء معاناتهم. وفي الوقت ذاته، تزرع بينهم الخوف من المجهول، تجعلهم يعتقدون أن الفقر والعوز هما حال الدنيا، وأنك وحدك القادر على إبقائهم فوق سطح الماء، حتى وإن كانت رؤوسهم تغرق تحت الأمواج.

وهنا تأتي لمسة عبقريتك: لا تدعهم يصلون أبداً إلى نقطة الاكتفاء. كلما اقتربوا من تحسين أوضاعهم، تخلق أزمة جديدة. قد تكون أزمة في الغذاء، في الطاقة، أو حتى في الأمن. المهم أن تظل الحاجة قائمة، وأن يظل الشعب يقف عند أبوابك طالباً الحلول. إنهم كالماشية التي تُطارد الجزر المعلق أمام أنوفها، لا يدركون أن الجزر مربوط بخيط لا ينقطع أبداً.

ثم ترفع منسوب العبقرية إلى ذروته حين تبدأ في تقسيم حاجاتهم إلى طبقات، فتخلق نوعاً من "العوز المركب". تجعل الطبقات الدنيا تنافس بعضها على الفتات، بينما تشاهد من عليائك مشهد الصراع المرير. هؤلاء يتقاتلون على الفتات، ويشعرون بأنهم إن لم يفعلوا ذلك، سيهلكون. أما الطبقة التي تليها، فتمنحها امتيازات بسيطة، تكفيها لتشعر بالتفوق على الأدنى منها، ولكن لا تكفيها لتتطلع إلى ما فوقها. وهكذا، تضمن ألا تتوحد الصفوف ضدك، لأنهم مشغولون بالتنافس على العدم.

ولكنك تعرف أن الجوع المطلق قد يدفع الإنسان للتمرد، لذا عليك أن تترك لهم بصيصاً من الأمل. تعطيهم وعوداً بحياة أفضل، مشروعات كبرى تنتظر التنفيذ، فرص عمل ستُخلق قريباً. هذه الوعود هي العصا والجزر في آن واحد، تُبقيهم متمسكين بك، ينتظرون منك الخلاص، حتى

وإن كان خلاصًا مؤجلا إلى أجل غير مسمى. المهم أن يستمروا في انتظار هذا الوعد، لا أن يتحركوا لتحقيقه بأنفسهم.

وفي النهاية، تسيطر على وعي الجماهير، تجعلهم يشعرون بأن حاجاتهم المتواصلة هي قدرهم المحتوم، وأنك أنت الشخص الوحيد القادر على تخفيف وطأته. وهكذا، يصبحون عبيدًا لحاجاتهم، غير قادرين على التفكير في تغيير الوضع القائم، لأنهم ببساطة لا يعرفون ماذا يعني أن يكونوا مكتفين.

في نهاية المطاف، يتحول قانون خلق الحاجة الدائمة إلى شبكة معقدة تمسك بجميع الخيوط، تمنع الشعب من رؤية الحقيقة، وتُبقيهم أسرى للعوز الذي لا ينتهي. إنهم يعيشون في عالم من الاحتياجات التي لا تُلبى، ولا يعرفون أن الحل الوحيد للخروج من هذه الدوامة هو كسر الحلقة التي تضعها حول أعناقهم. ولكن، طالما أنك تسيطر على مفاتيح هذه اللعبة، سيظل الشعب يدور في دوامة الحاجة، وأنت تبقى في موقعك، تحكم قبضتك على السلطة، بلا منازع ولا مقاوم.

١٤٥- قانون التوقيع على المعاهدات دون تطبيقها: الحبر السحري لتلميع الواجهة

في عالم السياسة العراق، حيث الأضواء الساطعة لا تنفك عن تسليط نفسها على كل زلة أو تحرك، يمتلك الداهية السياسي أدوات من نوع خاص، أدوات لا تُرى بالعين المجردة لكنها تحدث الفرق. ومن بين هذه الأدوات يأتي قانون التوقيع على المعاهدات دون تطبيقها، كإحدى أذكى الحيل التي تُزين الصورة الخارجية دون أن تُلزمك بشيء سوى حركة يد سريعة وقلم مليء بالحبر السحري.

تخيل نفسك قائداً يُحيط بك الصحفيون وكاميرات الأخبار العالمية، ينتظرون بفارغ الصبر لحظة توقيعك على معاهدة دولية تتعلق بالبيئة أو حقوق الإنسان أو حتى الأمن العالمي. الأضواء تلمع، وعدسات الكاميرات تكاد تلتهم الورقة التي ستُوقع عليها. ما الذي يدور في ذهنك في هذه اللحظة؟ هل تفكر في كيفية تطبيق هذه المعاهدة على أرض الواقع؟ بالطبع لا! لأنك تعرف جيداً أن التوقيع على الورق هو كل ما يهم في هذا المشهد، وأن التزامك الحقيقي ينتهي عندما ترفع القلم عن الورقة.

إياك أن تظن أن توقيعك هو مجرد حركة شكلية؛ بل هو سلاح ذو حدين. من ناحية، تحسن صورتك أمام المجتمع الدولي وتظهر بمظهر القائد المسؤول، المُلتزم بالقوانين والمعايير العالمية. ومن ناحية أخرى، تعرف جيداً أن هذه الورقة لن تتجاوز درج مكتبك، أو ربما تُنسى في أحد الأرشيفات المظلمة التي لا يزورها سوى العنكبوت.

تلك اللحظة التي تضع فيها توقيعك على المعاهدة ليست إلا مشهداً قصيراً من فيلم طويل تُخرجه أنت بحنكة. ترى وزراء الخارجية والدبلوماسيين يصفقون لك، ويهللون بإنجازك الكبير، لكنك تعلم في قرارة نفسك أن كل هذه الضجة ستتلاشى في الهواء، وكأنها لم تكن. فالأوراق، كما يقول المثل القديم، تحمل كل شيء ولا تتحمل أي شيء.

لكي تُتقن هذا الفن، عليك أولا أن تختار المعاهدات التي ستوقع عليها بعناية. ابحث عن تلك التي تبدو رائعة في العناوين ولكنها بعيدة كل البعد عن الواقع. على سبيل المثال، معاهدة للحد من انبعاثات الكربون، في بلد لا تزال فيه المصانع تعمل بالفحم كما كانت تفعل في القرن التاسع عشر. أو ربما معاهدة لحقوق الإنسان في بلد لم يسمع أحد فيه بهذه الحقوق سوى في الخطب الرنانة.

عندما تجد المعاهدة المناسبة، تأتي الخطوة التالية: التوقيع. اجعل من توقيعك حدثًا يُبهر الحاضرين. أضف لمسة من الوقار، ابتسم ابتسامة الثقة، ثم ارفع قلمك لتوقيع اسمك بحروف كبيرة وواضحة. هذه اللحظة، وإن كانت قصيرة، ستُسجل في الأذهان والصور، وستجعل منك بطلا في نظر العالم، ولو لبرهة.

بعد أن تنتهي من التوقيع، تبدأ لعبة الإخفاء. لا تدع أحدًا يسألك عن كيفية تطبيق هذه المعاهدة، ولا عن الخطوات التي ستتخذها لتحقيق أهدافها. كن غامضًا، استخدم العبارات الفضفاضة مثل "نحن ملتزمون بتحقيق هذه الأهداف في الوقت المناسب"، أو "سنعمل بجد لتنفيذ التوصيات بما يتماشى مع ظروفنا الخاصة". إنها كلمات تبدو عظيمة، لكنها في الحقيقة لا تعني شيئًا.

وعندما تبدأ الأسئلة تُطرح حول التقدم في تطبيق المعاهدة، يمكنك ببساطة أن تُلقي باللوم على العقبات التقنية أو الأزمات الاقتصادية، أو حتى العوامل المناخية. نعم، يمكن للطقس أن يكون عذرًا مناسبًا لتأجيل تنفيذ أي اتفاقية. بهذه الطريقة، تظل في دائرة الأضواء كقائد ملتزم ومسؤول، دون أن تضطر لفعل أي شيء حقيقي.

ومع مرور الوقت، ستجد أن الناس قد نسوا المعاهدة تمامًا، ولكن صورتك قد ترسخت كقائد عالمي. حتى وإن تذكّر أحدهم فجأة هذه المعاهدة، يمكنك أن تؤكد له أن الأمور تسير على ما يرام، ولكنها تأخذ وقتًا، وأن "التغيير لا يحدث بين ليلة وضحاها". إنها الحقيقة البسيطة التي

يستند إليها هذا القانون: الوقت كفيل بتبديد أي ضغوط أو تذكير بالتزاماتك، والتسويف هو صديقك الأمين.

في نهاية المطاف، تصبح المعاهدات التي تُوقعها أشبه بزينة تُعلق على واجهة البيت، تُبهر الناظرين من الخارج، ولكنها لا تُغير شيئًا في الداخل. إنها مجرد ديكور يُعزز صورتك دون أن يفرض عليك أي التزامات. فالعالم مليء بالمعاهدات والاتفاقيات التي لم يُكتب لها التنفيذ، لكنها تظل رمزًا للمكانة والهيبة الدولية.

إذن، قانون التوقيع على المعاهدات دون تطبيقها هو إحدى الحيل الأكثر ذكاءً وفاعلية في ترسانة أي قائد محنك. إنه يتيح لك أن تظل في دائرة الضوء، محاطًا بالتقدير والاحترام، بينما تواصل إدارة شؤونك بالطريقة التي تناسبك. أنت تُدير اللعبة بمهارة، تكتب اسمك في السجلات الذهبية، وتترك الآخرين ينشغلون بتفسير معاني توقيعاتك. وفي النهاية، ستبقى أنت القائد الذي يُصفق له الجميع، بينما تبقى المعاهدات مجرد حبر على ورق، لا ترى النور أبدًا.

١٤٦- قانون تأجيل الاستحقاقات : أجل جميع الاستحقاقات المالية أو السياسية لتجنب الضغوط والتفاوض على فترات أطول.

في مملكة السياسة العراقية العجيبة، حيث يتلاعب الحكماء بالزمن كما يتلاعب الساحر بأوراقه، يتجلى قانون تأجيل الاستحقاقات كأحد أبرز أساليب الدهاء والإفلات من المآزق. هذا القانون هو في جوهره سلاحٌ براق، يعفيك من مواجهة الحقائق المزعجة ويمنحك متسعًا من الوقت لترتيب أوراقك، أو ربما لترك الرياح تهب وتأخذ معها بعضًا من تلك الضغوط التي تلاحقك كظلٍ لا ينفك عنك.

تصور أنك قائد محنك، تُطاردك استحقاقات مالية أو سياسية، وكل منها يشبه حبلا يُلف ببطء حول عنقك. لكنك تعلم جيداً أن الحبل، وإن كان متينًا، إلا أنه يمتد في الزمن. وما دامت هناك فسحة من الوقت، فما من سبب يجبرك على التسرع في حله. لذا، تتقن فن السير على الحبل المشدود، تدرك أن المراوغة والانتظار هما سلاحك الأقوى. فإذا طُلب منك سداد ديون، فأجل، وإذا طالبك الشعب بإصلاحات، أجل، وإذا داهمتك الأزمات، أجل مرة أخرى. لماذا العجلة؟ فالوقت حليفك الوفي.

في كل مرة يقترب فيها أحدهم مطالبًا بتنفيذ استحقاق، تبتسم برفق كمن يواجه طفلا يتعجل الحصول على لعبته، ثم تقول بثقة: "كل شيء في أوانه". أنت تعرف أن الحياة ليست سباقًا، بل هي سلسلة من التأجيلات المتتالية، مثل حية تأكل ذيلها دون أن تشعر بالشبع. كلما أتيت إلى مفترق طرق، تجد نفسك قادراً على خلق مفترق جديد، وهكذا تستمر في السير، دون أن تصل أبدًا إلى الوجهة النهائية التي تنتظرها الضغوط هناك.

ولأنك خبير في ترويض الزمن، تجعل من التفاوض مسرحًا لا تُسدل ستائره أبدًا. تدخل في المحادثات بكل رحابة صدر، تستمع، تناقش، تطرح الأفكار، ثم تسحب كل شيء إلى الأمام، كمن يمد خيطًا لا نهاية له. تعلن عن الحاجة لمزيد من الدراسات، تطالب بتحليلات إضافية،

وتُعيد النظر في كل صغيرة وكبيرة. تُعقد الاجتماعات وتحدد المواعيد، لكنها جميعًا تنتهي بعبارة بسيطة: "سنكمل هذا لاحقًا". إنه عرض مستمر، لا ينتهي ولا يؤدي إلى شيء.

أنت تعلم أن الاستحقاقات ليست مجرد أرقام على ورق، بل هي أدوات تُستخدم ضدك للضغط عليك. لذا، تتقن تأجيلها كمن يُضعف خصومه بسحبهم إلى ساحة لا يحكمها إلا الزمن. كلما طال الانتظار، فقد الخصم قوته وتحمسه. المطالب تتبخر بمرور الأيام، والمشكلات التي كانت تبدو ملحة، تتحول إلى مجرد ذكريات بعيدة. بهذا الأسلوب، تُضعف خصومك من دون أن تطلق رصاصة واحدة.

ولكن، التأجيل ليس مجرد لعبة انتظار، بل هو استراتيجية تتطلب ذكاءً وحسابات دقيقة. فالتأجيل الذكي هو الذي يبدو مبرراً، منطقيًا، بل وحتى ضروريًا. تقدم وعوداً بغد أفضل، ولكنك تؤجل التنفيذ بحجة الظروف الطارئة أو الأزمات المفاجئة. تأجيل ذكي يجعل من الاستحقاق نفسه مجرد فكرة قد لا تتحقق أبداً، ولكنه يظل حاضراً كجزء من خطابك السياسي، فيغرق في بحر الوعود التي لا تجد طريقها إلى الشاطئ.

في النهاية، تجد أنك قد صنعت حياة على الحافة، حيث كل شيء مؤجل إلى ما بعد. ولكنك تعلم جيداً أن هذه الحافة هي أفضل مكان يمكن أن تقف فيه. فأنت لست مضطراً للمواجهة، ولست مضطراً لتنفيذ الوعود، بل يكفي أن تستمر في التأجيل. وكما يقال، ما تأجل اليوم قد يُنسى غداً، وما من حاجة لمواجهة الصعاب إذا كان بالإمكان تأجيلها إلى ما لا نهاية.

إذن، قانون تأجيل الاستحقاقات ليس مجرد تكتيك للهروب من الضغوط، بل هو فنٌ عتيق يُتقنه من يعرف كيف يلعب بالزمن ليُبقي كل شيء في حالة ترقب وانتظار. التأجيل هو الطريق الآمن للبقاء في السلطة، لتفادي المواجهات ولترويض الاستحقاقات حتى تذوب في بحر الأيام. وإن كنت تتقن هذا الفن، فلن تجد نفسك أبداً مضطراً للوفاء بأي التزام، لأنك ببساطة، سيد الزمن وحاكم اللحظة التي لا تأتي أبداً.

١٤٧ - قانون الظهور المفاجئ: تجسيد الوهم ببراعة وإتقان

في متاهة السياسة العراقية، حيث تتشابك خيوط النفوذ والسلطة، يبرز قانون الظهور المفاجئ كإحدى الحيل البارعة التي لا يتقنها سوى القادة الذين يعرفون كيف يخطفون الأنظار في لحظة خاطفة، ليتركوا خلفهم انطباعًا خالدًا في أذهان الجماهير. هذا القانون ليس مجرد استراتيجية، بل هو فن رفيع يتطلب توقيتًا دقيقًا وحسًا فنيًا عاليًا، يتجاوز المألوف ويصل إلى أعماق اللعبة السياسية التي تتقنها القلة فقط.

تصور نفسك قائدًا يقبع في برجه العاجي، يراقب من عليائه كيف يغرق الشعب في بحار المعاناة اليومية: الجوع، العطش، انقطاع الكهرباء، وطوابير الخبز التي لا تنتهي. ثم، كالنجم المذنب الذي يشق سماء اليأس، تقرر النزول إلى الساحة. لا تفعلها كباقي المسؤولين الذين يظهرون في مناسبات روتينية مملة، بل اختر اللحظة الحرجة، اللحظة التي تتجمع فيها سحب الكآبة فوق رؤوس الشعب، لتفاجئهم بظهورك المباغت.

كما يُقال، "في التوقيت تكمن الحكمة." فاختيارك للوقت المناسب لا يقتصر على اختيار يوم صعب فقط، بل أيضًا على اختيار اللحظة التي يصبح فيها الشعب في أمس الحاجة إلى بصيص أمل، إلى يد تمتد لهم وسط الطوفان. في هذه اللحظة، تظهر كنسيم يعبر صحراءً لاهثة، فتتجلى في عيونهم كالمخلص الذي طال انتظاره، حتى لو كانت زيارتك مجرد مشهد سينمائي في فيلم طويل تكتب أنت سيناريوهاته بدقة.

عندما تحين اللحظة الحاسمة، يجب أن يكون نزولك إلى الساحة أشبه بالبرق في ليلة عاصفة. اختر مكانًا يعج بالناس، كالسوق المكتظ أو حي شعبي تغرقه الفوضى. ترجل من سيارتك الفاخرة بخطوات واثقة وسريعة، ودع الحراس الشخصيين يبقون على مسافة. إنها لحظتك لتلمع كالذهب في عيون الفقراء. اقترب من الناس، صافحهم بيد تحمل الدفء

والحزم في آن واحد، وتحدث معهم كأنك واحد منهم، كأنك تعيش بينهم في نفس الأحياء الضيقة، تشاركهم نفس القلق والخوف.

ولكن لا تدع مشاعرك الحقيقية تظهر، بل اجعل كل حركة وكل كلمة مدروسة بدقة. أنت هنا لتؤدي دور البطل، والناس هم جمهورك. أعطهم ما يريدون سماعه، اشعرهم بأنك تشاركهم همومهم وتفهم معاناتهم، حتى لو كنت تخطط للعودة إلى قصرٍ مترف بعيداً عن ضجيجهم بعد ساعات قليلة.

الظهور المفاجئ ليس مجرد حركة استعراضية؛ إنه يحمل في طياته قوة خفية تستطيع أن تحول مسار الأحداث. الأزمات التي كانت تُثقل كاهل الناس تتحول بظهورك إلى مشاهد خفيفة. الطوابير الطويلة تُختصر، والوجوه العابسة تبتسم، وكأن وجودك بينهم قد أزال كل المتاعب. هذا التأثير السحري لا يحدث لأنك قدمت حلولا حقيقية، بل لأنك عرفت كيف تلمس الوتر الحساس في قلوب الناس.

وبالطبع، لن يكتمل مشهدك دون عدسات الكاميرات التي تلتقط كل حركة وكل همسة. إنها العدسات التي ستنقل صورتك وأنت بين الناس إلى كل بيت، لتحفر في أذهانهم صورة القائد القريب من شعبه، المنقذ الذي لا يتأخر عن نجدتهم في أوقات الشدة.

بعد أن تتلاشى فورة الحماس الأولى، تبدأ ببناء سردية جديدة. وسائل الإعلام تلتقط صورك وأنت تقف وسط الناس، تتحدث مع الطفل الذي لم يعرف طعم الحلوى منذ شهور، وتستمع إلى المرأة المسنة التي تنتظر غداً أفضل. تُروى القصص عنك في كل مكان، عن قربك من الشعب، عن إنسانيتك وحرصك على الخير. لكنك تعلم أن هذه القصص ما هي إلا جزء من سيناريو أكبر كتبته أنت بنفسك، وأنت وحدك تعرف الحقيقة التي تختبئ خلف هذه الواجهة البراقة.

ولكن كما هو الحال في كل سحر، يجب أن تختفي قبل أن ينكشف سر الخدعة. الظهور المفاجئ يجب أن يكون كالومضة، سريعًا ولكنه يترك

أثرًا عميقًا. في اللحظة التي تشعر فيها أن الناس بدأوا يفيقون من تأثير حضورك، انسحب بهدوء. دعهم يحتفظون بتلك الصورة المثالية التي رسمتها لهم، ولا تترك لهم فرصة للتحقق مما وراء الكواليس. ارجع إلى برجك العاجي، وراقب من هناك كيف يظل الناس يتحدثون عنك لأيام، وربما أسابيع، متناسين كل ما كان يزعجهم قبل ظهورك المفاجئ.

ولا تتردد في استخدام هذا السلاح في كل مرة تحتاج فيها إلى توجيه الأنظار بعيدًا عن أزمة حقيقية. إذا اشتعلت الانتقادات حول سياساتك الاقتصادية، فاجئ الجميع بظهور مفاجئ في حي فقير أو عند مدرسة تعاني من الإهمال. استخدم هذه الحيلة بحذر وذكاء، فهي مثل التوابل، تضاف بجرعات صغيرة لتزيد من نكهة حكمك، ولكنها قد تحرق لسانك إن أفرطت في استخدامها.

وفي النهاية، يصبح قانون الظهور المفاجئ أشبه بترياق يُحقن في وريد شعب متعطش للأمل. الظهور المفاجئ هو الوهم الجمّيل الذي يزرعه القادةً في عقول الناس، ليظلوا دائماً متشبثين بفكرة القائد المنقذ، حتى وإن كان هذا القائد لا يظهر إلا في لحظات مدروسة بعناية. ولكن، هل سيظل الشعب ينتظر ظهور القائد المفاجئ، أم سيستيقظ يومًا ليكتشف أن تلك المفاجآت لم تكن سوى سراب يتلاشى عند الاقتراب منه؟

في النهاية، القيادة ليست مجرد إدارة للأمور اليومية، بل هي لعبة كبيرة تُدار فيها العقول قبل أن تُدار فيها الأزمات. وكلما كان القائد ذكيًا في إدارة ظهوره المفاجئ، كلما بقي على رأس السلطة، محاطًا بحب الناس، حتى وإن كان هذا الحب مبنيًا على وهمٍ جميلٍ يختفي مع أول ضوءٍ للفجر.

١٤٨- قانون ترسيخ الرموز: اصنع من نفسك درعًا مقدسًا لترتدي عباءة الولاء الأبدي

في مضمار السياسة العراقية، حيث يتسابق الجميع للظفر بأكبر حصة من ولاء الشعب، يبرز قانون ترسيخ الرموز كأحد أذكى الاستراتيجيات التي يمكن أن يبتكرها قائد داهية. إنه الفن الرفيع في تحويل الرموز الوطنية أو الدينية إلى أدوات بيدك، تتلاعب بها كما يشاء هواك، لتضمن بقاءك في القمة دون أن يهتز لك عرش. كل ما عليك فعله هو انتقاء الرموز بعناية، ثم ادعاء أنك الحامي الوحيد لها، فيتحول ولاء الناس من تلك الرموز إلى شخصك، فتغدو أنت الرمز الأكبر الذي لا يمكن المساس به.

تصور نفسك قائداً يجلس على عرش السلطة، تتلاعب بعقول الناس كما تتلاعب الأمواج بالسفن الضعيفة. في هذه اللحظة، تدرك أن قوة الرمز أقوى من أي سلاح. فالشعوب تعشق الرموز، تُبجلها، وتقاتل من أجلها. لكنك تعلم أن الرمز لوحده لا يكفي، ما لم تربط وجوده بوجودك. هنا، تأتي لعبتك الكبرى: تزعم أنك الحامي، حارس البوابة الذي يقف بين الرمز وأعدائه، فتكتسب هالة من القداسة التي لا يمكن لأي شخص آخر أن ينالها.

أول خطوة في هذه اللعبة المعقدة هي اختيار الرمز المناسب. عليك أن تبحث عن رمز يجمع الناس، يثير فيهم مشاعر الحب والخوف والاحترام. ربما يكون علم الوطن، أو شخصية دينية تاريخية، أو حتى فكرة مجردة كالحرية أو العدالة. المهم أن يكون لهذا الرمز جذور عميقة في قلوب الناس، أن يكون جزءاً من نسيجهم الروحي والنفسي. بمجرد أن تجد الرمز، تبدأ في بناء روايتك الخاصة حوله، رواية تضعك في قلبها كالحامي الوحيد، الشخص الذي إن غاب، انهار الرمز وانتهى كل شيء.

تبدأ في رسم صورتك كالحامي، تتحدث عن الرمز في كل مناسبة، تُظهر للناس أنك الوحيد القادر على حمايته من الأعداء والمتآمرين. "أنا حامي القيم"، تقولها بصوت مهيب، وكأنك حارس بوابة السماء. تجعل الناس

يعتقدون أن بقاء الرمز يعتمد على بقائك، وأن كل تهديد لك هو تهديد لهم ولرموزهم. تصبح أنت والسيف الذي تحمله صورة واحدة، لا يمكن فصلها عن بعضها البعض.

وفي كل مرة يظهر فيها خطر على الرمز، حتى لو كان وهميًا، تبادر بالدفاع عنه، تقود الحملات، وتُشعل الخطابات النارية. تجعل الناس يعتقدون أنك على جبهة القتال دائمًا، وأنك وحدك القادر على صد الأعداء. في هذه اللحظة، لا يهم إن كان هناك خطر حقيقي أم لا؛ ما يهم هو أنك تظهر كالمنقذ في عيون الجميع.

ولكن اللعبة لا تنتهي هنا. عليك أن تزرع في عقول الناس فكرة أن الرمز بدونك ليس سوى صورة باهتة، وأنك الروح التي تمنحه الحياة. تبدأ في تحويل أي نقد لك إلى هجوم على الرمز، وأي اختلاف معك إلى خيانة للوطن أو للدين. بهذه الطريقة، تضمن ولاء الناس، ليس لك فقط، بل للرمز الذي تدعي حمايته، مما يجعلهم يتجاهلون أخطاءك وعيوبك، لأنهم يعتقدون أن سقوطك هو سقوط لما يؤمنون به.

وفي كل مرة تتعرض فيها لضغوط، تذكر الناس بالرمز، تحدث عن القيم والمبادئ، واستخدم كلمات كبرى مثل "القدسية"، "الكرامة"، و"الوطن". اجعلهم يشعرون بأن أي مساس بك هو مساس بتلك القيم التي تربوا عليها. في هذه اللحظة، يصبح النقد مستحيلا، والمحاسبة أمرًا غير وارد. فكيف يمكن أن يحاسبوا من يرونه درعًا يحميهم من الخطر؟

ومع مرور الوقت، تبدأ في بناء سردية تاريخية جديدة، سردية تجعل من وجودك واستمرارك مرتبطًا بوجود الرمز واستمراره. تكتب كتب التاريخ، تُصدر الأفلام الوثائقية، وتحيي الاحتفالات الوطنية والدينية التي تجسد هذه الفكرة. تحدث الناس عن التاريخ القديم، ولكنك تربطه بحاضرك، وكأنك تجسد ذلك البطل الأسطوري الذي عاد من الماضي لينقذ شعبه. ومع كل قصة تحكى، يصبح الرمز جزءاً من شخصيتك، ويصبح ولاء الناس لك ولاءً للرمز ذاته.

في النهاية، يصبح قانون ترسيخ الرموز أكثر من مجرد استراتيجية سياسية؛ إنه فن التحكم في العقول والقلوب. أنت لا تكتفي بإدارة الدولة، بل تُعيد تشكيل وجدان الشعب، تزرع فيهم فكرة أنك القدر المحتوم، الحارس الأبدي الذي لا يمكن أن يزول دون أن يزول كل شيء. وكلما تعمقت هذه الفكرة، كلما ازداد ولاؤهم لك، ليس كشخص، بل كرمز لا يمكن فصله عن الرمز الذي تدعي حمايته.

وهكذا، بينما يستمر العالم من حولك في التغير والتبدل، تظل أنت ثابتًا كالصخرة، محاطًا بهالة من القداسة التي تضمن بقاءك في القمة، حتى وإن كنت تحمل في داخلك ذاتك الداهية التي تعرف أن كل شيء ليس سوى لعبة، لعبة تديرها ببراعة ودقة لتظل سيد الموقف إلى الأبد.

١٤٩ - قانون إظهار الندم المضلل: عندما يصبح الذئب حملاً وديعًا بين ليلة وضحاها

في السياسة العراقية، حيث تُصاغ القرارات كما تُصاغ العقود مع الشيطان، يعرف القائد المحنك أن كل أزمة، مهما كانت شديدة، يمكن تحويلها إلى فرصة لإعادة التلاعب بالعقول واستعادة الشعبية المفقودة. هنا يأتي دور قانون إظهار الندم المضلل، تلك الحيلة البارعة التي يحول فيها القائد أخطاءه الكبرى إلى مشهد درامي ينال فيه تعاطف الجماهير، وكأنه ذلك البطل التراجيدي الذي يعترف بخطاياه قبل أن يقفز إلى قلب الحريق لإنقاذ الموقف.

تصور نفسك في قلب أزمة سياسية أو اقتصادية هائلة، تهدد مكانتك وتجعلك في مرمى نيران النقد اللاذع من كل حدب وصوب. الحشود غاضبة، الصحف لا ترحم، والمستشارون يتهامسون في أذنك بحلول يائسة. لكنك تعلم أن الحل ليس في الدفاع أو الهروب، بل في إظهار الندم. نعم، الندم، ولكن ليس الندم الصادق الذي يتبعه تغيير حقيقي، بل ندم مصطنع، مُغلّف بطبقات من الدهاء السياسي، يجعل الناس يعتقدون أنك الشخص الذي أدرك خطأه، وأنك على وشك التحول إلى القديس الذي سيقودهم نحو الخلاص.

أول خطوة في هذا القانون هو إتقان فن الاعتراف المسرحي. تجمع الصحفيين والمستشارين وكاميرات التلفاز في غرفة مزينة بألوان باهتة، كأنك تعمدت أن يكون المشهد كئيبًا ليعكس حالتك النفسية. تظهر أمامهم بعينين مملوءتين بالأسى، وترسم على وجهك ملامح الحزن كما يرسم الرسام البارع تفاصيل لوحة ميتافيزيقية. تبدأ كلامك بنبرة هادئة، ثم تنتقل إلى صوت أكثر عمقًا، لتعلن أمام الملأ أنك تدرك الأخطاء التي ارتكبتها، وأنك تشعر بالأسف العميق لما حدث.

لكن، هنا يكمن السحر: لا تتحدث عن الأخطاء بطريقة واضحة وصريحة، بل اترك الأمور غامضة ومبهمة، بحيث لا يستطيع أحد تحديد

الخطأ الحقيقي الذي ترتكز عليه. استخدم كلمات مثل "لم نكن على قدر التوقعات"، "لقد أضعنا الطريق"، "كان يجب أن نكون أفضل". عبارات تُظهر ندمًا دون أن تُدين نفسك بشكل مباشر. الناس لن يبحثوا في التفاصيل، سيكتفون بالإحساس بالندم الذي تملأ به الغرفة.

بعد أن تُظهر ندمك المسرحي، تأتي الخطوة التالية: وعدٌ بالإصلاح. هنا تُطل برأسك، وتعلن أن هذا الندم لن يكون مجرد كلمات فارغة، بل هو بداية لطريق جديد، طريق الإصلاح. تحدث عن خطط مستقبلية، برامج جديدة، لجان مراجعة، وأي شيء يمكن أن يشتت انتباه الناس عن الأزمة الحالية. لكن احذر من الوعود المحددة؛ اجعلها فضفاضة، تحمل في طياتها إمكانية التأجيل، بل وحتى النسيان. الناس سيتعلقون بأي أمل، وسيمنحونك فرصة أخرى، لأنهم يعتقدون أن النادم يعمل بجد للتعويض.

لكن إظهار الندم وحده لا يكفي، عليك أن تتحول في عيون الناس إلى بطل مخلص، ذلك القائد الذي يُخطئ لكنه يعود ليقود شعبه نحو المجد. هنا تبدأ بإبراز قصصك الشخصية عن المعاناة، عن الليالي التي قضيتها تفكر في مصير الأمة، عن تلك اللحظات التي كنت فيها على وشك الانهيار لكنك تماسكت من أجلهم. تجعل من نفسك شخصية تراجيدية، بطلا يحمل على كتفيه هموم الأمة، لكنه لا يزال واقفًا، قويًا رغم كل شيء.

أنت الآن لست فقط ذلك القائد الذي أظهر ندمه، بل أنت الأمل الذي ينتظره الجميع ليخرجهم من الظلام إلى النور. وتلك الدموع التي تكاد تسقط من عينيك ليست إلا جزءاً من العرض الكبير الذي تديره ببراعة. أنت تبيع الوهم، لكنك تبيعه بصدق، والناس سيشترونه لأنهم يحتاجون إلى الإيمان بشيء، حتى لو كان هذا الشيء مجرد خدعة متقنة.

وكما يعرف أي ساحر بارع، فإن العرض لا يكتمل بدون إشراك الجمهور في اللعبة. بعد أن تُلقي خطبتك المؤثرة، تبدأ في استغلال العواطف

الجماعية. تنظم جولات ميدانية، تتحدث مع الناس في الشوارع، تستمع إلى مشاكلهم، وربما تشاركهم في بعض المناسبات الاجتماعية التي تظهر فيها وكأنك واحد منهم. تجعلهم يشعرون بأنك قريب، وأن ندمك حقيقي، وأنك تعمل ليل نهار لتصحيح المسار. في كل خطوة تخطوها، تزرع بذور الثقة من جديد، حتى ينبت في عقولهم أنك القائد الذي لا غنى عنه.

بعد أن تخفت الضجة قليلاً، تعود للظهور مجدداً، ولكن هذه المرة بشكل مختلف. تبدأ بتطبيق بعض الإصلاحات السطحية التي تحدثت عنها سابقًا، فقط لتظهر أنك جاد في ما وعدت به. الناس سيرون في هذه الإصلاحات الصغيرة دليلا على صدق ندمك، ولن يدركوا أن ما تغير فعليًا هو فقط القشرة الخارجية للمشاكل. المهم أن تظهر بصورة القائد الذي يعمل بلا كلل، الذي يتعلم من أخطائه، والذي يتقدم نحو مستقبل مشرق.

في النهاية، يصبح قانون إظهار الندم المضلل أكثر من مجرد استراتيجية لتجاوز الأزمات؛ إنه فنٌ يمزج بين الخداع والإقناع، بين التمثيل والواقع. أنت تدير اللعبة ببراعة، تجعل من أزماتك منصة لإعادة بناء صورتك، وتحوّل الأخطاء إلى فرص لإظهار قوتك الحقيقية. وما دام الناس يرون فيك القائد الذي يُخطئ ثم ينهض من جديد، سيظلون يمنحونك ثقتهم، حتى لو كانت هذه الثقة مبنية على أساس من السراب.

وهكذا، بينما ينام الناس مطمئنين بأن قائدهم يعمل على تصحيح المسار، تكون أنت قد ثبت قدمك مجدداً في ساحة السياسة، مُحصنًا بدرع من ندم مزيف ووعود براقة، تستمر في قيادة السفينة دون أن يشعر أحد بأنك أنت من ألقى بها في دوامة الأخطاء في المقام الأول.

١٥٠ - قانون التحكم في النخب: ترويض الأسود وتزيين الأقفاص الذهبية لضمان الولاء الأبدي

في متاهة السياسة العراقية، حيث لا ينجو إلا الأكثر دهاءً، يدرك السياسي المحنك أن النجاح لا يتحقق بالجماهير العريضة وحدها، بل يتطلب ترويض النخب الرفيعة، تلك الفئات التي تمسك بأوتار القوة الثقافية والاقتصادية في المجتمع. هؤلاء ليسوا كغيرهم؛ إنهم كالأسود المتربصة، تحتاج إلى ترويضها بحذر وتغذيتها بفتات المزايا والامتيازات لتظل وفية وهادئة، تنظر إليك بعين الرضا والاحترام، وربما بشيء من الخوف.

تصور نفسك قائداً يتربع على عرش السلطة، وكل من حولك من النخب الثقافية والاقتصادية ينظرون إليك كالنجم الذي يسترشدون به في ظلمات الأزمات. أنت تعرف جيداً أن هؤلاء ليسوا كالعامة، فهم ذوو نفوذ، يحملون سيوفًا غير مرئية، يؤثرون في الرأي العام ويمسكون بخيوط الاقتصاد. إن كسبتهم، كسبت الاستقرار؛ وإن فقدتهم، فقد تنقلب الطاولة عليك في غمضة عين. لذا، قانون التحكم في النخب هو سلاحك السري، سلاح لا يستخدم إلا بحكمة وبراعة.

أول ما يجب أن تفعله هو أن تتأكد من أن هؤلاء النخب يتغذون جيداً، ليس بالطعام بالطبع، بل بالامتيازات والفرص التي تجعلهم يشعرون بأنهم في قمة الهرم الاجتماعي والاقتصادي. افتح لهم الأبواب الخلفية للصفقات الكبيرة، امنحهم العقود المربحة، وامنحهم الوصول إلى الدوائر الضيقة للسلطة. هم يدركون جيداً أن هذه الامتيازات ليست مجانية، ولكنهم سيقبلونها على أي حال، لأنهم يعرفون أن النظام الذي يحفظ لهم هذه المكاسب هو النظام الذي يجب دعمه بكل ما أوتوا من قوة.

وفي المقابل، سيصبحون لك أسوداً مروضة، جاهزة للانقضاض على كل من يحاول الاقتراب من عرشك. ستجد المثقفين منهم يكتبون المقالات ويدبجون الخطابات التي تبرر كل قرار تتخذه، مهما كان مثيراً للجدل.

أما الاقتصاديون، فسيضمنون أن يستمر الاقتصاد في النمو - على الأقل في الظاهر - رغم كل العواصف التي تهب من الخارج. هم يعلمون أن استقرارك هو استقرارهم، وأن أي خلل في هذا التوازن يعني أن أقفاصهم الذهبية قد تتحول إلى أفخاخ قاتلة.

ولكن يجب أن تكون حذراً في التعامل مع هؤلاء النخب، فهم ليسوا أغبياء. عليك أن تتقن فن تزيين الأقفاص الذهبية التي يعيشون فيها، بحيث تبدو لهم كجنة دنيوية، لا يرغبون في مغادرتها أبداً. قدّم لهم التكريمات والجوائز، اجعلهم يشعرون بأنهم جزء من نخب مختارة، وأن وجودهم في دائرتك هو امتياز لا يمنح إلا للقلة. دعهم يشعرون بأنك الوحيد القادر على منحهم هذا الشعور بالتفوق، وأن فقدانك يعني ضياع هذه الامتيازات إلى الأبد.

ومن حين لآخر، اعقد لقاءات خاصة، اجتماعات مغلقة تتحدث فيها عن خططك الكبيرة، وتشركهم في بعض تفاصيلها. اجعلهم يشعرون بأنهم شركاء حقيقيون، وليسوا مجرد تابعين. بهذا الأسلوب، تضمن أن يكون ولاؤهم لك شخصياً، وليس فقط للمناصب والمال. فهم يدركون أن اللعبة ليست متكافئة، ولكن طالما أن القفص ذهبيًا ومزينًا بما يكفي، فلن يحاولوا كسره.

ولكن، لا تكتف بإطعام الأسود وتزيين الأقفاص. عليك أن تبني تحالفات متينة معَ هذه النخب، تحالفات تستند إلى المصالح المشتركة والرؤية المستقبلية. اجعلهم يرون فيك القائد الذي يحمل مفاتيح الازدهار، القادر على فتح أبواب الفرص أمامهم. تحدث عن المستقبل بعبارات كبيرة، وامنحهم دوراً في هذا المستقبل. اجعلهم يشعرون بأنك تعتمد عليهم في بناء الوطن، وأنك لا تستطيع الاستغناء عنهم.

وفي كل مرة تتعرض فيها لأزمة، اعتمد عليهم ليكونوا جدار الدفاع الأول. دع المثقفين يصوغون الحجج ويصنعون التبريرات، ودع الاقتصاديين يضخون الثقة في الأسواق. في هذه اللحظات الحرجة،

ستجدهم يقفون إلى جانبك، ليس حبًا فيك، ولكن دفاعًا عن مصالحهم التي أصبحت مرتبطة بشكل وثيق ببقائك في السلطة.

ولكن تذكر، رغم كل هذه الحيل، أن النخب قد تكون خنجرًا في ظهرك إذا لم تحسن التعامل معها. لذا، كن دائمًا متيقظًا. راقبهم عن كثب، ولا تسمح لأحدهم بالاقتراب أكثر من اللازم. من الحكمة أن تزرع بينهم بعض الشكوك، أن تجعلهم يتنافسون على القرب منك، بحيث يبقون مشغولين ببعضهم البعض، ولا يتحدون ضدك. قسم بينهم المناصب والمكاسب، ولكن بحذر؛ أعط كل واحد منهم ما يكفي لإبقائه راضيًا، دون أن يشعر أحدهم أنه أصبحَ أقوى منك.

وفي لحظات الشدة، لا تتردد في التضحية بأحدهم إذا كان ذلك سيحميك. اظهر بمظهر القائد العادل الذي لا يتهاون مع الفساد، ولكن كن حريصًا أن لا تصل سيوفك إلى أكثر من رقبة واحدة. الباقون سيشعرون بالخوف، وسيصبحون أكثر ولاءً لك، لأنهم يعلمون أن مصيرهم مرتبط بك بشكل لا يمكن فصله.

في النهاية، قانون التحكم في النخب ليس مجرد أداة للحفاظ على السلطة، بل هو فن رفيع في إدارة العلاقات المعقدة بين القوة والولاء والمصالح المشتركة. أنت كالمايسترو الذي يقود جوقة من الأصوات العالية، كل صوت يحمل في طياته إمكانية التمرد، ولكنك تديرهم بحنكة بحيث تبقى النغمة متناغمة، والنشاز مستحيل.

وفي كل مرة تنجو فيها من أزمة بفضل هذه النخب، تتأكد أن سيطرتك على هذه الفئة الرفيعة هي سر بقائك في قمة الهرم السياسي. أنت تعرف كيف تطعم الأسود دون أن تُفقدها شراستها، وكيف تُزين الأقفاص لتظل ذهبية لامعة، وفي النهاية، يبقى الجميع يدور في فلكك، لأنهم يعلمون أن سقوطك يعني سقوطهم جميعًا.

١٥١- قانون السياسات المتغيرة: رقص على إيقاعات الفوضى المدروسة لإرباك الأعداء

في معترك السياسة العراقية، حيث لا مكان للضعفاء ولا مجال للتردد، يعرف السياسي المحنك أن الاستقرار في الخطط قد يكون الفخ القاتل. لذا، يأتي قانون السياسات المتغيرة كالسيف ذو الحدين، تارة يلمع في وجه أعدائك وتارة يقلب الطاولة على خصومك قبل أن يستوعبوا ما يحدث. إنه فن الفوضى المدروسة، حيث تُغيّر اتجاهاتك كأنك عاصفة لا تعرف السكون، تُثير الغبار في عيون من يظنون أنهم قد فهموك وأدركوا خططك.

تصور نفسك قائداً يجلس في قلب العاصفة، يراقب خصومه الذين يرتبكون مع كل حركة خاطفة تقوم بها. أنت هنا لست قائداً تقليديًا تتبع نهجًا واضحًا يمكن توقعه، بل أنت كالريح التي لا تمسك ولا تُرى، تدور حول أعدائك وتحيطهم بتغييرات مفاجئة لا يجدون لها تفسيراً. اليوم تأخذ قراراً صارمًا، وغداً تتراجع عنه بلا مقدمات، تُصدر قانونًا في الصباح وتلغيه مع حلول المساء، وتظل دائمًا بعيداً عن متناول أيديهم، يراقبونك في حيرة ويعجزون عن التنبؤ بخطوتك التالية.

أول خطوة في هذا القانون هي أن تبدأ بخلق جو من الثبات الظاهري. دع خصومك يظنون أنك القائد الذي يمكن التنبؤ بأفعاله، الرجل الذي يتبع خطًا مستقيمًا في سياساته. اجعلهم يعتادون على نمط معين، بحيث يظنون أنهم قد فهموا مفاتيح شخصيتك واستراتيجياتك. ثم، فجأة، وفي لحظة غير متوقعة، غيّر الاتجاه. ليس ببطء، بل بخطوة حادة وسريعة، كمن يغير إيقاع الرقص في منتصف النغمة. في هذه اللحظة، يشعر خصومك وكأن الأرض قد انشقت تحت أقدامهم، وكأنهم فقدوا السيطرة على فهم ما يحدث.

تخيل أنك تتخذ قراراً اقتصاديًا جريئًا، يصفق له الجميع في البداية. الصحف تملأ صفحاتها بتحليلات متفائلة، والخصوم يبدؤون في حياكة

خططهم على أساس هذا القرار. ثم، ودون سابق إنذار، تُعلن في يوم مشمس أنك قررت إلغاء هذا القرار تمامًا، وأن هناك سياسة جديدة ستحلُّ محله. ترى الدهشة في أعينهم، وتسمع همساتهم المرتبكة. ما الذي يجري؟ هل فقد القائد عقله؟ لا، بل هو يختبر قدرتهم على مواكبة حركاته السريعة، ويضعهم في موقف لا يحسدون عليه.

تغيير السياسات دون تفسير ليس مجرد حركة تكتيكية، بل هو طريقة ذكية للتلاعب بعقول خصومك. عندما تجعلهم يشككون في قدرتهم على فهمك، فإنك تزرع في قلوبهم الخوف والتردد. يبدأون في إعادة تقييم كل خطوة يقومون بها، يفكرون مليًا في كل حركة قبل أن يقوموا بها، خشية أن تكون مجرد فخ آخر من صنعك. في هذه اللحظة، يصبحون مثل لاعبي الشطرنج الذين فقدوا القدرة على قراءة اللعبة، يتحركون بحذر، لكنهم يعرفون أن كل حركة قد تكون هي الأخيرة.

وفي اللحظة التي ترى فيها خصومك قد أصبحوا في حالة من الارتباك والتشتت، تأتي الضربة القاضية. تطرح سياسة جديدة تمامًا، مختلفة عن كل ما سبقها، تضعهم أمام خيارين: إما أن يتقبلوا الواقع الجديد ويفقدوا توازنهم بالكامل، أو أن يحاولوا مقاومة التيار ويغرقوا في موجة من الفوضى. في كلتا الحالتين، أنت الرابح. فقد أصبحوا عاجزين عن التنبؤ بخطواتك، مشوشين إلى درجة لا تسمح لهم باتخاذ موقف حاسم.

لكن، كقائد محنك، تعلم أن التغيير المفاجئ ليس لعبة تمارس بلا حدود. عليك أن تظل دائمًا في موقع أعلى من الجميع، أن تحافظ على هالة من الغموض حول شخصيتك. لا تسمح لأحد بأن يفهمك بالكامل، دعهم يرونك كالقائد الذي يتغير كالفصول، ولكن بدون سابق إنذار. اليوم تكون حازمًا، وغداً متسامحًا، تارة تقود بيد من حديد، وتارة أخرى بيد من حرير. هكذا تظل فوق الجميع، تسيطر على المشهد دون أن يستطيع أحد الاقتراب منك.

في النهاية، يصبح قانون السياسات المتغيرة هو سلاحك السري، السلاح الذي يضمن لك البقاء على قمة الهرم السياسي، بعيداً عن متناول أيدي خصومك. أنت تعرف أن الفوضى، إذا كانت مدروسة، يمكن أن تكون أعظم أداة للحفاظ على السيطرة. تغير الاتجاهات، تثير الغبار في كل مكان، ثم تقف بعيداً، تراقب كيف يحاول الآخرون تلمس طريقهم في الظلام الذي صنعته.

وهكذا، بينما يتخبط خصومك في متاهة لا نهاية لها، تظل أنت الوحيد الذي يعرف الطريق. تبقى في موقع القيادة، مستمتعاً بمشهد الارتباك الذي خلفته خلفك، وتعلم أن قدرتك على التغيير المستمر هي التي تجعل منك قائداً لا يُهزم، قائداً لا يستطيع أحد أن يتنبأ بخطواته، ولا يمكن لأحد أن يسبق أفكاره.

١٥٢ – قانون الإنفاق الخفي: الميزانيات السرية كعروق الذهب تحت الأرض، لا يراها إلا من يملك الخريطة

في عالم السياسة العراقي، يدرك السياسي المحنك أن العلنية في كل شيء ليست سوى وسيلة لفتح الأبواب أمام الأعداء. لذلك، يأتي قانون الإنفاق الخفي كدرع لا غنى عنه، يحميك من أعين المتطفلين، ويضمن لك سلاحًا سريًا يبقى بعيدًا عن المساءلة العامة. إنه ليس مجرد حيلة بسيطة، بل هو فن يتطلب براعة في التخطيط، وقدرة فائقة على إخفاء الخيوط التي تربط كل شيء ببعضه، بحيث تبقى أنت الوحيد الذي يعرف الحقيقة الكاملة.

تخيل نفسك قائدًا يعرف كيف يدير الأمور من وراء الستار، تدير خزائن الدولة كما لو كنت تدير قبوًا سريًا مليئًا بالكنوز. لا تترك شيئًا للصدفة، بل تحرص على أن تبقى ميزانياتك السرية كعروق الذهب، مختبئة تحت سطح الأرض، لا يراها أحد إلا من يملك الخريطة، وأنت بالطبع هو الحارس الوحيد لتلك الخريطة.

في البداية، عليك أن تفهم أن هذه الميزانيات ليست مجرد أموال، بل هي قوى خفية، تمنحك اليد العليا في كل صراع وكل معركة سياسية. المال الذي يراه الجميع، يخضع للمساءلة والرقابة، لكنه لا يضمن لك التفوق. أما الميزانيات السرية، فهي تلك العروق التي تغذي قواك في الخفاء، تمنحك القدرة على تحريك الأمور دون أن يدري أحد بما تفعله. هذه الأموال ليست مجرد أرقام في دفاتر الحسابات، بل هي وسيلة للسيطرة، للتأثير، وللعب من وراء الستار.

ولأنك ذكي بما فيه الكفاية، تعرف أن هذه الميزانيات يجب أن تظل بعيدة عن الأنظار، مثل الذهب المدفون في أعماق الأرض. لا أحد يعرف مقدارها الحقيقي، ولا أين تنفقها، ولا كيف تديرها. هي كالسحر الأسود، تُستخدم بعناية ودقة، لتحقيق أهدافك دون أن يشعر أحد بوجودها.

ولكن، كيف تضمن أن لا يكتشف أحد هذا الذهب المخفي؟ ببساطة، تجعل الأمر يبدو طبيعيًا. أنفق بعض الأموال في العلن، تلك التي تخضع للرقابة، واجعل الناس يعتقدون أنها كل ما لديك. لكن الأجزاء المهمة، تلك التي تصنع الفرق، تُنفقها في الخفاء. قد تكون تلك الميزانيات مخصصة لمشروعات خاصة، لتمويل حلفاء موثوقين، أو حتى للتلاعب بالرأي العام عندما تقتضي الحاجة. المهم هو أن تبقى هذه الأموال خارج نطاق الضوء، لا يراها أحد ولا يسأل عنها أحد.

والآن، كيف تدير تلك الميزانيات دون أن تترك خلفك أي آثار؟ الجواب يكمن في التلاعب بالبروقراطية. استغل التعقيد الإداري لصالحك، اجعل الأمور تبدو أكثر تعقيداً مما هي عليه بالفعل. أنشئ صناديق مالية بأسماء متعددة، وزع الأموال عبر قنوات ملتوية، ودع الروتين البيروقراطي يقوم بالباقي. كلما زاد التعقيد، قل احتمال اكتشاف الحقيقة. ومن حين لآخر، أضف بعض الأرقام الصغيرة هنا وهناك، لتجعل الأمور تبدو طبيعية، كأنك لا تخفي شيئًا.

وفي نفس الوقت، اجعل حساباتك الرسمية تبدو نظيفة تمامًا، كأنها لا تحتمل أي خطأ. الناس سيبحثون عن الأخطاء في العلن، ولكنهم لن يجرؤوا على التعمق في ما تحت السطح. ستبقى أنت المسيطر على كل شيء، وهم يعتقدون أنهم يرون الصورة الكاملة.

ولكنك تعرف أن الأرقام وحدها لا تكفي، فالقائد الحقيقي يعرف أن التخفي يتطلب أيضًا ارتداء الأقنعة المناسبة. استخدم أسماء وهمية، شركات وهمية، وربما حتى هويات مزيفة، لإدارة هذه الميزانيات. اجعل الأمور تبدو كأنها من تدبير آخرين، بينما تظل أنت العقل المدبر الذي يتحكم بكل شيء من خلف الستار. هذه الأقنعة ستحميك من أي محاولة للتقصي، وستضمن أن تبقى بعيداً عن الأضواء مهما حدث.

وفي النهاية، يبقى الهدف من هذا الإنفاق الخفي هو الحفاظ على قدرتك على التحرك بحرية. كلما احتجت إلى تمويل عملية سرية، دعم حليف

في الخفاء، أو حتى ضمان ولاء أحدهم، ستجد أن هذه الميزانيات السرية هي الحل الأمثل. إنها وسيلة للسيطرة على اللعبة من خلف الكواليس، دون أن يشعر أحد بأنك تُدير الأمور بالفعل.

وأنت تعلم جيداً أن النجاح في هذه اللعبة لا يعتمد فقط على ما تفعله في العلن، بل على تلك الخطوات الخفية التي تقوم بها دون أن يراك أحد. كلما أتقنت فن الإنفاق الخفي، كلما ضمنت بقاءك في القمة، دون أن يتمكن أحد من الإطاحة بك. فأنت القائد الذي يعرف كيف يخفي الذهب تحت الأرض، بينما يظهر للعالم بصورة الرجل النزيه الذي لا يملك سوى ما يراه الناس.

في نهاية المطاف، يصبح قانون الإنفاق الخفي أكثر من مجرد استراتيجية مالية؛ إنه فنٌّ من فنون البقاء في السلطة، حيث تتحول الأموال إلى خيوط غير مرئية تحرك بها الدمى دون أن يراها أحد. ومع كل خطوة تخطوها في هذا الطريق، تزداد سيطرتك على الأمور، بينما يظل الجميع غارقين في محاولات فهم ما يجري دون أن يدركوا أنك أنت من يتحكم في كل شيء.

وهكذا، تبقى ميزانياتك السرية كعروق الذهب المخفية، تحميك من كل تهديد، وتضمن لك البقاء في قمة الهرم السياسي، بعيداً عن متناول أيادي الرقابة والمساءلة. أنت القائد الذي يعرف كيف يدير اللعبة من وراء الستار، دون أن يمسك به أحد، ودون أن يُدرك أحد أن كل شيء يدور حولك، وأنت تمسك بخيوط اللعبة من تحت الأرض.

١٥٣- قانون التجسس الداخلي: عينان في كل زاوية وأذن في كل جدار لضمان بقاء العرش مستقراً

في عالم السياسة العراقي، حيث الخطأ الأول قد يكون الأخير، يعرف السياسي المحنك أن البقاء على القمة يتطلب أكثر من مجرد قرارات حكيمة. هنا، في أروقة السلطة المليئة بالمكائد والمفاجآت، يظهر قانون التجسس الداخلي كدرعك الخفي وسيفك المسموم، يمنحك القدرة على رؤية ما لا يُرى وسماع ما لا يُقال. إنه فن إقامة شبكة من العيون والأذان في كل ركن وزاوية، لتضمن أنك مطّلع دائماً على ما يجري حولك، حتى في اللحظات التي يظن فيها الجميع أنهم وحدهم في الغرفة.

تصور نفسك قائداً يجلس على عرش السلطة، محاطًا بالمستشارين والمسؤولين الذين يبتسمون في وجهك، ولكنك تعلم أن قلوبهم قد تخفي أكثر مما تظهر. في هذه اللحظة، تدرك أن البقاء في الظلام هو الخطر الأكبر، وأن معرفة ما يدور في العقول من حولك هو مفتاح السيطرة الكاملة. ولذا، تقرر أن تنسج شبكة من المراقبين الخفيين، أشخاصاً لا يعرفون الراحة، يراقبون ويتنصتون، وينقلون إليك كل صغيرة وكبيرة.

أول خطوة في هذا القانون هي بناء شبكة محكمة من الجواسيس الداخليين. هؤلاء ليسوا مجرد موظفين عاديين، بل هم جنودك الخفيون، أشخاص تدربوا على فنون التجسس والاستماع بصمت. تبدأ في تعيينهم في أماكن استراتيجية، منتشرين في كل مكتب وغرفة اجتماعات، خلف كل باب مغلق وفي كل ممر معتم. هؤلاء الجواسيس ليسوا بالضرورة أشخاصاً معروفين، بل ربما يكونون موظفي الصيانة أو حتى عمال النظافة، أولئك الذين لا يُلقي لهم أحد بالا، لكنهم يعرفون كل أسرار المباني التي يعملون فيها.

تحتاج إلى أعين في كل زاوية، وأذن خلف كل باب، يلتقطون كل كلمة تُقال وكل حركة تُفعل. ولكن، الأهم من ذلك، أن تظل هذه الشبكة غير مرئية، كأنها شبح يطوف في الأروقة دون أن يشعر به أحد. فكلما كانت

شبكتك مخفية، كلما زادت فعاليتها، وكلما أصبحت أنت القائد الذي يعرف كل شيء دون أن يظهر وكأنه يعرف شيئًا.

لكن بناء الشبكة ليس سوى البداية. عليك أن تتقن فن التلاعب بالمعلومات التي تجمعها. ليس كل ما تسمعه يجب أن يُستخدم فوراً، بل عليك أن تختار اللحظة المناسبة للضرب. عندما تعلم أن أحدهم يخطط لشيء ما، دع الأمور تتطور، ثم تدخّل في اللحظة التي تحقق فيها أقصى فائدة. قد تستخدم معلومة بسيطة لتدمير تحالف كامل، أو لتوجيه ضربة قاضية إلى خصمٍ كان يظن أنه آمن.

وفي كل مرة تستخدم فيها هذه المعلومات، احرص على أن يكون الأمر وكأنه صدفة بحتة، أو كأنك استنتجت الأمر بذكائك الخارق. لا تدع أحداً يشك في وجود شبكة تجسس داخلية، بل اجعل الجميع يعتقدون أنك القائد العبقري الذي يعرف كل شيء بالفطرة.

لكن، لا تقتصر فوائد هذه الشبكة على جمع المعلومات فقط. بإمكانك استخدامها للتحكم في الأجواء الداخلية للمؤسسات. عندما تشعر أن هناك توتراً أو قلقًا، استخدم جواسيسك لنشر الشائعات المناسبة أو لتوجيه الحديث نحو اتجاه معين. يمكنك زرع الأفكار في العقول دون أن يتصور أحد أنك وراء ذلك. إنها طريقة غير مباشرة للتحكم في العقول، حيث تدفعهم إلى التفكير بالطريقة التي تريدها دون أن تفرض ذلك عليهم بشكل مباشر.

وبهذا، تصبح الأجواء مشحونة بما يتناسب مع أهدافك، ويتحول كل موظف إلى قطعة شطرنج تتحرك وفقًا لخطة مدروسة، دون أن يدركوا أنهم مجرد أدوات في يدك.

ومن حين لآخر، قد تجد أن بعضهم بدأ يشك في وجود هذه الشبكة. هنا يأتي دورك في اللعب على الوتر الحساس. قم بإظهار بعض المعلومات البسيطة، تلك التي لا تضر ولكنها تؤكد أنك مطّلع على كل شيء. اجعلهم يشعرون بأنك تعرف كل تحركاتهم، ولكن دون أن يدركوا

كيف. هذا الشعور بالرعب والترقب سيجعلهم حذرين في كل خطوة يتخذونها، مما يمنحك سيطرة أكبر على الأمور.

وفي اللحظة التي تشعر فيها بأن أحدهم بدأ يحاول اللعب بالنار، استخدم شبكة التجسس الخاصة بك لتوجيه ضربة سريعة وحاسمة. دعهم يدركون أن كل حركة خاطئة لن تمر دون عقاب، ولكن افعل ذلك بطريقة تجعلهم يشكون في كل من حولهم، وليس فيك أنت.

وأخيراً، تذكر أن نجاح قانون التجسس الداخلي يعتمد على قدرتك على التخفي. لا تسمح لأحد بأن يكتشف وجود هذه الشبكة، ولا تترك أي أثر يقود إليك. اجعل الأمور تبدو وكأنها تجري بشكل طبيعي، وأنك فقط القائد الحصيف الذي يعرف كيف يقرأ بين السطور. استخدم الأقنعة المتعددة، واجعل كل من حولك يظن أنه قريب منك، بينما الحقيقة هي أن أقرب الناس إليك هم أولئك الذين يعملون في الظل.

في النهاية، يصبح قانون التجسس الداخلي ليس مجرد وسيلة لجمع المعلومات، بل هو فنٌ من فنون السيطرة الكاملة. أنت لا تعتمد على ما يُقال لك في الاجتماعات الرسمية، بل تعرف ما يُقال خلف الأبواب المغلقة، وما يُفكر فيه الآخرون دون أن ينطقوا به. بهذه الطريقة، تظل دائمًا خطوة أمام خصومك، تتحكم في اللعبة من خلف الستار، وتبقى السيد الذي يعرف كل شيء دون أن يعرف أحد كيف يعرف كل شيء.

وهكذا، بينما ينشغل الآخرون بمحاولات التلاعب بك، تكون أنت القائد الذي يراقب كل حركة وكل همسة، يتحكم في الأمور من خلف الكواليس، ويضمن بقاء عرشه مستقراً مهما كانت العواصف التي تهب من حوله. أنت العين التي لا تغفل، والأذن التي لا تنام، والقلب النابض الذي يعرف كيف يحافظ على قوته وسط عالم مليء بالمؤامرات والخداع.

١٥٤ - قانون تعزيز الصراعات الداخلية: عزز الصراعات داخل الأحزاب المعارضة أو حتى داخل حزبك لضمان أنك الوحيد الذي يمكنه توحيدهم.

في عالم السياسة العراقي، حيث تدور الرحى بسرعة تفوق سرعة الضوء، يكمن سر البقاء في نقطة بسيطة: السيطرة على الفوضى، وتحويلها إلى آلة تعمل لخدمتك. هنا، يأتي قانون "تعزيز الصراعات الداخلية" كحجر الزاوية في فن القيادة، الذي لا يعرفه إلا من خبر دهاليز السياسة وتجرّع من كأسها المرة والحلوة في آن واحد.

تخيل نفسك ربّانًا لسفينة تتقاذفها الأمواج العاتية، لا تنشغل فقط بإبقاء السفينة على مسارها الصحيح، بل تتفنن في إثارة الزوابع بين أفراد الطاقم، حتى يظلوا مشغولين بتفاصيلهم الصغيرة، تاركين لك دفة القيادة. في هذه اللعبة، لا تسعى إلى إخماد النيران، بل تضيف إليها القليل من الوقود كلما خمدت، حتى تظل مشتعلة، مشرعة أبواب الفرص أمامك.

لتعزيز الصراعات، عليك أن تكون كالصانع البارع، الذي يعرف كيف يخلط التوابل بنسب دقيقة، فيخلق من الحبة قبة، ومن الجدال الصغير معركة كبرى. هل لاحظت حديثًا عابرًا بين اثنين من أعضاء الحزب؟ اجعل منه محور حديثك في الاجتماعات القادمة، ضخم التفاصيل الصغيرة، واذكرها بابتسامة خفيفة تعبر عن معرفة عميقة بما يجري خلف الكواليس (دون أن تذكر أنك من أثار الشكوك في البداية.(

أما عندما يكون الخلاف داخل الحزب المنافس، فلا تتردد في إلقاء الزيت على النار، لكن بحذر. قدّم النصح العلني لأحد أطراف النزاع، حتى تبدو في صورة الحريص على مصلحة الجميع، بينما تنقل للآخر همسات تشكك في نوايا الأول. اجعلهم يرون فيك المحامي المتعاطف مع كل قضية، وأنت في الحقيقة، تحرك قطع الشطرنج بحذر ودقة دون أن يدركوا.

في أروقة الأحزاب، الصراعات هي الهواء الذي تتنفسه السياسة، وإثارتها فن لا يتقنه إلا من تعمق في دراسة النفس البشرية. اعرف متى ترفع الصوت، ومتى تخفضه إلى همسات ناعمة تثير القلق دون أن تدفع أحداً للتحرك. فالشخص الغارق في دوامة الشكوك، هو شخص لا يفكر فيك كخصم، بل يراك ملاذاً، حتى وأنت تبني حواجز عالية بينه وبين الآخرين.

لا تنسَ أن تترك لهم بعض الفتات من الأمل، خذ بيدهم في لحظة، ثم اتركهم يواجهون الصراع في اللحظة التالية. اجعلهم يعتقدون أن الحل يقترب، ولكن في الوقت ذاته، تأكد أن الحل الحقيقي يبقى بعيداً بما يكفي ليظلوا عالقين في متاهة صراعاتهم.

في النهاية، ستجد نفسك وسط مجموعة من المتخاصمين الذين لا يستطيعون العيش من دون نزاعاتهم، لأنك حولت صراعاتهم إلى حالة طبيعية، لا يرون لها بديلاً. وحينها، ستصبح أنت الشخص الوحيد القادر على توحيدهم، الشخص الذي يملك الوصفة السحرية للسلام الداخلي الذي لا يتحقق إلا عندما تكون أنت على رأس القيادة، المتحكم بخيوط اللعبة كلها، دون أن تُضطر حتى للجلوس على طاولة المفاوضات.

هذا هو فن السياسة في أبسط صوره وأعقدها في آن واحد: القدرة على تحويل الآخرين إلى بيادق في لعبة لا نهاية لها، حيث الفائز الوحيد هو من يستطيع أن يبقى بعيداً عن الصراعات، بينما يحركها بمهارة ودراية، ليبقى في موقع القوة دون منازع.

١٥٥- قانون تصدير الاستقرار: ادّعِ أنك مصدر الاستقرار في المنطقة أو الدولة، وبدونك ستدخل البلاد في حالة من الفوضى .

في معترك السياسة العراقي المتلاطم، حيث يتلاعب الساسة بمصائر الشعب كمن يلعب بالكرات، يظهر قانون "تصدير الاستقرار" كالسلاح الأعظم الذي يُرفع في وجه كل من يتجرأ على التشكيك في دور الزعيم كحامي الحمى. هنا، يصبح الزعيم ليس مجرد قائد، بل محور الكون السياسي، الذي بدونه تتحول الأرض إلى جحيم مضطرب. إنه ليس مجرد شخص، بل هو حجر الزاوية في معبد الاستقرار، الذي إذا أزيل، انهار المعبد على رؤوس الجميع.

تخيل نفسك وأنت تقف على حافة هاوية عميقة، وأمامك جموع من الناس الذين لا يرون إلا السقوط الوشيك في الفوضى، بينما أنت وحدك الشخص القادر على مد جسر الأمان لهم. كيف لهم ألا يذعنوا لقيادتك؟ فبدونك، سيتحطم كل شيء، وسيتحول العالم من حولهم إلى فوضى عارمة لا ينجو منها أحد. أنت، في نظرهم، لست مجرد قائد سياسي، بل المنقذ الوحيد من طوفان الخراب.

ويا لها من براعة حين ترسم لهم صوراً ذهنية لا تمحى، فتقول لهم، بثقة العالم ببواطن الأمور، إنك السد الذي يحجب عنهم أمواج الفوضى المتلاطمة، وإنك الجدار الذي يمنع انهيار المدينة، وإن كل ما يرونه من ازدهار هو في الحقيقة نتيجة لحكمتك وصبرك على تحمل عبء القيادة. ولك أن تتساءل، أين سيذهبون إن ذهب أنت؟ وكيف سيتدبرون أمورهم دونك؟ إنهم بلا شك سيعودون إلى غياهب الضياع.

حينما تتحدث إلى الجموع، تذكرهم بأنك مثل البوصلة التي تهديهم الطريق في الصحراء المترامية الأطراف. لو غبت، لتحولوا إلى قافلة تائهة، تضيع بين الكثبان الرملية، لا تجد لها طريقاً سوى الدوار في حلقة مفرغة من الفوضى. اجعلهم يشعرون بأنك الوصي على أمنهم

وسلامتهم، وأن مجرد التفكير في الابتعاد عنك هو بمثابة فتح أبواب الجحيم على مصراعيها.

لكن هنا يأتي الجزء الأكثر أهمية: كيف تحكم قبضتك على هذه الصورة الذهنية؟ عليك أن تتفنن في خلق أزمات مصغرة تذكر الناس بأنك وحدك القادر على حلها. قل لهم إنك، لولاك، لانهارت الاقتصاديات كبيوت من ورق، ولتفككت المجتمعات كما تتفكك أوراق الشجر في عاصفة خريفية. أنت من يحافظ على توازن هذه الأوراق المتناثرة، بحيث تبقى ملتصقة بالأغصان.

أنت الوتد الذي يثبت الخيمة، والميزان الذي يزن الأمور بدقة بالغة، بحيث يبقى كل شيء في مكانه الصحيح. لكن لا تنسَ أن تلمح بين الحين والآخر بأنك قد تفكر في التقاعد، أو أنك تستحق الراحة بعد كل هذه السنوات من التضحية. راقب كيف سيهرعون إليك، متوسلين أن تبقى، مستجدين رحمتك بأن تحمل عبء الاستقرار الذي لا يستطيعون تحمله.

وكأنما تروض وحشًا كاسراً، يجب أن تبقي الفوضى تحت سيطرتك، تُطلق سراحها بين الفينة والأخرى، حتى تذكرهم بمدى خطورتها. دعهم يرونك في كل أزمة تظهر، كبيرهم الذي يرد الخطر بيد من حديد، ويعيد الأمور إلى نصابها قبل أن تنفلت من أيديهم. بهذه الطريقة، يصبحون كالرضع الذين يحتاجون إلى رعاية أمهم، لا يعرفون كيف يعيشون دونك.

لكن ما السر الحقيقي في هذا الاستقرار المزعوم؟ هو أنك تعلم جيداً أن هذا الاستقرار ليس إلا وهماً من صنعك، كأنك رسام ماهر يخلق مشاهد خادعة، يعلم تمامًا أن كل ما بناه يمكن أن ينهار في لحظة. ومع ذلك، فأنت الوحيد القادر على الإيحاء لهم بأنك قادر على السيطرة على الفوضى التي قد تلتهمهم لو لم تكن في سدة الحكم.

وحتى عندما يجرؤ أحدهم على المطالبة بالتغيير أو يعبر عن شكوكه، لا تسارع إلى الجدال أو تقديم التبريرات. يكفي أن ترفع حاجبًا مستغربًا،

وتنظر إليه نظرة تحمل كل معاني الحيرة والاستنكار، وكأنك تسأل: "وهل تعتقد حقًا أنك تستطيع البقاء بلا حمايتي؟". ثم أضف بحكمة بالغة: "أعلم أنكم تتطلعون إلى المستقبل، لكن أعلموا أنني الوحيد الذي يملك المفاتيح للحفاظ على الحاضر من الانهيار."

كل هذه التحذيرات، كل هذه السيناريوهات المرعبة، لا بد أن تترك في نفوسهم أثراً لا يمحى. ستصبح أنت بالنسبة لهم الملاذ الأخير، والحصن الحصين الذي يلجؤون إليه في أوقات الشدة. كلما شعروا بالخوف من الفوضى، سيهرعون إليك، طالبين منك البقاء والاستمرار في قيادتهم إلى بر الأمان.

وفي نهاية المطاف، عندما تكون قد أحكمت قبضتك على قلوبهم وعقولهم، ستكتشف أنك أصبحت أكثر من مجرد قائد؛ أصبحت رمزاً للاستقرار نفسه. ومع مرور الوقت، سيتحول هذا الاستقرار إلى سلعة تصدرها لهم يوميًا، يخافون من نفادها كما يخافون من فقدان الهواء الذي يتنفسونه.

وهكذا، تبقى في القمة، محاطًا بجماهير لا تعرف كيف تعيش بدونك، تراك ليس فقط كقائد، بل كركيزة وجودهم. وفي هذا الوضع، لن يتجرأ أحد على التفكير في المستقبل بدونك، لأنهم يعلمون جيداً أن المستقبل بلاك يعني العودة إلى الهاوية.

النهاية؟ في الحقيقة، لا نهاية لهذه اللعبة؛ لأنها أصبحت جزءًا من نسيج حياتهم. ستظل أنت الملك الذي يمنحهم الاستقرار كمنحة يومية، وهم سيظلون عالقين في هذه الشبكة التي نسجتها بحنكة ودراية. لا يستطيعون التخلي عنك، ولا يعرفون كيف يعيشون بدونك. وهكذا تستمر الحياة، بينما تبقى أنت في مركزها، الحاكم الذي لا يُستغنى عنه، والذي بدونك تتحول البلاد إلى بركان يغلي تحت أقدامهم.

١٥٦- قانون الإبقاء على المنافسين الضعفاء: شجع صعود شخصيات معارضة ضعيفة وغير كفؤة لضمان عدم وجود منافسة حقيقية لك .

في ساحة السياسة العراقية، حيث يتراقص الجميع على أنغام الطموح اللامتناهي، هناك استراتيجية خفية لا يتقنها إلا من صقلته التجارب وأحكم قبضته على دواليب السلطة. إنها استراتيجية "الإبقاء على المنافسين الضعفاء"، تلك الخطة التي تجعل منك ليس فقط الحاكم المطلق، بل أيضاً المخرج الذي يدير العرض بأكمله، حيث الأدوار موزعة بعناية بحيث لا يسطع نجم آخر في سماء السياسة سواك.

تخيل أنك الراعي الذي يتفنن في اختيار قطيع من الأغنام الوديعة لتسرح في حقله. لا تختار الخراف القوية أو النشطة، بل احرص على انتقاء تلك الضعيفة الهزيلة، التي لا تستطيع الوقوف على أرجلها دون مساعدتك. فأنت تعلم جيداً أن قوة الزعيم لا تتجلى فقط في سيطرته على الأتباع، بل أيضًا في قدرته على اختيار الخصوم الذين يجعلونه يبدو كالنسر الذي يحلق عالياً فوق سرب من الحمام.

السر هنا ليس في القضاء على المنافسين الأقوياء، فهذا قد يثير الشبهات ويوقظ الضمائر النائمة. بل في تشجيع صعود أولئك الذين يجسدون الفشل بذاته، أولئك الذين يفتقرون إلى الكاريزما والذكاء السياسي، والذين كلما تحدثوا جعلوا الجميع يندمون على إهدار وقتهم في الاستماع إليهم. إنهم أشبه بأشجار تزرعها في أرض قاحلة، تعلم جيداً أنها لن تثمر أبداً، لكنها تمنح المكان مظهراً خادعاً للخصوبة.

عندما تجد في الأفق شخصية قد تثير بعض الحراك، لا تهاجمها مباشرة، بل أفسح لها الطريق للصعود. امدحها علنًا، وامنحها منابر لتظهر فيها، واجعلها تعتقد أنها في طريقها إلى النجومية. لكن لا تنسَ أن تضع تحت قدميها سجادة من الوحل، حتى لا تستطيع التقدم خطوة دون أن تغرق. اجعلهم ينشغلون بالتفاهات، ينفقون وقتهم في الصراعات الداخلية

والحروب الكلامية، بينما تظل أنت بعيداً عن كل هذا الصخب، تراقب من بعيد بابتسامة الواثق.

وبينما يتخبطون في أمواج الضعف والارتباك، يظهر بريقك كالقمر في ليلة حالكة السواد. أنت القائد الوحيد الذي يفهم اللعبة، بينما يتنافسون على الفتات الذي تتركه لهم. وكلما حاولوا الاقتراب من مركز السلطة، اكتشفوا أنهم لا يملكون الأدوات اللازمة للمنافسة، وأنهم في نهاية المطاف مجرد بيادق على رقعة الشطرنج التي تتحكم فيها بكل مهارة.

اجعل هؤلاء المنافسين يتحدثون كثيراً، دون أن يقولوا شيئًا ذا قيمة. دعهم يطلقون وعوداً سخيفة، ويغرقون في شعارات فارغة، حتى يملّ الناس منهم ويعودوا إليك طالبين القيادة الحقيقية. فأنت الوحيد الذي يملك القدرة على اتخاذ القرارات المصيرية، بينما يظل الآخرون عالقين في دوامة من التردد والخوف من الفشل.

ولا تكتف فقط بإبقائهم ضعفاء، بل احرص على جعلهم يعتمدون عليك في كل شيَء. كن لهم كالظل الذي لا يفارقهم، تارة تدعمهم بما يكفي لإبقائهم على قيد الحياة السياسية، وتارة تتركهم يتعثرون ليتعلموا أن الحياة بدونك مستحيلة. وبمرور الوقت، ستجد أنهم أصبحوا مجرد ظلال باهتة، لا وجود لها إلا بوجودك، ولا تستطيع الوقوف إلا عندما تسمح لهم بذلك.

وفي لحظات الحسم، عندما يحاول أحدهم أن يظهر بعض الشجاعة غير المتوقعة، لا تتردد في تذكيره بأنه لا يملك شيئًا دونك. اربت على كتفه كمن يواسي طفلا أضاع لعبته، وقل له بابتسامة ودودة: "دعنا نتعاون من أجل مصلحة البلاد". لكن في قرارة نفسك، تعلم جيداً أن مصلحة البلاد لا تتحقق إلا ببقائك على رأس الهرم، وأن هؤلاء المنافسين ليسوا إلا ديكوراً يخفي وراءه حقيقة واحدة: أنك القائد الأوحد، والوحيد القادر على إبقاء الأمور تحت السيطرة.

إن قانون "الإبقاء على المنافسين الضعفاء" ليس مجرد تكتيك سياسي ، بل هو فن يوازن بين إبقاء المنافسين على قيد الحياة السياسية وبين ضمان أنهم لن يجرؤوا على تحديك. إنهم يعرفون حدودهم جيداً، ويعلمون أن تجاوزها يعني السقوط في هاوية النسيان. أما أنت، فتظل في موقعك الأسمى، محاطًا بمنافسين ضعفاء لا يمكنهم النيل منك، بل على العكس، يساهمون في تعزيز صورتك كقائد لا يُعلى عليه.

وفي نهاية المطاف، عندما يتساءل الناس لماذا لا يظهر على الساحة من يستطيع منافستك، ستكون الإجابة واضحة: لقد كان هناك من حاولوا، لكنهم لم ينجحوا في تخطي ظل القائد الذي حوّل الساحة السياسية إلى مسرح خاص به، حيث تلعب أنت دور البطل الوحيد، بينما يكتفي الآخرون بالتقاط الفتات من تحت قدميك.

١٥٧ - قانون خلق رموز الأمان: اختر رموزًا أو مؤسسات تعبر عن الأمان والاستقرار، واجعلها تابعة لك بشكل كامل لضمان دعم الشعب.

في السلطة، حيث يحيك الساسة العراقيين نسيجهم المعقد بألوان من الدهاء والمكر، يقف "قانون خلق رموز الأمان" كجوهرة تاج الاستراتيجيات. إن هذا القانون ليس مجرد خطوة ذكية، بل هو الأساس الذي يقوم عليه صرح السيطرة، الذي يجعلك ليس فقط القائد الأعلى، بل سيد كل ما يرمز إلى الاستقرار والأمان في عيون الشعب. فحينما تسيطر على رموز الأمان، تصبح أنت نفسك رمزًا لا غنى عنه في حياة الناس، كالماء والهواء، لا يتخيلون حياتهم بدونه.

تخيل أنك البستاني الماهر، الذي يزرع بذور الأمان في تربة الخوف والقلق، ويشرف على نموها بحرص شديد. هذه الرموز ليست مجرد مؤسسات أو شعارات، بل هي كيانات تعيش وتنمو في وجدان الشعب، تجعلهم يشعرون أن العالم مكان آمن طالما أن تلك الرموز موجودة. ولكن السر الحقيقي يكمن في شيء واحد: هذه الرموز ليست سوى فروع من شجرة واحدة، جذورها متغلغلة في قلبك أنت، لا تنبض إلا بإشارة منك.

لنبدأ أولاً بمؤسسات الأمن، تلك التي يجب أن تكون واجهتك الرئيسية. اجعلها ترتدي رداء الأمان والاستقرار، لكنها في جوهرها، ليست سوى أدوات في يدك، تتحرك بإشارتك، وتبقى ساكنة بأمرك. كلما نادى الشعب بالأمان، استجبت لهم بأن أظهرت لهم قوة هذه المؤسسات، مع التأكيد على أنها تعمل بفضل توجيهاتك الحكيمة. اجعلها مثل الدرع الذي يقيهم من كل مكروه، بينما تعرف أنت أنها ليست سوى حزام الأمان الذي تضبطه بيدك، يشد عندما تريد ويبسط عندما ترغب.

ثم هناك الرموز الثقافية والدينية، تلك التي تعيش في قلوب الناس وعقولهم. حول هذه الرموز إلى حلفاء أوفياء، يعكسون دائمًا صورتك كقائد حكيم يعرف مصلحة البلاد. اجعل من نفسك الراعي الأول للقيم والتقاليد، حتى يشعر الشعب أن هويتهم ووجودهم مرتبط بك. وهنا لا تحتاج إلى السيطرة بالقوة، بل بذكاء الماكر الذي يجعل الناس يشعرون بأنك الحامي الشرعي لكل ما يؤمنون به.

لننسج خيوط القانون بخبرة الصائغ الذي يصنع عقدًا من الأحجار الثمينة. اجعل كل حجر يعبر عن قيمة معينة، مثل التعليم، الصحة، الاقتصاد، وكلها تتصل بخيط واحد يمتد إلى قلبك. فالشعب يجب أن يشعر أن هذه الأحجار لا تضيء إلا لأنك أنت من يمنحها الحياة. وعندما يتساءلون عن مصيرهم بدونك، لا يجدون إجابة سوى أن الفراغ سيبتلع كل شيء.

ولكن كيف تجعل هذا القانون ينبض بالحياة؟ ابدأ بإشعال الحنين للماضي، وأضف لمسة من الخوف على المستقبل. قل لهم إن الاستقرار الذي ينعمون به الآن ليس إلا بفضل تلك الرموز التي زرعتها أنت، وإن أي محاولة لتغيير الواقع قد تعصف بكل شيء. اخلق أساطير عن عظمة تلك المؤسسات، واجعل كل شائعة عن تزعزعها تبدو ككارثة تهدد بانهيار الحضارة بأكملها.

وعندما تظهر لك شخصية ما تحاول أن تأخذ زمام المبادرة أو تشكك في مصداقية تلك الرموز، لا تهاجمها مباشرة. بل دَع الرموز نفسها تقوم بالعمل. اجعلها تبدو كالأشجار المعمرة التي يعتريها غضب الطبيعة إذا حاول أحد الاقتراب منها، وكأنها ستسقط فوق رؤوس من تسول له نفسه المساس بها. في هذه اللحظة، سيفهم الجميع أن اللعب بتلك الرموز هو لعب بالنار، وأنك الوحيد القادر على إخمادها إذا اشتعلت.

ولتكن ختام هذه الحبكة بإضافة لمسة سحرية. اجعل الناس يشعرون بأنك المصدر الوحيد لهذا الأمان، وأنك الجبل الذي يتكئ عليه كل من يبحث

عن الاستقرار. امنحهم شعوراً بأنك النسمة التي تبعد عنهم حر الصحراء، وأنك الغيمة التي تظلهم في يوم قائظ. فهم يعرفون أن غيابك يعني عودة الحرارة والجفاف، وأنه لا يمكنهم أن يعيشوا بدون تلك الغيمة، حتى لو كانت ظلاً مؤقتًا.

في نهاية المطاف، سيجد الشعب أن كل ما هو مألوف وآمن في حياتهم يرتبط بك ارتباطًا وثيقًا، كارتباط الشمس بأشعتها. سيصبح وجودك جزءاً لا يتجزأ من حياتهم اليومية، وعندما يفكرون في مستقبلهم، سيكون الخوف من فقدانك هو الشعور الأول الذي يتبادر إلى أذهانهم. وهكذا، تبقى أنت الركيزة التي يستند عليها كل شيء، بينما تصبح تلك الرموز مجرد انعكاسات لوجودك، لا يمكنها أن تحيا أو تستمر إلا بك ومعك.

وهكذا، في هذا العالم الذي بنيته بعناية، تكون أنت ليس فقط الزعيم، بل حارس البوابات، حافظ الأمن، وموفر الاستقرار. كل شيء يظل على حاله، لكنهم يعرفون أن وجودهم مرتبط بوجودك، وأنك القوة الخفية التي تحميهم من كل ما قد يعكر صفو حياتهم. في عالمك، أنت الشمس التي تدور حولها الكواكب، وإن غبت، اختل النظام وساد الظلام.

١٥٨- قانون التضحية المنظمة : تخلص من شخصيات غير مهمة أو غير مؤثرة في الوقت المناسب لتجنب المساءلة أو لإرضاء الشعب.

في أروقة السلطة الرفيعة العراقية، حيث ينسج الساسة بخيوط من دهاء وطموح متقد، يأتي "قانون التضحية المنظمة" كواحد من أعمدة الفنون السياسية الراقية لديهم. هذا القانون ليس مجرد مناورة تكتيكية بسيطة، بل هو فلسفة متكاملة تستند إلى مبدأ التوازن بين البقاء في القمة وتفادي سقوط غير متوقع. إنه ذلك الفن الخالد الذي يرفعك فوق الجميع، بينما يتهاوى الآخرون من حولك، لا لضعفهم، بل لأنك قررت في لحظة ما أنهم باتوا عبئاً لا يُحتمل.

تصور نفسك قائداً لسفينة تمخر عباب البحر الهائج. في لحظة معينة، قد تجد أن بعض الأثقال الزائدة أصبحت عبئًا يهدد استقرار السفينة. هل ستحتفظ بها؟ بالطبع لا! ستلقي بها إلى البحر دون تردد، ليس لأنك قاس، بل لأن البقاء هو الأولوية القصوى. هؤلاء الذين يظنون أنهم ركابٌ دائمون في سفينتك، لا يعلمون أن أوزانهم الزائدة هي ما قد يغرق السفينة بأكملها. لذا، يأتي قرار التضحية بهم في الوقت المناسب ليس مجرد خيار، بل ضرورة لا مفر منها.

لكن لا تظنن أن التضحية تتم بلا تخطيط أو حساب. إن هذا القانون يعتمد على دراسة دقيقة للوجوه، وقياس دقيق لمدى تأثير كل منها. فالشخصيات التي ستلقي بها إلى المجهول ليست بالضرورة من الأعداء، بل قد تكون أقرب المقربين، الذين خدموا طويلاً ووفياً. لكن الزمن قد دار دورته، وآن الأوان لإفساح المجال لما هو أكثر نفعًا وفائدة لك ولعرشك. فمثلما يذبل الزهر في الربيع عندما يحين وقت جني الثمار، تأتي التضحية بأولئك الذين استنفدوا أغراضهم.

اختر بحكمة من ستجعله القربان التالي. قد يكون هذا الشخص وديعًا كالحمَل، لا يثير حوله ضجة، ولكنه في لحظة ما قد يصبح هو القطعة التي تضحي بها لتنقذ الملك. لا تجعله يشعر بالخطر قبل الأوان. اتركه يعيش

في وهم الأمان حتى اللحظة التي تختارها أنت، حيث يكون وقع التضحية أكبر، وتأثيرها على الآخرين أعمق. وفي تلك اللحظة، ستجد أن الجميع يصفقون لك كقائد حكيم يعرف كيف يتخذ القرارات الصعبة، حتى لو كانت على حساب أقرب المقربين.

عندما يثور الشعب ويطالب بالعدالة، أو عندما تبدأ سهام الانتقاد تصوب نحوك، فإن التضحية بشخصية غير مؤثرة تصبح الحل المثالي. إنهم يبحثون عن دماء تهدئ من غضبهم، وأنت في تلك اللحظة تمسك بالسكين وتختار بعناية الضحية المناسبة. ليست هذه التضحية مجرد إرضاء للغوغاء، بل هي رسالة واضحة مفادها أنك لا تتردد في اتخاذ الإجراءات اللازمة، حتى لو تطلب الأمر إلقاء أحد أفراد الحاشية في الهاوية. إنه قانون الغابة السياسية: البقاء للأصلح، والتضحية بالضعفاء لتغذية الأقوياء.

لكن مهلاً، هذا الفن لا يقف عند حدود الاختيار الذكي للضحية، بل يتعداه إلى الطريقة التي يتم بها التخلص. يجب أن يكون الأمر أشبه بالطقوس المقدسة، حيث تبدو التضحية كعمل بطولي، هدفه حماية الأمة من الفساد، أو إنقاذ السفينة من الغرق. دع الجميع يرون فيك الشخص الذي لا يتردد في تقديم التضحيات من أجل المصلحة العامة، حتى لو كان ذلك يعني التخلي عن بعض من وقفوا إلى جانبك يوماً ما.

ولا تنسَ أن هذه التضحية يجب أن تكون درساً للجميع. فهي ليست مجرد عملية تنظيف لصفوفك، بل هي رسالة إلى كل من يراقب من بعيد، بأنك القائد الذي يملك القدرة على اتخاذ القرارات الكبيرة والصغيرة دون أن يرف له جفن. وأنت تفعل ذلك بعينين مفتوحتين، وعقل يحسب كل خطوة بدقة متناهية، حتى يكون الأثر الناتج عن التضحية أكبر من مجرد إزاحة شخص من الطريق.

ربما تتساءل، كيف سيستقبل الآخرون هذا الفعل؟ دعني أخبرك: ستتحول أنت في عيونهم إلى أسطورة، بطل يأخذ القرارات الصعبة دون

تردد. سيحكي الناس عنك في المجالس، ويضربون بك المثل في القيادة الحكيمة التي تعرف متى تضرب ومتى تحتضن. أما أولئك الذين شهدوا لحظة التضحية، فسيتعلمون درسًا مهمًا: لا يوجد أحد في مأمن، وأن وجودهم في دائرتك هو امتياز يمكن أن يسحب في أي لحظة.

وفي النهاية، بعد أن تكون قد أتممت التضحية وهدأت العواصف، ستجد نفسك محاطًا بهالة من التقدير والهيبة. ستتحدث الصحف عن حكمتك، وستحتفي بك الحشود كزعيم لا يهاب اتخاذ القرارات المصيرية. بينما في الخفاء، ستظل تلك الشخصيات الضعيفة التي بقيت تدرك تمامًا أن بقاءها مرهون بقدرتها على البقاء في رضاك، وأن أي لحظة قد تتحول فيها من صديق إلى تضحية جديدة في معبد السياسة.

هكذا يكون قانون التضحية المنظمة ليس مجرد إجراء، بل هو فن متقن، يشبه صناعة العطر الفاخر، حيث تُخلط المكونات بنسب دقيقة لتعطيك في النهاية تلك الرائحة التي تأسر القلوب. ومع مرور الوقت، ستظل أنت القائد الذي يعرف كيف يحافظ على توازن السفينة، حتى لو تطلب الأمر إلقاء بعض الركاب من فوقها، لتبقى أنت الربان الذي لا يتزعزع.

١٥٩-قانون الفوضى المنظمة : احرص على وجود قدر معين من الفوضى المنظمة التي يمكنك التحكم بها لتبرير بقائك في السلطة كضامن للاستقرار.

في معترك السياسة العراقية المتشابكة، حيث يتنافس الجميع على غنائم السلطة، يظهر قانون "الفوضى المنظمة" كأحد الأدوات الخفية التي يستخدمها الساسة المحنكون للحفاظ على قبضتهم الحديدية على مقاليد الأمور. إنه قانون لا يعرفه سوى من ارتوى من نبع الحكمة العميقة، حيث تُخلق الفوضى بعناية فائقة لتكون في خدمة النظام، وتتحول إلى تلك اليد الخفية التي تحرك الأمور لتبقيك دائمًا في قلب اللعبة، بلا منافس ولا منازع.

تخيل أنك السيد الذي يتقن فن ترويض العاصفة. لديك القدرة على إطلاق الرياح العاتية من قفصها كلما دعت الحاجة، دون أن تفقد السيطرة عليها. الفوضى التي تزرعها ليست تلك الفوضى التي تبتلع كل شيء في طريقها، بل هي أشبه برقصة معقدة، تتحرك فيها الأحداث على إيقاع محدد، تعرف أنت وحدك كيف تضبطه. هذه الفوضى لا تهدف إلى التدمير، بل هي وسيلتك لإبقاء الجميع في حالة من التوتر والقلق، ليظلوا يبحثون عن الملاذ الآمن بين ذراعيك.

الفوضى هنا ليست ضجيجًا عشوائيًا أو حشودًا غاضبة تملأ الشوارع، بل هي أشبه بسيمفونية من الأحداث المتداخلة التي تنبض تحت سطح الواقع الهادئ. أنت كالعازف الماهر الذي يعرف متى يرفع الصوت ومتى يخفضه، ومتى يضفي على المشهد لمسة من التوتر الذي يذكّر الجميع بأنك الوحيد القادر على ضبط الإيقاع.

في عالمك، أنت تعرف أن الاستقرار المفرط قد يجرّب الناس على الطموح بأكثر مما ينبغي. لذا، تزرع هنا وهناك بذورًا صغيرة من الفوضى، بذورًا لا تلبث أن تنمو لتخلق أجواءً من القلق المبرر. ربما هي أزمة اقتصادية مفتعلة، أو خلاف سياسي يبرز فجأة على السطح، أو حتى شائعة تافهة

تثير الذعر في النفوس. المهم أن تكون الفوضى تحت سيطرتك، جاهزة للانفجار عندما تريد، والانطفاء عندما تشاء.

لكن الفوضى وحدها لا تكفي. يجب أن تظهر دائمًا كالقائد الحكيم الذي يعرف كيف يتعامل مع الأزمات ببرودة أعصاب، وكأنك الربان الذي يعرف مسار العاصفة قبل أن تهب. دع الجميع يرونك وأنت تحل هذه الأزمات الواحدة تلو الأخرى، حتى يصبحوا أكثر اقتناعًا بأنك وحدك من يستطيع ترويض هذا الوحش الذي صنعته بيديك. أنت الشخص الذي يعرف كيف يعيد الأمور إلى نصابها، بينما يظل الآخرون عاجزين عن فعل أي شيء سوى التفرج.

ولكي تظل الفوضى في حدود السيطرة، عليك أن تعرف كيف توزعها بحكمة. لا تدعها تخرج عن نطاق معين، بل اجعلها مثل الجمر تحت الرماد، تكشف عن وجهها المخيف بين الحين والآخر، لتعيد للجميع ذاكرة الماضي القريب، حيث كانوا يعيشون في حالة من الفوضى التي لا يعرفون لها نهاية. اجعلهم يتذكرون أن وجودك في السلطة هو السد المنيع الذي يمنع تلك الفوضى من الانفجار. وأن غيابك يعني غرقهم في بحر من الفوضى التي لا يمكن لأحد أن يتحكم بها.

وفي لحظات الحسم، عندما تشتد الفوضى وتصل الأمور إلى ذروتها، يمكنك أن تتدخل كالبطل المنقذ. اعرض الحلول، قدم التنازلات الصغيرة، وابد بعض المرونة، لتبدو للجميع وكأنك الرجل الذي أتى لإنقاذ السفينة من الغرق. وفي الوقت ذاته، دعهم يعرفون أن هذه الفوضى كانت مجرد اختبار لمدى حاجتهم إليك، وأنك القادر على إيقافها بمجرد إشارة من إصبعك.

إن قانون "الفوضى المنظمة" هو تجسيد لعبقريتك في اللعب على أوتار التوتر والراحة، حيث تجعل من الفوضى أداة في يدك، تتحكم بها كيفما تشاء. إنه فن التلاعب بالخوف والتوتر، وتحويلهما إلى أوراق رابحة تضمن لك البقاء في موقع القوة. فالناس يخافون الفوضى أكثر من أي شيء آخر،

وعندما يعرفون أن وجودك هو الضمان الوحيد لاستمرار الاستقرار، فإنهم سيبذلون كل ما بوسعهم للحفاظ عليك في السلطة.

ومع مرور الوقت، ستجد أن الفوضى المنظمة قد أصبحت جزءًا لا يتجزأ من نسيج الحكم، مثل خيط ذهبي يزين ثوبك الملكي. كلما رأى الناس هذا الخيط، تذكروا أنه بدونك ستتداعى الأمور إلى فوضى لا تحمد عقباها. وفي تلك اللحظة، ستظل في قمة السلطة، محاطًا بهالة من الهيبة والخوف، بينما يعرف الجميع أن غيابك يعني عودة الفوضى التي لا يمكن لأحد سواك أن يتحكم بها.

في النهاية، عندما ينظر إليك الناس، سيرون ليس فقط الحاكم، بل السيد الذي يتقن فن التحكم بالفوضى، والذي يعرف كيف يجعل منها سلاحًا يحمي به عرشه من أي تهديد. ستبقى الفوضى تراقصك، تحيط بك مثل الحزام، تذكّر الجميع بأنك الحارس الذي يقف على بوابة الاستقرار، وأنه بدونك، ستتحول هذه الفوضى إلى وحش كاسر يبتلع كل شيء في طريقه.

١٦٠- قانون احتكار الحقائق : كن أنت المصدر الوحيد للمعلومات "الموثوقة"، واحتكر رواية الحقائق لتوجيه الرأي العام.

يقف قانون "احتكار الحقائق" كدرعك الذي لا يُخترق، وسيفك الذي لا يُبارى. إنه ليس مجرد تكتيك عابر أو حيلة مؤقتة، بل هو الأساس الذي تقوم عليه إمبراطوريتك الإعلامية، التي تجعل منك المصدر الوحيد للمعرفة، والمرجع الأوحد لكل ما هو "موثوق". في عالم مليء بالضباب، تصبح أنت الشمس التي تنير الطريق، ولو كانت تلك الشمس أحيانًا تخفي خلفها غيوماً كثيفة.

تخيل نفسك ذلك الحكيم القديم الذي يجلس في برج عاجي، يطل على المدينة من عل، والناس يرفعون أبصارهم نحوك كما يرفعونها إلى النجوم ليلاً، يبحثونً فيك عن الإجابة لكل تساؤلاتهم. هم لا يعلمون أن تلك النجوم التي يرونها هي مجرد انعكاسات لما ترغب أنت أن يعرفوه، وأنك بلمسة واحدة، تستطيع تغيير مواقعها، أو حتى إطفاء نورها بالكامل.

في هذا العالم، لا مكان للصدف أو العفوية. كل معلومة تُطلقها، كل حقيقة ترويها، تكون محسوبة بميزان الذهب. فأنت صانع الروايات، ومهندس الحقائق، والناس لا يعرفون من أين تشرق شمس الحقيقة إلا من خلال نافذتك. اجعلهم يعتقدون أن الحقيقة مثل كنز دفين، أنت وحدك من يملك الخريطة إليه، وأن أي محاولة للوصول إليه من دونك ستنتهي بهم في متاهة لا مخرج منها.

لتتجلى عبقريتك هنا في قدرتك على خلق حقائق جديدة، وصياغة روايات تجعل من أي حدث مجرد فرصة لإبراز حكمتك. لنأخذ مثالاً بسيطاً: أزمة سياسية بدأت تلوح في الأفق. بينما يتسابق الجميع لنقل الأخبار وتحليل الأسباب، اجعل صوتك هو الوحيد الذي يحمل "الحقيقة المطلقة". قدم تفسيراً محكماً، مدعماً بالأرقام والبيانات، حتى وإن كانت من نسج خيالك. لا يهم. المهم أن تبدو موثوقة، وأن يظهر كل من يخالفك الرأي كمن يتحدث عن قصص من عالم الخيال.

وماذا عن الحقائق التي قد تكون غير مريحة أو مقلقة؟ هنا يكمن جمال الاحتكار. فأنت لست مجبراً على قول كل شيء. اختر من الحقائق ما يناسب روايتك، وأخف الباقي تحت عباءة الغموض. إن لم تستطع إخفاءها، فالتلاعب بهاَ فن تتقنه. قل الحقيقة، ولكن بطريقة تجعلها تخدم مصالحك. إنها ليست كذبة، بل حقيقة مُحكمة، معدلة لتناسب الصورة الكبيرة التي تريد رسمها.

ولا تتوقف عند هذا الحد. احرص على تشويه أي مصدر آخر يحاول أن ينازعك احتكار الحقيقة. اجعل منهم أمثلة للغباء أو التضليل، ودع الناس يستهزئون بكل معلومة تأتي من غيرك. أظهرهم كمن يتعثر في الظلام بينما تتوهج أنت كنور الحقيقة الساطع. هذا هو الفخ الذي لن يستطيعوا الفكاك منه: إذا وافقوك، فهم يعترفون بتفوقك، وإذا خالفوك، فهم يظهرون كمن لا يعرف شيئاً عن الواقع.

لكن لا تظنن أن احتكار الحقيقة يعتمد فقط على السيطرة على المعلومات. بل هو أشبه بحياكة خيوط العنكبوت. تحتاج إلى تربيط جميع الأطراف في شبكتك المعقدة، بدءاً من الإعلاميين، ومروراً بالخبراء، وانتهاءً بالجماهير التي ستردد كلماتك كما لو كانت آيات مُنزلة. اجعل منابر الإعلام أذرعاً لك، تردد ما تقوله، وتصيغ الأخبار بأسلوب يجعل كل معلومة تتناغم مع روايتك.

وإذا بدأ الناس يتساءلون أو يشكون، لا تهاجمهم مباشرة. بدلاً من ذلك، استعمل سلاح السخرية اللاذعة. اجعلهم يبدون سذجًا لأنهم فكروا مجرد تفكير في أن هناك حقيقة أخرى غير تلك التي قدمتها لهم. فالتفكير في وجود بديل لروايتك يصبح في حد ذاته ضربًا من ضروب الهذيان. وهكذا، يتحول التشكيك في مصداقيتك إلى نوع من أنواع الجنون الذي لا يجرؤ عليه إلا من فقدوا عقولهم.

في النهاية، يصبح قانون "احتكار الحقائق" هو الحصن الذي يحميك من كل سهم طائش. فأنت لا تدافع فقط عن سياساتك أو قراراتك، بل

تدافع عن الحقيقة ذاتها كما تراها. الحقيقة تصبح ملكاً لك، مثل قطعة أرض لا يسمح لأحد بدخولها إلا بإذنك. وهكذا، تبقى أنت الوحيد الذي يملك مفاتيح المعرفة، والوحيد القادر على فتح الأبواب أو إغلاقها كما تشاء.

وعندما يأتي اليوم الذي ينظر فيه الناس إلى الماضي، سيتذكرون فقط ما سمحت لهم أن يتذكروه. سيجدون أن ذاكرتهم هي مجرد انعكاس لما حفرته في عقولهم من حقائق لا يمكنهم الشك فيها. وسيظلون يشكرونك، ليس فقط لأنك منحتهم الحقيقة، بل لأنك علمتهم ألا يثقوا بأي حقيقة أخرى غير تلك التي تأتي من فمك.

في عالمك، أنت الراوي والقاضي والشاهد. أنت الحقيقة الوحيدة التي يعرفها الناس. وعندما يسألونك عن السبب، ستبتسم وتقول لهم ببساطة: "لأنني أعرف ما لا تعرفون". وهكذا، يظل الناس في دائرة لا نهاية لها من الثقة العمياء، وأنت تظل في قمة الهرم، مصدراً لكل ما هو معروف، وأساسًا لكل ما هو مُعتقد

١٦١- قانون الاستقطاب الحاد: السحر الذي يجعل الجميع يركضون نحوك حتى لو كنت أنت السبب في مصائبهم

في عالم السياسة العراقية، حيث الكلمات تصبح أسلحة أكثر فتكًا من الرصاص، يظهر قانون الاستقطاب الحاد كالأداة السحرية التي تمكنك من تحويل المجتمع إلى ساحة معركة حامية الوطيس، حيث لا يرى الناس سوى الأبيض أو الأسود، الخير أو الشر، وأنت بالطبع القائد المنقذ الذي يملك مفاتيح الحلول.

تخيل نفسك تسير في سوق مزدحم، الباعة ينادون، المتسوقون يتدافعون، والضجيج يملأ المكان. الآن، بدلاً من التفرج، قرر أن تمسك بيدك مكبر صوت وتبدأ بإثارة النعرات. "أيها الناس! انظروا إلى هؤلاء، إنهم السبب في كل ما نعانيه!" ستجد أن الجميع يلتفتون إليك، بعضهم بعيون الغضب، والبعض الآخر بقلوب مليئة بالخوف. وهكذا، يبدأ الانقسام.

الفن في هذا القانون ليس مجرد خلق الانقسامات، بل في جعل الجميع يعتقدون أنك الوحيد القادر على إصلاح ما أفسدته بيدك. أنت المحرك الذي يخلق الفوضى، وأنت المهندس الذي يعد بإعادة بناء النظام. إنه كالساحر الذي يشعل النار بيد ويطفئها بالأخرى، ليظل الجمهور دائمًا في حالة من الذهول والامتنان.

المجتمع، بطبيعته، يبحث عن بطل، شخصية قوية تُعيد له توازنه المفقود. وأنت بذكاء تعرف أن الطريق إلى هذا الدور لا يمر عبر الوفاق، بل عبر الشقاق. فما أسهل أن تقسم الناس إلى فرق متناحرة، كل فريق يعتقد أنه يمتلك الحقيقة المطلقة، وكل فريق يتهم الآخر بالخيانة أو الجهل. وهنا، تصبح الفتنة ملح الطعام، تضيفها إلى كل خطاب، كل قرار، كل لقاء.

في البداية، قد يبدو الأمر كأنه فوضى عارمة، ولكن لا تقلق. الفوضى هنا هي الأم التي تُرضع أطفالا يسمونك بطلا. كلما زاد الصراع، كلما زادت حاجتهم إليك. أنت الخبير الذي يعرف كيف يجعل الجمر يظل

مشتعلاً دون أن يحترق الجميع. والسر في هذه الحرفة هو التحكم بدرجة اللهب؛ لا تدع الأمور تصل إلى حد الانفجار، ولكن أبقها دائمًا على حافة الانهيار.

ومن براعة هذا الأسلوب أنك لست بحاجة إلى إثبات شيء. مجرد الإشارة إلى خطر محدق، عدو غير مرئي، مؤامرة تحاك في الظلام، سيكون كافيًا لتتفرق الجموع إلى معسكرات متناحرة. وهكذا، تتحول الحقيقة إلى شيء نسبي، والجميع يتطلعون إليك لتحديد ما هو صواب وما هو خطأ.

الناس في هذه الحالة يكونون كالمسافرين في صحراء شاسعة، يبحثون عن واحة وسط السراب. وأنت بالطبع تظهر في اللحظة المناسبة لتقودهم إلى الماء، أو على الأقل، إلى ما تعتقد أنهم يظنون أنه ماء. فالجوع إلى الاستقرار، إلى الأمن، يجعلهم يغضون الطرف عن الحقائق الصارخة، ويقبلون بأي شيء يُظهر أنه يوفر لهم الأمان، حتى لو كان وهمًا.

السخرية في الأمر أن هؤلاء الذين أوجعتهم بسيف الانقسام، هم أنفسهم الذين سيطالبون بك في نهاية المطاف كالمخلص. وفي كل مرة تتصاعد فيها حدة الصراع، تتعالى الأصوات المطالبة بتدخل الحكيم، القائد، الذي هو أنت، لتعيد الأمور إلى نصابها. لكن، بالطبع، تعرف جيداً أن الاستقرار التام ليس في صالحك؛ فتدير الأزمة تارةً، وتحلها تارةً، وفقًا لما يخدم استمرارك في القمة.

أما النتيجة النهائية لهذا القانون فهي تحويلك إلى رمز، إلى صمام أمان يبدو وكأنه الوحيد القادر على الحفاظ على الوحدة في مجتمع ممزق. وهنا يكمن البهاء: ليس لأنك فعلا حامي الحمى، بل لأنك ببراعة فائقة جعلت الجميع ينسون أنك كنت السبب في إشعال النار من البداية.

وهكذا، تبقى أنت الحصن الأخير في عقولهم، القلعة التي لا تُفتح إلا لمن يستحق، والرمز الذي يتصارع الجميع من أجله، في حين أنك تجلس بعيداً، تشاهد اللعبة من بعيد، وتبتسم في هدوء من يدرك أنه صنع لنفسه

عرشًا لا يُنافس. ومن هنا، ينتهي المشهد كما بدأ: بجمع الناس حولك، وكلٌ منهم يؤمن أنه بدونك لن يستمر إلا في الهلاك.

في النهاية، يبقى قانون الاستقطاب الحاد أعظم أدوات السياسة في عالم مليء بالألوان، حيث يُصبح الأبيض والأسود الخيارين الوحيدين، وأنت من يقرر أيهما يُبقي المجتمع على قيد الحياة.

١٦٢- قانون تشويه الإصلاح: كيف تجعل من الإصلاح وحشًا مرعبًا ينتظر في الزوايا المظلمة

في عالم السياسة العراقية، حيث الحقيقة ليست أكثر من ظل يتلوى في الزوايا، يظهر قانون تشويه الإصلاح كالسلاح السري الذي يحوله السياسيون إلى سيف مسلط على رقاب خصومهم. هذا القانون ليس مجرد تكتيك بسيط، بل هو فن معقد يتطلب من السياسي مهارة فائقة في استخدام الكلمات كأنها سهام مسمومة، تحول الإصلاحات الجادة إلى كوابيس يستيقظ منها الجميع مفزوعين.

تخيل نفسك في قصر منيف، جدرانه مزينة باللوحات التي تصور البطولات العظيمة، ولكنك تدرك أن أي إصلاح حقيقي قد يهدد تلك الجدران بالانهيار. فتبدأ ببراعة بطمس معالم الحقيقة، مستخدمًا قوى البيان لتصوير أي اقتراح جديد على أنه تهديد لا يمكن التهاون معه. خصمك قد يقترح بناء جسر يربط بين ضفتين، فتُظهر الجسر وكأنه طريق إلى الهاوية، حيث ينزلق المجتمع بأكمله إلى هاوية سحيقة لا قرار لها.

ولأنك بارع في التحايل على العقول، تبدأ بصياغة العبارات التي تجعل من هذا الإصلاح وكرًا للأخطار والمفاسد. تحدث عن تكلفة البناء التي ستثقل كاهل الشعب، حتى لو كانت الحقيقة غير ذلك. اصرخ بأعلى صوتك أن هذا الجسر سيجلب العواصف والرعود، مع أنه مجرد هيكل من الإسمنت والحديد. الجمهور سيستمع إليك بدهشة وارتباك، فمن ذا الذي يجرؤ على بناء جسر يجلب معه عواصف؟ هنا تكمن براعتك في اللعب على أوتار الخوف والترقب.

ولمزيد من الإثارة، لا تكتف بالكلام فقط. أطلق العنان لمخيلتك الواسعة وابدأ بنسج القصص الخياليّة التي تجعل من هذا الإصلاح عدوًا يتربص بالبلاد. تحدث عن مؤامرات خفية، عن أياد خارجية تعبث في الظلام، وعن مستقبل مظلم ينتظر كل من يجرؤ على السير في هذا الطريق. اجعل

الإصلاح يبدو وكأنه وحش كاسر يلتهم كل من يقترب منه، حتى وإن كان في حقيقته مجرد تغيير في مسار شارع جانبي.

ومن المؤكد أنك لن تقف عند هذا الحد. استدعي رجالك المخلصين، ووزع عليهم الأدوار المناسبة. هناك من سيرفع عقيرته بالتحذير من الكوارث البيئية التي ستحدث جراء هذا الإصلاح، حتى لو كان المشروع يتعلق بزراعة شجرة في حديقة عامة. وهناك من سيحذر من انهيار الاقتصاد الوطني، رغم أن الإصلاح قد ينقذ الاقتصاد من حافة الهاوية. كلٌ ينهش بطريقته، وكلٌ يزرع في قلوب الناس خوفًا ورعبًا من هذا الكيان الجديد الذي يُسمى إصلاحًا.

والأجمل في هذا القانون هو أنه لا يتطلب منك مجهوداً كبيراً في التحقق من صحة ادعاءاتك. فالشعب بطبيعته ميالٌ لتصديق الأسوأ، خاصة عندما يأتي مغلفًا بلغة رنانة، وعبارات تفيض بالحكمة المصطنعة. قل لهم إن هذا الإصلاح سيغير جذور المجتمع، وسيعيد تشكيل هويته الثقافية، وسيتسبب في تمزق النسيج الاجتماعي. لا تحتاج إلى تقديم أدلة، فقط لوح بتلك الكلمات وكأنها حقائق منزلة، وسترى كيف ينساق الجميع وراءك، رافضين أي تغيير قد يهدد ما ألفوه، حتى وإن كان هذا التغيير لصالحهم.

وفي خضم هذا الهياج العارم، عندما يتوقف العقل عن التفكير ويستبدل المنطق بالخوف، ستجد أنك قد نجحت في مهمتك. الإصلاح، الذي كان في بدايته مشرقًا وواعداً، يتحول إلى كابوس لا يرغب أحد في الاقتراب منه. خصومك الذين قدموا هذا الإصلاح كحل للمشاكل القائمة، يصبحون فجأة في نظر الجميع أعداء الشعب، مروجين للأوهام، ومجلبين للمصائب.

السر في نجاح هذا القانون يكمن في استمرارية الضغط. لا تترك فرصة للخصم لالتقاط أنفاسه أو تفسير مقترحاته. كلما حاول الدفاع عن إصلاحاته، كن أنت الأسرع في الهجوم، واصفًا إياه بالجنون أو الجهل. أحط اقتراحاته بسحب من الشكوك والافتراءات، واجعل من كل فكرة

يطرحها عبثًا يضيع الوقت والمال، حتى لو كان هذا الإصلاح هو بالضبط ما يحتاجه البلد.

وفي نهاية المطاف، عندما يستسلم الجميع ويغلقون الباب أمام أي إصلاح، ستجد نفسك واقفًا على قمة جبل الانتصار، لا لأنك قدمت حلولًا أفضل، ولكن لأنك جعلت الجميع يخافون من مجرد التفكير في التغيير. عندها، سيصفقون لك بحرارة، شاكرين إياك على حمايتهم من الخطر الداهم، دون أن يدركوا أنهم قد حرموا أنفسهم من الفرص الحقيقية للتحسن والنمو.

وهكذا، يبقى قانون تشويه الإصلاح هو الأداة التي يحافظ بها السياسي المحنك على وضعه الراهن، حيث لا شيء يتغير إلا إذا كان في صالحه، وحيث الإصلاحات الجادة تتحول إلى وحوش خيالية تُرعب الشعب، وتجعله يتشبث بالقديم، ولو كان مليئًا بالعيوب.

١٦٣- قانون التظاهر بالاستماع: كيف تجعل الناس يظنون أنك تنصت إليهم بينما تمضي في طريقك الخاص

في عوالم السياسة المتشابكة العراقية، حيث تتداخل المصالح وتتصادم الأهداف، يظهر قانون التظاهر بالاستماع كأحد أعظم ابتكارات السياسي المحنك. إنه ليس مجرد فن، بل هو استراتيجية محكمة تجعل من صاحبها أسطورة في فن القيادة دون أن يضطر إلى تقديم أي تنازلات حقيقية. إنه سر النجاح الذي يتيح لك البقاء في السلطة بينما يتوهم الجميع أنك تستمع إليهم، بينما في الحقيقة لا يصل إلى أذنيك إلا ما يتماشى مع أجندتك الخاصة.

تخيل نفسك جالسًا على كرسيك الوثير، تحيط بك جوقة من المستشارين، والجماهير تنتظر بفارغ الصبر أن تسمع منك كلمات الأمل والتغيير. تتنهد بهدوء، ثم ترفع رأسك بابتسامة ودودة، وتفتح ذراعيك كما لو أنك تستعد لاحتضان العالم بأسره. "أنا هنا للاستماع إليكم"، تقولها بصوت هادئ عميق، مما يبعث الطمأنينة في قلوب الحاضرين. إنهم يصدقونك بالطبع، فهم يرون فيك الرجل الذي يشعر بآلامهم وأحلامهم.

ولكن الحقيقة التي لا يعرفها أحد، أن عقلك في هذه اللحظة لا يفكر إلا في تلك القرارات التي عقدت العزم على تنفيذها منذ زمن بعيد، تلك التي تخدم مصالحك وتبقيك على رأس السلطة. الناس يتحدثون، ويطالبون، ويلحون، وأنت تستمع بعناية، تهز رأسك بين الحين والآخر، وتدون بعض الملاحظات في دفتر صغير أمامك. الجميع يظن أن تلك الملاحظات هي خلاصة المطالب التي ستغير بها مجرى الأمور، ولكنهم لا يعلمون أن هذا الدفتر لا يحتوي إلا على تعليمات جديدة لكيفية التظاهر بالاهتمام.

بعد أن ينتهي الاجتماع، تعود إلى مكتبك الخاص، تستعرض تلك الملاحظات، وتلقي بها على جانب الطاولة. إنه الوقت الآن للتركيز على

الأمور الجدية: مشاريعك الخاصة، صفقاتك السرية، وقراراتك التي ستضمن لك الاستمرار في السلطة لعقد قادم. فالناس قد تحدثوا بما فيه الكفاية، وقد منحوا لك ما كنت بحاجة إليه: الوهم بأنهم شاركوا في صنع القرار.

لكن العبقرية الحقيقية في هذا القانون ليست فقط في قدرتك على التظاهر بالاستماع، بل في قدرتك على انتقاء ما يخدمك من كل تلك المطالب. لربما ذكر أحدهم أمراً عابراً عن إصلاح طريق مهمل، وهنا ترى فرصتك. تأمر بإصلاح الطريق، وتعلن أن هذا هو استجابة لرغبة الشعب، بينما في الحقيقة أنت تفكر في كيفية استخدام هذا الإصلاح لإقامة مشروع عقاري يدر عليك الأرباح.

والأروع من ذلك، هو عندما تقرر أن تنفذ شيئًا يتماشى مع ما تريده الجماهير، ولكن على طريقتك الخاصة. الناس يطالبون بتخفيض الأسعار؟ لا مشكلة، تقدم لهم وعداً بتخفيض بسيط في الضرائب، لكنك ترفع الأسعار بشكل غير مباشر من خلال زيادة رسوم أخرى، فتخرج أمامهم كالبطل الذي استجاب لمطالبهم، بينما تمضي خططك في إثراء خزينتك الخاصة دون عائق.

ومن البديهي أنه كلما تكررت هذه المسرحية، أصبحت أكثر براعة فيها. الناس لا يشكون فيك لأنك أصبحت خبيراً في تقديم الوعود الكبيرة، مع ضمان أن تبقى تلك الوعود عائمة، غير مرتبطة بأي جدول زمني واضح. كلما ضغطوا عليك لتحديد موعد، تبتسم بحكمة، وتقول "نحن نعمل على ذلك"، مما يجعلهم يشعرون بأنك تبذل جهداً حقيقيًا، حتى وإن كنت في الحقيقة مشغولا بأمور أخرى تمامًا.

ومن الأمور الطريفة في هذا القانون، هو قدرتك على تحويل المظالم إلى مصدر للامتنان. فكلما زاد الضغط الشعبي في قضية معينة، كلما زادت فرصتك في تقديم حلاً وسطًا، يجعل الجميع يشعرون بالرضا دون أن تقدم لهم شيئًا حقيقيًا. فإذا كانوا يطالبون بزيادة الأجور، تقدم لهم وعداً

بدراسة الموضوع، وتمنحهم علاوة بسيطة لا تكاد تكفي، لكنهم رغم ذلك يشعرون بالامتنان لأنهم يظنون أنهم حصلوا على شيء لم يكونوا ليحصلوا عليه لولا تدخلك.

وعندما تحين اللحظة المناسبة، تقف أمام الجماهير لتلقي خطابك الرنان. تبدأ بسرد كل تلك اللقاءات التي عقدتها معهم، وكيف أنك استمعت لمطالبهم بآذان مصغية. تروي لهم حكايات عن شاب التقيته صدفة، وعن أم ثكلى جاءت لتشكوك، وتضفي على حديثك لمسات إنسانية تجعل من الصعب على أي أحد أن يشكك في صدق نواياك. ولكن بينما هم يتأثرون بكلماتك، تنزلق قراراتك الحقيقية من تحت السطح، ماضيةً في مسارها كما خططت لها منذ البداية.

في نهاية المطاف، ستجد أن قانون التظاهر بالاستماع هو أعظم سلاح في ترسانتك السياسية. إنه يجعلك تبدو وكأنك الزعيم الذي يشارك شعبه في كل شيء، بينما في الحقيقة لا تستمع إلا لصوت مصلحتك. وبينما ينشغل الجميع بمناقشة كلماتك، تستمر أنت في تنفيذ خططك، مطمئنًا إلى أن لا أحد سيراك على حقيقتك. في عالم السياسة، ليس المهم أن تسمع، بل أن تجعل الآخرين يعتقدون أنك فعلت.

١٦٤- قانون التهديد بالانهيار: السيف ذو الحدين الذي تروض به الجماهير وتخيف به الخصوم

في عالم السياسة العراقية، حيث الأزمات تُصنع بحرفية تفوق قدرات كبار الحرفيين، يظهر قانون التهديد بالانهيار كأحد أكثر الأسلحة فتكًا وأناقة في آن واحد. إنه الأداة التي تتيح لك أن تحكم قبضتك على زمام الأمور دون أن تضطر إلى تقديم تبريرات معقدة أو حلول مبتكرة. ببساطة، كل ما عليك فعله هو رسم صورة مرعبة لانهيار محتمل—اقتصادي، اجتماعي، أو حتى وجودي—ثم تدعو الناس، بلسانك العذب، إلى الالتفاف حولك كالقائد الذي يملك وحده مفتاح النجاة.

تخيل نفسك واقفًا على منصة عالية، الشمس في الأفق تغيب ببطء، والجماهير الغفيرة تنتظر كلمتك بفارغ الصبر. تشرع في الحديث بنبرة هادئة، عميقة، تحمل بين طياتها مشاعر الترقب، ولكن فجأة تغير النبرة إلى جرس إنذاري يخترق الآذان: "إننا على حافة الهاوية، يا سادة!" تلك العبارة وحدها كفيلة بإشاعة الفزع في النفوس. ترتفع همهمات الناس، ترتعش قلوبهم، ويتساءلون في سرهم: ما هو الخطر الداهم؟ وما الذي يمكننا فعله لتفاديه؟

السر وراء هذا القانون ليس فقط في خلق حالة من الذعر، بل في كيفية توجيه هذا الذعر لخدمة مصالحك. تبدأ بتفصيل سيناريوهات الانهيار: انهيار العملة، انفجار الديون، توقف الخدمات، فوضى تعم البلاد، ولربما حتى انهيار الدولة بكاملها. تلوح لهم بمستقبل مظلم حيث الجميع يسيرون في شوارع مقفرة، يحاولون النجاة في عالم من الخراب. وبالطبع، لا يهم إذا كانت تلك التهديدات واقعية أم مجرد أوهام من نسج خيالك؛ المهم هو التأثير.

والأكثر جاذبية في هذا التكتيك هو قدرتك على إظهار نفسك كالقائد الحكيم الذي لديه الحلول الجاهزة لهذه الأزمات، ولكنها حلول تحتاج إلى

تضحية من الشعب، قرارات مثيرة للجدل ربما، ولكنها ضرورية لمنع الكارثة الوشيكة. وهنا تبدأ في طرح تلك القرارات التي لطالما رغبت في تمريرها ولكنك خشيت من ردود الأفعال الغاضبة. قد تكون قرارات بزيادة الضرائب، أو تقليص الدعم، أو ربما فرض إجراءات تقشفية قاسية. ولكنك الآن تقدمها لهم على أنها الدواء المر الذي لا غنى عنه لإنقاذ البلاد من الانهيار.

وببراعة العالم بأساليب التحايل، تجعل من نفسك المنقذ الذي لا بديل عنه. تبدأ بتوجيه الحديث نحو الناس كأنهم شركاء في مصيرك المحتوم، "نحن جميعًا في هذا المركب، وإذا لم نتخذ هذه الخطوات الآن، فإن العواقب ستكون كارثية." تشعر الجماهير بالخوف من المستقبل المظلم الذي رسمته لهم، ومن ثم يجدون أنفسهم مضطرين لقبول كل ما تقدمه لهم، مهما كان مراً.

في هذه اللعبة، أنت لست فقط قائداً، بل صانعًا للقدر، تتحكم بمصائر الناس بخيط رفيع من التهديدات التي تبدو في ظاهرها حقيقية، ولكن في باطنها ليست سوى وسيلة لتثبيت أركان حكمك. ومع مرور الوقت، تتعلم كيف توازن بين هذه التهديدات وبين الوعود بالنجاة، فتقدم لهم بعض المكاسب الصغيرة هنا وهناك، وكأنك تقول: "نعم، نحن في خطر، ولكن بفضل قراراتي الجريئة، سنتجاوز هذه المحنة".

ولأنك تعلم جيداً أن الخوف هو سلاح ذو حدين، تحرص على ألا تدع هذا الخوف يتجاوز حده حتى لا ينقلب عليك. فتقوم بتقديم بعض الخطوات الصغيرة التي تعطي الأمل بأن الأمور تحت السيطرة. ربما تعلن عن برنامج جديد لخلق فرص عمل، أو عن اتفاقية دولية ستجلب الاستثمار، ولكنك دائمًا تُبقي على حالة من التوتر والخوف؛ لا تدعهم يشعرون بالأمان الكامل، فهم أكثر طواعية عندما يشعرون بالخطر.

ومن المواقف المضحكة التي قد تواجهك في هذا المسار، هو أنك ستضطر أحيانًا إلى خلق الأزمات من العدم. فحينما تهدأ الأمور وتبدأ الناس في

الاسترخاء، تجد نفسك مضطراً لإشعال الشرارة من جديد. تبدأ بإطلاق تحذيرات عن تدهور الأسواق العالمية، أو أزمة مالية جديدة تلوح في الأفق، وتستمر في ذلك حتى يعود القلق ليخيم على الأجواء. فالجماهير لا تبقى خاضعة إلا إذا كانت تشعر بالخطر.

وفي ختام هذه الملحمة، تقف مجدداً أمام الناس، وتعلن بفخر أن البلاد تجاوزت الأزمة، وأن الفضل يعود إلى تلك القرارات الصعبة التي اتخذتها. يهلل الناس، يصفقون، ويشعرون بالامتنان، بينما هم لا يعلمون أن الأزمة لم تكن سوى أداة في يديك لتعزيز سلطتك وتمرير أجندتك. أنت تبقى البطل الذي أنقذ الأمة من الانهيار، حتى وإن كان هذا الانهيار مجرد وهم صنعته بيديك.

وهكذا، يبقى قانون التهديد بالانهيار هو سيفك المسلط على الرقاب، تستخدمه بحنكة ودهاء لتحكم السيطرة على الموقف، وتدفع الجميع لقبول قراراتك، مهما كانت قاسية أو غير منطقية. في النهاية، لا يهم إذا كانوا يعلمون الحقيقة أم لا؛ الأهم هو أنهم يظلون متشبثين بك، يرون فيك القائد الذي يملك وحده القدرة على تجنيبهم المصير المجهول.

١٦٦ – قانون الاستنزاف السياسي: كيف تجعل خصومك يركضون في متاهات بلا نهاية بينما تظل أنت ثابتًا في مركز السلطة

في عالم السياسة العراقية، حيث المعارك تُدار بقوة الأفكار لا السيوف، يظهر قانون الاستنزاف السياسي كواحد من أذكى وأخطر الأسلحة التي يمكن للسياسي المحنك أن يضيفها إلى ترسانته. إنه القانون الذي يسمح لك بالتحكم في دفة الصراع دون أن تتلطخ يداك بالدماء، بل بعرق خصومك وهم يركضون خلف قضايا تافهة ومعارك جانبية لا طائل منها.

تخيل نفسك جنرالاً يقف على تلة مرتفعة، ينظر إلى ساحة المعركة التي تنتشر فيها جنود الخصوم. هؤلاء الخصوم متأهبون، جاهزون لمواجهة كبيرة، لكنك تعرف أن المواجهة الكبرى ليست ما تريده. فبدلاً من المواجهة المباشرة، تبدأ بإطلاق سلسلة من الحيل الصغيرة هنا وهناك، تثير الضجيج في كل زاوية وتجعلهم يهرولون كالمجانين، يحاولون إطفاء كل شرارة تشتعل. تبدأ بقضية تافهة، ربما نزاع على قطعة أرض صغيرة أو جدل حول قانون هامشي، لكنك تصوغها بطريقة تجعلها تبدو وكأنها مسألة حياة أو موت.

الخصوم، بطبيعتهم، لا يحبون أن يُنظر إليهم على أنهم غير قادرين على مواجهة التحديات، فيسارعون للرد. تجدهم يبددون جهودهم وطاقاتهم في محاولات مضنية لحل هذه القضايا الصغيرة، بينما أنت تجلس في مقعدك الوثير، تراقب وتخطط للخطوة التالية. الهدف ليس القضاء على الخصم بضربة واحدة، بل إنهاكه تدريجيًا حتى يصبح غير قادر على التركيز أو اتخاذ قرارات حاسمة.

وهنا يكمن جمال هذا القانون: إنه لعبة استنزاف بطيئة، تحتاج إلى صبر ودراية بفنون الإلهاء. تبدأ بجعل الخصوم يتشتتون بين مهام متعددة، وكل مهمة تبدو للوهلة الأولى بسيطة لكنها في الواقع تنطوي على تعقيدات لا حصر لها. ربما تثير جدلاً حول مشروع بسيط، ثم تحيطه بسلسلة من التساؤلات القانونية، والاعتراضات الشعبية، والتصريحات

المتناقضة. هكذا، تجد أن خصومك ينهكون في متاهة من الاجتماعات والنقاشات التي لا تنتهي، دون أن يقتربوا من الهدف الحقيقي.

وفي الوقت نفسه، بينما هم مشغولون بمحاولات حل تلك الأزمات المصطنعة، أنت تستغل الفرصة لتعزيز موقفك، تمرر القوانين التي تخدم مصالحك، وتبني التحالفات التي تضمن بقاءك في السلطة. كلما زاد انشغالهم بالقضايا الصغيرة، كلما قلت قدرتهم على التركيز على القضايا الكبيرة، تلك التي قد تهدد عرشك. وهكذا، يصبحون كمن يحارب طواحين الهواء، يتعبون دون تحقيق أي تقدم حقيقي.

ولكي يكتمل هذا المشهد الساخر، تبدأ في مرحلة متقدمة بتشتيتهم بشكل أكبر. قد تثير قضية جديدة قبل أن يتمكنوا من حل الأولى، وتحيطها بهالة من الأهمية الزائفة. مثلاً، تطلق حملة إعلامية حول خطر مفترض يتهدد البلاد، أو تستدعي مشكلة تاريخية وتعيد إحياءها وكأنها الطوفان الذي سيبتلع الجميع. الخصوم يسقطون في الفخ مراراً وتكراراً، يتحركون كدمى على خيوط مشدودة، بينما تظل أنت ممسكًا بأطراف تلك الخيوط، تحركهم كيفما شئت.

والطريف في الأمر، أنك لا تحتاج إلى أن تكون حاضراً في كل معركة؛ يكفي أن تترك فتيل الفتنة مشتعلاً وتراقب من بعيد. تدعهم يتصارعون فيما بينهم، ينقسمون حول القضايا التي طرحتها لهم، ويهلكون أنفسهم في جدالات لا تنتهي. وبينما يتخبطون في بحر من التفاصيل الصغيرة، تبقى أنت بعيداً عن الأضواء، تتقدم بخطى واثقة نحو تحقيق أهدافك.

ومع مرور الوقت، يبدأ خصومك في الشعور بالإنهاك، تتراجع حيويتهم، ويصبحون غير قادرين على متابعة كل تلك المعارك التي أوقعتهم فيها. يبدأ الشك يتسلل إلى صفوفهم، ويتبادلون الاتهامات حول أسباب الفشل. هنا، يظهر الوجه الحقيقي لقانون الاستنزاف السياسي: خصومك، الذين كانوا في يوم من الأيام يشكلون تهديداً

حقيقيًا، يتحولون تدريجيًا إلى مجموعة من المتعثرين، فاقدين للبوصلة، وعاجزين عن التفكير الاستراتيجي.

وهكذا، تجد نفسك في النهاية قد وصلت إلى غايتك دون أن تضطر لخوض معركة مباشرة، ودون أن تقدم أي تنازلات. لقد أجهدت خصومك بما فيه الكفاية ليتراجعوا عن موقفهم، أو على الأقل ليصبحوا غير قادرين على تحديك. وفي الوقت ذاته، تبقى أنت في موقع القوة، قادراً على اتخاذ القرارات الكبيرة بينما هم منشغلون بصغائر الأمور.

في النهاية، يبقى قانون الاستنزاف السياسي هو أحد أعظم ابتكارات السياسيين الدهاة. إنه القانون الذي يجعل خصومك يبددون طاقاتهم في معارك جانبية، بينما تستمر أنت في التقدم بخطى ثابتة نحو تحقيق أهدافك. إنه فن الخداع المتقن، الذي يجعلك تسيطر على ساحة المعركة دون أن تخسر جندياً واحداً، بينما يستنزف خصومك أنفسهم في محاولات يائسة لإخماد الحرائق التي أشعلتها أنت ببراعة.

١٦٧- قانون التظاهر بالانفتاح: كيف تبني جدرانًا من فولاذ بينما تقنع الجميع أنك تهدمها

في عالم السياسة العراقية، حيث يتجلى الذكاء في القدرة على تزيين الحقائق بألوان زاهية حتى تبدو كالأوهام التي يحلم بها الجميع، يظهر قانون التظاهر بالانفتاح كأحد أعظم أدوات السياسي الداهية. إنه السحر الذي يجعلك تبدو كالمنارة التي ترشد السفن إلى بر الأمان، بينما في الحقيقة توجه الجميع نحو شاطئك الخاص، حيث لا تسمح لأحد بالرسو إلا بإذنك.

تخيل نفسك زعيمًا محاطًا بحاشية من المفكرين، المثقفين، وأصحاب الرؤى المستقبلية. تدعوهم إلى اجتماع كبير، تفتح ذراعيك وتبتسم ابتسامة الواثق. "أنا هنا للاستماع إلى أفكاركم، أريد أن أسمع منكم جميعًا"، تقولها بنبرة عذبة تُدخل الطمأنينة في قلوبهم. يشعر الجميع بأنهم على وشك المشاركة في صنع القرار، وأن صوتهم سيُسمع في أروقة السلطة. ولكن، ماذا لو عرفوا الحقيقة؟ أن هذا الانفتاح ليس إلا غطاءً شفافًا يكسو حقيقة صلبة، وهي أن كل شيء سيدور في فلك أفكارك، وأنك تستمع فقط لتتحدث أكثر.

تبدأ اللعبة بأخذ الاقتراحات بعناية، تسمع لكل واحد منهم، تهز رأسك وتُدون الملاحظات. تبدو كأنك تغرق في بحر من الأفكار التي تفيض بها عقولهم، ولكن ما لا يعلمونه أن هذا البحر لا يعدو كونه بركة صغيرة تظللها أشجار أفكارك الوارفة. كلما تظاهر أحدهم بتقديم فكرة مبتكرة، تجد نفسك تلتقط الفكرة، تلمعها، ثم تضعها في سياقك الخاص بحيث تصبح انعكاسًا لسياساتك أنت. كأنك صياد ماهر يمسك بالأسماك الصغيرة ليُعيد تشكيلها كما يشاء، ويضعها على طبق يحمل اسمك.

ولا تتوقف عند هذا الحد، بل تدير الحوار بطريقة تجعل كل فكرة مهما كانت عظيمة، تدور حول محور رؤيتك. إذا تحدث أحدهم عن ضرورة الإصلاح الاجتماعي، تجد نفسك توافق بشدة، ثم تسحب البساط من

تحت قدميه بلطف، لتقول إن هذه الفكرة تتوافق تمامًا مع خطتك القائمة التي لم يطلع عليها أحد. وإذا اقترح آخر زيادة الاستثمار في مجال معين، تظهر الحماسة على وجهك، لتعلن أن هذا كان ضمن جدول أعمالك منذ زمن، ولكنك كنت تنتظر اللحظة المناسبة للإعلان عنه.

وكأنك تمارس نوعًا من السحر الأبيض، تلتف حول الأفكار وكأنك تتبناها، بينما في الحقيقة تحكم عليها بشبكة من الفلسفات التي تجعل منها جزءًا لا يتجزأ من توجهاتك. الأفكار التي كانت تبدو في البداية وكأنها صواريخ تنطلق في فضاء حر، تتحول تدريجيًا إلى كواكب تدور في مدار واحد، مدارك أنت.

وأما أولئك الذين يجرؤون على تقديم أفكار تتعارض مع ما تريد، فإنهم يجدون أنفسهم أمام جدار غير مرئي من التحفظات والاعتراضات اللطيفة. أنت لا ترفضهم بشكل صريح، بل تبدأ بطرح الأسئلة المتتالية التي تجبرهم على الدفاع عن أفكارهم، وتجعلهم في النهاية يشعرون بأن الفكرة ربما لم تكن ناضجة بما يكفي. وهكذا، تنسحب أفكارهم مثلما يذوب السكر في الشاي، تاركة خلفها طعمًا حلواً لكنه لا يغير من المذاق الأساسي شيئًا.

السر في هذا القانون ليس فقط في قدرتك على امتصاص الأفكار وإعادة تدويرها، بل في قدرتك على جعل الجميع يعتقدون أنهم مشاركون في صنع القرار. تشعرهم بأنهم أصحاب فضل، أنهم شاركوا في صياغة السياسات، بينما في الحقيقة لم يحدث شيء سوى أنك حولت كل شيء إلى ما يخدم مصلحتك. عندما ينتهي الاجتماع، يعود كل منهم إلى بيته وهو يشعر بالفخر، يظن أنه ساهم بشيء مهم، بينما الحقيقة أنك كنت الوحيد الذي قاد السفينة.

والطريف في الأمر أنك لا تحتاج إلى تقديم أي وعود محددة. كلما طرح أحدهم سؤالاً عن كيفية تنفيذ تلك الأفكار، تجد نفسك تبتسم ابتسامة ودية، وتقول إنك ستأخذ كل شيء بعين الاعتبار، وأنك ستدرس كل

اقتراح بعناية. وهكذا، تظل الأفكار معلقة في الهواء، معلقة تمامًا مثل المعلقات التي لا تجد طريقها أبدًا إلى أرض الواقع.

وفي خضم هذا الانفتاح المزيف، تجد نفسك قادراً على تمرير قراراتك الخاصة دون مقاومة تُذكر. فالجميع يشعر أنه قد أُشرك في العملية، بينما في الحقيقة لم يكن إلا جزءاً من مخطط أكبر، مخططك أنت. وحتى إذا تجرأ أحدهم على الاعتراض لاحقًا، يكون الوقت قد فات، لأنك قد بنيت جداراً من التوافق الزائف، جداراً يجعل من المستحيل على أحد أن يقول إن الأمور لم تكن نتيجة حوار مشترك.

وفي نهاية المطاف، تجد نفسك على قمة هرم السلطة، محاطًا بجوقة من المؤيدين الذين يظنون أنهم أصحاب الفضل في نجاحك، بينما في الواقع لم يكن هناك إلا صوت واحد مسموع، صوتك أنت. وهكذا، يبقى قانون التظاهر بالانفتاح هو السحر الذي يجعل الجميع يعتقدون أنهم جزء من اللعبة، بينما تكون أنت الوحيد الذي يعرف أن كل شيء كان يدور حولك منذ البداية.

١٦٨ - قانون التعتيم الثقافي: كيف تحول الأفق الواسع إلى صندوق صغير تمسك بمفتاحه

في عالم السياسة العراقية، حيث تدور العقول حول محور السيطرة والنفوذ، يظهر قانون التعتيم الثقافي كالسد المنيع الذي يحمي السياسي المحنك من أمواج التغيير الجارفة. إنه القانون الذي يجعل من العقل البشري ساحة مغلقة، حيث لا يدخل إلا ما تريده أنت، ولا يخرج إلا ما يخدم مصالحك. إنه فن التحكم بالإدراك، وإبقاء الشعوب في قواقعهم بينما تجلس أنت على قمة الهرم، تتحكم بمنافذ الفكر والمعرفة.

تخيل نفسك حاكمًا لمدينة محاطة بأسوار عالية، خلف تلك الأسوار تتدفق ثقافات وأفكار من كل حدب وصوب، تجلب معها رياح التغيير التي قد تعصف بأساسات حكمك. لكنك تعلم أن كل ما يتطلبه الأمر هو إغلاق تلك الأبواب بحزم، وإبقاء شعبك في حالة من الجهل المنظم، حيث لا يرون سوى ما تسمح لهم برؤيته، ولا يسمعون إلا ما تقرر أنت أنه مسموح.

تبدأ بفرض حواجز غير مرئية على وسائل الإعلام، تصدر القوانين التي تبدو بريئة في ظاهرها، لكنها في الحقيقة تحجب كل فكرة أو ثقافة قد تثير التساؤلات أو تدفع الناس للتفكير النقدي. تسمح للناس بالقراءة، بالطبع، ولكنك تتحكم فيما يقرؤونه. تزودهم بكتب ومقالات تُشبع رغباتهم في المعرفة، لكنها مشذبة، معقمة، خالية من أي شحنة قد تثير الثورة أو التغيير.

وفي عصر الإنترنت، تجد نفسك أمام تحد جديد، لكنك داهية بما يكفي لتحويله إلى فرصة ذهبية. تبدأ بخلق جدّار ناري عظيم، يمنع الوصول إلى المواقع التي قد تُغذي عقول الناس بأفكار جديدة. تروج لفكرة أن هذا الحجب ليس لحماية سلطتك، بل لحماية الشعب من الأفكار الهدامة، تلك الأفكار التي قد تدمر أخلاقهم، وتقلب حياتهم رأسًا على

عقب. تصبح حامي القيم والتقاليد، بينما في الحقيقة أنت حامي عرشك ومصالحك.

ولأنك تعرف أن التعتيم الثقافي يحتاج إلى أكثر من مجرد منع الوصول، تبدأ بتوجيه الناس نحو ما يجب أن يفكروا فيه. تملأ الشاشات والجرائد بمحتوى سطحي، مسلي، يشتت الانتباه عن القضايا الحقيقية. برامج ترفيهية، أخبار عن مشاهير فارغين، قضايا تافهة تتحول إلى حديث الساعة، كل ذلك يصرف الناس عن التفكير في ما قد يهدد سلطتك. تجعلهم يلهثون خلف السراب، ويغرقون في بحور من التسلية الزائفة.

ولكي تكتمل الحيلة، تبدأ بترويج ثقافة مضادة، ثقافة تقنع الناس بأن كل ما يأتي من الخارج هو خطر على هويتهم وأمنهم. تزرع في قلوبهم الشكوك تجاه كل ما هو جديد، وتجعل من الثقافة المحلية قيداً محكماً حول عقولهم. تعيد صياغة الماضي ليصبح الحاضر والمستقبل امتداداً له، لا يقبل التغيير ولا التطوير. تجعل من الانغلاق فضيلة، ومن الانفتاح تهديداً.

وفي الوقت الذي تكون فيه قد أغلقت الأبواب أمام الأفكار التي قد تزعزع استقرارك، تفتح الأبواب على مصراعيها للأفكار التي تخدم مصلحتك. تروج لفكر معين، تلمعه، وتجعل منه المثال الذي يجب أن يتبعه الجميع. تحتكر تفسير الحقائق، وتجعل من نفسك المرجعية العليا التي لا يُسمح لأحد بتجاوزها. وهكذا، يصبح الشعب كالقطيع الذي يتبعك أينما تقوده، غير مدرك أن الطريق الذي يسير فيه قد تم تصميمه خصيصاً ليبقيه تحت السيطرة.

ولكنك تعرف أن التعتيم الكامل قد يولد تمرداً غير مرغوب فيه، لذلك تُبقي على قنوات صغيرة من التنفيس، تتيح للناس بعض الحرية الوهمية، حتى يظنوا أنهم يعيشون في مجتمع منفتح. تسمح ببعض النقد، ببعض الأصوات المعارضة، ولكنها تظل تحت سقفك، لا تتجاوزه ولا تشكل

خطراً حقيقيًا. تجعل الناس يشعرون بأنهم يشاركون في النقاش، بينما في الحقيقة أنت من يتحكم في مساره ونتائجه.

وفي النهاية، تجد نفسك قد بنيت حصنًا منيعًا من الجهل المقنن، حصنًا يُبقي شعبك في حالة من الرضا الزائف، غير مدركين أنهم قد حُرموا من الانفتاح على العالم ومن الفكر الحر. بينما يظن الجميع أنك القائد الحكيم الذي يحميهم من الأخطار الثقافية، تكون أنت قد حميت نفسك من سلاح أخطر بكثير: وعي الشعب.

قانون التعتيم الثقافي هو إذاً ليس مجرد أداة للحفاظ على السلطة، بل هو فن تحويل الشعوب إلى كائنات لا ترى إلا ما تريد لها أن تراه، ولا تسمع إلا ما تسمح لها بسماعه. إنه سجن من الحرير، تزينه لهم ليظنوا أنهم أحرار، بينما في الواقع هم مقيدون بقيود غير مرئية، صنعها لهم حاكم يعرف أن المعرفة هي أكبر عدو للسلطة المطلقة.

١٦٩ – قانون الاحتواء الوقائي: كيف تجعل من الشوك وردًا لتزيين عرشك

في دهاليز السياسة العراقية، حيث تكمن الحكمة في القدرة على التلاعب بالاحتمالات قبل أن تتحول إلى تهديدات، يبرز قانون الاحتواء الوقائي كأحد أكثر الأدوات ذكاءً في ترسانة السياسي المخضرم. إنه القانون الذي يتيح لك تحويل الخصوم المحتملين إلى حلفاء، ولكن ليس حلفاء حقيقيين، بل مجرد ظلال تتبعك أينما ذهبت، متوهمة أنها في قلب اللعبة بينما هي مجرد قطع شطرنج وضعتها في مواقع آمنة.

تخيل نفسك قائدًا لسفينة ضخمة، تبحر في محيط يعج بالعواصف والمفاجآت. كلما أبحرت بعيدًا، تظهر في الأفق سفن صغيرة تقترب، محملة بشخصيات شابة وطموحة، تلمع عيونهم بحلم الوصول إلى دفة القيادة. أنت تعرف أن هذه السفن قد تحمل بداخلها بذور التمرد، فتقرر بدلاً من مواجهتها أن تحتويها. تبدأ بدعوة قادة تلك السفن الصاعدة إلى مقصورتك الفاخرة، تبتسم لهم، تقدم لهم كؤوسًا من الشراب الفاخر، وتعدهم بالمزيد.

لكنك تعلم أن الاحتواء لا يعني ببساطة الترحيب بهم، بل هو فن تحويل طموحاتهم إلى أدوات تخدم مصالحك. فتبدأ بإغرائهم بالمناصب الرفيعة، تمنحهم سلطة محدودة، وترمي لهم ببعض الفتات من الامتيازات. تجعلهم يشعرون أنهم قد اقتربوا من القمة، لكنك تدرك جيدًا أن القمة لا تتسع إلا لشخص واحد، وهذا الشخص هو أنت.

ولأنك خبير في فنون السياسة، تعرف أن النفوذ لا يمنح مجانًا. تبدأ بوضع هؤلاء الصاعدين في مناصب تبدو لامعة من الخارج، لكنها في الحقيقة فارغة من الداخل. المناصب التي تمنحهم إياها تجلب لهم المظهر، لكنها تبقيهم بعيدين عن جوهر القوة. إنهم الآن محاصرون في شبكة من الاجتماعات والمهمات الشكلية، يظنون أنهم يصنعون القرارات بينما الحقيقة أنهم يدورون في دوامة لا نهاية لها، دوامة صنعتها خصيصًا لهم.

ولكنك لا تكتفي بهذا. تبدأ بنثر بذور الشك في نفوسهم تجاه بعضهم البعض، تجعلهم يظنون أن كل واحد منهم هو المنافس الحقيقي للآخر، وأن الطريق إلى القمة يمر عبر القضاء على منافسيهم الجدد. وهكذا، تجدهم ينشغلون بمعاركهم الصغيرة، يحرقون طاقاتهم في محاولات لإثبات أنفسهم أمامك، بينما تبقى أنت في مأمن، تراقب من بعيد وتضحك في سرك.

ومن سخرية هذا القانون أن الشخصيات التي كنت تخشى صعودها، تصبح الآن مدافعة شرسة عن وضعك القائم. فهم الآن يدركون أن مناصبهم وامتيازاتهم مرتبطة بشكل وثيق ببقائك على القمة، وأن أي محاولة للإطاحة بك ستجعلهم يفقدون كل شيء. لقد قمت باحتوائهم ببراعة، وربطتهم بمصالحهم الضيقة، وجعلتهم حراسًا على أبواب سلطتك دون أن يشعروا بذلك.

وفي اللحظات التي يبدأ فيها أحدهم بالتساؤل أو محاولة تجاوز الدور المرسوم له، تجد أن الحل بسيط: ترقيته إلى منصب أعلى شكليًا، لكن أكثر تعقيداً وإرهاقًا. بهذا، تضمن أنه سيظل منشغلا بالمهام الجديدة التي لا تنتهي، تاركًا لك متسعًا من الوقت لتدير اللعبة كما يحلو لك. إنه الآن أسير منصبه، الذي تحول من امتياز إلى قيد.

والأروع في هذا القانون أنك تظل في النهاية القائد الذي يمنح ويأخذ، الذي يصنع الملوك ويرسم لهم حدود ممالكهم. كلما احتوى أحدهم شكوى أو أبدى امتعاضًا، كنت سريعًا في تذكيره بالفضل الذي أسديته له، وبالمخاطر التي أبعدتها عنه. تجدهم يهزون رؤوسهم بتواضع، يدركون أنك لست فقط سيدهم، بل حامي مصالحهم أيضًا.

وفي النهاية، يتحول هؤلاء الطامحون إلى جزء من منظومتك، إلى أدوات تُستخدم لتعزيز وضعك واستقرار حكمك. إنهم يدركون جيداً أن أي محاولة للتمرد ستعيدهم إلى الصفر، وأن حياتهم المهنية أصبحت مرهونة ببقائك. وهكذا، يبقى قانون الاحتواء الوقائي هو أحد أعظم

ابتكارات السياسي الداهية، الذي يعرف كيف يحول الخصوم المحتملين إلى حلفاء مضطرين، وكيف يجعل من الشوك الذي قد يجرح مسار حكمه زينة تزين عرشه

١٧٠- قانون التحكم في الحوار الوطني: كيف تجعل الجميع يتحدثون بلغتك ويرقصون على أنغامك دون أن يدركوا

في عالم السياسة، حيث الكلمات تصنع المعارك وتصوغ الانتصارات، يظهر قانون التحكم في الحوار الوطني كالسلاح السري الذي يجعل من السياسي المحنك سيد الموقف. إنه القانون الذي يمكنك من أن تجعل الأمة بأسرها تتحدث بلغتك، تناقش قضاياك، وتدور حول محاورك، بينما تظن أنها تمارس حريتها في التعبير. إنه فن السيطرة على العقول دون أن تلمسها، وصياغة الرأي العام كما يُصاغ الذهب في أفران الصائغين المهرة.

تخيل نفسك قائداً لفرقة موسيقية ضخمة، كل عازف يحمل آلة، وكل آلة تصدر نغمة مختلفة. أنت وحدك الذي يمتلك العصا السحرية، تشير بها فيبدأ الجميع بالعزف، ولكن ليس كيفما يشاؤون، بل كيفما تشاء أنت. تبدأ برفع العصا، وتحدد الإيقاع: اليوم سنتحدث عن الأمن، وغداً عن الاقتصاد. لا أحد يتجرأ على الخروج عن اللحن، لأنك أنت من كتبت النوتة، وأنت من يملك القدرة على تغييرها في أي لحظة.

تبدأ اللعبة بتحديد الأجندة الوطنية، تختار القضايا التي ترغب في تسليط الضوء عليها، وتضعها في مقدمة الحديث العام. لا يهم إن كانت تلك القضايا حقيقية أو مختلقة، المهم هو أنك من يحدد ما يُقال وما يُسمع. تثير قضية قديمة، تُعيدها إلى الواجهة كأنها لم تُناقش من قبل، وتضخمها حتى تملأ الأرجاء. وبهذا تتحول الأنظار إليها، ينشغل الجميع بالحديث عنها، وتصبح أنت القائد الذي يوجه الحوار.

ولكن الأمر لا يتوقف عند اختيار الموضوعات فقط. عليك أيضًا أن تتحكم في كيفية تناولها. تضع إطاراً محدداً للنقاش، تحدد المعايير، وتجعل من يخرج عنها كمن يخرج عن قواعد اللعب. إذا كانت القضية تتعلق بالاقتصاد، فأنت من يحدد ما هو المهم: هل نتحدث عن النمو؟ أم

عن البطالة؟ أم عن الاستثمارات الأجنبية؟ وبهذا، تجعل من كل حوار يدور في فلك واحد، فلكك أنت.

ولأنك داهية في فنون السياسة، تعرف جيداً أن من يتحكم في الأسئلة هو من يتحكم في الأجوبة. تبدأ بطرح الأسئلة التي ترغب في سماع إجاباتها، تلك الأسئلة التي تدفع الجميع للتفكير في الاتجاه الذي تريده. تجعل الجميع يناقشون القضايا التي تخدم مصالحك، دون أن يدركوا أنهم في الحقيقة مجرد بيادق في لعبتك الكبرى. فبينما ينشغلون بالبحث عن إجابات لأسئلتك، تكون أنت قد أحكمت سيطرتك على الحوار الوطني.

ومن الحيل الرائعة التي قد تستخدمها، هي إغراق الساحة بالموضوعات الثانوية، تلك التي تبدو مهمة لكنها في الحقيقة ليست إلا ضجيجاً يُبعد الأنظار عن القضايا الجوهرية. قد تثير جدلاً حول قضية ثقافية، أو تصرف الناس عن قضايا الفساد بقضية اجتماعية مثيرة للجدل. وهكذا، تتحول الأنظار عن الأسئلة الكبيرة، ويجد الجميع أنفسهم يناقشون قضايا ثانوية لا تضر ولا تنفع، بينما تمرر أنت قراراتك الكبرى دون اعتراض يُذكر.

ولكي تضمن نجاح هذا القانون، تبدأ بخلق انطباع بأنك قائد الحوار الوطني، الموجه الذي يحمل راية النقاش البنّاء. تقدم نفسك كصاحب الرؤية، المدافع عن حرية التعبير، وتترك للناس وهم الاختيار. ولكن في الحقيقة، أنت من يختار لهم، أنت من يحدد لهم ما هو المهم وما هو غير المهم، وأنت من يرسم لهم حدود الحوار.

وعندما يحاول أحدهم أن يخرج عن تلك الحدود، تجد نفسك تلعب دور الحَكَم. تردّه بلطف إلى إطارك المحدد، تُذكّره بما هو "مهم" وما هو "غير مهم". وقد تتظاهر بإعطاء الفرصة لأفكار جديدة، ولكنك تعلم جيداً كيف تحاصر تلك الأفكار وتُخنقها في مهدها. تتركها تتنفس قليلاً، لتمنح

الجميع وهم التعددية، ثم تدفنها تحت طوفان من القضايا المصطنعة التي تُغرقها في زحام الحديث.

والجميل في هذا القانون أنه يتيح لك أيضًا التخلص من الأصوات المعارضة بشكل غير مباشر. فأنت لا تحتاج إلى إسكاتهم بالقوة، يكفي أن تُغرق أصواتهم في بحر من النقاشات التي لا تنتهي، تجعلهم يصرخون بلا جدوى، بينما يستمر الحوار الوطني في مساره الذي حددته. تظل أنت المتحكم، والجميع يتحدثون في أطر رسمتها بيديك، دون أن يدركوا أنهم مجرد جزء من مخطط أكبر.

وفي النهاية، تجد نفسك قد صنعت أمة تتحدث بلغة واحدة، لغة أنت من اخترعتها. كلما دار الحديث في المجالس، أو ارتفعت النقاشات على وسائل الإعلام، تكتشف أن الجميع يدورون في دوائر رسمتها لهم منذ البداية. لقد حولت الحوار الوطني إلى لعبة تديرها بإتقان، تجعل الجميع يظنون أنهم يشاركون فيها، بينما الحقيقة أنك الوحيد الذي يعرف قواعدها. وهكذا، يبقى قانون التحكم في الحوار الوطني هو السلاح الذي يجعلك القائد بلا منازع، والمتحكم في كل كلمة تُقال في وطنك.

١٧١- قانون التلاعب بالمصطلحات: كيف تصنع قاموسًا سياسيًا خاصًا بك وتحوّل الحقيقة إلى لعبة لغوية تخدم أجندتك

في أروقة السلطة العراقية، حيث الكلمات ليست مجرد أدوات للتواصل بل هي السيوف التي تقطع الحقيقة وتعيد تشكيلها، يظهر قانون التلاعب بالمصطلحات كأحد أكثر الأسلحة فعالية وأشدها دهاء. إنه القانون الذي يمنحك القدرة على تحويل المفاهيم إلى ظلال تلعب بها كما تشاء، تصنع منها واقعًا جديداً حيث لا وجود إلا لتعريفاتك، ولا سلطة إلا لنسختك المعدلة من اللغة.

تخيل نفسك تجلس في مكتبك الفخم، حيث الأوراق تملأ الطاولة، وكل كلمة من تلك الأوراق تحمل في طياتها قدرة هائلة على التأثير في عقول الملايين. لكنك تعلم أن الكلمات بحد ذاتها لا تكفي؛ يجب أن تُعيد تشكيلها، تُلبسها حللا جديدة، تجعل منها أدوات تزرع في الأذهان ما تريد، وتقتلع منها ما تشاء.

أول خطوة في هذا القانون هي اختيار المصطلحات التي ترغب في إعادة تعريفها. هل ترغب في إحكام قبضتك على السلطة؟ إذن عليك أن تعيد تعريف "الحرية". تقول للناس إن "الحرية" ليست تلك القدرة الساذجة على قول وفعل ما يشاؤون، بل هي "القدرة على فهم وتقدير الحكمة التي تقودهم". وبهذا، تجعلهم يعتقدون أن الطاعة لك هي أعلى مراتب الحرية، وأن خروجهم عن طاعتك هو "الفوضى" بعينها.

ثم تأتي مرحلة البناء، حيث تبدأ بطرح مصطلحات جديدة كأنها منجم ذهب لا ينضب. تنشر في الإعلام كلمات مثل "الاستقرار المستدام"، وتعرفها بأنها "الحالة التي يتم فيها توجيه الشعب بحكمة نحو قرارات تقود الأمة إلى مستقبل مشرق". ومن هنا، يبدأ الناس في ترديد هذه العبارة وكأنها شعار مقدس، غير مدركين أن "الاستقرار المستدام" ليس إلا غطاء لقراراتك التي قد تكون أكثر استبداداً مما يتصورون.

لكن اللعبة لا تتوقف هنا. تبدأ في تقديم مصطلحات مألوفة في قالب جديد تمامًا. خذ على سبيل المثال كلمة "الإصلاح". في قاموسك الجديد، "الإصلاح" لا يعني تحسين الأوضاع أو تغيير السياسات للأفضل، بل يعني "التحديث بما يتوافق مع التوجهات الوطنية"، وتلك التوجهات الوطنية هي بالطبع توجهاتك أنت. وهكذا، يصبح أي معارض للإصلاح، وفقًا لتعريفك الجديد، ليس إلا رجعيًا يقف في وجه التقدم.

ومن عبقرية هذا القانون أنك لا تحتاج إلى فرض تعاريفك الجديدة بالقوة. الناس سيتبنونها بشكل طبيعي لأنك جعلتها جزءًا من حديثهم اليومي، تروجها عبر الخطب، المقالات، والنشرات الإخبارية. تبدأ بتعليمهم تلك المصطلحات في المدارس، فتُدرّس للأطفال أن "الاستقلال الاقتصادي" لا يعني الاعتماد على النفس، بل هو "الشراكة الاستراتيجية مع القوى العالمية" — والشراكة هنا تعني بالطبع الخضوع لمصالحك الشخصية.

وعندما يأتي من يحاول التحدث بلغته الخاصة، يواجه صعوبة في التواصل مع الناس لأنهم لم يعودوا يفهمونه. لقد برمجتهم على قاموسك الخاص، على فهمك للواقع. وإذا حاول أن يجادل باستخدام مصطلحات قديمة، تجد نفسك تبتسم وترد عليه: "عزيزي، أنت تستخدم لغة الماضي، لغة لم تعد تلائم العصر الحديث". فتبدو وكأنك أكثر تقدمًا وتفهمًا بينما في الحقيقة أنت تدفن أي محاولة للعودة إلى المعايير الأصلية.

ولأنك سيد اللعبة، تبدأ في تضييق الخناق على المعارضين بشكل أكثر ذكاءً. تقدم مفاهيم جديدة مثل "المعارضة البناءة"، وتعرفها بأنها "تلك المعارضة التي لا تهدف إلى عرقلة مسيرة الدولة بل تهدف إلى تعزيزها من خلال التعاون الكامل مع القيادة الرشيدة". وهكذا، كل من يحاول معارضتك بأسلوب تقليدي، سيظهر وكأنه يريد الهدم والتخريب، بينما المعارض الحقيقي هو من ينفذ سياساتك بحماسة.

ومع مرور الوقت، تجد نفسك قد نسجت شبكة لغوية معقدة، لا يستطيع أحد اختراقها إلا بمفاتيحك الخاصة. كلما أراد الناس التعبير عن آرائهم،

يجدون أنفسهم مضطرين لاستخدام مصطلحاتك، مما يجعل كل حديث يدور في فلكك دون أن يدركوا أنهم أصبحوا سجناء في قاموسك المصطنع. لقد أصبح الحوار الوطني يدور حول تعاريفك، وحقيقة الأمور أصبحت مرهونة بتلك الكلمات التي اخترعتها.

وفي ختام هذا المشهد الساخر، تجد أن قانون التلاعب بالمصطلحات ليس مجرد أداة للتأثير على الأفراد، بل هو فن من فنون السيطرة الشاملة. إنه الكنز الذي يجعل من السياسة ليست فقط لعبة للسلطة، بل لعبة للكلمات والمعاني. الكلمات التي تكتبها، التعاريف التي تقدمها، تصبح هي الحقائق الجديدة التي يتبناها الجميع دون سؤال. وهكذا، تبقى أنت المتحكم الأوحد في لغة الحوار الوطني، وكلما تحدث الناس عن الحرية، الديمقراطية، الإصلاح، أو حتى الحقيقة، فهم لا يعرفون إلا ما سمحت لهم أن يعرفوه، ولا يرون إلا ما رسمته لهم بلغتك.

١٧٢– قانون السيطرة على الرموز الوطنية : كيف تجعل من التاريخ جناحًا تطير به وتدفن خصومك تحت أنقاضه .

في السياسة العراقية، حيث المعارك لا تُخاض بالسيوف بل بالأفكار والصور، يظهر قانون السيطرة على الرموز الوطنية كأحد أعظم ابتكارات السياسي الداهية. إنه القانون الذي يتيح لك أن تحول كل رمز وطني إلى سلاح في يديك، تسدد به الضربات لأعدائك دون أن تلوث يديك، وتجعل الأمة بأسرها تنحني أمامك كأنك وريث تلك الرموز، أو حتى مجسدها الوحيد.

تخيل نفسك جالسًا في قاعة عظيمة، جدرانها مزينة بصور الأبطال القوميين، أعلام ترفرف في الزوايا، ونصب تذكارية تلمع في ضوء الشمس المتسلل من النوافذ العالية. تشعر بأنك محاط بظلال العظماء، وتدرك فجأة أن هذه الرموز ليست مجرد ذكريات من الماضي، بل هي مفاتيح لمستقبل مليء بالسيطرة والهيمنة.

الخطوة الأولى في هذا القانون هي استيعاب الرموز الوطنية بجميع أبعادها. هل لديك زعيم تاريخي محبوب، شخصية طاهرة كالنور في ذاكرة الشعب؟ إذن عليك أن تحتضن صورته، تضعها في كل مكان، وربما تجعلها خلفك في كل خطاب تلقيه. لا تكتفي بذلك، بل ابدأ بربط اسمه بإنجازاتك، اجعل من نفسك امتداداً حيًا لذلك الإرث العظيم. تحدث عن "روح القائد الراحل" التي تلهمك، و"إرث الأبطال" الذي تسير على خطاه. بهذه الطريقة، ستصبح تلك الشخصية جزءاً من كيانك، وكل من يحاول مهاجمتك سيبدو وكأنه يهاجم رمز الأمة نفسه.

لكن اللعبة لا تقف عند الأسماء والصور. ابدأ بتحويل الرموز إلى أدوات لخدمة أجندتك. هل هناك عيد وطني، مناسبة تجمع الناس تحت راية واحدة؟ اجعل منها مناسبة لتلميع صورتك. قدم نفسك كحامي الوطن في تلك الأيام، واظهر بمظهر المخلص الذي يقود الأمة نحو المجد. رتب احتفالات ضخمة، ولا تدع أحداً يتحدث في تلك المناسبة إلا عن

إنجازاتك. اجعل الناس يشعرون أن هذا اليوم، الذي كان يومًا للشعب كله، هو في الحقيقة يوم لك أنت.

وماذا عن الأغاني الوطنية، الأشعار، والقصائد التي تلهم الأجيال؟ لا تدعها تفلت من قبضتك. رتب لفرق موسيقية تعزفها في كل محفل يخصك، وتأكد أن كلماتها تدور حول المعاني التي ترغب في غرسها. هل تتحدث عن التضحية من أجل الوطن؟ اجعل الجميع يردد أن التضحية الحقيقية هي في دعمك. هل تحيي ذكرى الشهداء؟ اجعل من نفسك الوريث الشرعي لتضحياتهم.

والأروع في هذا القانون أنك تستطيع استخدام الرموز الوطنية لتقويض شرعية خصومك. عندما يظهر أحدهم محاولا منافستك، تذكره بأن تلك الرموز لا تسمح لأي كان أن يتطاول على من يمثلها. استخدم العبارات مثل "الإخلاص للوطن"، و"الوفاء لتضحيات الأبطال"، كأنك تحمل الراية التي رفعها العظماء، بينما خصومك مجرد دخيلين يحاولون العبث بها.

ومن الحيل الذكية في هذا القانون هي إعادة تعريف الرموز بطرق تخدم مصالحك. إذا كان هناك نصب تذكاري أو شعار وطني يحظى بشعبية، لكنك تشعر أنه قد يستخدم ضدك، ببساطة أعد تفسيره. اجعله رمزاً لمعنى جديد، معنى يتناسب مع أجندتك. تحدث عن "التحديات المعاصرة" التي تتطلب إعادة قراءة التاريخ برؤية حديثة، والتي بالطبع، تتفق مع رؤيتك أنت. وهكذا، تستحوذ على الرمز، وتفرغ خصومك من أي قدرة على استخدامه ضدك.

وبالطبع، لا تنسى تكتيك التمويه. عندما تشعر بأن أحدهم بدأ يلفت الأنظار إلى رمز قد يُهدد سيطرتك، قم بإغراق الساحة برموز أخرى. افتتح نصباً جديداً، اطرح عملة تحمل صورة زعيم قومي آخر، أو حتى أطلق حملة وطنية تحت شعار جديد تمامًا. بذلك، تشتت الانتباه، وتُبقي الجميع يدورون في فلكك.

وفي لحظة الحسم، عندما تكون قد سيطرت على الرموز الوطنية بشكل كامل، ستجد نفسك في موضع القوة المطلقة. كلما وقفت أمام الشعب، ستكون صورتك هي الصورة الوحيدة التي تراها الأعين، وصوتك هو الصوت الوحيد الذي يسمعه الناس. حتى لو حاول أحدهم أن ينافسك، سيكتشف أن رموز الأمة ليست في صفه، وأنها كلها تجتمع حولك، كأنها تجسد فيك الوطن نفسه.

وهكذا، يبقى قانون السيطرة على الرموز الوطنية هو السحر الذي يحول التاريخ إلى خادم مخلص بين يديك، يستخدمه كما يشاء. إنه اللعبة التي تجعل من الماضي ركنًا أساسيًا في بناء مستقبلك، وتجعل من كل رمز وطني سلاحًا تُشهره في وجه خصومك، دون أن يبدو الأمر سوى كتجسيد حي لحبك للوطن. كلما نظرت إلى الأفق، ستجد أن الرايات التي ترفرف هناك تحمل توقيعك، وأن النصب التي تزين الميادين تُكرّمك، وأن الأمة بأسرها تردد اسمك وكأنك الوريث الشرعي الوحيد لتاريخها المجيد.

١٧٣ – قانون التدوير الاجتماعي : كيف تجعل من حاشيتك أعمدة لا تسقط ، تتنقل بين مناصب المجتمع كالفراشات ، لكنها تحافظ على زهر سلطتك .

في معترك السياسة والاجتماع العراقي ، حيث الغموض يغلف النوايا وتحاك الخطط بين الابتسامات المتبادلة ، يبرز قانون التدوير الاجتماعي كأحد أكثر الأدوات براعة في يد السياسي المحنك . إنه القانون الذي يمكّنك من خلق شبكة من الموالين ، يطيرون من منصب إلى آخر ، دون أن يُدركوا أنهم في الحقيقة ليسوا سوى بيادق في لعبة كبيرة ، تضمن لك السيطرة الكاملة على التوجيه الاجتماعي في المجتمع .

تخيل نفسك قائداً يدير مملكة غير مرئية ، مملكتها المؤسسات الاجتماعية ، من جمعيات خيرية ، ونوادي ثقافية ، ومنظمات غير حكومية ، بل وحتى وسائل الإعلام التي تَلبس قناع الحياد . لكل من هذه المؤسسات تأثير عميق على المجتمع ، وعلى كيفية تشكُّل أفكار الناس وتوجهاتهم . وأنت ، في غمرة فهمك العميق لفنون السلطة ، تعلم أن هذه المؤسسات هي أسس القلاع التي تحمي عرشك . لذا ، عليك أن تضمن أن كل لبنة في هذه القلاع تابعة لك ، وإن بدت في الظاهر مستقلة عنك .

الخطوة الأولى في هذا القانون هي اختيار الطبقة التي ستنقلها بين هذه المناصب . هؤلاء ليسوا مجرد موظفين عاديين؛ إنهم كُتاب سيناريو لمسرحية طويلة الأمد ، أنت مخرجها الأول والأخير . تختارهم بعناية ، ليس بناءً على كفاءتهم فحسب ، بل بناءً على ولائهم المطلق لك . تدربهم على فهم لغتك ، على قراءة الإشارات الخفية ، وعلى معرفة متى يجب أن يرفعوا راياتك ومتى يجب أن يسكتوا . هؤلاء سيكونون عينيك وأذنيك ويديك في كل زاوية من زوايا المجتمع .

الآن ، تبدأ بنقلهم بين المناصب كما يحلو لك . اليوم يكون أحدهم رئيساً لجمعية خيرية تُعنى بمساعدة الفقراء ، وغداً تجده يقود ناد ثقافي يُروّج للفكر المستنير (والذي بالطبع ، يفسر الاستنارة على أنها توافق تام مع

رؤيتك). ثم بعد ذلك بشهرين، تراه قد أصبح مديراً لإحدى وسائل الإعلام المؤثرة. هذا التنقل المستمر لا يجعلهم فقط متأصلين في نسيج المجتمع، بل يجعلهم قادرين على نقل تعليماتك من مكان لآخر، دون أن يشكك أحد في ولائهم أو نواياهم.

والسر في نجاح هذا القانون يكمن في جعل كل منصب جديد يبدو كأنه ترقية، كأنه إنجاز شخصي لهذا الموالي. بينما في الحقيقة، كلما ارتفعوا في مناصبهم، كلما زاد ارتباطهم بك وبنظامك. يُدركون تدريجيًا أن نجاحهم ليس سوى امتداد لنجاحك، وأنهم بدونك سيعودون إلى الظل حيث لا يسمع لهم صوت.

لكن براعتك الحقيقية تتجلى عندما تبدأ في استخدام هؤلاء الموالين لتعزيز صورتك كقائد مستنير يعتني بمصالح الشعب. تُظهرهم كقادة مستقلين، يحملون أفكاراً جديدة، ويديرون المؤسسات بروح جديدة، بينما في الواقع، كل خطوة يخطونها قد تم التخطيط لها في مكتبك الفخم. الناس يرون تنوعًا في القيادات، لكنهم لا يدركون أن هذا التنوع هو في الحقيقة مجرد تنقل لأجزاء من نفس الآلة التي تديرها أنت.

وعندما تبدأ الرياح في التغيير، عندما تظهر أصوات معارضة أو تساؤلات حول توجيهات معينة، تجد أن طبقتك الموالية قادرة على التكيف بسلاسة. تنتقل من موقع إلى آخر، تزرع الأفكار وتعيد تشكيل الرأي العام، حتى يجد الجميع أنفسهم متفقين دون أن يدروا مع الخط العام الذي رسمته. وهذا التكيف ليس مجرد حيلة، بل هو تأكيد على أن أي محاولة للخروج عن المسار لن تؤدي إلا إلى الفشل.

والأكثر إثارة للدهشة أن خصومك لا يرون في هذه التنقلات سوى براهين على ديناميكية المجتمع وحيويته. إنهم يصفقون لهذه التغييرات، ويظنون أن الأمور تسير نحو الأفضل، بينما في الحقيقة، كل تغيير ما هو إلا حركة في رقعة شطرنج ضخمة، حيث يتحرك الجميع بإشارتك فقط، حتى أولئك الذين يظنون أنهم أحرار في قراراتهم.

وفي الوقت الذي يتوهم فيه البعض أنهم قادرون على اختراق هذا النظام، يكتشفون أن المؤسسات قد أصبحت حصونًا منيعة، تديرها أيدي مدربة جيدًا على حماية المصالح المشتركة. هؤلاء الذين تم تدويرهم بين المناصب، أصبحوا الآن فرسانًا يدافعون عنك وعن نهجك، حتى لو بدا في الظاهر أنهم يدافعون عن قضايا عامة.

وفي ختام هذه اللعبة، تجد نفسك قد بنيت شبكة معقدة، محكمة، لا تُرَى بالعين المجردة ولكن يشعر الجميع بثقلها. كل مؤسسة اجتماعية، كل منصب قيادي، أصبح جزءًا من منظومة تخدمك أنت. الشعب قد يتغير، الحكومات قد تأتي وتذهب، لكن مؤسساتك التي تديرها طبقتك الموالية تبقى ثابتة، راسخة، تضمن لك الاستمرار في توجيه المجتمع نحو الوجهة التي تراها الأنسب.

وهكذا، يبقى قانون التدوير الاجتماعي هو أحد أعظم أسلحتك، الذي يجعلك تتحكم في نبض المجتمع، وتوجهه كيفما تشاء، دون أن يشعر أحد بأنك في الواقع من يقرر كل شيء. إنك القائد الخفي، الذي تدور حوله الكواكب في مدارها، بينما يعتقد الجميع أن الشمس هي التي تتحكم في هذا الكون الصغير.

١٧٤ – قانون التوازن بين القوى الخارجية : كيف تجذب الثعابين إلى حديقتك وتجعلها تحرسك بينما تتصارع في الخفاء

في أروقة السياسة الدولية، حيث الكبار يلعبون بأحجار الشطرنج على رقعة الأرض، يظهر قانون التوازن بين القوى الخارجية كأحد أعظم فنون القيادة. إنه السحر الذي يمكنك من جعل القوى العظمى ترقص على نغمة واحدة، نغمتك أنت، دون أن يدركوا أنهم يتبعون خطاك بدلاً من أن يقودوك. إنه اللعبة الكبرى التي تجعل من العلاقات الدولية لعبة قذرة، حيث البراعة تكمن في معرفة متى تبتسم، ومتى تطعن، ومتى تبقي الآخرين مشغولين بأنفسهم.

تخيل نفسك قائداً لدولة صغيرة، في عالم تعصف به العواصف الكبرى. على يمينك قوة عظمى لا تتردد في استخدام عضلاتها الحديدية لإظهار قوتها، وعلى يسارك إمبراطورية اقتصادية لا تعرف الشفقة عندما يتعلق الأمر بمصالحها. كل منهما ينظر إلى دولتك الصغيرة كقطعة ثمينة يمكن استخدامها لتحقيق مصالحه، ولكنك تعرف أن الوقوف بجانب أحدهما قد يعني السقوط مع الآخر.

الخطوة الأولى في هذا القانون هي فهم أن القوة الحقيقية لا تأتي من الانحياز لأحد الأطراف، بل من جعل كل طرف يعتقد أنك حليف محتمل دون أن تعطيه التزامًا كاملاً. تبدأ بلعب الورقة الدبلوماسية المزدوجة، تتحدث بلطف مع كلا الطرفين، تقدم التنازلات الصغيرة لكل منهما، ولكنك لا تعطي أحدًا منهم اليد العليا. تصرّح في الاجتماعات المغلقة بأنك ترغب في الاستقرار والتعاون، ولكن في الواقع، أنت تخلق نوعًا من التوتر المستمر بينهما، بحيث لا يتمكن أحدهما من الانفراد بك.

ولأنك داهية في فنون السياسة، تبدأ بتقديم خدماتك لكلا الطرفين، تجعل نفسك وسيطًا لا غنى عنه في أي نزاع، وبذلك تصبح مفتاحًا للحلول التي يحتاجها الجميع. هنا، لا تصبح دولتك مجرد ساحة للصراع، بل تتحول

إلى ساحة لعب، حيث الجميع يظن أنه الفائز الوحيد، بينما الحقيقة أن الفائز الحقيقي هو من يدير اللعبة، وهو أنت.

ثم تبدأ في خلق توازنات معقدة: اليوم تعقد صفقة تجارية مع الطرف الأول، ولكنك في اليوم التالي توقع اتفاقية دفاعية مع الطرف الآخر. تجعلهم يتنافسون على رضاك، وكلما اشتد التنافس بينهما، كلما زادت مكاسبك. إنهم يظنون أنهم يستخدمونك، لكن الحقيقة أنهم يتسابقون لكسب ودك، وكل منهم يدفع الثمن غاليًا لضمان أن تبقى على مقربة منه.

ولأنك تدرك أن السيطرة على القوى الخارجية تحتاج إلى أكثر من مجرد تحالفات على الورق، تبدأ في استخدام نفوذك لإشعال حرائق صغيرة هنا وهناك. تحرك الأحداث في مناطق حدودية أو تثير قضايا ثانوية تافهة، ولكنها كافية لجعل كل طرف يشعر بالقلق. تجعلهم يدركون أن أي محاولة للهيمنة المطلقة ستكلفهم أكثر مما يمكنهم تحمله، فتجبرهم على البقاء في دائرة الصراع المحدود، حيث لا ينتصر أحدهم بشكل كامل، ولكن لا يخسر أحدهم أيضًا.

ومن هنا تبدأ في استخدام تلك الصراعات لصالحك. عندما يطلب أحد الطرفين مساعدتك، تقدمها بشروطك، وتجعلهم يدفعون ثمنًا باهظًا، سواء كان ذلك من خلال التنازلات الاقتصادية، أو التعهدات السياسية التي تضمن بقاءك في مركز القوة. وفي كل مرة، تكرر نفس اللعبة، تجعلهم يعتقدون أنهم يسيطرون على الوضع، بينما في الواقع أنت من يحدد القواعد.

ولأنك تعلم أن الحياد الكامل ليس سوى ضعف مستتر، تبدأ في تحريك الخطوط الحمراء بين الحين والآخر. تقترب أكثر من أحد الطرفين عندما تشعر أن الآخر بدأ في التراجع، وتقوم بالعكس عندما ترى أن الكفة بدأت تميل. تجعل كل طرف يتساءل عن ولائك، ويبذل المزيد من الجهد لضمان

أنك لن تنحاز للخصم. بهذه الطريقة، تبقى دائمًا في مركز الاهتمام، وتحول كل لحظة إلى فرصة لتعزيز موقفك.

وفي النهاية، تجد نفسك قد نسجت شبكة معقدة من التحالفات والخصومات، حيث الجميع يحترمك، ولكن لا أحد يستطيع السيطرة عليك. لقد جعلت من دولتك الصغيرة لاعبًا كبيرًا في لعبة الكبار، لأنك تعلمت كيف تجعل القوى العظمى تتصارع من أجل مصالحك، بدلاً من أن تتصارع هي على حسابك.

قانون التوازن بين القوى الخارجية، إذًا، هو فن البقاء على قيد الحياة في عالم لا يعترف بالضعفاء، ولكن بذكاءك ودهائك، جعلت من هذا القانون سلاحك الذي لا يُقهر. لقد حولت الصراعات الدولية إلى فرص، وجعلت من قوتك الناعمة سلاحًا يُخشى منه، حتى في مواجهة أقوى الإمبراطوريات.

١٧٥- قانون الدعم السري للجماعات: كيف تُشعل الحرائق في غابات خصومك بينما تبدو كالمنقذ الذي يحمل دلو الماء

في دهاليز السياسة المعتمة، حيث الخيانة تُغلف بالابتسامات والولاءات تحاك خلف الأبواب المغلقة، يظهر قانون الدعم السري للجماعات كأحد أعظم أسرار اللعبة. إنه القانون الذي يمكّنك من تقويض خصومك دون أن تتسخ يداك، ومن أن تبقى في الظل بينما تتحرك قطع الشطرنج على الرقعة وفقًا لخطة رسمتها أنت. إنه فن استخدام الآخرين كأدوات لإضعاف منافسيك، دون أن تترك أي بصمة تدينك.

تخيل نفسك قائدًا يجلس في غرفة محصنة، حيث الخرائط تنتشر على الجدران، تُظهر مواقع النفوذ والنفوذ المضاد. على كل خريطة، تبرز مجموعات مختلفة، حركات سياسية هنا، جماعات ضغط هناك، وحتى تنظيمات شعبية تبدو للوهلة الأولى مستقلة تمامًا. لكنك، بحكمتك المعهودة، تعرف أن تلك المجموعات يمكن أن تكون أسلحتك السرية في حربك ضد أعدائك.

الخطوة الأولى في هذا القانون هي اختيار الجماعات المناسبة التي يمكن استخدامها دون أن تُثير الشكوك. لا تبحث عن الأقوى، بل ابحث عن الأكثر تعطشًا للنفوذ، تلك الجماعات التي ترى فيك أملها الوحيد لتحقيق أهدافها. تبدأ بتقديم دعمك لهم، ولكن هذا الدعم ليس علنيًا، بل هو خفي كالرياح التي تحرك الشراع دون أن يراها أحد. قد يكون الدعم ماليًا، أو استخباراتيًا، أو حتى معنويًا، ولكنك دائمًا تضمن أن يبقى سريًا بحيث لا يتسرب منه أي شيء.

ومع مرور الوقت، تبدأ تلك الجماعات بالتحرك، تشعل النيران في معسكر خصومك، تثير القلاقل، تزرع الفوضى في صفوفهم. كل ذلك يحدث بينما أنت تبتسم في هدوء، تراقب من بعيد كمن يشاهد مسرحية أعدّ لها جيدًا. خصومك يتعثرون في فوضى لا يفهمون منبعها، يحاولون

مواجهة الخطر دون أن يعرفوا أن أصابعك هي من حركت البيادق في البداية.

لكن البراعة الحقيقية في هذا القانون تكمن في قدرتك على التملص من أي علاقة تربطك بهذه الجماعات. عندما تبدأ الأمور في التصاعد، وتتحول الفوضى إلى أزمة حقيقية، تخرج إلى العلن وتندد بالعنف، تدعو إلى الحوار، وتبدو وكأنك الزعيم الذي يسعى إلى استعادة النظام. في هذه اللحظة، تصبح البطل الذي يحتاجه الجميع، بينما خصومك يبدون عاجزين، غارقين في المشاكل التي زرعتها أنت.

وفي هذا الخضم، لا تتوقف عند دعم جماعة واحدة. تبدأ بتوسيع شبكتك، تدعم جماعات متعددة، كل منها يخدم جزءاً من خطتك الكبرى. قد تجد نفسك تدعم جماعات تبدو متناقضة في الظاهر، ولكنك تعرف أن لكل منها دورها الخاص في تعميق أزمة خصومك. تدفع بهم إلى التصادم مع بعضهم البعض، تشعل نزاعات داخلية تضعف الجميع، وتُبقيك أنت في مركز القوة، القادر على التحكم في مجريات الأمور.

ومع الوقت، تصبح تلك الجماعات مدينة لك بشكل كامل. تعرف أن قوتها ووجودها مرتبط بدعمك السري، وبالتالي، تصبح أدوات طيعة في يديك. تحركها كيفما تشاء، تُوجه ضرباتها حيث ترغب، وتُبقيها دائماً في حالة من الاعتماد عليك. وبينما تستمر الفوضى في الانتشار، تجد نفسك قادراً على تحريك الأحداث لصالحك، دون أن يظهر اسمك في أي مكان.

لكن السر الأكبر في هذا القانون هو معرفة متى تنهي اللعبة. في اللحظة التي تبدأ فيها الجماعات التي دعمتها بالاقتراب من الكشف، تقوم بقطع الخيوط التي تربطك بها. تتركها تواجه مصيرها وحدها، وقد تلعب دور المنقذ الذي يقضي على الفوضى، لتعود مجدداً إلى مركز السلطة كالبطل الذي أعاد النظام. في النهاية، تظل أنت النجم الساطع في سماء السياسة، بينما يُدفن خصومك تحت ركام الحركات التي دمرتها الفوضى.

وهكذا، يبقى قانون الدعم السري للجماعات هو الأداة السحرية التي تمكنك من لعب دور العنكبوت الذي ينسج شباكه بهدوء وصمت، ليوقع خصومه في الفخ دون أن يدركوا ما حدث. إنه القانون الذي يجعل من الصراعات الصغيرة حروبًا كبرى، ومن الخلافات العابرة أزمات لا تحل، بينما تظل أنت في الخلفية، تمسك بكل الخيوط وتحرك الجميع وفقًا لخطة لا يعرفها أحد سواك.

١٧٦ – قانون الاحتفاظ بقاعدة بيانات شخصية: كيف تجعل الجميع يمشون على حبل مشدود وأنت تمسك بطرفه

في عالم السياسة العراقي، حيث يُقال إن المعلومة هي القوة، يظهر قانون الاحتفاظ بقاعدة بيانات شخصية كأحد أكثر الأسلحة فتكًا ودهاءً. إنه السلاح الذي لا يُرى، ولكنه يُشعر الجميع بوجوده، يجعل من حولك يسيرون على رؤوس أصابعهم، خوفًا من أن ينكشف عنهم ما لا يرغبون في رؤيته على الملأ. إنه السحر الأسود الذي يحولك من زعيم تقليدي إلى سيد الظلال، المتحكم في كل خيوط اللعبة دون أن يعرف أحد مصدر قوتك الحقيقي.

تخيل نفسك جالسًا في قصر منيف، يطل على عواصم العالم، وبيدك مفتاح خزائن أسرارهم. تلكَ الخزائن ليست مليئة بالذهب أو المجوهرات، بل بمعلومات ثمينة، حساسة، لا يجرؤ أحد على الإفصاح بها. في زوايا هذا القصر، يتراكم غبار الحقائق التي لم يرها النور، ملفات وشهادات وصور، كلها محفوظة بعناية، تنتظر اللحظة المناسبة لتخرج إلى العلن.

الخطوة الأولى في هذا القانون هي إنشاء شبكة معلومات واسعة، حيث تبدأ بجمع كل شاردة وواردة عن الشخصيات السياسية والاجتماعية المحيطة بك. ليس عليك أن تكون جاسوسًا محترفًا، يكفي أن تعرف من أين تأتي بالمعلومات، وكيف تستخلصها من مصادرها. قد تكون هذه المعلومات صغيرة في بدايتها، قصصًا عن علاقات شخصية، شائعات عن معاملات مالية، أو حتى خلافات عائلية. لكنك تعلم جيدًا أن كل معلومة، مهما بدت تافهة، يمكن أن تتحول إلى قنبلة موقوتة إذا وُضعت في السياق المناسب.

وبعد أن تجمع تلك المعلومات، تبدأ بتصنيفها وتخزينها بشكل منظم في قاعدة بياناتك الشخصية. لا تترك شيئًا للصدفة، كل شيء يجب أن يكون جاهزًا للاستخدام في اللحظة المناسبة. قد تستخدم أساليبك الخاصة في

جمع تلك المعلومات، وربما تلجأ إلى التعاون مع جهات أخرى، ولكنك دائماً تحرص على أن تظل تلك القاعدة سرية، لا يعرف عنها أحد سواك.

ولكن لا يكفي أن تجمع المعلومات فقط؛ يجب أن تتعلم فن استخدام التلميح والتهديد الصامت. عندما تجلس مع شخصية سياسية مهمة، قد تكفي نظرة واحدة، أو تعليق عابر لتذكيرهم بأنك تعرف أكثر مما ينبغي. لا تُفصح عن كل ما تعرفه، بل اجعلهم يتخيلون ما يمكن أن يكون في جعبتك. هذا الشعور بالقلق، هذه الريبة المستمرة، هي ما يحولهم إلى بيادق في لعبتك الكبرى.

وبمرور الوقت، تبدأ في استخدام تلك المعلومات بحذر، مثلما يستخدم الطبيب مشرطه في الجراحة. لا تتسرع في الكشف عنها، بل انتظر اللحظة المناسبة. عندما يحاول أحدهم تحديك، أو الخروج عن الطوق الذي رسمته له، تجد أن الوقت قد حان لاستخدام جزء صغير من تلك المعلومات. قد تكون تسريباً لوسائل الإعلام، أو ربما تلميحاً في خطاب رسمي. الهدف ليس تدمير الشخص بالكامل، بل إعادته إلى دائرة نفوذك، ليبقى طوع أمرك.

والأجمل في هذا القانون هو أنك تستطيع تحويل الأشخاص الذين كانوا يشكلون خطراً عليك إلى حلفاء مضطرين. بعدما يكشفون مدى معرفتك بأسرارهم، سيدركون أن الوقوف ضدك لم يعد خياراً مطروحاً. يتحولون إلى أدوات طيعة في يدك، يدافعون عنك، وينفذون تعليماتك، ليس حباً فيك، بل خوفاً من أن ينكشف ما حاولوا إخفاءه طويلا.

لكن حذاري، فالقاعدة الذهبية هنا هي عدم الإفراط. لا تُسرف في استخدام هذا السلاح، ولا تبتز به الناس بشكل علني. لأنك تعلم جيداً أن الإفراط في التهديد قد يُفقدك القدرة على التحكم. اجعل تلك المعلومات سيفاً معلقاً فوق رؤوسهم، لا يستخدم إلا عند الضرورة القصوى. بهذه الطريقة، تضمن أنهم سيظلون في حالة من القلق

المستمر، لكنهم لن يجازفوا بمحاولة قطع الخيط الذي يمسك به هذا السيف.

وفي نهاية المطاف، تجد نفسك قد صنعت نظامًا كاملاً من الولاءات القائمة على الخوف والاحترام في آن واحد. كل من حولك يدرك أن سر بقائه في منصبه أو مركزه يكمن في يديك. أصبحت أنت الحاكم الفعلي خلف الكواليس، بينما يبدو الآخرون وكأنهم يديرون الأمور. ولكنك تعلم جيدًا أن كل خيط يتحرك بناءً على معلوماتك، وأن الجميع يسيرون وفقًا للإيقاع الذي حددته أنت.

قانون الاحتفاظ بقاعدة بيانات شخصية ليس مجرد أداة في يدك، بل هو القاعدة التي تُبنى عليها إمبراطوريتك. إنه السلاح الذي لا يتطلب منك سوى الصبر والذكاء، لكنه يمكّنك من التحكم في مصائر الآخرين بسهولة. وهكذا، يبقى قانونك هذا هو السلاح الذي يحميك، ويجعل كل من حولك يدورون في فلكك، عاجزين عن الهروب من دائرة النفوذ التي رسمتها لهم بذكاء ودقة.

١٧٧ – قانون التحالف مع المؤسسات الدينية: كيف تجعل من المنابر دروعًا تحمي عرشك وتُسبح باسمك

في مسرح السياسة المتلون، حيث تُدار الأمور بالكلمات كما تُدار بالأسلحة، يظهر قانون التحالف مع المؤسسات الدينية كواحد من أكثر الأدوات فاعلية ودهاءً في يد السياسي الماكر. إنه القانون الذي يجعل من المنابر الدينية سلاحًا يستخدمه السياسي بحرفية، لتحصين سلطته وتوسيع نفوذه. إنه التحالف الذي يحول المواعظ والصلوات إلى أجنحة تحلق بها سياساتك، بينما يظن الجميع أن السماء هي التي تقودك.

تخيل نفسك قائدًا يسير بين صفوف من رجال الدين، وجوههم مُتجهمة من التأمل في آيات الله، بينما في عيونهم يلمع بريق يترقب. هؤلاء ليسوا مجرد رجال دين، بل هم حلفاؤك الخفيون، الذين ستستخدمهم بذكاء لتمرير أجندتك. تعرف جيدًا أن الإيمان قوة عظيمة، وأن من يسيطر على هذا الإيمان يسيطر على قلوب وعقول الناس.

الخطوة الأولى في هذا القانون هي بناء الجسور مع قادة المؤسسات الدينية، ليس عبر الوعود الفارغة أو الكلمات المنمقة، بل عبر منافع ملموسة. تقدم لهم الدعم، سواء كان ماديًا أو معنويًا، تجعلهم يشعرون بأنك الراعي الحقيقي لمصالحهم. تبني المساجد، ترعى الكنائس، تدعم المدارس الدينية. كل ذلك ليس حبًا في الدين بحد ذاته، بل حبًا في القوة التي يمنحها لك هذا التحالف.

ثم تبدأ في الخطوة التالية: رسم صورة القائد الورع، الزعيم المؤمن الذي لا يتخذ قرارًا دون استشارة رجال الدين. تظهر في المناسبات الدينية الكبرى، تصلي أمام الجميع، وتبتهل إلى الله بكل خشوع. ليس لأنك فعلاً ترغب في ذلك، بل لأنك تعرف أن تلك الصورة ستطبع في أذهان الناس. تصبح "القائد الذي يخشى الله"، وهنا يصبح كل قرار تتخذه مباركًا من السماء.

ولأنك تعلم أن القوة الحقيقية تأتي من تملك ناصية القلوب والعقول، تبدأ بتنسيق الخطاب الديني مع سياساتك. تجد نفسك تهمس في آذان رجال الدين عن أهمية الطاعة، واحترام الحاكم، والتزام الناس بأوامر السلطة كجزء من الواجب الديني. وهنا يبدأ التحالف في الظهور بوضوح: المنابر تتحدث، والناس ينصتون، والسياسة تمضي في طريقها دون عوائق.

ولكن البراعة الحقيقية تظهر عندما تبدأ باستخدام هذا التحالف ليس فقط لتأمين سلطتك، بل لتقويض أعدائك أيضًا. عندما يبدأ خصومك في الظهور، تجد المنابر قد تحولت إلى سيوف مسلولة. يُشهر رجال الدين في خطبهم العظات التي تندد بالمخالفين، يحذرون من الفتن، ويؤكدون أن الخروج على الحاكم هو خروج على الدين. وهكذا، يتحول خصومك إلى أعداء ليس فقط للدولة، بل للدين نفسه.

والأكثر إتقانًا في هذا القانون هو قدرتك على جعل رجال الدين يدافعون عن سياساتك الاقتصادية والاجتماعية، حتى تلك التي قد تبدو للبعض غير منصفة. تُبرر الضرائب بأنها "زكاة واجبة"، والتقشف بأنه "ابتلاء من الله لاختبار صبر الأمة". تتحول السياسات التي قد تثير الغضب الشعبي إلى واجبات دينية لا مفر منها، وهكذا تبقى أنت في منأى عن أي اتهام.

ولكن السر الأكبر في نجاح هذا القانون يكمن في التوازن الدقيق بين دعمك للمؤسسات الدينية وبين إبقائها تحت سيطرتك. تعلم جيداً أن ترك الحبل على الغارب قد يؤدي إلى تمرد غير متوقع، لذا تبقي الأمور تحت مراقبتك الدقيقة. تُعطي رجال الدين حرية الحركة ضمن حدود معينة، لكنك تتدخل في اللحظة التي تشعر فيها بأن الأمور قد تخرج عن نطاق السيطرة.

وفي نهاية المطاف، تجد نفسك قد بنيت قلعة لا تحصنها الجدران الحجرية بل الجدران الإيمانية. كلما ارتفعت الأصوات المعارضة، تجد المنابر قد رفعت الراية البيضاء، وأعلنت ولاءها لك. أصبحت أنت القائد الذي يدعمه السماء والأرض، ومن يجرؤ على معارضتك سيجد نفسه معزولا، ليس فقط سياسيًا، بل روحيًا أيضًا.

وهكذا، يبقى قانون التحالف مع المؤسسات الدينية هو السلاح الذي يجمع بين القوة الأرضية والسماوية، بين السلطة والإيمان. إنه السلاح الذي يجعل من السياسة دينًا، ومن الدين سياسة، حيث تتداخل الحدود بينهما، فلا يعرف الناس أيهما يخدم الآخر، ولكنهم يدركون جيداً أن القائد المؤمن، الذي يخشى الله، هو الوحيد الذي يستحق ولاءهم.

١٧٨- قانون تحييد الأصوات النقدية: كيف تجعل من الصقور حمائم ترفرف بجناحيك، ومن السيوف أقلامًا تكتب باسمك

في عالم السياسة المتقلب، حيث يُقاس النفوذ بالكلمات التي تُقال بقدر ما يُقاس بالقرارات التي تُتخذ، يظهر قانون تحييد الأصوات النقدية كأحد أعظم أسلحة القائد الداهية. إنه القانون الذي يمكّنك من تحويل ألد خصومك إلى أعز أصدقائك، أو على الأقل إلى أبواق تتحدث بلسانك دون أن تدري. إنه السحر الذي يحول الكلمة من خنجر قد يُغمد في ظهرك، إلى وردة تُزين بها تاجك.

تخيل نفسك قائدًا محنكًا، تسير بين ممرات القصر، وعيناك ترصد كل صوت يُسمع في الأفق. لا يُخفى عليك أن هناك أصواتًا تهمس، تنتقد، وربما تجرؤ على الهجوم. هذه الأصوات، التي تجدها غالبًا في أروقة الإعلام وبين أقلام الكُتّاب، تُشكل خطرًا خفيًا قد يتفاقم إن لم يُحتوى. لكنك تعرف أن المواجهة المباشرة ليست دومًا الحل الأفضل؛ فالعصفور الذي يُحاصر في قفصه قد يغني بصوت أعلى. لذا، تبدأ بلعب لعبة أذكى، لعبة تحييد تلك الأصوات قبل أن تتحول إلى صدى يصعب إسكاته.

الخطوة الأولى في هذا القانون هي تصنيف الأصوات النقدية. هناك من ينتقد بدافع الغيرة أو المنافسة، وهناك من يفعل ذلك لاعتقاده بأنه يُقدم خدمة عامة. هؤلاء، رغم اختلاف دوافعهم، يمكن تحويلهم إلى حلفاء إذا عرفت كيف تُدغدغ طموحاتهم أو تُشبع غرورهم. تبدأ بدعوتهم إلى مأدبة عشاء فاخرة، تقدم لهم الأطعمة الشهية، وتحيطهم بهالة من الاهتمام. تجعلهم يشعرون بأنهم ليسوا مجرد نقاد، بل شركاء في اللعبة الكبرى.

تبدأ بالتحدث معهم بود، تُظهر اهتمامًا حقيقيًا بآرائهم. تسألهم عن أفكارهم، وتُبدي إعجابك بجرأتهم. في تلك اللحظة، يشعرون بأنهم أصبحوا جزءًا من دائرة النفوذ، وأن نقدهم لم يعد مجرد كلام يُلقى في

الهواء، بل أصبح له وزن وتأثير. وهذا هو مفتاح اللعبة: تجعلهم يشعرون أن كلماتهم تُسمع، ولكنك في الحقيقة تُعيد توجيهها كما تشاء.

ومن البراعة في هذا القانون هو استخدام الرشوة الفكرية، تلك التي لا تُقاس بالمال فقط، بل بتقديم الفرص والمزايا. تُقدم لهم منابر إعلامية أكبر، تُخصص لهم مساحات أوسع في الصحف، وربما تُعطيهم برامج تلفزيونية خاصة بهم. تجعلهم يشعرون بأنهم أصبحوا جزءًا من المؤسسة، وأن نقدهم ليس مجرد اعتراض، بل هو مساهمة في بناء النظام. وبهذا، تجد أن سيوفهم قد تحولت إلى أقلام تُدافع عنك، حتى وإن لم يتوقفوا عن النقد.

لكن اللعبة لا تقف عند هذا الحد. هناك أصوات أكثر عنادًا، تلك التي ترفض الانصياع بسهولة. هنا يأتي دور التكتيك الأكثر دهاءً: التحييد غير المباشر. تبدأ بتشتيت انتباههم، تغرقهم في قضايا ثانوية تجعلهم يفقدون تركيزهم على الهدف الأساسي. ربما تُرسل لهم معلومات مغلوطة، تدفعهم إلى اتباع مسار معين، فقط ليجدوا أنفسهم في نهاية المطاف عالقين في جدالات عقيمة لا طائل منها. وهكذا، تجد أنهم قد أضاعوا طاقاتهم في معارك جانبية بينما تستمر أنت في مسيرتك دون إزعاج.

وفي الحالات القصوى، قد تحتاج إلى استخدام اليد الخفية. تبدأ بتشويه سمعتهم بطرق غير مباشرة، تُطلق الشائعات، تثير الشكوك حول نواياهم. تجعل الناس يتساءلون: "لماذا ينتقدون بهذه الحدة؟ هل هناك أجندة خفية؟" ومع الوقت، تجد أن تأثيرهم بدأ يتآكل، وأن كلماتهم التي كانت تُسمع كأجراس إنذار، أصبحت مجرد همسات تتلاشى في الهواء.

ولكن السر الأكبر في نجاح هذا القانون هو عدم الاكتفاء بالتحييد. بعد أن تحيّدهم، تُبقيهم في دائرة نفوذك، تُغذي طموحاتهم بجرعات صغيرة من الامتيازات، تجعلهم يشعرون بأنهم يُحققون شيئًا، بينما في الحقيقة هم مجرد أدوات تُستخدم لضمان استمرارية سلطتك. وهكذا، تجد نفسك قد صنعت جيشًا من النقاد الموالين، الذين يظنون أنهم ما زالوا يمارسون

دورهم الرقابي، بينما الحقيقة أنهم أصبحوا جزءاً من النظام الذي يُحاولون انتقاده.

وفي نهاية المطاف، تجد أن قانون تحييد الأصوات النقدية قد جعل منك زعيمًا لا يمس، محاطًا بجوقة من الكُتّاب والإعلاميين الذين يُدافعون عنك، حتى عندما ينتقدونك. لقد حولت الخطر الكامن في الكلمات إلى سلاح يُستخدم لصالحك، وجعلت من النقد أداة لإبراز قوتك بدلاً من ضعفك. وهكذا، تبقى في قمة السلطة، محصنًا ليس فقط بقوة السلاح، بل بقوة الكلمة التي تُكتب بيديك، حتى وإن كان يحملها قلم شخص آخر.

١٧٩ - قانون تعزيز الشرعية من خلال الانتخابات : كيف تجعل من صندوق الاقتراع مائدة تستعيد عليها شرعيتك كلما بدأ الشك يطرق الأبواب

في عالم السياسة ، حيث تُدار الأمور بنعومة الحرير ولكن بقوة الفولاذ ، يظهر قانون تعزيز الشرعية من خلال الانتخابات كأحد أكثر الأدوات فعاليةً وإبداعًا في يد السياسي الداهية . إنه القانون الذي يُحوّل الانتخابات ، التي يُفترض بها أن تكون ساحة للتنافس الحر ، إلى طقوس احتفالية متقنة التصميم ، حيث النتائج معروفة مسبقًا ، ولكن الجميع يُشارك فيها وكأنها مسرحية لم يُكشف عن نهايتها بعد . إنه السحر الذي يجعل من الناس شهوداً على تجديد شرعيتك ، حتى وهم يعلمون في قرارة أنفسهم أنك الفائز المحتوم .

تخيل نفسك زعيمًا في قمة السلطة ، قد مضت سنوات على حكمك ، وشعبك ينتظر بفارغ الصبر أي مناسبة تُثبت لهم أنك ما زلت القائد الذي يستحق الولاء . تعرف أن الشرعية ليست مجرد كلمات تُقال ، بل هي شعور يجب أن يُجدد بين الحين والآخر . وما أفضل طريقة لتجديد هذا الشعور من تنظيم انتخابات تُظهر للعالم أنك ما زلت محبوبًا ، وأن شعبك يصطف خلفك كالجندي خلف علم الوطن .

لكن ، بالطبع ، أنت لست مجرد زعيم عادي ؛ أنت سيد اللعبة . لذا ، تبدأ بوضع خطة محكمة ، تجعل من الانتخابات عملية محسوبة بدقة . تبدأ أولاً بتحديد من سيتجرأ على منافستك . تسمح ببعض الأسماء لتظهر في الساحة ، تُشجع على ترشح بعض الشخصيات الهامشية ، تلك التي يعرف الجميع أنها لن تكون سوى ديكور يُضفي على المشهد طابع التعددية والديمقراطية . تعلم أن هذه الشخصيات ستضفي على الانتخابات لونًا من الإثارة ، ولكنها في النهاية لن تشكل تهديداً حقيقيًا لك .

ثم تأتي المرحلة التالية : صياغة القوانين الانتخابية . تقوم بتمرير تعديلات صغيرة ، تضمن أن تكون القوانين مرنة بما يكفي لتحكم قبضتك على

النتائج. تضع شروطًا تبدو عادلة علي الورق، لكنها في الواقع مصممة لإقصاء أي منافس حقيقي قد يظهر. تُنشئ لجانًا انتخابية، تملأها برجال يعرفون دورهم جيداً. يُديرون اللعبة وفقًا للقواعد التي وضعتها، ويتأكدون من أن النتائج لن تخرج عن السيناريو الذي كتبته.

ومع اقتراب يوم الانتخابات، تبدأ في إطلاق حملة دعائية ضخمة، تُظهر نفسك فيها كالقائد الذي لا بديل له. تُغرق الشوارع بصورك، تُغني الأناشيد باسمك، وتجعل كل وسيلة إعلام تُردد أنك الأمل الوحيد للمستقبل. في هذه اللحظة، الشعب كله يعلم أنك الفائز، ولكنهم ما زالوا يتوافدون إلى مراكز الاقتراع كأنهم يشاركون في حدث تاريخي.

ويأتي يوم الانتخابات، حيث تقف صناديق الاقتراع مُنتصبة في مراكز التصويت كأنها شهادات على عظمة الديمقراطية. الناس يصطفون، يُدلون بأصواتهم، ولكنهم يعرفون جيداً أن النتيجة لم تكن يومًا موضع شك. ومع ذلك، يستمرون في المشاركة، لأنهم يدركون أن هذا هو النص الذي كُتب لهم، وأن اللعبة قد بدأت منذ زمن بعيد.

ومع نهاية اليوم، تُعلن النتائج. تُذيع الشاشات أرقامًا مبهرة، تُظهر أنك حصلت على نسبة تأييد ساحقة. الجماهير تهلل، والاحتفالات تبدأ، والشرعية تجدد بأصوات الملايين. لكنك تعرف أن تلك الأصوات لم تكن سوى هبة من السماء، هبة عملت على صناعتها بمهارة وحذر.

وبينما تحيي الجماهير، تدرك أنك لم تربح الانتخابات فقط، بل ربحت شيئًا أعظم: السيطرة الكاملة على القلوب والعقول. لقد حولت الانتخابات من مجرد وسيلة للتنافس إلى أداة لتأكيد سلطتك، وجعلت من صندوق الاقتراع أداة في يدك، تُدير بها شرعيتك وتجدد بها ثقة الناس فيك كلما احتجت إلى ذلك.

ولكن الأجمل في هذا القانون هو أنك لم تكتف بالفوز فقط؛ بل جعلت الجميع يشعرون بأنهم شاركوا في صنع هذا الفوز. كل شخص أدلى بصوته، وكل فرد شارك في الاحتفالات، يشعر بأنه جزء من هذه العملية،

حتى وإن كان يعلم في قرارة نفسه أن النتائج كانت معروفة سلفًا. إنهم جزء من المسرحية، وأنت المخرج الذي يعرف كيف يُخرجهم من مشهد إلى آخر دون أن يدركوا أنهم كانوا مجرد ممثلين في نص كُتب بعناية.

وفي النهاية، يبقى قانون تعزيز الشرعية من خلال الانتخابات هو الأداة التي تجعل من الانتخابات أكثر من مجرد وسيلة لاختيار القادة، بل طقوسًا متقنة تجدد بها شرعيتك وتُبقي على سلطتك في قلوب الناس وعقولهم. إنه القانون الذي يحول اللعبة الديمقراطية إلى احتفال دائم بانتصارك، حيث الجميع يصفقون، وأنت تبتسم، مدركًا أن اللعبة لم تنتهِ، بل قد بدأت للتو.

١٨٠- قانون الإخفاء الاستباقي للأدلة: كيف تدفن أسرارك في الرمال قبل أن تهب العواصف وتكشف المستور

في عالم السياسة العراقية، حيث الذاكرة العامة قصيرة ولكن الملفات لا تمحى بسهولة، يظهر قانون الإخفاء الاستباقي للأدلة كواحد من أعظم فنون البقاء على قمة السلطة. إنه السحر الأسود الذي يحول الحقائق المزعجة إلى خيوط واهية تتلاشى في الهواء، ويُحوِّل الجرائم المحتملة إلى قصص تُروى في المجالس كأنها أساطير قديمة لا أثر لها في الواقع. إنه فن إخفاء ما قد يكون خطراً عليك في المستقبل، ودفنه في رمال التاريخ قبل أن يتحول إلى جبل يعترض طريقك.

تخيل نفسك قائداً يجلس في مكتبه الفخم، أمامك طاولة مليئة بالملفات التي تحمل في طياتها أسراراً لو عرفها الناس لزلزلت عرش سلطتك. تعلم جيداً أن الحفاظ على هذا العرش لا يتطلب فقط القوة والحنكة، بل يتطلب أيضًا إتقان فنون التغطية والإخفاء. تبدأ بتقليب تلك الملفات، تقرأ السطور بصوت منخفض، وتفكر في كل خطوة ستتخذها لتحمي نفسك من يوم قد يُفتح فيه هذا الدفتر الأسود.

أول خطوة في هذا القانون هي التنبؤ بالمستقبل. لا تنتظر حتى تُثار القضايا، بل تبدأ بتحليل كل موقف وكل قرار تتخذه من زاوية واحدة: هل يمكن أن يُستخدم ضدي لاحقًا؟ إذا كان الجواب نعم، فأنت تعرف ما يجب عليك فعله. تبدأ بجمع الأدلة، كل وثيقة، كل رسالة، كل تسجيل قد يُستخدم ضدك، وتحصرها في مكان واحد، بعيداً عن الأعين. ليس في درج مكتبك، بل في أماكن لا تخطر على بال أحد.

لكن الإخفاء ليس مجرد تكديس الأوراق في صندوق وتغطيته بغطاء سميك. هنا يأتي دور الفن الحقيقي: كيف تجعل تلك الأدلة تختفي وكأنها لم تكن موجودة أصلاً؟ تبدأ بتحويل الحقائق إلى ظلال، تشوه السجلات، تحذف الأسماء، وتغير التواريخ. تجعل من كل وثيقة طي النسيان، لا تظهر إلا كذكرى غامضة لا يمكن التحقق منها. وإذا كنت من

ذوي الحيلة، تُعيد صياغة بعض الوثائق بطريقة تجعلها تبدو في صالحك، وتلفق تفاصيل جديدة تضفي عليها طابعًا بريئًا.

ثم تأتي المرحلة التالية: التخلص من الشهود. ولكن لا تفهمني خطأً، نحن لسنا في فيلم عصابات حيث يُقتل الشهود ويُدفنون في الصحراء. لا، أنت أكثر ذكاءً من ذلك. تبدأ بالتأثير على هؤلاء الشهود بطرق أكثر دهاءً: تُقنعهم بأن مصلحتهم تكمن في الصمت، تُقدم لهم الحوافز، وتُبدي لهم الود. تجعلهم يشعرون بأن ما يعرفونه لا يُغير شيئًا، بل قد يُعرضهم للخطر. وبهذا، تتحول الحقيقة إلى سر يُحكى في الغرف المغلقة فقط، دون أن يجرؤ أحد على البوح به علنًا.

وبعد أن تكون قد أخفيت الأدلة وحيَّدت الشهود، تبدأ بالمرحلة الأخيرة: السيطرة على السرد. تبدأ بإطلاق الروايات البديلة، تملأ الفراغات بقصص تخدم مصلحتك. تُعيد كتابة التاريخ القريب، تجعل من نفسك بطلا، وتجعل من كل فعل مشبوه جزءًا من خطة أكبر لخدمة الصالح العام. في هذه اللحظة، يتحول كل ما قد يُدينك إلى قصة نجاح تُروى للأجيال القادمة.

ولكن البراعة الحقيقية تظهر عندما تجيد إخفاء نواياك وراء ستار من الشفافية المزيفة. تُظهر للناس أنك لا تخشى شيئًا، تُعلن عن تحقيقات، تُفتح ملفات، ولكنك تعرف جيدًا أن تلك الملفات التي تُفتح هي الملفات التي قد أعددتها بنفسك. تجعل الناس يشعرون بأن الحقيقة تُكشف، بينما في الحقيقة، أنت من يكتب تلك الحقيقة كما تريد.

والأكثر إتقانًا في هذا القانون هو عندما تبدأ بإعداد سيناريوهات للطوارئ. تضع خططًا بديلة لكل احتمال، تضمن أن كل خطوة قد تتخذها ستكون مدعومة بوثائق مزيفة، شهادات ملفقة، وأدلة غير قابلة للتشكيك. تجعل من نفسك محصنًا ضد أي هجوم قد يأتي في المستقبل، حتى لو كان من صنع يديك.

وفي نهاية المطاف، تجد نفسك قد نسجت شبكة معقدة من الأكاذيب نصف الحقائق، جعلت من كل دليل يمكن أن يُدينك إما مفقودًا أو مُعاد صياغته بحيث يخدم مصلحتك. لقد حولت الطاولة على خصومك، وجعلت من الماضي درعًا يحميك من أي هجوم قد يأتي في المستقبل.

وهكذا، يبقى قانون الإخفاء الاستباقي للأدلة هو السلاح السري الذي يحميك من كل خطر محتمل، يجعلك تتقدم بخطى ثابتة نحو السلطة المطلقة، بينما تظل الحقائق الحقيقية مدفونة تحت رمال النسيان. إنه القانون الذي يحول كل تهديد إلى فرصة، وكل جريمة إلى إنجاز يُحسب لك، وليس ضدك.

١٨١ – قانون التوازن الديموغرافي: كيف تجعل من الخرائط السياسية لوحات ترسمها بألوانك المفضلة دون أن يلاحظ أحد

في عالم السياسة، حيث التوازنات الدقيقة تشبه حبال السيرك المعلقة، يأتي قانون التوازن الديموغرافي كأحد أعظم أدوات السياسي الداهية. إنه القانون الذي يمنحك القدرة على تغيير قواعد اللعبة السياسية دون أن تضطر لرفع إصبعك بشكل علني. ببساطة، إنك تعيد ترتيب القطع على رقعة الشطرنج السكانية، تجعل المناطق التي كانت معادية لك تتحول تدريجيًا إلى معاقل داعمة، وكل ذلك يحدث بينما يبدو للجميع أن الأمور تسير على ما يرام.

تخيل نفسك قائدًا يتفحص خرائط المناطق الحساسة سياسيًا، تلك التي تعج بالسكان الذين قد لا يكون ولاؤهم مضمونًا. تجد أن هناك مشكلة: في بعض الأماكن، الكثافة السكانية لا تعمل لصالحك، وربما تحمل في طياتها بذور المعارضة. لكنك تعرف أن الحل ليس في القمع أو المواجهة المباشرة، بل في إعادة تشكيل الخريطة الديموغرافية نفسها، بحيث تتحول تلك المناطق من قلاع للخصوم إلى حصون تحمي عرشك.

تبدأ خطتك ببراعة، دون إثارة ضجة. أول خطوة هي تقديم حوافز سخية للمجموعات السكانية التي تضمن ولاءها لك، تدفعهم للاستقرار في تلك المناطق الحساسة. تُقدم لهم تسهيلات في الإسكان، إعفاءات ضريبية، وربما حتى فرص عمل مغرية. تبدأ المنطقة بالتغير تدريجيًا، السكان الأصليون يلاحظون وصول جيران جدد، ولكنهم لا يدركون أن هذا التحول ليس عفويًا، بل هو جزء من خطة أكبر.

وفي نفس الوقت، تعمل على تقليص وجود المجموعات السكانية المعادية لك. كيف تفعل ذلك؟ بسياسات ذكية تُظهر وكأنها تخدم المصلحة العامة. ربما تفرض ضرائب جديدة، أو تُقيد الحصول على الخدمات الأساسية، أو تُقدم عروضًا مغرية للهجرة إلى مناطق أخرى. النتيجة؟

السكان الذين كانوا يشكلون تهديداً سياسيًا لك يبدؤون بالانتقال تدريجيًا إلى أماكن أخرى، بحثًا عن حياة أفضل.

لكن العبقرية الحقيقية تظهر عندما تبدأ في تغيير الهيكل الاجتماعي للمناطق المستهدفة. تُنشئ مدارس وجامعات، تُقدم برامج تدريبية، وتُغرق تلك المناطق بالدعاية التي تروج لقيمك وسياساتك. الأطفال الذين ينشأون في تلك البيئة الجديدة يُصبحون بطبيعة الحال داعمين لك، ليس لأنهم تعرضوا لغسيل دماغ، بل لأنهم لم يعرفوا سوى النموذج الذي قدمته لهم.

وبمرور الوقت، تجد أن المنطقة قد تحولت بالكامل. السكان الذين كانوا معارضين لك لم يعودوا موجودين بأعداد كبيرة، والمجتمع الجديد الذي نشأ في تلك المنطقة يرى فيك الزعيم الوحيد الجدير بالثقة. لقد حققت تغييراً ديموغرافيًا جذريًا دون أن تثير غضب أحد، ودون أن تلجأ إلى العنف أو القمع. كل ما فعلته هو أنك أعدت توزيع السكان بطريقة تخدم مصلحتك السياسية.

والأجمل في هذا القانون أنك تستطيع تكراره في أي مكان آخر. كلما وجدت منطقة قد تشكل تهديداً، تبدأ بتطبيق نفس الخطة. لا أحد يستطيع أن يشكك في تحركاتك، لأن كل شيء يبدو وكأنه جزء من سياسات التنمية والرفاهية التي تُقدمها لشعبك. ولكن في الحقيقة، أنت لا تُغير إلا ما يضمن بقاءك في السلطة لأطول فترة ممكنة.

وفي نهاية المطاف، تجد أن الخريطة السياسية قد تغيرت بالكامل لصالحك. المناطق التي كانت معاقل للمعارضة تحولت إلى مراكز للدعم، والمدن التي كانت تشكل تحديًا أصبحت الآن جزءاً من إمبراطوريتك السياسية. لقد جعلت من التوازن الديموغرافي أداة لترسيخ نفوذك، دون أن تحتاج إلى استخدام القوة أو القمع. وكلما نظر الناس إلى تلك المناطق، يرون فيها نموذجًا للنجاح والتطور، بينما في الواقع، كل شيء كان جزءاً من خطتك الذكية لتأمين العرش.

هكذا، يبقى قانون التوازن الديموغرافي هو السلاح الذي يُعيد تشكيل الخريطة السكانية لصالحك، ويجعل من كل زاوية في البلاد ركنًا داعمًا لسلطتك. إنه الفن الذي يحول الحبال المعلقة إلى شبكة أمان، تضمن لك البقاء في القمة، بينما يظن الجميع أنك لا تفعل شيئًا سوى خدمة الوطن.